



# مكتبة الحرم فد في يوم الشعراء الخراب

إعداد

الدكتور عبد الرزاق حسين

أستاذ الأدب العربي

بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن







# مكة المكرمة في عيون الشعراء العرب

الدكتور عبد الرزاق حسين

أستاذ الأدب العربي

بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن

الكويت

1426 هـ

2005 م

يصدر هذا الكتاب إسهاماً من مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري  
بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية للعام 1426 هـ.

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعته الباحثان  
بمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري  
عبد العزيز محمد جمعة  
محمود إبراهيم البحاني

الصف والإخراج والتتفيذ  
محمد العلي  
أحمد متولي أحمد جاسم  
بثينة الدوماني  
قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

ردمك: 9 - 22 - 72 - 99906 ISBN  
رقم الإيداع : 2005 / 00134 Depository Number

حقوق الطبع محفوظة للمؤسسة



بمؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 2430514 فاكس: 2455039 (00965)

E-mail < Kuwait@albabtainpoeticprize.org >

الكويت

1426 هـ  
2005 م

## تصدير...

هل يوجد مكانٌ أقدس من مكة في نفوس المسلمين؟ حيث القبلة والمسجد الحرام والبلد المبارك: «إنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ» صدق الله العظيم، سورة آل عمران، الآية ٩٦.

إليها تُشدُّ الرجال من كلِّ حذبٍ وصوب، وليست الإبلُ النواحي هي من يحنُّ إليها فقط، بل إنَّ قلوب الشعراء ظلت ولا تزال تعمل بحبها وتهيم حنيئًا واشتياؤًا إليها، فهي في عيونهم دائمًا شلالٌ نورٍ متدفق يفيض في حنايا أرواحهم سحائبَ أمنٍ وأمانٍ وإيمانٍ.

وهذه الدراسة التي بين أيدينا: «مكة في عيون الشعراء» للاستاذ الدكتور عبدالرزاق حسين، تستقصي حضورَ مكة في الشعر العربي عبرَ مختلف العصور، من خلال مواكب الشعراء الذين أدمنوا السرى لاهجين بذكرها في تلك الشعاب والوديان، قاطنين أو طاعنين يُبرِّحهم ألم الجوى والبعاد.

إنها درة العواصم الإسلامية، وتاج الفخار الذي ما زال يتلأل فوق هامة الأيام، منذ دعوة إبراهيم وتوضحية إسماعيل عليهما السلام، وهي مهد الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، ومهبط الوحي ومهوى أفئدة المؤمنين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد بدأت أولى إيقاعات الشعر العربي، مع حوافر الخيل في مكة وكانت قريش تحتفي بالشعراء، وتُنزلهم منازلهم، فالشاعر هو بمثابة وزير الإعلام والثقافة حينها، وكانوا يرون أنَّ شياطين الجن في وادي عبقر توحى إليه هذا الكلام العجيب، فلم يكن من المدهش أن يقفوا حيارى أمام الظاهرة الغرائبية وأعجازها البياني، وهم لا يعرفون إلا لغة الشعر أولاً وأخيراً.

إنَّها مكة بخيلها ورجلها، وشبابية قصيدها الصادح في أذن الزمان، تتجلى لنا بين دفتي هذا الكتاب الذي أرادت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، من وراء نشره المساهمة في احتفالات «مكة عاصمة للثقافة الإسلامية» بأسلوبٍ يليق

بمكانتها في عيون الشعراء، من المهلهل وامرئ القيس مروّاً بكعب بن مالك والبرعي وشوقي، وكلّ من حجّ واعتمر، أو مرّهُ الشوق واعتراه الحنين إلى أم القرى ومهد الحرم.

فتحيةً إلى الدكتور عبدالرزاق حسين، على ما بذله من جهود طيبة في هذه الدراسة، وما احتوته من نصوص شعرية هامة، نعب عنها طويلاً في بطون الكتب والدواوين والمخطوطات، والشكر مني موصول إلى الإخوة الأعزاء في الأمانة العامة للمؤسسة بالكويت، وأخص هذا الباحثين الأستاذين عبدالعزيز محمد جمعة ومحمود البجالي، اللذين توليا قراءة ومراجعة هذا الكتاب بدقة واهتمام.

ويسعدني في نهاية هذه الكلمة أن أردّد مع ابن الوكيل أحمد بن موسى المكي، هذه الشكوى الغرامية لمكة والحطيم وزعم:

الله يعلم انني بك مُفَرَّمٌ  
والقلب مني في هواك مُتَيَّمٌ  
فإلى متى هذا الصدودُ وذا الجفا  
وإلى متى أخفي الغرامَ وأثُثُّم  
ما البحرُ إلا من تَدْفُقِ ادمعي  
والنارُ إلا من فُوّادي تُضَرَّمُ  
كم ليلةٌ قد بُتُ فيها غائبُها  
والله بالشقوق المبرح اعلم

مكة يا مشكاة النبوة، يا ألق الشعر، يا رحلة الشتاء والصيف.

تحياتي وسلامي إليك يا أم القرى. وإلى اللقاء،

**عبدالعزيز سعود البايضين**

الكويت 27 محرم 1426هـ

الموافق 8 مارس 2005م

\*\*\*\*\*

## أم القرى

إلى عينيكَ يحمِلُنِي حنيني  
والشواقي بحارُ تَحْنُونِي  
يفيءُ العاشِقون إلى هواهم  
لليلي أو لسلمى أو مُزُونِ  
فإن داروا بِبَلَّةٍ أو أطافوا  
وعزَّة هُمُهم في كل حين  
فقلبي لا يرومُ سِوَاكَ وَمُلا  
ولا يبغى سِوَى الوجهِ الحنون  
فلا انفك في طوفي وسعبي  
ودارك وَجْهَتِي ومُنَى عيوني  
دعوتُ اللة في سرِّي وجَهْري  
بان القَـسَّـاك يا نبعِ الحنين  
فبُشِّرْتُ المُنَى بِلِقَاكَ يُشْفِري  
كطعمِ الشَّهْدِ أو بِرُزِّ اليقين  
فشمُرتُ السُّوَاعِدَ لو عَدَّتْني  
عوادي الدهرِ والزَّمَنِ الخُـوون  
ركبتُ الشُّوقَ يحدوني ويجري  
كجَـري الماءِ في الغصنِ اللُـدين  
كانَ القلبُ ليلَةً قـيلَ أمضي  
إلى احضانِ فاتنةِ الجُفُونِ

(قطاة عزها شَرَكَة فبانت)  
 تجاذبُهُ شَمالاً مع يمين  
 ولمّا انْ تيقنْ لي رؤاها  
 ورحلتْ أهشُّ للوجهِ المُبين  
 اطلتْ من غليباها بوجهِه  
 تبارك خالقُ الوجهِ العُصُون  
 فشعشع من سناها ما تناهى  
 ونورَ وجهُها ظلمَ النُجُون  
 واسبلتِ السُّتُورَ ولاحظتني  
 فطار صوابُ ذي القلبِ العُكين  
 وكانت نظرةً ائتمتْ فؤادي  
 وانبتتِ الغرامَ على جُفُوني  
 ومن مَرَحِي غدتْ ابْتُ شوقي  
 لأزهارِ الرُيى والرُّزْقُون  
 وصار الطيرُ يحسبني لأني  
 أنا فسُة على عذبِ اللُحُون  
 وراقصتُ الفراشَ وراقصتني  
 أزهَرُ من حَقولِ الياسمين  
 وبتُ كائنِي فوقَ الثُّريا  
 وحولي مَنزلُ ولدانٍ وعين  
 وتحملني النُجومُ على اكفُ  
 من البُثورِ أو قُضْبِ النُجَين  
 وحورِ رافلاتٍ في بَقَسِ  
 وانتِ - ولا كانتِ - فانتِ ديني  
 جعلتكِ قبِلتي فإليكِ وجهي  
 يعانقُ فيكِ أمالَ السنين



ومن شفقتك زمزم لي عيون  
 تفيض عليّ بالماء المـعـين  
 ومن عيـنـك انهل ماءً وجدي  
 وعذب لـمـاك كـالمـرّـن الـهـنـون  
 وسامتك التي يهوى فؤادي  
 وسام الحب بل تاج الجـبـين  
 وجـررك موئلي والركن مـئـي  
 ضلوعي والمقام ضيا عيوني  
 اسير هواك قيدي مقلتك  
 وعند خطيـمك استلقى حنـيـني  
 أمـلـت حـواـثـي الـايـام لـمـا  
 ربطت ركائبي بغرى الحـجـون

عبدالرزاق حسين

\*\*\*\*



## المقدمة

تتناول هذه الدراسة الأدبية أظهر بقعة، وأشرف مكان، كيف لا وفيها أول بيت وضع للناس، ومنها خرج المصطفى خيرة خلق الله عليه أفضل الصلاة والسلام، ومن ربوعها أشرق نور الإسلام، وفوق بقاعها نزلت آيات الله، وإليها يتوجه المسلمون أينما كانوا، وحيثما حلّوا، فلا تكاد تمر لحظة مهما تجزأت ونقّت إلا والعيون إليها طامحة، والوجوه إليها ناظرة، والرقاب إليها مشرّبة، والنفوس إليها ظامئة، والقلوب إليها والهة.

ولهذه المكانة والقداسة والعظمة والأهمية فقد لاقت مكة إقبالا منقطع النظير عند المؤلفين، وحظيت باهتمام كبير عند العديد من المصنفين، والناظر في (معجم ما أُلّف عن مكة) للدكتور عبدالعزيز السنديي يلحظ هذا الاهتمام العظيم في كل هذه المصنفات المتنوعة التي لا تترك شاردة أو واردة عن مكة إلا وأُلّف فيها من الكتب والرسائل ما يؤكد على مكانة هذه المدينة الغالية على قلب كل مسلم.

ومع كل هذا الاهتمام والتصنيف في شتى المجالات، فإنني ومن خلال استعراضني لهذا المعجم وغيره من فهارس المطبوعات، لم أجد مؤلفاً يتحدث عن مكة في الشعر في عصر واحد عدا عن العصور الأدبية من العصر الجاهلي وحتى العصر الحاضر.

والأغرب من ذلك أنّ الدراسات التي قامت على أسس دينية، واتجاهات إسلامية، أو لعصور وبيئات الأدب لم تلتفت إلى مكة في الشعر، وإنما انصبت عنايتها للحديث عن الشعر في مكة كوعاء أو بيئة، مثل: الشعر في مكة في الجاهلية والإسلام جمع وتحقيق عبدالرحمن إبراهيم الدباس، والحياة الأدبية في مكة لزكي عابدين، أو الشعر الحجازي، وغير ذلك من الكتب الأدبية التي خُصصت للحديث عن شعر هذه البلدة المقدسة.

ومن هنا كان توجه مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين لتأليف كتاب ينصب على مكة بذاتها احتفالاً بمكة المكرمة عاصمةً للثقافة الإسلامية، للعام ١٤٢٦هـ، ولما عهدت

المؤسسة إليّ للقيام بهذا العمل الذي أتشرف به، لم أَلْ جهداً على الرغم من كثرة المشاغل وأزحام العمل في أن أخرج كتاباً يليق بمكانة هذه المدينة الخالدة، ويليق بهذه المناسبة الجليلة، ويكون لي نفعاً وشرفاً.

ولما كان العنوان (مكة في عيون الشعراء العرب) عنواناً مفتوحاً، لا يحده زمانٌ أو مكان، وإنما يتسع ليعبر الزمان من العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر، ويفسح المدي لينتشر فوق الأرض العربية بل والإسلامية في العصور السالفة، فإنَّ المهمة صعبة، والسيطرة على الموضوع تحتاج إلى تفرغ وتواصل، لذلك فقد وضعت كل جهدي في جمع المادة، ولما انتهيت من ذلك، وجدت أن ما جمعته يصلح لعمل عدة أجزاء لهذا الكتاب، والمهمة محددة، والوقت كذلك، وشرط الكتاب أن يكون في حدود المعقول، ومن هنا فقد استبعدت نصوصاً كثيرة تثير موضوعات رجمة، كما استبعدت شواهد لا حصر لها، خوفاً من تضخم البحث، ولذلك أرجو المعذرة من إخواني الشعراء المعاصرين الذين أكن لهم كل التقدير، ولشعرهم وافر الإعجاب، إذا كنت لم أستطع إدراج شواهد من أشعارهم في هذا المؤلف، وأعدهم أنني إذا فكرت في جمع المادة الشعرية عن مكة أن أعرض ما فات، وأستدرك ما لم أستطعه.

كما أن العبور إلى شتى العصور والبيئات فرض عليّ طريقة في البحث قد يعترض عليها البعض، فقد قمت بالعرض السريع لعصور الأدب، ولم أحصر كلَّ عصر قسرياً لما وجدت الموضوعات والأغراض تتنامى وتتناسل، وتنمو وتتطور، والموضوع الواحد يمتد ويستمر في الماضي متدرجاً في عبوره كل القرون السابقة، حتى يصل إلى عصرنا الحاضر وهو لا يزال طازجاً، فكيف يتأتى لي أن أبتره عن سياقه، أو أحرمه من تواصله، ومن هنا كانت رؤيتي إلى أن أعالج موضوعات وأغراض البحث ضمن حلقة واحدة، مبيناً مكان الشواهد من العصور دون فصل، وهذا التتابع أعطى للموضوعات شيئاً من الرؤية الكلية الموحدة.

وقد سرت في هذا الموضوع لا كما شئت، بل كما فرضه عليّ الموضوع نفسه، فبعد المقدمة، وجدت أن توطئة للحديث عن مكة المكرمة في: أسمائها، وموقعها، وفضلها،

وحرمتها، والتأليف فيها ضرورة لا بد منها يفرضها الدخول إلى بوابة البحث، حيث سار  
البحث بعد المقدمة والتوطئة في خمسة أقسام كالآتي:

#### القسم الأول: مكة في عصور الشعر

أولاً: مكة في الشعر القديم، ويتضمن العصور التالية: الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي.

ثانياً: مكة في شعر العصر الوسيط، وفيه عصر الدول المتتابعة والعصر العثماني.

ثالثاً: مكة في الشعر الحديث والمعاصر

#### القسم الثاني: من أضرار وموضوعات الشعر في مكة

- الفخر

- المديح

- الوصف (وصف الأماكن والبقاع، ووصف مشاهد الحج)

- الحنين والشوق

#### القسم الثالث: أحداث مكة

#### القسم الرابع: خصائص وسمات

#### القسم الخامس: من شعراء العشق المكي

- الشريف الرضي

- الزمخشري

- ابن جبير

- الصرصري

- البرقي

- ابن معصوم

وانتهيتُ بخاتمة أوردت فيها بعض ما أراه من إضافات قدمها هذا البحث لكل تلك المؤلفات عن هذه المدينة المكرمة، وما بعثه من تصور عن هذه المدينة الحبيبة، إلى جانب فهرسين للمصادر والمراجع، وللموضوعات.

وأخيراً، فإنني أقدم هذا العمل حباً لله ولرسوله، ولأول بيتروضع للناس، هدية من عبد مقصر، بجهد مقل، ليكون مشاركة مني في تعظيم هذه المدينة في عامها الثقافي، وإعلانها عاصمة للثقافة الإسلامية.

وختاماً أتوجه بالشكر الجزيل لمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري التي شرفتني باختيارها لي لتأليف هذا الكتاب، جزاها الله خير الجزاء عن هذا العمل الذي نرجو أن يكون في ميزان عملنا وعملها.

وأسأله تعالى أن يمدنا بعون من عنده إنه هو السميع الجيب.

**عبدالرزاق حسين**

٢٠٠٤/٢ / ١٤٢٥/٢ هـ



## توطئة

سنعرض في هذه التوطئة للحديث عن مكة في (أسمائها، وموقعها، وفضلها وحرمتها والتأليف فيها...)

### • المشهور من أسماء مكة المكرمة

ورد في القرآن الكريم من أسماء مكة: مكة، وبكة، والبلد، والبلد الأمين والقرية، وأم القرى. فأما اسم مكة، ففي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ<sup>(١)</sup>﴾ قال الزجاج: مكة لا تنصرف، لأنها مؤنثة وهي معرفة، ويصلح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق بكة، لأن الميم تبدل من الباء.... ويصلح أن يكون اشتقاقها من قولهم: امتكُ الفصيل ما في ضرع الناقة، إذا مصَّ مصّاً شديداً حتى لا يُبقي فيه شيئاً، وسميت بذلك لشدة انزعاج الناس فيها<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن فارس: تمككتُ العظم إذا أخرجت مخه، والتمكك: الاستقصاء<sup>(٣)</sup>

وجاء في الحديث الشريف: «لا تمككوا على غرمانكم»<sup>(٤)</sup>.

وفي تسميتها مكة أقوال عدة: نذكر منها:

أنها مثابة للناس، أو لأنها تمكُ الظالم وترد نخوته أي تهلكه، كما قيل:

---

(١) سورة الفتح آية ٢٤

(٢) انظر في ذلك كتاب للناسك لأبي إسحاق الحربي ٤٧٢، والريش للقطار الحميري ٩٢، ومادة مكة في معجم البلدان ١٨١ م ٥. وما ورد في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٤ / ١٨٨، وتاريخ الشعوب الإسلامية لبروكلمان ١ / ٣٣ وكثير من كتب اللغة والتاريخ.

(٣) مثير العزم للساكن ٢٢٤

(٤) النهاية في غريب الحديث ٤ / ٢٤٩

## يَا مَكَّةُ الْفَاجِرُ مَكِّي مَكًّا وَلَا تَكُي مَنُحَرِّجًا وَعَكًّا

أو لشدة جهد أهلها، أو لقلة مائها. وقد اتفق العلماء أن مكة اسم لجميع البلدة.

وسميت بكة، وورد ذلك في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وأخذ ذلك من قولهم: بكُ الناس بعضهم بعضًا، أي دفع، وسميت بذلك للازدحام، ولأنها تيك أعناق الجبابرة، وتضع من نخوتهم.

قال الراجز:

إِذَا الشَّرِيبُ أَخَذَتْهُ الْكُفَّةُ  
فَحَطَّ حَتَّى يَبُكُّ بَكَّةً<sup>(٢)</sup>

وقيل: تبدل الميم من الباء، وقيل: بكة موضع البيت، ومكة ما حواليه.. والذي عليه أهل اللغة أن بكة ومكة شيء واحد.

والبلد: في قول الله تعالى: ﴿لَا أَقْسَمُ بِهِذَا الْبَلَدِ﴾<sup>(٣)</sup> أي مكة.

والبلد الأمين: لقوله تعالى: ﴿وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ﴾<sup>(٤)</sup>

والقرية ففي قول الله تعالى: ﴿وَضُرِبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾<sup>(٥)</sup>

وفي تسميتها بأَم القرى: ففي قول الله تعالى: ﴿وَلَتَنْذُرُ أُمُّ الْقُرَى﴾<sup>(٦)</sup> يعني مكة، وفي تسميتها بذلك عدة أقوال: لأنها قبلة، ولأنها أعظم القرى شأنًا، ولأن الأرض دحيت من تحتها، ولأن فيها بيت الله.

(١) سورة آل عمران آية ٩٦

(٢) كتاب للناسك ٤٣٧ وانظر الروض المطار ٩٣

(٣) سورة البلد آية ١

(٤) سورة التين آية ٢

(٥) سورة النحل آية ١١٢

(٦) سورة الأنعام آية ٩٢



وأورد لها المؤرخون غير هذه الأسماء من نحو اثني عشر اسماً<sup>(١)</sup> ، وكثرة الأسماء كما يقولون دليل على شرف المسمى، من ذلك:

البيت العتيق، وورد في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَيُطِيعُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾<sup>(٢)</sup>.

والبيت الحرام: وورد في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾<sup>(٣)</sup>. وقد ورد في أسماء مكة (النساسة، وأم رجم، ومعاد، والحاطمة، والراس، والحرم، وصلاح، والعرش، والقانس، والمقنسة، والناسة، والباسة، وكؤثي).

ويورد اسم مكة في المصادر اليونانية والرومانية القديمة، فياقوت الحموي ذكر أن بطليموس الإسكندري ذكرها باسم (ماكورابا) وعلم المؤرخون هذه التسمية إلى أنها كلمة يونانية مكونة من: مك ورب، ومك بمعنى: بيت، فتكون مركب بمعنى: بيت الرب، أو بيت الإله، ومن هذه الكلمة أخذت مكة أو يكة، بقلب الميم ياءً على عادة العرب<sup>(٤)</sup>.

ويرى بروكلمان أنها مأخوذة من كلمة (مقرب) العربية الجنوبية ومعناها الهيكل، وعلى العموم، فإن هذه الأسماء تعبر في مجملها عن قداسة هذه المدينة العظيمة، وفضائلها، ومكانتها التي لا تقارن.

### ● مكانة مكة المكرمة

إنَّ اصطفاء الله عزَّ وجلَّ مكاناً لأول بيت لعبادته تعالى، وقبله مرضيةً لجميع المسلمين، ومهداً لنبيه، وأرضاً لرسالته، وأنزل فيها محكم كتابه، وجعلها حرماً آمناً، لكل

(١) انظر في أسماء مكة سيرة ابن هشام ١ / ١٢٥ - ١٢٦ والروض الأنف ١ / ٨١ - ٨٢ وتاريخ مكة للأزدي ٢٨٢ / ١ ومثير العزم السكان إلى أشرف الأماكن ١٢٠ ، وانظر أيضاً بعض البحوث مثل: أسماء مكة في القرآن الكريم وكتب السيرة والأدب والتاريخ والأشواق، بحث لإسماعيل أحمد حافظ، مجلة الإدارة ١٣٩٩هـ، ص ١٢٩ - ١٥٩، وبحث في حجاب البيت العتيق من أسماء مكة، لفصيل محمد عراقي، مجلة للنهل م ٥٥، عدد ٥٠٩، سنة ١٤١٤هـ، ص ٥٤ - ٥٦.

(٢) سورة الحج آية ٢٩

(٣) سورة المائدة آية ٩٧

(٤) انظر معجم البلدان ١٨ / ١٨٧ ومكة والمدينة في الجاهلية والإسلام للدكتور أحمد إبراهيم الشريف ٨٩

ذلك كانت مكة والحديث عن مكة شغل الناس الشاغل دومًا، فهي الأرض التي اختارها وفضلها على غيرها، وهي الأرض التي دعا لها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فجاء على لسانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾<sup>(١)</sup> قال القرطبي «بلدًا آمنًا» يعني مكة، فدعا لذريته، وغيرهم بالأمن ورغد العيش<sup>(٢)</sup>، وهي مهبط الوحي، ومكان الدعوة، ومقام إبراهيم وإسماعيل ومن قبل إدريس وآدم<sup>(٣)</sup> وفي ذلك يقول الخوارزمي: (اعلم أنَّ البيت الحرام بل الحرم كله محل عظيم القدر، ومكان جليل الخطر والفخر، بل هو أفضل بقاع الأرض وما عداه المفضول، ويدل على ذلك المعقول والمنقول)<sup>(٤)</sup> فالمعقول في رايه أنه مبتدأ الأرض، وأما المنقول فما ثبت بنص القرآن الكريم من تفضيله.

وقد ورد في شرفها أنها كانت لقاحًا لا تدين لدين الملوك، ولم يؤدَّ أهلها إتاوة، ولا ملكها ملك قط من سائر البلدان، تحج إليها ملوك حمير وكندة وغسان ولخم، فيدينون للحمس من قريش، ويرون تعظيمهم.. وكان أهله آمنين، يفزون الناس ولا يُفزون، ويسبون ولا يُسبون، وقد ذكر عزهم وفضلهم الشعراء، فقال بعضهم:

أَبَوَا دِينَ الْمُلُوكِ فَهُمْ لِقَاحُ

إِذَا هَيَّجُوا إِلَىٰ حَرْبٍ أَجَابُوا

وقال الزبيرقان بن بدر لرجل من بني عوف كان قد هجا أبا جهل، وتناول قريشًا:

اتخري من هَجَوْتَ أبا حَبِيبٍ

سَلِيلَ خَضَارٍ سَكَنُوا الْبَطَاحَا

أَزَادَ الرِّكْبِ تَذَكَّرُ أُمَ هَشَامَا

وَبَيْتَ اللَّهِ وَالْبَلَدَ الْقَفَاحَا<sup>(٥)</sup>

(١) سورة البقرة آية ١٢٦

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١ / ١١٧

(٣) أم القرى الخزاع علي رضا ٨-٧

(٤) إثارة الترفيق والتشويق إلى تاريخ المساجد الثلاثة ٢٩

(٥) مكة في عصر ما قبل الإسلام ٦٢

وفي الثناء عليها، ووصفها بالأمن والعزة، قال حرب بن أمية يدعو حضريماً يدعى  
أبا مطر:

أبا مطر هلم إلى الصـــــــــــــــــلاح  
فسيكفيك الندامى من قــــــــريش  
وتخزلُ بلدةَ عـــــــــزَّتْ قـــــــــديماً  
وتسامنُ أن يزورك ربُّ جـــــــــــــــــيش  
فستامنُ وسطهم وتعيشُ فـــــــــيهم  
أبا مطر هديت بخـــــــــيسر عـــــــــيش

ومكة مدينة قديمة من إقليم الحجاز في جزيرة العرب، ترتفع عن سطح البحر ٢٢٠  
متراً، (وتقع في واد على شكل سهل منبسط محاط بجبال ذات شعاب)<sup>(١)</sup>.

ويقال: إن بداية عمارتها بدأت مع عهد سيدنا إبراهيم الخليل عندما ترك أبوه  
إسماعيل وزوجه هاجر في ذلك المكان غير الملتوس<sup>(٢)</sup>.

«رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ  
فَجَعَلْ أَفْتَدَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقَهُمْ مِنَ الشَّجَرِ لَهُمْ يَشْكُرُونَ»<sup>(٣)</sup>.

ويقدر المؤرخون أن هذا الأمر تم في حدود القرن الثاني قبل الميلاد، دون أدلة  
واضحة. وفي مكة للمسجد الحرام أول بيت وضع للناس، وفيه الكعبة التي ورد في عمرانها  
أن أول من بناها الملائكة، ثم آدم عليه السلام، ثم شيث، ثم إبراهيم وإسماعيل عليهما  
السلام، ثم العمالقة، ثم جرمهم، ثم قصي بن كلاب، ثم قريش، ثم عبدالله بن الزبير، ثم  
الحجاج بن يوسف الثقفي، وهو البناء القائم الآن.

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ٢٩٢/١

(٢) انظر في بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام للكعبة للكتب التاريخية التي تحدثت عن مكة

(٣) سورة إبراهيم آية ٣٧

ومما ورد في فضائل مكة وخصائصها وخصوصيتها أنَّ الله اختارها لتكون البلد الحرام ومنسكاً لعباده المؤمنين، وقبله لهم، يأتيها القريب والبعيد فرضاً لازماً، وركناً ثابتاً، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مِنْ اسْتِطَاعٍ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾<sup>(١)</sup> وإذا كان الحج لله على الناس فرضاً مفروضاً، فقد أمر نبيه إبراهيم بأن يعلن ذلك إعلاناً عاماً شاملاً يشمل الناس من لدنه، وإلى قيام الساعة، ويؤذن في الناس ﴿وَأَنْذِرْ فِي النَّاسِ بِالْحِجِّ يَتَوَكَّرُ رَجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(٢)</sup> ويفرض الأمر الإلهي بالتوجه شطرها ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾<sup>(٣)</sup> وبما أنها قبلة المسلمين، ومكان حجهم، فقد كان شد الرحال إليها أمراً مندوباً، فعن أبي هريرة أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: إلى المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)<sup>(٤)</sup>، والصلاة في المسجد الحرام أفضل من الصلاة في غيره، لما ورد عن ابن عمر قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام)<sup>(٥)</sup> وثبت أن الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مئة ألف صلاة، وفي مسجدي ألف صلاة، ومسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة)<sup>(٦)</sup> وهذا البلد جعله الله حرماً آمناً يوم خلق السموات والأرض، لا يسفك فيه دم، ولا يعضد شجره، ولا ينقُرُ صيده، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته، (ومن دخله كان آمناً)<sup>(٧)</sup> وحرّمه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح، فقال: (إنَّ هذا البلد حرّمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرامٌ بحرمة الله، وإنَّه لم يحل القتال فيه لأحد من قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُقضدُ شوكه، ولا يُنقَرُ صيده، ولا يُختلى خلاه، فقال العباس: يا رسول الله إلا الإنسان فإنه لقينهم وليوتهم، قال: إلا الإنسان)<sup>(٨)</sup>

(١) سورة آل عمران آية ٩٦

(٢) سورة الحج آية ٢٧

(٣) سورة البقرة آية ١٥٠

(٤) صحيح مسلم، كتاب الحج (١٣٩٧)

(٥) صحيح البخاري في فضل الصلاة في مسجد مكة ح (١١٩٠) وصحيح مسلم: كتاب الحج (١٣٤٩)

(٦) الهيثمي في مجمع الزوائد ٤ / ٧ والذري في الترغيب والترهيب ٢ / ٢١٦

(٧) سورة آل عمران آية ٩٧

(٨) صحيح مسلم باب الحج ١٣٥٣

وقد أقسم الله عزَّ وجلَّ به، فقال عز من قائل ﴿وهذا البلد الأمين﴾<sup>(١)</sup> و ﴿لا أقسم بهذا البلد﴾<sup>(٢)</sup> ودعوة أئمتنا إبراهيم عليه السلام ﴿رب اجعل هذا البلد آمناً، واجنبنني وبنيَّ أن نعبد الأصنام﴾<sup>(٣)</sup> وأمر الله تعالى له: ﴿قل إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة الذي حرَّمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين﴾<sup>(٤)</sup> يقول محمد بن إسحق الخوارزمي: (يعني مكة، وإنما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لأنها مضافة إليه، وأحب البلاد إليه، وأكرمها عليه، وأشار إليها إشارة تعظيم لها لأنها موطن نبيه، وموضع وحيه)<sup>(٥)</sup> والاعتقاد بتحرير مكة كان راسخاً في الشعر الجاهلي، فهذه سبيعة بنت الأحب توسي ابنها بذلك، وتعظم عليه حرمة مكة، وتنهاه عن البغي فيها، وتذكره بما حدث لمن أراد الظلم والإلحاد فيها، تقول:

أبني لا تظلم بمكة لا الصغير ولا الكبير  
واحفظ محارمها بني ولا يفرِّك الغرور  
أبني من يظلم بمكة يلقَ أطراف الشسور

وتكمل حديثها قائلة:

أبني يُضرب وجوهه  
ويُلح بضئيه السَّعِير  
أبني قد جرَّأها  
فوجدت ظالمها يُؤوِز  
الله أمَّنهما وما  
بُنيت بعرضتها قصور  
والله أمَّن طيِّرها  
والضامن تامن في قُبَيْر

(١) سورة التين آية ٣

(٢) سورة البلد آية ١

(٣) سورة البقرة آية ١٢٦

(٤) سورة النمل آية ٩١

(٥) إثارة الترغيب والترهيق إلى تاريخ المساجد الثلاثة . ٥٠ .

وَلَقَدْ غَسَاها تُبْعُ  
 فَكَسَا بَنِيها الحَبِيضُ  
 واذلَّ رَيْبِي مُلْكَةً  
 فَبِيها فَاوْفَى بالنُّزُورِ  
 يَمْشِي إِلَيْها حَافِيًا  
 بَغْنائِها الفَا بَعِيرِ  
 وَيَغْلُلُ يُطْعِمُ أَهْلَها  
 لَحْمَ المَهِـارِي وَالْجَزُورِ  
 يَسْقِيهمُ العَسَلُ المُصَفَّى  
 فَيُ وَالرَّحِيضُ مِنَ الشَّعِيرِ  
 وَالْقِيلِ أَهْلَكَ جَيْشُةً  
 يَرْمُونَ فَبِيها بالصُّخُورِ  
 وَالْمَلَكُ فِي القَصَى البِلَا  
 دِ وَفِي الأَعْجَاجِ وَالخَزِيرِ  
 فَا سَمِعَ إِذَا حُنْتُتْ وَافٍ  
 هُمْ كَيْفَ عَاقِبَةُ الأُمُورِ<sup>(١)</sup>

ومن قصده كان مكفرًا للذنوب، حاطًا للخطايا والأوزار، كما ورد في الصحيحين عن  
 أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم  
 يفسق رجع كيوم ولدته أمه)<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت مكة أحب بلاد الله إلى الله عز وجل، فهي أحبها إلى قلب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم، وفي يوم خروجه منها، وهجرت، قال: (والله إنك لخير أرض الله،  
 وأحب أرض الله إليّ، ولولا أنّي أُخرجتُ منك ما خرجت)<sup>(٣)</sup>.

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٢٥، بيروت: يهلاء، والمصنف: القول لأنها تعصم بالجيال، بنيتها: يعني مكة، والحبير: نوع  
 من الثياب، المهارى: الإبل النجيبة، منسوبة إلى بلاد الهرة في حضرموت، الرحيف: المنقى، الخزير: أمة من  
 الأعاجم يقال لها الخزير.

(٢) صحيح مسلم باب (الحج) ٤٢٨

(٣) المستدرک علی الصحيحین للحاکم ١ / ٤٨٦

وقد وردت أحاديث عديدة في فضل مكة ومكانتها وخصوصيتها، وقد أجمع العلماء على أنَّ مكة أفضل بقاع الأرض تليها المدينة المنورة، فبيت المقدس.

وفي ذلك ننقل ما ورد من (أنَّ مكة والمدينة زادهما الله شرفاً وتعظيماً أفضل بقاع الأرض بالإجماع)<sup>(١)</sup>. ثم اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في أنَّ مكة شرفها الله تعالى أفضل، أم المدينة الشريفة عظمها الله تعالى؟ فذهب الإمام الأعظم أبو حنيفة وأصحابه، والإمام أحمد وأصحابه، والإمام الشافعي وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين أنَّ مكة أفضل من المدينة زادها الله شرفاً وتعظيماً، لحديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في مسجدي)، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه، ولا يرتاب في الفضائل التي أثبتها الله تعالى لبلده الحرام، ولقد قال القائل:

ارض بها البيت المحرَّم قبلة  
للعالمين له المساجد تعدل  
وبها المشاعر والمناسك كلها  
وإلى فضيلتها البرية ترجل  
والمسجد العالي المحرَّم والصفى  
والمشعران لمن يطوف ويرمل  
حرم حرام أرضها وصيوتها  
والصعيد في كل البلاد مُحلَّل  
وبها المقام وحوض زمزم مشرعاً  
والجُزر والركن الذي لا يرحل  
وبمكة الحسنات ضوِّعَ أجرها  
وبها المُسي عنه الخطايا تُغسل

وفي فضلها وشرفها، وعلو مكانتها، وأن لا شبيه لها بين الأمكنة يقول ابن دقيق العيد:

(١) الإعلام بأعلام بيت الله الحرام ١٣

وإذا رأيت مَهَابِطَ الوحي التي  
 نشطت على الأفاقِ نوراً نوراً  
 فاعلم بأنك ما رأيت شبيهها  
 مُدَّ كُنْتُ في ماضي الزمانِ ولا ترى  
 شرقاً لا مكنة تنزل بينهما  
 جبريلُ عن ربِّ السَّماءِ مُخْبِراً  
 فتأثرت عنة بأحسن بهجة  
 الهدي الجمال مؤثراً ومؤثراً<sup>(١)</sup>

وكل ما ورد يبين عن فضلها، وأن فضائلها كما قيل: (لا تعد ولا تحصى، ولو لم يكن فيها غير أنها مهبط الوحي، ومسقط رأس خير الأنام، ومُنْزَلُ القرآن، ومظهر الإيمان والإسلام، ومنشأ الخلفاء الراشدين الكرام... وملاذ العابدين، وملجأ الصالحين، ومقصد الطالبين، وقرّة عين المشتاقين.. لكفى ذلك شرقاً وفضلاً وعرّاً وقدرّاً، فكيف وفيه بيت الله الحرام، والحجر، والحجر، وزمزم، والمقام، ودار خديجة، وفيها مجلس جبريل ومحمد عليهما السلام:

انظر بعينك بهجة الحساء  
 ما بعد هذا منظر لرائي  
 فهي التي سلبت قوادح حجبها  
 بجمال بهجتها ونور بهاء  
 جعل المهيمن كل عام حجها  
 قرئنا وهذا صح في الأنبياء  
 يشركها عيني انظري وتدلني  
 وتلذذي منها بطيب لقاها  
 شئت بذكر مقامها ومقامها  
 أدنى فهذا اليوم يوم هناع<sup>(٢)</sup>

(١) ابن دقيق العيد حياته وحياته ١٤٠

(٢) إثارة الترقيب والتشويق ٣١ - ٣٢



## • التأليف في مكة المكرمة

انشغل الكتاب قديماً وحديثاً في تتبع أشرف البقاع، ويرجع ذلك لئتمسهم باباً يُرْفَع فيه شأنهم، وتنشط عنهم خطاياهم، وإنَّك إذا تصفَّحت المؤلفات والمصنفات التي صُنِّفت في المدن الهامة كان تكون عواصم لدول قوية، أو حواضر علم، أو معر قوافل، أو مركز اقتصاد، أو لكونها نقطة ارتكاز عسكري، أو تاريخي، أو أثري، فإنَّك بلا شك ستجد العديد من المؤلفات، كما هو الحال في الكتب المؤلفة في المدينة المنورة، والقدس وتاريخ دمشق وبغداد والقاهرة وخرنطة، وغيرها من المدن الإسلامية التي كان لها عبر التاريخ مكانة وأهمية.

ولكنك عندما تتصفح كتاب (معجم ما أُلِّف عن مكة) للدكتور عبدالعزيز السنيدي، فستصاب بالدهشة والعجب ممَّا، وسينقل إليك هذا الكتاب عظمة اهتمام المؤلفين بمكة المكرمة، وما لا ينتهي العجب منه هو أنَّ التصنيف كان متنوعاً وثراً، إذ لم يبق من جوانب هذه المدينة العظيمة في تاريخها وأحداثها، جانب إلا أُلِّف فيه، بدءاً من بداياتها الأولى، وبناء الكعبة الشريفة، وظهور الإسلام والبيعة، والإسراء والمعراج والفتح، والتطورات التي مرت عليها عبر العصور، وفي رجالاتها، ومواقعها كما في المسجد الحرام، والكعبة الشريفة، وبئر زمزم، والمقام، وفي فضائلها، وحياتها العلمية والفكرية، وتنظيماتها الحضارية والجغرافية، ومنشأتها، وعيونها وأبارها، وجوانبها المعمارية والأثرية، وقبائلها، وأنسابها، وتراجم رجالاتها ونسائها، وما يتعلق بالحج وشؤونه وتنظيماته، إلى ما أُلِّف فيها من رحلات عديدة، وغير ذلك من الكتب في الجوانب التشريعية والفقهية والدعوية.

وهذا الكتاب المفهرس الذي ذكرناه آنفاً يقع في ٥٥٠ صفحة لمدينة واحدة، وهذا يدلُّك حقاً على الكم الهائل من المؤلفات، وكَم كنت أتمنى على الكاتب لو قام بتقييم الكتب تسلسلياً، لكنه للأسف لم يفعل، فقامت بإحصاء الكتب والرسائل والأبحاث والمقالات الواردة في المفهرس الموضوعي في هذا المعجم فوجيتها (٢٨٧٨) ولا شك أن ما فات المؤلف

الاطلاع عليه ليس باليسير، فهناك العديد من المؤلفات لم يرد اسمها في هذا المعجم، وهذا أمر منطقي، فعملية الحصر الكلي الشامل والدقيق تصعب على فرق العمل، فكيف على الفرد الواحد؟ ولا شك أن هذا الرقم الذي أوردناه ليمثل عظم الاهتمام بهذه المدينة المقدسة.

وتذكر كتب المعاجم والمصنفات أن أول من صنّف في مكة هم: محمد بن عمر النواقيدي (١٣٠ - ٢٠٧هـ) وعلي بن محمد المدائني (١٣٥ - ٢٢٥هـ) وأبو الوليد الأزرق (٢٥٠ - ٣٥٠هـ) والزيير بن بكار (١٧٢ - ٢٦٢هـ) وعمر بن شبة (١٧٢ - ٢٦٢هـ) ومحمد بن إسحاق الفاكهي (٢٨٠ - ٣٥٠هـ).

ولعل أشهر الكتب التي ألّفت عن مكة ولها حضورها، في أغلبها كتب تاريخية، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار لأبي الوليد محمد بن عبد الله الأزرق (ت ٢٥٠هـ) وقد اختصره عدد من العلماء

- تاريخ مكة لعمر بن شبة (٣٦٢ - ٤٠٠هـ).

- أخبار مكة لعبد الله بن محمد الفاكهي (٢٧٢ - ٣٥٠هـ).

- شفاء الغرام بأخبار بلد الله الحرام لأبي الطيب محمد بن شهاب الدين المكي الفاسي، واختصره إلى أربع مختصرات، وله: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين.

- القرى في أخبار أم القرى للمحب الطبري (٦٩٤ - ٧٥٠هـ).

- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقدس الشريف، تأليف الإمام أبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي الحنفي (٨٥٤ - ٩٠٠هـ).

- إتحاف الوري بأخبار أم القرى للنجم عمر بن فهد (٨١٢ - ٨٨٥هـ)

- الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف لابن ظهيرة القرشي (١٨٦٠ - ١٨٦١ هـ).

- خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام للسيد أحمد بن زيني دحلان

وهناك كتب غاية في الأهمية، وما يهمنا هنا هو ما يرتبط بموضوعنا، وسأورد أسماء هذه الكتب والرسائل والمقالات عليها تطلع القارئ، والدارس على ما تناولته هذه المصنفات في الجانب الأدبي المتصل بمكة:

- إثارة الحجون لزيارة الحجون للفيروزآبادي، مطبعة الترقى بمكة.

- احتفالات الموالد النبوية في الأشعار الأندلسية والمغربية والمهجرية لحسن جمال الدين، بغداد ١٩٦٧ م .

- الحج في الأدب العربي لعبدالعزیز الرفاعي، دار الرفاعي، الرياض ١٤٠٦ هـ.

- حقيقة المجاز إلى الحجاز لصالح الدين الصفدي.

- الحياة الأدبية في مكة في القرن الأول الهجري لزكي عابدين غريب، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٣ م.

- الدر النظيم في قصة مولد ومعراج النبي الكريم، منظومة لمحمد أمين الجندي العباسي.

- رحلة الحج منظومة لعلي بن أحمد السوسي الدوقاري.

- رحلة الحج من يللم إلى بلد الله الأمين منظومة لعلي بن حسن العجيلي التهامي، تحقيق عبدالله محمد أبو داهش.

- الشعر الحديث في الحجاز من ١٩٦١ - ١٩٤٨ م لعبدالرحمن بن فيصل المعمر، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ.

- الشعر في الجزيرة العربية للدكتور عبدالله الحامد، دار الكتاب السعودي، الرياض ١٤٠٦ هـ.

- الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بالقاهرة.

- الظرف والظرفاء في الحجاز في العصر الأموي، تأليف البشير المجنوب، دار التركي للنشر، تونس.

- قبيلة خزاعة في الجاهلية والإسلام، تأليف عبدالقادر فياض حروفوش، دار البشائر، دمشق.

- قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، تأليف عبدالله عبدالجبار، ومحمد خفاجي، دار مصر للطباعة، القاهرة.

- هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام (تراجم شعراء مكة على مر العصور) لعاتق بن غيث البلادي.

- وهناك مقالات وبحوث عديدة حول الموضوعات والأغراض والشخصيات الشعرية التي لها علاقة بمكة المكرمة، سيطول الأمر لو ذكرناها، ولكن العودة إلى الدوريات المتخصصة، والمجلات الأدبية وبخاصة في المملكة العربية السعودية تعطي القارئ فكرة عن طبيعتها وما تناولته بالدراسة.

والغريب في الأمر أن هذه المصنفات على كثرتها ونفاستها، وشموليتها لأدق التفاصيل عن مكة، فإنك لا تكاد تجد كتاباً واحداً يبحث في الشعر الذي يرتبط بمكة، ويختص بها، سواء في عصر أو عصور، أو فترة من الفترات، ويبدو أن ميدان السباق خال، فأركضت جوادي وقديماً قال العرب (كل مجر في الخلاه يُسر).

وقد أُلّف في فضائل مكة العديد من المؤلفات مثل: فضائل مكة للحسن بن يسار، ولأبي زيد أحمد بن سهل البلخي، وأرزي بن معاوية، ولعبدالله بن الزبير الأسدي، ولمحمد بن أبي بكر محمد اللباد اللخمي، ولعبدالغني النابلسي، ثم التأليف في فضائل الحرم والكعبة والحجر الأسود وماء زمزم، ثم الجمع بين فضائل مكة والمدينة، أو فضائل المدن الثلاث: مكة والمدينة والقدس.

واستمرّ التأليف في هذا الموضوع حتى عصرنا الحاضر من ذلك ما كتبه عاتق بن غيث البلادي في فضائل مكة المكرمة وحرمة البيت الحرام، و بجانب الكتب ظهر العديد من البحوث والمقالات.

وقد تنازع العلماء والمؤلفون الأفضلية هل هي لمكة على المدينة؟ أم للمدينة على مكة؟ من ذلك كتاب فضل المدينة على مكة لمحمد بن عبدالله صالح الأبهري المتوفى سنة (٣٧٥هـ) (وذكر القاضي عياض أن موضع قبر نبينا صلى الله عليه وسلم أي ما ضمّ أعضائه الشريفة أفضل بقاع الأرض... وقال الإمام مالك رضي الله عنه المدينة أفضل من مكة لما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال حين خروجه من مكة إلى المدينة: (اللهم إنك تعلم أنهم أخرجوني من أحبّ البلاد إليّ فامسكني أحبّ البلاد إليك<sup>(١)</sup>) رواه الحاكم في المستدرك.

ويبدو أن هذا التنازع امتدّ إلى الشعر، فوجدنا الشعراء يناقش بعضهم بعضاً في هذا الفضل، ويتمارون فيه، فقد أورد النجم بن عمر في حوادث سنة أربع وتسعين ومائة (كتب يحيى بن مسكين بن أيوب بن محارب على لسان أهل المدينة إلى داود بن عيسى بن موسى الهاشمي أمير مكة يسأله التحول إليهم، ويطلبونه أن مقامه بالمدينة أفضل من مقامه بمكة، وأهدوا إليه في ذلك شعراً، قال شاعرهم فيه<sup>(٢)</sup>):

أداود قد فُزْتُ بِالْمَخْرُجِ

ويا معدل في بلد المصطفى

وصرتَ ثَمَلاً لأهل الحجاز

وسرتَ بسيرة أهل النقي

وانتَ المَهْمُ نَبِيٌّ مِنْ هَاشِمٍ

ومن منصب العِزِّ والمرجى

وانتَ الرَضَا الَّذِي نَابَهُمْ

وفي كلِّ ذلك وابن الرضَا

(١) الإعلام بأعلام مكة ١٣-١٤

(٢) إتحاف الوري ٢/ ٢٥٠-٢٥٦ وفيه القصائد الثلاث وفي أخبار مكة للفاكهي ٢/ ٢٩٨ وميدل الحسام ١٥٩٧-٩٦٤

وبالفهم اغذيت اهل الخصاص  
 فَعَنْتُكَ فِينَا هُوَ الْمُتَذَكِّرُ  
 ومكة ليست بارض المقام  
 فهاجر كهجرة من قد مضى  
 مقامك عشرين شهرا بها  
 كثير لهم عند اهل الحجا  
 فقم ببلاذ الرسول الذي  
 بها الله خص نبي الهندي  
 ولا يلغيتك عن قسريه  
 مشير مشورته بالهوى  
 فقم ببر النبي واتاره  
 احق بقربك من ذي طوى

فلما ورد الكتاب والايات على داود بن عيسى ارسل إلى رجال من اهل مكة فقرأ  
 عليهم الكتاب، فأجابهم رجل منهم يقال له عيسى بن عبدالعزيز بن السعديس بقصيدة يرد  
 عليه، ويذكر فيها فضل مكة، وما خصها الله تعالى به من الكرامة والفضيلة، ويذكر  
 المشاعر والمناقب، فقال:

اداود انت الإمام الرضا  
 وانت ابن عم نبي الهندي  
 وانت المهذب من كل عيب  
 كبير ومن قبله في الصبا  
 وانت المؤمن من هاشم  
 وانت ابن قوم كرام ثقي  
 وانت غياث لاهل الخصاص  
 ثبيد خصاصهم بالغنى  
 اناك كتاب حسود جحور  
 أسأ في مقاتله واعندي

يُخَيِّرُ يَثْرِبًا فِي شَعْبِهِمْ  
عَلَى حَرَمِ اللَّهِ حَيْثُ أَنْبِئَنِي  
فَإِنْ كَانَ يَصْدُقُ فِي مَا يَقُولُ  
فَلَا يُنْجِدُنِي إِلَى مَا هُنَا  
وَإِي بِلَادِ تَغْلُوقِ أَهْلِهَا  
وَمَكَّةُ مَكَّةُ أُمِّ الْقُرَى  
وَرَبِّي تَحَا الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهَا  
وَيَثْرِبَ لَا شَكَّ فِي مَا نَحَا  
وَبَيْتُ الْمَهْيَمِ مِنْ قَبْلِنَا مَقِيمٌ  
يُصَلِّي إِلَيْهِ بِرْغَمِ الْعِدَى  
وَمَسْجِدُنَا بَيْنَ فَضْلَةٍ  
عَلَى غَيْرِ لَيْسَ فِي ذَا مِرَا  
صَلَاةُ الْمُصَلِّي تُعَدُّ لَهُ  
مَثْنِ الْوُفَا صَلَاةُ الْوُفَا  
كَذَاكَ أَتَى فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ  
وَمَا قَالِ حَقُّ بِهِ يُقْسَدِي  
وَأَعْمَالُكُمْ كُلُّ يَوْمٍ وَفَسُودُ  
إِلَيْنَا شَوَارِعُ مَثَلِ الْقَطَا  
فَيَرْفَعُ مِنْهَا إِلَهِي الَّذِي  
يَشَاءُ وَيَتْرَكَ مَا لَا يَشَاءُ  
وَنَحْنُ يَحْجُ إِلَيْنَا الْعَبْدَانُ  
يَرْمُونَ شُطْرُنَا بِوَتَرِ الْحَصَى  
وَيَاتُونَ مِنْ كُلِّ فُجْ عَمِيْقٍ  
عَلَى أَيْتَقُ ضُفُفُ كَالْقَنَا  
لِيَسْتَظْهُوا مِنْ أَسْجَلِهِمْ عِنْدَنَا  
فَمِنْهُمْ شَتَبَاتٌ وَمِنْهُمْ مَكَا

فكم من مُتَلَبٍّ بِصَوْتِ حَزِينٍ  
يرى صَوْتَهُ فِي الْهَوَى قَدْ عَلَا  
وَآخِرُ يَذْكُرُ رَبَّ الْعِبَادِ  
وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِحُسْنِ الثَّنَا  
فَكَلُّهُمْ أَشَدُّ اغْتِبَاسًا  
يَوْمُ الْمُفْرَقِ أَهْصَى الْمَدَى  
فَظَلُّوا بِهِ يَوْمَـــــــــــــــــــــــــــــــــهُمُ كَلَّةً  
وَقَفُّوا عَلَى الْجَبَلِ حَتَّى الْمَسَاءِ  
حَفَاةً عِرَاءَ قِيَامًا لَهُ  
عَجِيجٌ يَنَاجُونَ رَبَّ السَّمَا  
رَجَاءً وَخَوْفًا لِمَا قَدَّمُوا  
وَحَلُّ يُسَائِلُ دَفْعَ الْبَلَا  
يَقُولُونَ يَا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا  
بِعَفْوِكَ وَاصْفَحْ عَمَّنْ اسْمَا<sup>(٥)</sup>  
فَلَمَّا دَنَا اللَّيْلُ مِنْ يَوْمِهِمْ  
وَوَلَّى النَّهَارُ أَجْسَدُوا الْبُخَا  
وَسَارَ الْحَجِيجُ لَهُمْ رَجَّةً  
فَحَلُّوا بِجَبْعٍ يُعِيدُ الْعِشَاءَ  
فَبَاتُوا بِجَبْعٍ فَلَمَّا بَدَأَ  
عَمُودُ الصُّبْحِ وَوَلَّى الدُّجَى  
ذَهَبُوا سَاعَةً ثُمَّ شَدُّوا النَّسُوعَ  
عَلَى ثُلُثِ ثَمَامَتِهِ  
فَمِنْ بَيْنِهِمْ مَنْ قَضَى نَسْجَةً  
وَآخِرُ يَبْدَأُ سَفْكَ الدَّمَا  
وَآخِرُ يَهْـوِي إِلَى مَكَّةِ  
لَيْسَتَعَى وَيَدْعُوهُ فِي مِنْ دَعَا

(٥) هكذا وردت الرواية في الأصل، وفيه خلل صرفي.



وَأَخْزُرُ يَرْمِلُ حَالَ الطَوَافِ  
 وَأَخْزُرُ مَاضٍ يَوْمَ الْحُفَا  
 فَأَبُوا بِفَضْلٍ مِمَّا رَجَّوْا<sup>(٥)</sup>  
 وَمَا طَلَبُوا مِنْ جَزِيلِ الْعَطَا  
 وَحِجَّ الْمَلَائِكَةِ الْمُكْرَمُونَ  
 إِلَى أَرْضِنَا قَبْلُ فِي مَا مَضَى  
 وَادُمْ قَدَّ حِجٍّ مِنْ بَعْدِهِمْ  
 وَمَنْ بَعْدَهُ أَحْمَدُ الْمُصْطَفَى  
 وَحِجَّ إِلَيْنَا خَلِيلُ الْإِلَهِ  
 وَهَجَّرَ بِالرَّمِي فِي مَنْ رَمَى  
 فَبِهَذَا تَعْمُرِي لَنَا رَفْعَةً  
 حَبَّانَا بِهَذَا شَيْدُ الْقَوَى  
 وَمِنَّا النَّبِيُّ نَبِيُّ الْهُدَى  
 وَمِنَّا تَنْبُتَا وَمِنَّا ابْتَدَا  
 وَمِنَّا أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الْكَرَامِ  
 وَمِنَّا أَبُو حَافِصٍ الْمُرْتَجَى  
 وَعِثْمَانُ مَنَا فَمَنْ مَثَلُهُ  
 إِذَا عِنْدَ النَّاسِ أَهْلُ الْتَفَى  
 وَمِنَّا عَلِيُّ وَمِنَّا الزَّيْبِيُّ  
 وَطَلْحَةُ فَمِنَّا وَمِنَّا انْتَشَى  
 وَمِنَّا ابْنُ عَبَّاسٍ ذُو الْمَكْرَمَاتِ  
 نَسِيبُ النَّبِيِّ وَحَلَفُ الْبُدَى  
 وَمِنَّا قَرِيشُ وَأَبَاؤُهَا  
 فَنَحْنُ إِلَى فَخْرِنَا الْمُتَلَفَى  
 وَمِنَّا الَّذِينَ بِهِمْ تَفَخَّرُونَ  
 فَلَا تَفَخَّرُونَ عَلَيْنَا بِنَا

(٥) هكذا ورد هذا الاضطراب في الأصل ووجه خلل عروضي.

ففخر أولاد لنا رفعة  
 وفيما من الفخر ما قد كفى  
 وزمزم والحجر فينا فهل  
 لكم مكرمات كما قد لنا  
 وزمزم طعم وشرب لمن  
 أراد الطعام وفيها الشفا  
 وزمزم تنقي هموم الصبور  
 وزمزم من كل سُقم دوا  
 ومن جساء زمزم من جائع  
 إذا ما تضرع منها اكتفى  
 وليست كزمزم في أرضكم  
 كما ليس نحن وأنتم سوا  
 وفيها سقاية عم الرسول  
 ومنها النبي استلوا وتوى  
 وفيما المقام فأكرم به  
 وفيما المحضوب والمجتبى  
 وفيما الحجون فافخر به  
 وفيما كدي وفيما كذا  
 وفيما الأباطح والمزوتان  
 فبخبخ فمن ملأنا يا فتى  
 وفيما المشاعر ملأنا النبي  
 واجبياد والركن والمثقى  
 وقور فهل عنكم مثل ثور  
 وفيما تبيس وفينا حرا  
 وفيه اختباء نبي الإله  
 ومثقة أبو بكر المرتضى

فكم بين أصد إذا جاء فخر  
وبين القبيس في ما ترى  
ويلدنا حـرم لم تزل  
مخرمة الصير فيما خلا  
ويثرب كانت فلا تكذب  
حـلا لا فكم بين هذا وذا  
فحرمها بعد ذاك النبي  
فمن أجل ذلك ماذا كسدا  
ولو قتل الوحش في يثرب  
لما قدي الوحش حتى القبا  
ولو قتل عندنا نمل  
أخذتم بها أو تؤنوا الفدا  
ولو زيارة قبيس النبي  
لكنتم كسائر من قد ترى  
وليس النبي بها شأوا  
ولكنة في جنان العشا  
فإن قلت قولا خلاف الذي  
اقول فقد قلت كل الخطا  
فلا تفرحن علينا المقال  
ولا تلطفن بقول الخنا  
ولا تفرحن بما لا يكون  
ولا ما يهيبك عند الملا  
ولا تهج بالشعر أرضا حراما  
وحف لكسالك عن ذي طوى

فاجابها رجل من بني اسد ناسك كان مقيما بجدة مرابطا، فحكم بينهما فقال:

إِنِّي قَضَيْتُ عَلَى الَّذِينَ تَمَارِيا  
 فِي فَضْلِ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَاَسَالُوا  
 فَلَتَسَوْفَ أَخْبِرُكُمْ بِحَقِّ مَا فَهَمُوا  
 فَالْحَكَمُ حَيْثُ قَدْ يَجُورُ وَيَغْدُلُ  
 فَإِذَا الْفَتَى الْعَجَلِي جَدَّةً مَسْتَكْنِي  
 وَخِزَانَةَ الْحَرَمِ الَّذِي لَا يُجْهَلُ  
 وَبِهَا الْجِهَادُ مَعَ الرِّبَاطِ وَإِنَّهَا  
 لَبِهَا الْوَقِيعَةُ لَا مَحَالَةَ تَنْزُلُ  
 مَعَ آلِ حَامٍ فِي أَوَاخِرِ دَهْرِهَا  
 وَتَنْهَيْتُهَا بِشَهِيدٍ بِدْرِ يَعْدُلُ  
 شَهِيدَانَا قَدْ قُضِلُوا بِسَعَادَةٍ  
 وَبِهَا السَّرُورُ لِمَنْ يَمُوتُ وَيُقْتَلُ  
 يَا أَيُّهَا الْمَنِّي أَرْضُكَ فَضْلُهَا  
 فَوْقَ الْبِلَادِ وَفَضْلُ مَكَّةَ أَفْضَلُ  
 أَرْضُ بِهَا الْبَيْتُ الْمُحَرَّمُ قِبْلَةُ  
 الْعَالَمِينَ لَهُ الْمَسَاجِدُ تُعْبَدُ  
 حَرَمٌ حَرَامٌ أَرْضُهَا وَصِيوُهَا  
 وَالصُّيُودُ فِي كُلِّ الْبِلَادِ مُحَلَّلُ  
 وَبِهَا الْمَشَاعِرُ وَالْمَنَاسِكُ كُلُّهَا  
 وَإِلَى فَضْلِيَّتِهَا الْبَرِيَّةُ تُزْحَلُ  
 وَبِهَا الْمَقَامُ وَحَوْضُ زَمْزَمٍ مَشْرَعَا  
 وَالْحِجْرُ وَالرَّكْنُ الَّذِي لَا يُجْهَلُ  
 وَالْمَسْجِدُ الْعَالِي الْمَحَرَّمُ وَالصَّفَا  
 وَالْمَشْشَعَرَانِ وَمَنْ يَطُوفُ وَيَرْمِلُ

هل في البلاد مَحَلَّةٌ مَعْرُوفَةٌ  
 مثل المَعْرُوفِ او مَجْمُوعُ يَحُلُّ  
 او مثلُ جَمْعٍ في المواطنِ كُلِّها  
 او مثلُ خَيفٍ مَنَى بَارِضٍ مَنَزَلُ  
 فلكم منازلُ لا يرى بخرابِهما  
 إلا الدماءُ ومُحَرِّمٌ ومَحَلُّ  
 شَرْفًا لمن وافى المَعْرُوفَ ضَيْفُهُ  
 شَرْفًا له ولا رُضاهُ إذ يَنْزِلُ  
 وبمكةَ الحَسَنَاتُ ضَعْفٌ أَجْرُهَا  
 وبها المُسَيِّءُ عن الخَطِيئَةِ يُسَالُ  
 يُجَزَى المَسِيءُ عن الخَطِيئَةِ بِمِثْلِهَا  
 وتُضَاعَفُ الحَسَنَاتُ مَنَةً وَتُقَبَّلُ  
 ما يَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُلَاحِظَ يَا فُلَيْ  
 أَرْضًا بِهَا وَكَذَ النَبِيُّ المُرْسَلُ  
 بِالشُّعْبِ دُونَ الرِّدَمِ مَسْقُطُ رَأْسِهِ  
 وبها نَشَأَ صُلَى عَلَيْهِ المُرْسَلُ  
 وبها أَقَامَ وَجَاءَ وَحَى السُّلَمَا  
 وَسَمِعَ بِهِ المَلِكُ الرَّافِعُ المُتَنَزِّلُ  
 وَتُبَّوْهُ الرِّحْمَنُ فِيهَا أَنْزَلَتْ  
 وَالِدِينَ فِيهَا قَبْلَ دِيكَ أَوَّلُ  
 هل بِالْمَدِينَةِ هَاشِمِيٌّ سَاكِنُ  
 او من قَرِيرِشٍ نَاشِئٌ او مُخْهَلُ  
 إِلَّا وَمَكَّةُ أَرْضُهُ وَقَرَارُهُ  
 لَكُنْهُمْ عَنْهَا نَاوًا وَتَحَوُّوْا

فَكَذَلِكَ هَاجَرَ نَحْوَكُمْ لَمَّا آتَى  
 إِنَّ الْمَدِينَةَ هَجْرٌ تَتَحَوَّلُ  
 فَاجْرُثُمْ وَتُجْرِثُمْ وَنَصَرْتُمْ  
 خَيْرَ الْبَرِيَّةِ حَقَّكُمْ أَنْ تَفْعَلُوا  
 فَضْلُ الْمَدِينَةِ بَيْنَ أَهْلِهَا  
 فَضْلُ قَلْبِهِمْ نُورُهُ مُنْهَلُ  
 مَنْ لَمْ يَلْزَمْ إِنْ الْفَضِيلَةُ فِيكُمْ  
 قَلْنَا كَذَبْتَ وَقَوْلُ ذَلِكَ أَرْدَلُ  
 لَا خَيْرَ فِي مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ فَضْلَكُمْ  
 مَنْ كَانَ يَجْهَلُ فَلَسْنَا نَجْهَلُ  
 فِي أَرْضِكُمْ قَبْرُ النَّبِيِّ وَبَيْتُهُ  
 وَالْمَنْبَرُ الْعَالِي الرَّفِيعُ الْأَطْوَلُ  
 وَبِهَا قُبُورُ السَّابِقِينَ بِفَضْلِهِمْ  
 عَمَرٌ وَمُصَاحِبَةُ الرَّفِيقِ الْأَفْضَلُ  
 وَالْعِثْرَةُ الْمَيْمُونَةُ اللَّائِي بِهَا  
 سَبَقَتْ فَضِيلَةُ كُلِّ مَنْ يَتَفَضَّلُ  
 أَلِ النَّبِيِّ بَنُو عَلِيٍّ إِنَّهُمْ  
 أَمْسُوا ضِيَاءَ الْبَرِيَّةِ تَشْمَلُ  
 يَا مَنْ تَبَضُّعُ إِلَى الْمَدِينَةِ عَيْتُهُ  
 قَبْلَ الصَّفَاءِ وَصَفَرُ خَدِّكَ اسْفَلُ  
 إِنَّا أَنْهَوَاهَا وَنَهَوَى أَهْلَهَا  
 وَوَدَّاهَا حَقٌّ عَلَى مَنْ يَفْعَلُ  
 قُلْ لِلْمَدِينَةِ الَّذِي يَزِدُّهَا ذَا  
 وَدَّ الْأَمِيرِ وَيَسْتَحِثُّ وَيَعَجِّلُ

قد جاءكم داوود بعد كتابكم  
 قد كان حَبْلُكَ في اميرك يفتلُ  
 فاطلب اميرك واستزره ولا تقح  
 في بلد عَظُمَتْ قُوْعُظُكَ اَفْضَلُ  
 ساق الاله لبطن مكة بيمه  
 ثروى بها وعلى المدينة تُسْبِرُ

\*\*\*\*\*





**القسم الأول**

---

**مكة في عصور الشعر العربي**

---



## مكة في عصور الشعر العربي

### أولاً، مكة في الشعر العربي القديم

هل كان مكة شعراء يطاولون شعراء القبائل الأخرى كتميم وقيس وغيرهما؟ ويقفون على قدم المساواة مع شعراء الطيقات الأولى من شعراء الجاهلية: كشعراء المعلقات، أو الشعراء الفرسان، أو من شهروا لسبب أو لآخر؟

وإذا كان الجواب بالنفي، فما هي الأسباب التي جعلت مكة لا تشتهر بالشعر؟ اشتهاً للقبائل الأخرى؟ أم حياة مكة الهائلة الوادعة، حياة الرفاه والانشغال بالتجارة؟ فلم تبعث على قول الشعر، قد قيل ذلك، فصرفت بانشغالها بالتجارة صيفاً وشتاءً عن قول الشعر إلى الاستمتاع به وسماعه، وفتح نواديها وأسواقها الأدبية لتكون ميداناً للتباري بين شعراء العرب في جاهليتهم، كما كان الحال في سوق عكاظ وذي المجنة والمجاز، واكتفت بأن تكون حكماً لهذا الشعر وعليه، ورضيت بأن يرضاهم العرب قاضياً بين شعرائهم، وكما تروي الرواة فقد (كانت العرب تعرض أشعارها على قريش، فما قبلوه منها كان مقبولاً، وما رنوه منها كان مردوداً، فقدم عليهم علقمة بن عبدة التميمي، فأنشدهم قصيدته: هل ما علمت وما استودعت مكتوم، فقالوا: هذا سمط الدهر.

ثم عاد إليهم العام المقبل، فأنشدهم قصيدته:

طحا بك قلباً في الحسان طروب

فقالوا هاتان سمطا الدهر<sup>(١)</sup>

وإذا كانت قريش قد استغلت هذه الوظيفة النقدية في الحكم على الشعر، فقد وظفت هذه المعرفة في تخيير اللغة الفصيحة، كما ذكر السيوطي: (كانت قريش أجود العرب انتقاءً

(١) الأغاني طبع الهيئة المصرية العامة ٢١/٢٠١-٢٠٢

للتفصيح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانةً عما في النفس<sup>(١)</sup>.

ولم تكن قرئش حكماً على الشعر والشعراء فقط، بل كانت حكماً في اختلافات القبائل، والمنافرات، فهذا عامر بن الطفيل، وعلقمة بن علاثة يحتكمان إليها في المنافرة التي جرت بينهما في إيهما أحقّ بالسيدة، وفي ذلك يقول مروان بن سراقة:

يا آل قرئش بيئتوا الكلاما  
إنّا رضينا منكم أحلاما  
فبينا إذ كنتم حكاما<sup>(٢)</sup>

أقول مع هذه الخاصية لقرئش، فإنها لم تظهر في ميدان الشعر ظهور غيرها، ولم يكن لها من المكانة الشعرية ما كان للقبائل الأخرى، وفي ذلك يقول ابن سلام الجمحي: (والذي قلّل شعر قرئش أنه لم يكن بينهم نائرة، ولم يحاربوا)<sup>(٣)</sup> ولعل ريط ابن سلام الشعر بالحرب هو لما تثيره الحرب من الحماسة في النفوس، وإلا فإنّ دوافع الشعر لا تقف عند هذا السبب، ومع ذلك ففي حديثه عن شعراء القرى العربية يضع مكة ضمن القرى التي لها شعراء في الجاهلية، فيقول: (ويمكة شعراء، فأبرعهم شعراً: عبدالله بن الزبيري.. وأبو طالب.. والزيبر بن عبدالمطلب شاعر، وأبو سفيان بن الحارث شاعر، ومسافر بن أبي عمرو بن أمية شاعر، وضرار بن الخطاب الفهري شاعر، وأبو عزة الجمحي شاعر، .. وعبدالله بن حذافة السهمي، .. وهبيبة بن أبي وهب..)<sup>(٤)</sup> ومن النساء الشواعر، ذكرت كتب الأدب: هند بنت عتبة، وهند بنت أثاثة، ورقية بنت عبدالمطلب، وصفية بنت عبدالمطلب، وقتيلة بنت النضر، وصفية بنت مسافر.

ومن المعروفين من شعراء مكة في العصر الأموي: عمر بن أبي ربيعة المخزومي، وعبيدالله بن قيس الرقيات، وعبد الرحمن الجشمي، والعرجي، ومحمد بن عبدالله النميري، وزيد بن ضبة، وقيس بن ذريح، وغيرهم كثير.

(١) المزهر للسيوطي ١ / ٢١١

(٢) المستدرک فی شعر بني عامر ٢ / ٨٠

(٣) طبقات شعراء ١ / ٢٥٩

(٤) المصدر نفسه ١ / ٢٢٣-٢٣٥

ونجد في العصر العباسي عددًا من المشهورين، منهم: سديف بن ميمون وأبو الحسن التهامي، ويظهر في القرن الخامس وما يليه: ابن الحكاك المكي، وأبو الفتوح أمير مكة، والمجاشعي القيرواني شاعر الحرمين، وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأسدي، وأبو بكر محمد بن عتيق البكري السوارقي، وكافور النبوي، والشريف علي بن عيسى المعروف بابن وهاس، والأمير دهمش بن وهاس الحسني، وأبو الحسن علي بن الحسن المعروف بابن الريحاني، وسالم بن أبي سليمان.

وتتضخم أعداد الشعراء في العصور المتتابعة، وتفرّد كتب التراجم لهم صدر صفحاتها، مثل: كتاب خريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني، ودمية القصر للبأخرزي، ونفحة الريحانة وغير ذلك من المصادر الشعرية التي تكررت لنا أعدادًا كثيرة، نذكر منهم على سبيل المثال: علي بن الحسن الريحاني، وابن وهاس الحسني، وعلي بن محمد العليف، وأحمد بن الحسين العليف شاعر البطحاء، وعلي بن محمد الطبري، وعلي بن أحمد بن معصوم، وعمار بن بركات الحسني، وكثير غيرهم من الذين توزعوا على مدى القرون من القرن السادس وحتى الثاني عشر الهجري.

وفي العصر الحديث يتربع تاريخ مكة الشعري بعدد من نجوم الشعر، مثل: حسن ابن عبدالله القرشي، وحسين سرحان، وحسين عرب، وجمزة شحاتة، وطارح زمخشري، والغزاوي، والفلاحي، وأحمد قنديل، ومحمد حسين فقي، ومحمود عارف، ومحمد حسن عواد، ومحمد علي مغربي، وعدد كبير من المعاصرين الذين ينتمون إلى مكة مؤلفًا.

ونحن في حديثنا عن مكة في الشعر القديم جملة واحدة، نقصد ما اصطلاح عليه في تاريخ الأدب، العصور الثلاثة وهي: العصر الجاهلي، والعصر الإسلامي والأموي، والعصر العباسي، وهذه الحزمة هي التي فرضت نفسها على الدرس لأن الشعر في مكة: موضوعات وأغراضًا يكاد يكون متشابهًا، إذ هو يصب في إناء واحد، ويسيل في أبطح واحد هو أبطح مكة.

وكذلك لأن العصر الواحد قد يرينا جزءًا من الصورة لا تكتمل إلا بضم الأجزاء الأخرى إليها، ولذلك كان تناولنا للشعر في هذه العصور في أضيق مساحة، إذ الحديث

التام الحلقات، المكتمل الهيئة لن تجده في كل عصر على حدة، وإنما نعرثر عليه على امتداد هذه العصور، ومن هنا سار البحث في عرض لقطات سريعة لهذه العصور، لتعطي لمحة خاطفة، ويأتي القسم الثاني حيث الحديث المستفيض، والشواهد المتعددة، والتتبع الدقيق.

وقد كانت الرؤية في أن نجعل (مكة في الشعر القديم) شاملة للعصور الأدبية الأولى الثلاثة، وإن كان البعض سيعترض لبعض اختلاف الصورة ما بين الجاهلي والإسلامي، حقاً هو يختلف عقدياً، ولكنه يتفق في كثير من الموضوعات والأغراض، وإذا كان تصور الجاهليين للحج هو المختلف، فإن القسم بغير الله يكثر عندهم، ومع هذا الاختلاف إلا أن بعض الشعراء ممن جاء بعدهم في العصر الإسلامي يشاركونهم في هذا الانحراف، وتبقى البنى الفنية والموضوعية مقاربة، حقاً لقد كان التأسيس لمعظم الموضوعات المذكورة في هذا البحث للعصر الجاهلي، وكذلك الأحداث التي وقعت، ولكن شعراء العصور التالية ساروا على نهجهم سواء في المدح أو الفخر، أو الوصف أو الحنين، كما أنهم ذكروا الحوادث التي حدثت كعام الفيل وغيره، ومن هنا فإن الاختصار على التنويه بهذه العصور ليكون البحث والاستقصاء من خلال الأقسام التالية كي تتضح لنا الدراسة في صورتها المطلوبة، ولكي لا نحتاج إلى إعادة الأتلة والشواهد، والنصوص.

### ثانياً: مكة في الشعر العربي في العصر الوسيط

كان العصر الوسيط يغلي بمراحل الشعر الديني، ويرجع في شدة إواره وغليانه، والبحث عليه، إلى أن هذا العصر شهد تراجعاً سياسياً وعسكرياً ملحوظاً، وتبعثرت القوى الإسلامية، وضعفت وانحطت، وتسلط عليها الصليبيون الغربيون والمغول الشرقيون، وكان الصراع لا يمثل صراع نفوذ ومصالح، بمقدار ما كان يمثل صراع بقاء ووجود.

وكان التدمير الذي أحدثته الحروب الصليبية وحروب المغول في بلاد الإسلام هائلاً ومرعباً، فمُرَّ فيها الإنسان والمكان والحضارة، فقتلت أعداد لا تحصى، ونُحِرت عواصم زاهرة، وبادت حضارة وثقافة زهت على الدنيا وأغنتها.

كل ذلك عزَّز العودة للجدور والأصول، وكان حرص الشعراء على بث الروح الديني من خلال أشعار تربط المسلم بينه، بدءاً بالمديح النبوي، ومروراً بالارتباط بأماكن ومشاعر الإسلام، وانتهاءً بالدعوة للجهاد.

وقد تحمل الشعر الديني في هذه الفترة مسؤولية قيادة الكلمة، وكان له أثره البالغ في تعزيز الانتصارات التي حققها المسلمون ضد الغاصبين من الصليبيين والمغول.

واشتهر في هذا الباب العديد من الشعراء، منهم: البوصيري، وابن دقيق العيد، وصفي الدين الحلي، وابن جابر الأنطلسي، والعميد التلمساني، وشهاب الدين محمود، وعبد الرحيم البرعي، وابن نباتة المصري، وشمس الدين النواجي... وتبعهم عدد كبير، مثل: ابن سيد الناس اليعمري، ومجد الدين القزويني، ومحيي الدين الفيروزآبادي، والحافظ بن حجر العسقلاني، وابن حجة الحموي، وعبد الغني النابلسي، وغيرهم كثير.

وقد عرفت مكة عددًا من الشعراء من أبنائها أو المنسوين إليها، أو الزائرين والمجاورين، وقد أورد الفاسي عددًا من الشعراء في القرنين السابع والثامن الهجريين، منهم: نصر الدين بن محمد النهاوندي البغدادي، وعمر بن علي بن مرشد الحموي الملقب بسلطان العشاق، وعبد الصمد بن عبد الوهاب بن هبة الله الدمشقي المعروف بابن عساكر، والشيخ قطب الدين القسطلاني، ويحيى بن يوسف المكي، وأحمد بن موسى المكي، ومحمد ابن يعقوب الفيروزآبادي<sup>(١)</sup>، ويورد الباخري عددًا آخر من الشعراء في مكة ضمن تناول شعراء الحجاز حتى عصره.

ويظهر الشعر الصوفي في هذا العصر الذي اختص بالريانيات، واعتد بالمذائج النبوية، وسلوكه طريق الغزل الرمزي جعله في كثير منه يتطابق موضوعًا وطريقة وشكلًا. من هنا فقد تداول شعراء الصوفية معاني وأفاظًا وصورًا تتألف وتتقارب، حتى أصبحت كأنها طريقٌ مرسومٌ يسرون عليه، ومنهج محدد يلتزمونه، والاختلاف يكمن في القدرة الشعرية وأسلوب التناول.

ونتيجة لذلك اشتهرت معانيهم التي يتناولها اللاحق عن السابق، وفي ذلك يقول ابن خلدون (وكذلك المعاني المبتذلة بالشهرة فإن الكلام ينزل بها عن البلاغة أيضًا، فيصير مبتذلًا، ويقرب من عدم الإفادة... ولهذا كان الشعر في الريانيات والتبويات قليل الإفادة

(١) أخبار مكة ٢ / ٣٩٧ - ٣٩٨

في الغالب، ولا يحقّ فيه إلاّ الفحول، وفي القليل على العسر، لأنّ معانيها متداولة بين الجمهور، فتصير مبتذلة لذلك<sup>(١)</sup>.

ولسنا بصدد الحديث عن الشعر الصوفي في موضوعاته وخصائصه ورموزه، وإنما نعلق منه بقدر ما يتعلق بموضوعنا، فإذا تحدّث هذا الشعر عن مكة شوقاً أو حنيناً أو غزلاً، فذلك مطلبنا لا نتجاوزه، ومن هنا كان مرورنا على دواوين أعلام الصوفية من: ابن الفارض وابن عربي، وعبد القادر الجيلاني وغيرهم، لنجلي ما فيها من عشق مكّي، وقد ظهر لنا أغلبه في مدائحهم النبوية.

#### ثالثاً، مكة في الشعر العربي الحديث والمعاصر

ظهر في مكة في الشعر الحديث والمعاصر أعداد من الشعراء من أبنائها، نذكر منهم على سبيل المثال: (أحمد إبراهيم الغزاوي، وعبد الوهاب أشي، وحمزة شحاتة، وفؤاد شاكر، ومحمد حسن فقي، وحسين سرحان، وطارح زمخشري، وحسين عرب، وإبراهيم أمين فودة، وحسن عبدالله القرشي، وإبراهيم خليل العلاف، وأحمد عبدالغفور عطار، وحامد دمنهوري، ومحمد عمر توفيق، وحسين فطاني، وعبدالله بلخير، وإبراهيم نكّو، وعلي ابن عابدين، وغيرهم كثير، وقد ارتبط هؤلاء الشعراء بمكة القداسة، ومكة مسقط الرأس، فكان لها في قلوبهم المنزلة المضاعفة).

ويلا شك فإن حب مكة يضيء الجنان، وتلمس أركانها يهب الأمان، ورؤياها فيض أشواق، ومن خلال اطلاعنا على الكثير من القصائد المعاصرة، وجدنا الشعراء يفرّدون لمكة قصائد كاملة تتحدّث عنها وتصفها، وهذا الأسلوب يبين عن أن المحدثين افترقوا عن الأقدمين في هذا المضمار، صحيح أننا تلقى عند القدماء قصائد الشوق والحنين تتحدّث عن لهفتهم لرؤية المشاعر، ولكن القصيدة المعاصرة تختص أم القرى بقصيدة معبرة عن الشوق والحب، وتجمع إلى ذلك الوصف والإحساس بعظمة المكان، كما يتوضّع الحب الخالص، ومن عنوانات القصائد نكاد نستجلي الكثير من المعاني، وأقرأ معي هذه

(١) اللقمة ١١٠٧-١١٠٨



العنوانات لتتبين صحة ما أذهب إليه، فهذه (أم القرى لحسن عرب، ولأحمد الشامي، ولأحمد أبو بكر، وعرس النور في أم القرى للدكتور إحسان عباس... ومن القلب إلى أم القرى للدكتور رجاء الجوهري، ومكتي قبلي لأحمد قنديل، ومكة المكرمة لحسين عرب، ومحمد إبراهيم جدد، وأحمد عبدالسلام غالي، ومفرج السيد، وأحمد موصلي، ومحمود عارف، وحسن عبدالله القرشي، ومحمد حسن عواد، ومحمد حسن فقي، وفرحة العودة إلى مكة لعلي زين العابدين، ومناجاة الرحاب المقدسة لطاهر زمخشري ومن حي للمسجد الحرام لنديم الرافعي، والحي نبع المحبة لمحمد رائف المعري، وأرض القداسات لمقبل عبدالعزيز العيسى، والمشاعر المقدسة لمحمد بن أحمد العقيلي، ويا بيت الله لياسين قطب الفيل، ومن مكة إلى روما لأحمد الجدد، وأم القرى للدكتور عبدالرزاق حسين).

وما مكة في قصائد الشعراء المعاصرين؟ إنها هدى الحائر وأرض الهدى، والبلاد المشرفة، ومنار العلم ورحاب العز، إنها أم القرى، وأم البطاح، وهي نفحات الهدى، ومطلع المصطفى ومسرح نجواه، منها سطع النور، وفيها تجلّى حي السماء، إنها مهد الإسلام، وملاذ الإيمان، وموطن النور، إنها كما يقول محمد حسن فقي الجلال والجمال، والعشق والرشاقة، والحسن الذي لا يبلى:

مكتي أنت لا جلالاً على الأرض يداني جلالها أو يفوق  
ما ثبالتين بالرشاقة والسحر فمعناك ساحر ورشيق  
سجدت عنده فما ثم جليل سواء أو مرموق  
ومشي الخلد في ركابك مختالاً يمدّ الجيد منهُ العتيق  
أنت عندي معشوقة ليس يخزي العشق منها ولا يملّ العشيقي  
ما أباهي بالحسن فيك على كثرة ما فيك من معان تشوق  
أنت قدس فليس للهيكल الغاني بقاء كمثله وسموق  
كل حسن يبلى وحسنتك يا مكة رغم البلى الغني العريق  
درج المصطفى عليك فاغلاك واغلاك بعده الصنيق  
وشكول من الرجال سبوق جد من خلفه فجلى سبوق<sup>(١)</sup>

(١) مكتي قبلي ٦٩

وهي مكة الخير، التي يعتز محمد حسن عواد بأنها بلده، ولذلك تتكرر لفظة بلدي في قصيدته (مكة) مرات عدة، وهذا الإصرار على التكرار، هو لون من العاطفية الحريصة المتشبثة، وكأنَّ هناك من يناقسه عليها، لذلك يقول:

مكة الخير والهوى والحبيب

واللقاءات كالسنا كالرفيف

يا ملاذ الإيمان يا موطن النوى

رثيَّادى من الإله الطيف

بلدي يا رؤى الطفولة يا مهد

ذو القديسات يا لواء الرخوف

بلدي بالهوى وبالدن والحجب

به وبالعطف من أبر عطوف

بلدي يا صحيفة المجد من جيب

ريمل من أمهات تلك الطيوف

بلدي أيها السماء على الأبر

ض إذا الأرض حوريت بالعزيف<sup>(١)</sup>

وأم القرى تلك النفحات القدسية السامية، إنها مرايع المجد، ومنهل الدين، إنها البلد التي أقسم بها الله عز وجل، وباركها وشرفها، هذه مكة عند أحمد موصلي:

سطع النور والهوى في ريثها

وتجلّى وحى السماء في جفاتها

نفحات قدسية قد تسامت

وسررت في القلوب ثروى صدأها

تلك أم القرى مرايع مجر

هي مهد الإسلام موطن طه

هي للدين منهل طاب وردا

هي للعلم منبع قد تناهى

(١) للرجع نفسه ١١٥

شِعْ مِنْهَا التَّوْحِيدُ فِي خَيْرِ نَهْجٍ  
 رَفَعَ إِلَهَ أَلَدُهَا وَحَمَامَا  
 وَبِهِيََا اقْسِمُ إِلَهَ بِحَقِّ  
 بَارِكِ إِلَهَ أَرْضِهَا وَسَمَاءِهَا<sup>(١)</sup>

ولا يكاد الخطاب الموجه مكة في العديد من القصائد يبتعد عن النبرة الوصفية، التي تبين عن عظمة مكة ومكانتها، ولذلك قلما تجد اختلافاً واضحاً عند شعراء مكة في التعبير عن حبهم لمكة، فهم في أغلبهم يتكئون على شرف وسمو وقداسة مدينتهم، وانظر إلى قول محمد إبراهيم الجذع الذي يتوافق مع من سبقه ممن عرضنا لشعرهم:

يَا هُدَى الْحَاثِرِ إِنَّ جِوَارَ الزَّمَنِ  
 وَاعْتَرَى النَّفْسَ رِزَايَا وَمَحْنُ  
 يَا مَنَارَ الْعِلْمِ يَا أَرْضَ الْهَدَى  
 يَا رَحَابَ الْعَرَبِ يَا اسْمَى الْمَدَنِ  
 يَا بِلَادًا شَرَّفَتْ إِلَهَ بِهَا  
 كُلُّ مَنْ عَمَّاشَ لَدِيهِ بِالْمَدَنِ<sup>(٢)</sup>

ويطلعنا حسن عبدالله القرشي على قول مختلف مؤلف، فما أن نقرأ مطلع قصيدته (مكة) حتى نحس بنفس مختلف، ورؤية جديدة لما عهدناه عند عشاق مكة، فالوصف التجريدي لمكة المحبوبة هو ما يصادفنا في الأبيات الثلاثة الأولى التي يقول فيها:

تَفَتَّقَ عَنْ رَاحَتَيْهَا الصَّبَاخُ  
 وَشَعَشَعَ فِي شَفَتَيْهَا الْقَمَرُ  
 وَازْهَتْ بِهَا الشَّمْسُ فَوْقَ الْبَطَاخِ  
 وَجُنَّ بِهَا اللَّيْلُ حُلُوَ الصَّوَرِ  
 عَنِّي رِيَّ هَلْ يَبْلُغُنُ الْخَشْيَيبُ  
 رُؤْيَ مَكَّةٍ أَوْ تُحْصِيهُ الْبَغَرُ<sup>(٣)</sup>

(١) المرجع نفسه ١٨٩ - ١٩٠

(٢) مكتبي قبلي ٢١٥

(٣) المرجع نفسه ١٢٣

ولكنه بعد البيت الثالث يسير في الإطار الذي سار فيه من معه من شعراء مكة، حيث يتحدث عن ماضيها ومكانتها، وبعض أماكنها مثل الكعبة وجبل النور. ونجد بعض اللقطات عند طاهر زمخشري لكنه سرعان ما يعود إلى الصفات العامة، من ذلك وصفه لمكة بالعروس، في قصيدته (مناجاة الرحاب القدسية) يقول:

وعروس تميم في موكب الفت  
خلة تشدو فتستعيد الزهور  
نائبها لا يني يغرك في الكو  
ن ورجع الصدى جمال مثير  
وهو ما زال في المربع يختا  
ل فتوئا به المجالي تموز

إلى أن يقول:

يا عروسي التي بها هتف القد  
ب وغنى بها الفؤاد الكسير  
يا عروس المنى الطروب لمضئ  
عاش فيه الشنجا وعز النضير<sup>(١)</sup>

ويتفق شعراء مكة مع غيرهم من الشعراء سواء انتسبوا لمكة أو كانوا زواراً أو حجاجاً، فالشوق لمكة يجمعهم، ولذلك نجد عبارات الشوق العامة عند شعراء مكة في العصر الحديث، كما في قول أحمد عبدالسلام غالي:

ما لقلبي يهفو ويسمو الذعاء  
مكة فمئتنا ويحلو الداء  
نفحات الهدى ترفأ وتذكي  
كل شوق ويستفيض العطاء  
بلد حبة تغلغل في النف  
س كما انسأب في الفضاء الضياء

(١) مكّي تبلي ٩٦

فإذا انداح فالأمانى عذاباً  
وكان الشِّعاع منه رجاء<sup>(١)</sup>

ويحى محمود عارف حنين من سبقه، فيقول:  
هتفَ الشِّعاعُ صائحاً بالخُدامِ  
في هوى مكة هوى البَطْحاءِ<sup>(٢)</sup>

وتشتعل ثورة الحنين في قلب طاهر زمخشري، الذي يعبر عن لواعج القلب في  
مناجاة الرحاب المقدسة، يقول:

في ندى ثورة الحنين لهيباً  
ليس يُطفئهِ من عيوني نَمِيرُ  
وينفسي لواعجٌ من جوى الشَّج  
ور على خافقي لظاها يثورُ  
واحتراقُ الضلوع في عاصف الحبِّ  
مِرْجَحِيمٌ يشفُ عنة الزفيرُ  
واشتعالُ الهوى العتيّ بانفا  
سي قتالٌ في الجو منه قتيِرُ  
كلُّما ناع طائرٌ فوقَ ائكِ  
كان لي من نواحه تذكيرُ  
فترامتْ خوافقي اغنياتِ  
من فؤاد برجعها مضمورُ  
لِحِمَى البيتِ عندَ اكرمِ وائِ  
غيرِ ذي الزرع وهو روضٌ نصيرُ<sup>(٣)</sup>

(١) للرجع نقسه ٢٢٢

(٢) للرجع نقسه ١٤٣

(٣) مكّي قبلي ٩١

لكن المختلف هو في الحنين إلى مسقط الرأس، ذلك الحنين المشوب بالذكريات الجميلة عن مكة ملاعب الصبا والطفولة، ومسرح الشباب والرجولة، وذكريات الأماسي الرائعة، كما يظهر هذا الاختلاف أيضاً في النسبة إليها، ولذلك نجد الإصرار على ذكر الانتساب لمكة موطنًا، أما الأمر الثالث، فهو الشعور بالفخر لكونهم من مكة، وهذه الأمور الثلاثة يفتقدما شعر الشعراء الذين ينتسبون إلى مكة دينًا لا وطنًا.

ولذلك فإن مسار الحنين عند شعراء مكة هو مسار من اغترب عن موطنه، فإحساس فقد المكان الذي هو البلد ومسقط الرأس، هو ما يختلف فيه هؤلاء الشعراء عن غيرهم، لذلك نراه ادخل في باب الحنين إلى الأوطان، وهذا ما يستشعره أحمد قنديل بقوله:

إِنَّا أَهْلُهَا وَلِأَهْلِ فِيهَا

مِيزَةٌ لَا تُقَاسُ حَدًّا وَقَدْرًا<sup>(١)</sup>

وقصائد شعراء مكة فيها لقطة الذكريات المتميزة، فهذا أحمد قنديل يجلو لنا ذكرياته، ويحن لأيام الشباب التي قطعها في مكة تلك التي تعد أجمل ذكري، وأروع أيام حياة، فالحنين يبدأ من مكة، وبها ينتهي:

الشَّبَابُ الَّذِي قَطَعْنَاهُ زَهْرًا

وَقَطَعْنَاهُ فِي الْمَسِيرَةِ عُقْرًا

فِيكَ يَا مَكَّةَ الْحَبِيبَةَ فِينَا

لَمْ يَزَلْ لِلنَّفْسِ أَجْمَلُ ذِكْرِي

قَدْ مَشَيْنَا بَيْنَ وَادِيكَ يَوْمًا

فَاقْ عَامًّا لَدَى سَوَاكِ وَشَهْرًا

مَدَّ عِرْفَانُكَ فِي الْوُجُودِ حَيَاةً

وَالْفَنَاءُ فِي حَيَاتِكَ تُبْسِرِي

فَاجْتَلِينَا فِي مَفَانِيكَ حُبًّا

وَاجْتَبِينَا فِي رَجَائِكَ طَهْرًا

(١) المرجع نفسه ٢٧

وهو يذكر مكة بهذا الشباب المترع باللهي الفياض بالاماني:

في مغان بها ليك عرقنا  
والفنا التراب شبراً فشربراً  
كم قضينا في حارقه في زقاق  
خير ايماناً بها نكفري  
خير ايماناً التي نتمنى  
كلما العمر من يد العمر فرأ  
كم مشينا بل كم سهرنا وعشنا  
فيك يا مكّي الاحاسيس جهراً  
بين مغلّي قد طاب للنفس مجلّي  
بين معني قد لذ للفكر فكري  
نترجى ما كان بالامس حُلماً  
وغدا اليوم واقفا جل نكرا  
انحر لا بد تذكيرين شباباً  
بين وايدك لم يكن فيه غراً  
عاش فيه رهن الاحاسيس نشوى  
ورعاه نهب الاماني خضراً  
لاعباً بالحياة انى تبذرى  
لاهيأ بالشباب اين استقرأ

وفيمة الذكرى لا تقف عند حد التذكر، بل تسرد لنا اماكن اللهو والجمال واللعب  
والتنقل، تلك الاماكن التي كان يعبرها مع رفاقه، متنقلاً بين افنانها، عابراً وديانها،  
وصاعداً جبالها، وكأنه عصفور لا يستقر على غصن واحد، وهو في ذلك يعرفنا بهذه  
الاغصان التي تنقل خلالها غصناً غصناً، يقول:

مثل سرب من الطيور غدونا  
او غنونا صوب المفاهل نهراً

أَفَذُنُسًا لَّاهٍ فَهَلْ مَلَّ طَيْرُ  
مَنْ طَيَّورِ الْوَادِي حَوَالِيكَ وَكُنَّا

إلى أن يقول:

عرفتة أجياد يخطرُ فيها  
مرة عين إليه تنظرُ شَرًّا  
واصطفته النقا وقد حلَّ منها  
بين أجيالها العليَّة مَنَّا  
واحتوئة المغلاة يهجعُ فيها  
بالخريق المعانق السُّهدَ فَجَرَّا  
ودمئة سويقة حيثُ يبقى  
حيثُ تهوى الجمال يقطرُ سحرًا<sup>(١)</sup>

فلجباد والنقا والشعب والمعلاة وسويقة وغيرها هي هذه الأغصان من شجرة مكة المباركة التي كان يتنقل عليها هذا الشحرور.

ولم يكن أحمد قنديل وحده الذي يطرب لذكر هذه الأماكن، وقص ما كان فيها من ذكريات، بل شاركه العديد منهم في هذه الحكاية، فهذا أحمد الموصلي يقول:

قد قضيتُ الشبا بَ غَضًّا رِيحًا  
في مغانيك حَامِدًا نُغَمَّاها  
وتضلعتُ سَلَسَبِيلًا نَمِيرًا  
من صَفَا زَمَزَمٍ وحلو غَدَاها  
مكة في بطاحيها الرَّحِبِ نَمَضِي  
يطمئنُّ الفؤادُ من نَجَرَاها<sup>(٢)</sup>

ويعيد علي زين العابدين على مسامعنا قصة طفولته البريئة، وذلك اللهو الطفولي الذي كان هو وصحبته يشنون الغارات، ويلهون في الحارات، يقول:

(١) مكِّي قبلتي ١٩

(٢) المرجع نفسه ١٩٢



فوق هذا الرمل من أحيائها  
 كان لهوي وأختراني وأنشائي  
 كم سرخنا صخرة مختارة  
 تنشد الأبحان في سمع الفضاء  
 كم شئنا غارة وهمية  
 نتبارى في قشاع واعتداء  
 إنك اللهو الذي تعشقه  
 فتية الحارات أبطال اللقاء  
 يا لها ذكرى بنفسي ما أضحت  
 يا رعى الله زمان الأبرياء  
 حارة الباب ذكريني إنني  
 ذلك اليافع موقوف الإيمان<sup>(١)</sup>

وإيراد النماذج يزيد في عدد الأوراق أكثر مما نحتاجه للتدليل.

أما الانتساب إلى مكة، فهو الآخر يكاد ينطق في كل قصيدة من شعرهم المختص بذكرها، فالشاعر يذكر ياء النسبة أو الملكية، مكة هي مكة، يقول مكتي، قبلي، بلدي، أو يذكر الانتماء صريحاً، وسأورد بعض الشواهد التي لا تحتاج لفضل بيان أو تعليق، ولننظر إلى قول علي زين العابدين:

هذه البلدة قبيها اقربالي  
 وابي منها وخالي وأنشائي<sup>(٢)</sup>

وأحمد عبدالسلام غالي يكرر بلدي:  
 بلدي مكة فدعني أناجيـ  
 ها مشوقاً يهزني الانتماء  
 بلدي كم درجت في حرم الله  
 في سميداً وللغوار ازدهاء

(١) للرجع نفسه ٢٢٨

(٢) مكتي قبلي ٢٢٧

بلدي مـوطـنـي ودارة قـسـومي

ثـرـمـاء يـقـوبـهـم ثـرـمـاء<sup>(١)</sup>

ومثله محمد حسن عواد يكرر بلدي:

بلدي يا رؤى الطفـولة يا مـهـ

مـد القـداسـاتـيا لواء الرّحـوف<sup>(٢)</sup>

أما الفخر الذي يلتقي مع الفخر القديم في هذا الانتساب فنكاد نقراه في كل بيت من هذه الأبيات الدالة على الشوق والحب والانتماء، ونورد نموذجين للشاعرين أحمد قنديل وأحمد عبدالسلام غالي لعلهما يفيان في التليل على ما نقول، فهذا قنديل يقول مفتخرًا:

قـد غـفـانا أنا بمكة كُنّا

نحنُ ابنائُها هوى ومـقـرّا

فـزهاـنا بمكة ما زهاها

أنـهـا ملـتـقى العـوالم طـرّا

أن فينا التاريخ عـشـناء حـيّا

بـعـيـون من المـدـامـع شـكـرى<sup>(٣)</sup>

وأحمد غالي يقول أيضًا:

ها هنا تُشـجـدُ العـزائـمُ للمـجـ

د وتـرقـى إرادة وإبـاء

من هنا المـكـرمـاتُ تُنـكـرُ في الـار

ض فتـسـمـو الشـمـائلُ الفـراء

ها هنا اليـُـمنُ والحـضـارةُ تـرقـى

فإذا النـاسُ كلُّهم ائـتـمـيـاء

(١) المرجع نفسه ٢٢٢

(٢) المرجع نفسه ١١٥

(٣) مكلي قبلي ٢٧

دَارَةُ الْعَرْزِ وَالْهُدَى حَزَنُ الدِّ  
لِهِ مَنَارٌ يَشِيْعُ مَنَّةَ السَّنَاءِ<sup>(١)</sup>

ومقارنة مكة بغيرها من المدن أمر وارد، وقد ورد في ثانيا القصيد كلون من ألوان التميز، والتفرد، فمكة لا تقارن بغيرها، كما يقول محمد حسن فقهي:

لَكَ فَضْلٌ عَلَى الْمَدَائِنِ يَا مَكَّةَ مَا يَجْتَوِيهِ إِلَّا الْمَرْوِيُّ  
أَيْنَ مَنَّةَ فَضْلٍ الْمَدَائِنِ يَخْلِبْنَ؟ وَأَيْنَ الْإِفْرَاءُ وَالتَّشْوِيْقُ  
قَدْ تَرَكْتَ الْبَرِيْقَ لِلْبَلَدِ الْخَامِلِ مَاذَا يَجْدِي عَلَيْكَ الْبَرِيْقُ  
وَتَمَحَّضْتَ عَنْ فَخَارِ طَوَى الْأَرْضِ وَمَا أَحْبَبْتَ عَلَيْكَ الْعُرُوْقُ  
أَيْنَ مَنَّةَ الْكِدَانِ يَا مَكَّةَ الْخَيْرِ وَأَيْنَ الرُّومَانُ وَالْإِفْرِيْقُ  
وَالْبِلَادُ الَّتِي تَتِيْعُ أَجَاعَتْ بِالَّذِي جِئْتَ؟ أَمْ هُوَ التَّلْفِيْقُ؟<sup>(٢)</sup>

وإذا كانت هذه المقارنة والتفضيل في التاريخ القديم، فلنتظر في هذا الرأي الذي يفضلها على سائر بقاع الدنيا.

هذا أحد أبنائها يطوف الدنيا ليعود أخيراً ويقول لنا هذه القولة:  
طَفَعْتُ بِالدُّنْيَا فَمَا هَنَعْنِي  
غَيْرُ دَارِي فِي رِيْعِ الْإِنْبِيَاءِ  
مَا فَرَنْسَا حَيْثُمَا عَشْتُ بِهَا  
غَيْرُ سَجْنٍ مَرْفُودٍ مِنْ كُلِّ دَاءِ  
كُلُّ أَوْرَبَا قَلَامٌ دَامَسَ  
أَسْوَدُ الْإِفْهَاقِ مَوْبُوءُ الْفَنَاءِ  
بِئْسَ إِيَامِي الَّتِي ضَمِيْعَتْهَا  
فِي بِلَادٍ لَمْ يَطْبُخْ فِيهَا هَوَائِي  
هَا أَنَا قَدْ غَسَبْتُ يَأْمَ الْقُسْرِ  
فَابْعَثْنِي بِمَنَّةٍ تُخَيِّي بِمَآلِي<sup>(٣)</sup>

(١) المرجع نفسه ٢٢٦

(٢) المرجع نفسه ٧٠

(٣) مكثي قبلي ٢٤١

وإذا كانت فرنسا وكل أوروبا لا تساوي شيئاً في عيني زين العابدين كما يقول، فإنها وإن كانت بوابر غير ذي زرع، فالشوق إليها زرع دائم الخضرة، وكل خضرة لبنان وجمال جنانها وجبالها، وفتنة غاداتها، لا ينسي حسين عرب رائع مكة، وجمال ربوعها، يقول:

ذَكَرْتُكَ فِي لَبْنَانَ وَالسَّهْلَ مُمَرَّغٌ  
وَفَوْقَ الذَّرَى اسْرَابُ طَيْرٍ مَغْرُورٍ  
وَلِبْنَانُ جَنَاتُ حِسَّانٍ تَوَرَّتْ  
بَسِيرُوبِ الْمُنْبَايَا فِي جَمَالٍ مُورِدٍ  
فَفَاضَتْ دَمَوْعُ الْعَيْنِ مَلَى صَبَابَةٍ  
إِلَى كُلِّ مَغْنَى فِي الْجَمَى مُتَغَرِّدٍ<sup>(١)</sup>

وهو يعدد أماكنها واحداً واحداً، ويطوِّف حسين عرب ببلاد الدنيا، وكأنه بهذا التطواف ما بين لبنان وباريس وفينا، ويكل بلاد أوروبا جنوباً وشمالاً، وشرقاً وغرباً، يريد أن يقول لنا: قد تجد الجمال الظاهري في كل هذه البلاد، لكنك لن تجد الجمال الروحي والراحة القلبية إلا في ذرى مكة وأبطحها:

ذَكَرْتُكَ فِي بَارِيسَ وَالْجَوْ مَاطِرٌ  
وِبَارِيسُ تَجَلَّوْ كُلُّ هُمْ مُؤَيَّدٍ  
بِلَادَ كَانَ الْجَنُّ فِيهَا تَمَاجِثُ  
وَرَأَى عَلَيْهَا السَّحَرُ فِي كُلِّ مَرِيَدٍ  
وَلَكِنِّي لَمْ أَدِرْ مَا الْحَسَنُ فِي الَّذِي  
رَأَيْتُ وَلَمْ أَشْهَدْ فِي أَيِّ مَشْهَدٍ<sup>(٢)</sup>

وبقي مكة قبلة الدنيا وقمتها:

فِيَا قُمَّةَ الدُّنْيَا وَيَا ذُرَّةَ الْمُئَيَّ  
أَمَانًا لِقَلْبِ الْمُسْتَهَامِ الْمُسْتَهْدِ  
وَيَا كَعْبَةَ الْأَمَالِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ  
وَمُسْتَقْبَلِ الْأَجْيَالِ مِنْ كُلِّ مُورِدٍ<sup>(٣)</sup>

(١) المرجع نفسه ٥٣

(٢) المرجع السابق ٥٤

(٣) المرجع نفسه ٥٧

لأن الحسن الظاهري يكبل العقل والروح كما يقول محمد حسن فقي:  
إنَّ حَسَنًا يَكْبَلُ الْعَقْلَ وَالرُّوحَ لِحَسَنٍ وَإِنْ أُنَالَ حَنِيقُ

وإذا كانت لبنان وفرنسا وسائر بلاد أوروبا لا تنسي حسين عرب مكة، فإنَّ  
بلاد النيل، وكل روابيها الجميلة، وكؤوس المنى المقطرة فيها تزيد التياح طاهر  
نمخشري مكة، يقول:

أهيمُ بروحي على الرابضة  
وعند المطاف وفي السـروطين  
واهملو إلى ذكر غالية  
لدى البيت والخيف والأخشاب  
فيهدرُ بمعي بأماقية  
ويجـري لظاء على الوجنتين  
ويصرخُ شوقي بأعماقية  
فأرسلُ من مُفلتي بمعتين  
أهيمُ وقلبي بدقـاتهِ  
يطيرُ اشتياقاً إلى المسجدين  
وهـدري يضحُ بأهاتهِ  
فيسري صداها على الضفتين  
على النيل يقضي سويحاتهِ  
يُنَاعي النجومَ بسـمعٍ وعين  
وخـضر الروابي لأثاتهِ  
تُرندُ من شـجـومِ اثنتين  
أهيمُ وفي خـاطري التـاتهِ  
رؤى بلاد مـشـرقِ الجانين

يطوفُ خيالِي بانحوائِهِ  
 لِيَقْطَعَ فَيَبْهِيَ وَلَوْ خَطَوَتَيْنِ  
 أَمْرُغُ خُصْدِي بِبَطْحَانِهِ  
 وَالْمَسْ مُنْهُ النَّصْرَى بِالْيَسِيدَيْنِ  
 وَأَلْقِي الرُّحَالَ بِالْفَيَاحِ  
 وَأَطْبَعُ فِي أَرْضِهِ قُبُورَتَيْنِ  
 تَعْبِيدُ النَّفْسِ يَدُ إِلَى أَذْنِهِ  
 حَنِيتًا وَشَوْقًا إِلَى الْمَرُوتَيْنِ<sup>(١)</sup>

والغربة عن مكة فوق طوق الشاعر محمد حسن فقي:  
 مَا نَطِيقُ الْفِرَاقَ عَنْكَ وَهَلْ يَحْذُ  
 حَمَلُ قَلْبِي فِي الْحَبِّ مَا لَا يَطِيقُ

لماذا لا يطيق؟ لأنه:

درجتُ بها طفلاً فكانت طفولتي  
 تُدْنِنُنِي فِي تُخْمِي وَتَمْرَحُ فِي نَدْرِ  
 وَعَشْتُ بِهَا غَضُّ الشَّبَابِ أَرْتَوِي  
 مِنَ الْعِلْمِ عَنْ أَشْيَاخِهِ خَيْرَ مَوَدِّ<sup>(٢)</sup>

ولعلَّ هذا الحب الذي درج معه منذ الطفولة، وشرخ الشباب، امتد إلى الكهولة، وعبر  
 الشيخوخة، وسيستمرُّ إلى ما بعدها، بل إنه يتمنى أن يضمُّ ثراها جسده بعد الموت:

(١) مكتبي قبلي ١٠٢ - ١٠٦

(٢) مكتبي قبلي ٧٥

وارجو أنا الشيخ المتيسم بالهوى  
 هواها ثوائي تحت أكرم فدفد  
 لعل الذي أحيا وجوده بفضله  
 على ميتر عند المعلا بمرقدر<sup>(١)</sup>

وتكرر هذه الأمنية عند حسين عرب، كما ورد في قوله:  
 تخيرت لي أم القرى موطناً به  
 أقمت وما فارقت عن قصد  
 وإنني لأرجو حسن خاتمتي بها  
 يكون بها قبري كما كان مولدي<sup>(٢)</sup>

ولا شك في أن من يقرأ أشعار شعراء مكة يحس بتحول الشوق والحنين إلى عشق،  
 وهو عشق تلبد طارف، هو عشق الحياة كما هو عند قنديل:

مكتي قبلتي هواي تليداً  
 وطريقنا بالروح حل ففرا  
 مكتي قبلتي وحبتي حياة  
 ذكريات تلوح طوعاً وقسراً  
 فيك يا مكة الحبيبة فينا  
 لم يزل للنفسوس أجمل نغرى

إن هذا الغرام المشبوب بمكة، يجعله ينشد ما أعذب الألحان، ويتغزل بها وكأنها  
 الفتاة المعشوقة:

قد تغنى بما لديك بما قيد  
 لك كما فيك مفرماً ينغرى  
 أو حبيباً إليك الهمته الرش  
 مذ غراماً حلواً يطيب ومراً

(١) المرجع نفسه ٧٥

(٢) المرجع نفسه ٦٤

وستبقى حبه الأكبر والأول والأخير، إنها العشق الدائم المتجدد الذي لا تفنيه الأيام،  
ولا تبليه الدهور:

عشقناك اطفالاً صفاراً وفتيّة  
وزيناك اشباحاً عظيم الأوجر  
رويناك بالدمع السّخين محبة  
تذمّ على الوجع المكين المؤكّر

والعاشق يعتزّ بمعشوقته، ويفخر بها، ويعترف الفقي بأن عشاقها لا يعدّون:  
انت عندى معشوقة ليس يخزى العشق منها ولا يضلّ العشيّق  
لست وحدي متيماً للملايين فريق يمضي فياتي فريق  
تتوالى عليك منهم صبايات فيصفي لها الفؤاد الرقيق

وأخيراً، فإنّ صفة هذا العشق أنّه عشق طاهر نقي، مبرأ من اللهو، إنه عشق العابد  
الزاهد كما هو عند محمد حسن فقي:

ولكننا نُصَفِّيك حبّاً مبرأ  
من اللهو، حبّ القانت المتعبّر  
تجرّد من نفع تجرّد من هوّى  
حقير، واسمى الحبّ حبّ التجرّد<sup>(١)</sup>

وإذا كانت مكة تمثل هذا التقدير وتلك المكانة في نفوس ابنائها، فإنّ لها ذات المكانة  
في نفوس الشعراء من خارجها، فالنظرة إليها تكاد تكون واحدة، ويبقى الفرق فرق  
المواطنة، والأميري من الشعراء الذين فاضت أشواقهم، وعمرت جوانحهم بحبّ الشاعر،  
يقول عنه الدكتور خالد الحلبي: (ويرتبط الشاعر بالحرمين الشريفين ارتباط الإنسان  
بمسقط رأسه، يجد في البعد عنهما غربة، وفي القرب منهما حياة وطمأنينة.. فما هو ذا  
بعد طول اشتياق إلى السكنية والصفاء يقف أمام مقام إبراهيم مصلياً، فيحس بأنه  
استعاد روحانيته المفقودة بين تراكمات الحياة المادية، يقول:

(١) مكّي قبلي ٨٢



وقلقتُ أصلي أمام المقام  
وفي مقلتي السنن والسنة  
وللبيت ملء جناني جلال  
وتشؤنة وجد ووجد انشؤنة  
يلزمني راعيا ساجدا  
ويكحل عيني منه البهاء<sup>(١)</sup>

وهو يرى أن قيمة الكعبة ليست في أحجارها، وإنما في جمع هذه الأمة وتوحيدها:  
الكعبة الشؤنة في مذهبي  
قيمتها ليست بأحجارها  
والقرب من خالقها ليس في  
تشبث المرء بأسوارها  
قدسية الكعبة في جفونها  
امتتنا من كل أقطارها  
وانها محور أمجادها  
وانها مصدر أنوارها<sup>(٢)</sup>

وينادي حجاج بيت الله الحرام للتوجه إلى فلسطين:  
يا حجاج البيت الحرام المقدس  
وجهوا حشدكم إلى القدس سنحيا  
في فلسطين حقة من يهود  
تحدى الإسلام حربا وبغيا  
ايها الناحرون أكباش عير الـ  
حج وعيا لخطبة الضخم وعيا  
لوانحرننا تفريطنا وبلنا الـ  
حج مالا يساق للقدس هيا

(١) عمر بهاء الدين الأميري حياته وشعره (رسالة نكراه) ١/ ٢٣٨ والأبيات في ديوانه إشراق ٦٦-٧١

(٢) ديوان مع الله ١١٥

فإذا ما تحرّرت المسجد الآخر

حتى فحج حق وعيد ولهيّا<sup>(١)</sup>

وأم القرى هذه المدينة المختارة تعلو على كل المدن، ولا تكاد مدينة في الدنيا تدانيها،  
فسر اختيارها هو سر عظمتها، كما يرى أحمد بن محمد الشامي:

بأبي وبسي أم القُـرى

بيت الذي خلق الـورى

أم القُرى اختيرت على

علم تقـدس جـوهرًا

كم سافرت فيه العقـو

لـ، وحـم تهاوت حـسـرا

الـة من برا الـا

برم والشـمـوس ومنـورًا

ولة من الاسـماء احـد

سنن مـا يـقـال ولا يـرى

في ذلك الوادي الجـديـد

حـا اـمازها وتـخـيـرا

لا في مـرابـع ارجـا

ن ولا سـفـوح سـويسـرا

سـر تـعـالى كـنـة

وجـلالـة أن يظـهـر

او ان يُـتـرجـم او يُـفـسـر

سـتـر او يُـفـسـف الـورى<sup>(٢)</sup>

\*\*\*\*\*

(١) مبران من ربحي فلسطين ١٠٢

(٢) مبران الشامي ١٣٠٩ / ٢

القسم الثاني

من أغراض الشعر في مكة وموضوعاته



## من أغراض الشعر في مكة وموضوعاته

جمعنا بين الأغراض والموضوعات التي تعاورها الشعراء في مكة، حتى تلتحم الأجزاء، وتظهر لنا صورة مكة في الشعر واضحة تامة، ومن بين هذه الأغراض والموضوعات التي تناولناها: (الفخر، والمدح، والوصف، والغزل، والحنين، والشعر التعليمي، والشعر التاريخي) وقد جلينا في هذه الأغراض والموضوعات ما يرتبط بمكة فقط، دون النظر إليها كأغراض أو موضوعات شعرية تقليدية، فالمدح لا يكون متحداً إلا إذا ذكرت مكة، أما إذا مدح أمير من أمراء مكة دون ذكرها، فهذا ليس غرضنا، وقد سرنا على هذا المنهج في بقية الأغراض والموضوعات.

### أولاً، الفخر القديم

الفخر بالانتماء للمكان لم يكن ظاهرة واضحة في الشعر القديم، إذ استقر الفخر بالأنساب والقبيلة عرفاً تناوله الشعراء في أشعارهم جيلاً بعد جيل، ومما يلفت النظر أن الرسول صلى الله عليه وسلم وجه كعب بن مالك توجيهاً نبوياً كريماً بأن يفخر بدينه، عندما قال:

مَدَّاهُنَا عَنْ جِذْمِنَا كُلِّ فُخْمَةٍ  
مُذَرَّبَةٍ فِيهَا الْقَوَانِسُ تُلْمَعُ

فقال له: قل عن ديننا.

حتى جاء نهار بن توسة اليشكري، فقال:

أَبِي الْإِسْلَامِ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ

إِذَا التَّخَرُّوا بِقَيْسٍ أَوْ ثَمِيمٍ

ولكن مدَّ الفخر بالنسب يستمرّ في غلوائه، ويشدّد، وبخاصة في العصر الأموي،  
والناظر في النقائض وفي دواوين أعمدتها (جرير والفرزدق والأخطل) يجد ذلك واضحاً جلياً.

ولكن مكة بين بقاع الأرض لها فرادتها وقد استهت وعظمتها في القلوب، ومن هنا جاء  
الفخر بالانتمساب إليها مكاناً مبكراً، حتى أولئك الذين مزجوا في فخرهم بين النسب  
والمكان، فإنّ هذا المزج نبع من هذه الخصوصية، ولا يهمننا بعد ذلك سرّيان هذا اللون  
المكاني من الفخر عندما أرسى بناء المدن الإسلامية الجديدة، وبدأ التعلق بالمكان والانتماء  
إليه أمراً مألوفاً.

وحقّ لمكة أن تفخر على غيرها من الحواضر، وحقّ لأهل مكة وشعرائها أن يفخروا  
بانتمسابهم إليها، إذ إنّ قريشاً نالت مكانتها وعظمتها بين العرب كونها تسكن مكة،  
ولتوارثها حماية البيت، سميت (أهل الله) ويفسّر الثعالبي ذلك فيقول: (لما تميزوا به عن  
سائر العرب من المحاسن والكمال والفضائل والخصائص التي هي أكثر من أن تُحصى).

فمنها مجاورتهم بيت الله تعالى، وإيثارهم سكن حرمه على جميع بلاد الله، وصبرهم  
على لاواء مكة وشدتها، وخشونة العيش بها.

ومنها ما تفركوا به من الإيلاف والوفادة والرفادة والسقاية والرياسة واللواء والندوة.

ومنها كونهم على إرث من دين أبويهم إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.. ومنها  
كونهم قبلة العرب، وموضع حجهم الأكبر<sup>(١)</sup>.

قال بعض السلف: حسبك من قريش أنهم أهل الله، وأقرب الناس بيوتاً من بيت  
الله، وأقربهم قرابة من رسول الله، ولم يسم الله تعالى قبيلة باسمها غير قريش،  
وصارت فيهم ولهم الخصال الأربع التي هي أشرف خصال الإسلام: النبوة والخلافة،  
والشورى، والفتوح<sup>(٢)</sup>.

(١) ثمار القلوب ١٠-١٢

(٢) للمصدر السابق ١٢

وقال الأعشى يعاتب رجلاً ويخبره أنه مهما بلغ فلن يبلغ قريش:

فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَجَوْنِ وَلَا الصَّفَا

وَلَا لَكَ حَقُّ الشُّرْبِ مِنْ مَاءِ زَمْرٍ<sup>(١)</sup>

وفي تسميتها بآل الله، يقول محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي:

أَنَا ابْنُ آلِ اللَّهِ مِنْ هَاشِمٍ

حَيْثُ نَمَا خَيْرٌ وَاحْسَانٌ

مِنْ نَبْعَةٍ مِنْهَا نَبِيُّ الْهُدَى

مُؤَيَّدَةٌ وَالْفَرْعُ فَيَنَانٌ<sup>(٢)</sup>

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله في فضل كنانة وقريش «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى هَاشِمًا مِنْ قُرَيْشٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»<sup>(٣)</sup>.

وقال دغفل النسابة: (فاخر بكنانة، وكاثر بتميم، وحارب بقيس)<sup>(٤)</sup>

قال الشاعر:

وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ عِنْدَ الْفَخَا

رٍ أَنَّ كِنَانَةَ أَهْلُ الْعَرَبِ<sup>(٥)</sup>

وهذا قصي بن كلاب أول زعيم لك من قريش يتسلم حجابة الكعبة، وأمر الرفادة والسقاية والندوة والقيادة، يفاخر بلوحمته، ويعتد بنسبه، ويشعر بالاعتزاز كونه من مكة وبها ترى:

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي لُؤَيٍّ

بِمَكَّةَ مَوْلَدِي وَبِهَا رَبِيتُ

(١) ديوان الأعشى وثمار القلوب ١٥

(٢) ثمار القلوب ١٥

(٣) صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الفضائل ١٧٨٢/٤

(٤) العقد الفريد ٣٢٩/٣

(٥) البرصان للجاحظ ٣٠١

ولي البطحاء قد غلِمت مَعْدُ  
ومروئها رَضِيتُ بها رَضِيتُ  
ولِيبها كانت الآباءُ قَبْلِي  
فَمَا شُؤِيتُ أَخِي وَلَا شُؤِيتُ  
فَلَسْتُ لِفَالِبٍ إِنْ لَمْ تَأْتِلْ  
بِهَا أَوْلَادُ قَيْسٍ وَالنَّبِيتُ<sup>(١)</sup>

كما يفخر حذافة بن غانم الجمحي بأن كانت مكة دار إقامة له، تلك البيعة القاسية  
القليلة للمياه، ومن هنا فإنه يفخر كذلك بحفر الآبار، ويجعل ذلك مما يفخر به، فيقول:

اقمنا بها والناسُ فيها قلائِلُ  
وليس بها إلا كهولُ بني عمرو  
هَمْ ملأوا البطحاء مجذاً وسؤيداً  
وهم طردوا عنها غواة بني بكر  
وهم حَفروها والمِياهُ قليلةٌ  
ولم يستقى إلا بنكر من الحفرِ<sup>(٢)</sup>

بل إن الفخر بالانتساب لمكة والنزول فيها يختلف من مكان لآخر، فمن ينزل بالبطاح  
غير الذي ينزل بالظواهر، قال القرشي:

هَلْ أَسْأَلْتُ عَنْ الَّذِينَ تَبَطَّحُوا  
كُرمِ البطاح وخَيْرَ سِرَّةٍ وَاِدِ  
وعن الذين أَبَوْا هَلُمَّ يُسْتَفْخَرُوا  
أَنْ يَنْزِلُوا الْوَلَجَاتِ مِنْ أَجْيَادِ  
يُخْبِرُكَ أَهْلُ الْعِلْمِ أَنَّ بَيْوُثَنَا  
مِنْهَا بِخَيْرٍ مَضَارِبِ الْأَوَاتِرِ<sup>(٣)</sup>

(١) أخبار مكة للأزدقي، ١/١٠٧

(٢) أخبار مكة للأزدقي، ١/١٠٨

(٣) الكامل للمبره، ١/١٤٧



قال البكري: (الأبطح بمكة معلوم، وهي البطحاء<sup>(١)</sup> وجاء في اللسان: (بطحاء مكة وأبطحها معروفة لاتبطاحها، ومعنى من الأبطح، وقريش البطاح الذين ينزلون ما حول مكة، قال: فلو شهِدْتَنِي من قُريشٍ عصابةً

قريش البطاح، لا قريش الظواهر<sup>(٢)</sup>)

وعن الأزهري، قال ابن الأعرابي: (قريش البطاح الذين هم ينزلون الشَّعب بين أخشبي مكة، وقريش الظواهر الذين ينزلون خارج الشعب، وأكرمهما قريش البطاح) ولذلك كان الشعراء يمدحون الرسول عليه الصلاة والسلام، بالأبطحي، يقول عبد الرحيم البرعي: الأبطحي المتلقى من غالب

والطاهر الطاهر البشير المنذر<sup>(٣)</sup>

وتتنوع مظاهر الفخر، ولا تقف عند حد الانتساب لمكة والسكنى فيها، فالفخر بولاية مكة له وقع في نفوس من ولي أمرها، فهذا الحارث بن مضاض الجرمي يتقنى بهذه الولاية قائلاً:

ونحن وكينا البيت من بعد نابتر

بعزاً فما يخطي لدينا الحُكَاثِرُ

مَنَعْنَا قَسْرَنا فاعظم بمَلِجنا

فليس لي غيْرنا ثم فَاخِر<sup>(٤)</sup>

وبالولاية نفسها يفخر عمرو بن الحارث الغبشاني أحد بني خزاعة، فيقول:

نحن وكينا فلم نَفْشُنة

وابن مُضاض قائم يهْشُنة

ياخذ ما يهدى له يهْشُنة

نترك مال الله ما نمشُنة<sup>(٥)</sup>

(١) لسان العرب مادة (بطح)

(٢) لسان العرب مادة (بطح)

(٣) المجموعه النيهانيه في المدايح النويه ٢ / ٨٠

(٤) سيرة ابن هشام وإخبار مكة ١/ ٩٧-٩٨

(٥) أخبار مكة للأزهري ١/ ١٠٢

وكانت الأعمال التي تناط بآبناء قصي في خدمة البيت الحرام مثار اعتزاز وافتخار،  
كقول أبي طالب مفتخرًا بالسقاية:

وكان لنا حوضُ السُّقايةِ فيهمُ  
ونحنُ الكُذَي من غالبِ والكواهلُ

ويفتخر سوار بن أوفى القشيري بما أعطاه نهبك القشيري وكان جوادًا لحجاج بيت  
الله من ماله، فيقول:

ومنا نُهيكُ أنهبُ الناسُ مائةً  
مئين الوفا لا جرادَ يرومُها  
فطارت على أيدي الحجاجِ واحفظتُ  
قريشًا وظننتُ أنَّ ذاكَ يُلبيها<sup>(١)</sup>

ويقول نهد الجريوع: (ولعلَّ من أبرز المعاني الغريبة التي افتخر بها الشاعر الكناني  
ما يُعرف بالنسيء، وهو أمر اختصت به كنانة، فكان بنو مالك بن كنانة ينسئون الشهور،  
فيؤخرون المحرم ويبيحون القتال في الأشهر الحرم، وهذا ما حرَّمه الإسلام وجعله توغلاً  
في الكفر، ولكن شعراء كنانة الجاهليين كانوا يرونه مفخرة لهم ويتباهون به بين قبائل  
العرب، فمن ذلك قول عمير بن قيس بن جذل الطعان:

لقد علمتُ معدُّ أنَّ قومي  
كرامُ الناسِ إنَّ لهم كرامًا  
السُّنَّ الناسِين على معدُّ  
شهورِ الحِلِّ نجعلُها حرامًا

وكان افتخارهم بالنسيء من إحساسهم بقيمة قبيلتهم، ومكانتها الدينية،  
ويؤكد القلمس الكناني أنَّ من كان هذا شأنه، فإنه موفور الحظ والنصيب، حيث يقول:

وأنا أرىناهم مناسكة دينهم  
وحُزنا لهم حفظًا من الحظِّ أوفرًا<sup>(٢)</sup>

(١) للمستقر في شعر بني عامر ٢ / ٣٥٠

(٢) شعر كنانة من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي (رسالة ملجستير) وانظر الأتاتل لأبي ملال العسكري ١ / ٩٢

ويقول عبدالله بن وداعة مفتخرًا بأبن عمه سعد بن سهم الذي يعدُّ أول من بنى بيتًا بمكة، ويثني عليه أيضًا بتوثيق عهد مكة وأحلافها وإشاعة الود بينهم بحصافة رايه وعميم فضله، وكرم أصله:

وسعدُ السُّعُودِ جامعُ الشُّمُلِ إِيَّةُ  
 بدا الحِلْفَ والأَحْلَافُ أهْلُ خِلافِ  
 فَاوثَّقَ عَهْدَ الحِلْفِ والودُ بينهمُ  
 بامرٍ حَصِيْفٍ فيهمُ ونصافِ  
 وذلك ما أرسى ثَبِيْرَ مكانةِ  
 وما بَلَّ بحرٌ صَوْلَةً بنطاقِ  
 وأولُ من بَوَّأ بمكةَ بِيَتْنَةً  
 وسوَّزَ فيها مَسْكَنًا بانافي  
 وأكرمَ مَنْ تحت السُّمَمِ أبوةَ  
 وأمجدَ امْنًا عَظُمْتَ بعطافِ  
 وذلك ابنُ عمِّ شِاذَّ غَيْرِ مُتَكَلِّفِ  
 ولكنَّ بِإِفضالٍ وفضلٍ عَفَافِ<sup>(١)</sup>

ويُفخر ذو الرمة بجذوره وأصوله، فجرثومة الشجرة التي ينتمي إليها هي مضر أبو العرب العدنانية، وساكن مكة، وهذا الفخر كما ترى فخرًا عامًا، فهذا الشاعر عدوي يستظل بشجرة تميم التي هي من غرس الجد الأكبر أد بن طابخة بن إلياس بن مضر، ويعتد بهذا الفخر، ويمتدُّ ليحوز البدايات منذ سيدنا إبراهيم عليه السلام، وينأه الكعبة، وتنقل في فخره من جرهم إلى معد وعدنان، ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلائف من بعده، ولا يكتفي بالأنساب بل إن المكان أيضًا هو الذي قوَّى فيه روح هذا الفخر، فمواقف الحجاج في المشاعر ومتى والمزلفة ومكة بكل ما فيها تبعث هذا الفخر، كما في هذا الشعر الفاخر:

لنا الهامةُ الكبرى التي كلُّ هامةٍ  
 وإنَّ عَظُمْتَ منها أنلُّ وأصْفَرُ

(١) الأرائل ١ / ٩٤ والنظايف: جمع نظلة وهي اللام.

إِذَا مَا تَضَضَّرْنَا فَمَا النَّاسُ غَيْرُنَا  
 وَتَضَعِفُ إضعافًا وَلَا تَقْمَضُ  
 إِذَا ضَضَّرَ الْحَمْرَاءُ عِبُ غُبَابِهَا  
 فَمَنْ يَتَصَدَّى مَوَاجِهَا حِينَ تَطْخَرُ  
 أَنَا ابْنُ النَّبِيِّينَ الْكَرَامِ وَمَنْ دَعَا  
 أَبَا غَيْرِهِمْ لَا بُدَّ أَنْ سَوْفَ يُفْهَرُ  
 أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنِّي سَمَوْتُ لِمَنْ دَعَا  
 لَهُ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ وَالشَّيْخُ يُذَكِّرُ  
 لِيَا لِي تَحْتَلُّ الْإِبَاطِخُ جُنُودُ  
 وَإِذْ بَابِنَا كَعَبَّةَ اللَّهِ تُغَمَّرُ  
 نَبِيُّ الْهَدَى مَنَا وَكُلُّ خَلِيفَةٍ  
 فَهَلْ مِثْلُ هَذَا فِي الْبَرِيَّةِ مَفْخَرُ  
 لَنَا النَّاسُ أَعْطَانَاهُمْ اللَّهُ عَنُودُ  
 وَنَحْنُ لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَى وَأكْبَرُ  
 أَنَا ابْنُ مَعْدُ وَأَبْنُ عَدْنَانَ انْتَمِي  
 إِلَى مَنْ لَهُ فِي الْعَرْزِ وَزْدُ وَمُصَنَّدُ  
 لَنَا مَوْقِفُ الدَّاعِينَ شُعْبًا عَشِيَّةُ  
 وَحَيْثُ الْهَدَايَا بِالْمَشَاعِرِ تُنْخَرُ  
 وَجَمْعُ وَيَطْحَاءُ الْبِطَاحِ الَّتِي بِهَا  
 لَنَا مَسْجِدُ اللَّهِ الْحَرَامُ الْمُطَهَّرُ  
 وَكُلُّ كَرِيمٍ مِنْ أَنَاسٍ سَوَالِنَا  
 إِذَا مَا التَّقِيْنَا خَلَقْنَا يَتَاخَرُ  
 إِذَا نَحْنُ سَتَوْنَا أَمْرًا سَادَ قَوْمُهُ  
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ يُذَكَّرُ  
 هَلِ النَّاسُ إِلَّا نَحْنُ أَمْ هَلِ لَغَيْرِنَا  
 بَنِي خَنْفَرٍ إِلَّا الْعَوَارِي مَيْبَرُ

ابونا إياس قَدَّمْنَا من أديمه  
لوالده نُدهي البنين وَنُدَجِرُ  
ومِنَّا بُنَاةُ المجد قَد عُلِمَتْ به  
مَعْدُومًا الجوهرُ المُتَخَيَّرُ  
انا ابنُ خليلِ الله وابنِ الذي له الله  
مَشَاعِرُ حَتَّى يَحْضُرَ النَّاسُ تُفْشَعِرُ

وينشد الفراء شعرًا يفتخر فيه صاحبه بكرامة قومه على الإنس والجن، وأنهم  
يشعلون نيران القرى للأضياف في حراء:

أَلَسْنَا أَكْرَمَ الثَّقَلَيْنِ رَحْلًا  
وَاعْظَمَهُم بِبَطْنِ حِرَاءَ نَارًا<sup>(١)</sup>

ويفتخر الحريش بن هلال القريني، وتروى للعباس بن مرداس، بحضوره غزوات  
الرسول صلى الله عليه وسلم، وشهود خيله يوم فتح مكة، فيقول:

شَهِدْتُ مَعَ النَّبِيِّ مَسْجُومَاتِ  
حُنَيْنًا وَهِيَ دَامِيَةُ الْحَوَامِي  
وَوَقْعَةُ خَالِدٍ شَهِدْتُ وَحُكْتُ  
سَنَابِغَهَا عَلَى الْبَلَدِ الْحَرَامِ<sup>(٢)</sup>

وهذا الشريف المرتضى يفخر وفخره تليد وموروث وطارف وحديث، وهل هناك فخر  
أعلى وأرقى في سلم الأمجاد من كون البيت الحرام وما يحويه هو للمفتخر وله فيه الدرجة  
العليا والصدارة، يقول:

أَمَّا الطَّرِيفُ مِنَ الْفَخَارِ فَعِنْدَنَا  
وَلَنَا مِنَ الْمَجْدِ الثَّلَاثُ سَنَامُ  
وَلَنَا مِنَ الْبَيْتِ الْمُحَرَّمِ كَلَمًا  
طَافَتْ بِهِ فِي مَوْسَمِ الْقَدَامِ

(١) للحجاز بين اليمامة والحجاز ٢٠٨

(٢) شرح ديوان الحماسة ١ / ١٤٠

ولنا الحَطِيمُ وزمـزَمُ وترائنا  
 نَبْعُ التَّراثُ عن الخَلِيلِ مَقَامُهُ  
 ولنا المشاعِرُ والمواقِفُ والذي  
 تُهْدَى إِلَيْهِ مِنْ مَنَى اَنْعَامُهُ  
 وَجَدْنَا وَبَصُرْنَاهُ حُرَيْتَ عَنْ الدِّ  
 جِيَّتِ الْحَرَامِ وَتُعَزُّعُ اصْنَامُهُ<sup>(١)</sup>

ويفتخر بأن بيوت آبائه وأجداده هي البيوت التي نزل فيها الوحي، ويكرز الفخر  
 بكون المشاعر لهم، فيقول:

وَبِيوْتُهُمْ مَاوَى الرِّشَادِ وَبِئْتُهُمْ  
 سَطَرَ الْكِتَابِ وَنَزَلَ التَّنْزِيلُ  
 وَتَرَاهُمْ مُنْبَحًا وَكُلَّ عَشِيَةٍ  
 يَأْتِيهِمْ مَيْكَالٌ أَوْ جَبْرِيلُ  
 فَهُمْ عَنِ الْأَمْرِ النَّتْيِ جَوَامِدُ  
 وَهُمْ إِلَى الْأَمْرِ الْعَلِيِّ سَيُولُ  
 بَيْتُ أَقَامِ دَعَامَةِ وَقَبَابَةِ  
 إِنَّمَا إِمَامٌ أَوْ أَخُوهُ رَسُولُ  
 بَيْتٍ يَنَاجِي اللَّهَ حَالًا بِهِ  
 وَعَلَيْهِمْ الْأَمَلَاكُ فِيهِ نَزُولُ  
 وَمَسَاكِنُ مَا غَابَ عَنْ أَفْوَاهِهِمْ  
 فَيُفِيهِنَّ تَقْدِيرُ وَلَا تَهْلِيلُ  
 لَهُمْ مَنَى وَالْمَوَاقِفَانِ وَزَمَزَمُ  
 وَالْبَيْتُ وَالتَّطَوُّافُ وَالتَّجْوِيلُ  
 وَالْحِجْرُ وَالْحَجَرُ الَّذِي لَصَفَاتِهِ  
 أَبَدَ الزَّمَانِ الضَّمُّ وَالنُّفْطَبِيلُ<sup>(٢)</sup>

(١) ديوان الشريف المرتضى ١ / ١٦١

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٣١

وهذا جرير بن عطية الخطفي يفتخر بوراة النبوة، وأن منهم من كان يجيز جمع الحجيج، يقول:

لنا حوضُ النبي وساقياهُ  
ومنْ ورثَ النبوةَ والكتابَا  
ومنا من يجيزُ حجيجَ جمعٍ  
وإنْ خاطبتُ منكم خطابا<sup>(١)</sup>

ويعير جرير تغلبًا، ويفاخرهم بالبيت الحرام والمشاعر، فيقول:  
إن الذي حرمَ المكارمَ تغلبًا  
جعلَ النبوةَ والخلافةَ فينا  
هل تملكون من المشاعرَ مثنعًا  
أو تشهدون مع الأذانِ دينًا  
مضربُ أبي وأبو الملوكِ فهل لكم  
يا خُرُزَّ تغلبَ من أبٍ كابينا<sup>(٢)</sup>

والفرزدق كذلك يفتخر بوراة بيت خليل الله، يقول:  
ورثنا عن خليلِ الله بيتًا  
يُطيبُ للصلاةِ وللطهْرِ ور  
هو البيتُ الذي من كلِّ وجهٍ  
إليه وجوهُ أصحابِ القبورِ  
خيارَ الله للإسلامِ إنَّا  
إليك نشدُ انساعَ الحُصورِ<sup>(٣)</sup>

ويمتد فخر الفرزدق ليفتخر بملكية البيتين بيت الله الحرام في مكة وحمايته، وبيت المقدس في إيلياء، يقول:

(١) ديوان جرير ٧٩  
(٢) المصدر نفسه، الأثنين: الأذان. شغب من الترك يسكن حول بحر قزوين.  
(٣) ديوان الفرزدق ١ / ٣٥٠

لنا العزة الغلباء والعهد الذي  
 عليه إذا عُذَّ الحصى يتخلف  
 وبيتان: بيت الله نحن حمالة  
 وبيت باعلى إيلياء مشرف  
 لنا حيث أفاق البرية يلتقي  
 عميد الحصى والقسوري المخدف  
 إذا هبط الناس المقرف من متى  
 عشية يوم النحر من حيث عرفوا  
 ترى الناس ما سرتنا يسرون خلفنا  
 وإن نحن أوصانا إلى الناس وقفوا<sup>(١)</sup>

ويتكرر فخره، فيقول:

ورثنا كتاب الله والكعبة التي  
 بمكة محجوباً عليها سُكُورها<sup>(٢)</sup>

ويتكرر الفخر بالطريقة نفسها عند ذي الرمة الذي يرى ملكية المواقف المقدسة  
 والمشاعر الكريمة، فيقول مفتخراً:

أنا ابنُ النبیین الكرام ومن دعا  
 أباً غيرهم لا بد أن سوف يُقهر  
 ألم تعلموا أني سموتُ من دعا  
 له الشيخ إبراهيم والشيخ يُذكر  
 ليالي تحللُ الأباطح جرهم  
 وإذ بابنا كعبة الله تُعمر  
 نبي الهدي منا وكل خليفة  
 فهل مثلُ هذا في البرية مَفخر

(١) ديوان الفرزدق ٣٨٣ - ٣٩٤ وفي شرح الديوان للمصاوي ٢ / ٥٥١ - ٥٦٩

(٢) ديوان الفرزدق ١٩٧ وشرح الديوان للمصاوي ١ / ٢٧٤



لَنَا النَّاسُ أَعْطَانَاهُمُ اللَّهُ عَنُودَ  
وَنَحْنُ لَهُ وَاللَّهُ أَعْلَى وَأَكْبَرُ  
لَنَا مَوْقِفُ الدَّاعِينَ شُغْلًا عَشِيَّةً  
وَحَيْثُ الْهَدَايَا بِالْمَشَاعِرِ تُخَضَّرُ  
وَجَمْعٌ وَيَطْحَاءُ الْبَطَاحِ الَّتِي بِهَا  
لَنَا مَسْجِدُ اللَّهِ الْحَرَامِ الْمُطَهَّرُ<sup>(١)</sup>

ويفتخر عبدالله بن قيس الرقيات بحجابه البيت في قصيدة ممزية جميلة، يفاخر فيها  
بني أمية، ويهددهم، فيقول:

لَيْسَ لِلَّهِ حَرَمَةٌ مِثْلَ بَيْتِ  
نَحْنُ حُجَّابُهُ عَلَيْهِ الْمَلَأُ  
خِصَّةَ اللَّهِ بِالْكَرَامَةِ فَالْبَا  
دُونَ وَالْعَاكِفُونَ فِيهِ سِوَا<sup>(٢)</sup>

وقال النعمان بن بشير مفاخرًا بفتح مكة ومهددًا معاوية بن أبي سفيان:  
ضَرَبْنَاكُمْ حَتَّى تَفْرُقَ جَمْعُكُمْ  
وَطَارَتْ أَكْفُكُمْ وَجَمْعُكُمْ  
وَعَاذَتْ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ عَوَانِسُ  
وَأَنْتَ عَلَى خَوْفٍ عَلَيْكَ تَمَائِمُ<sup>(٣)</sup>

وفي الموضوع نفسه يأتي رجل من اليمن بعد قرون، فيفخر الفخر نفسه، يقول محمد  
ابن أحمد الأوساني اليمني مفتخرًا بأن أجداده هم الذين فتحوا مكة:

وَنَحْنُ جَدُّهَا أَنْفُ قَيْسٍ وَلَمْ نَدْعُ  
بِمَكَّةَ مِنْ يَتْلُوَا وَمَنْ يَتَعَلَّمُ<sup>(٤)</sup>

(١) ديوانه ١/ ١٦٢

(٢) ديوانه ٨٧ . الملأ: القائمون

(٣) شعر النعمان بن بشير ١٥٥

(٤) المصنوعون من الشعراء ٨٢

ويظهر الفخر المعكوس، فهذا عمر بن أبي ربيعة يعكس طرفي الفخر، فبدل أن يفتخر بانتسابه لمكة، فإنَّ مكة ويقاعها تفخر بهم، فيقول:

فَهَلَّا تَسْأَلِي أَفْنَاءَ سَطَطِر  
وَقَدْ تَبْدُو التَّجَارِبُ لِلْبَّيْبِ  
سَبَقْنَا بِالْمَكَارِمِ وَاسْتَبَحْنَا  
فَرَى مَا بَيْنَ مَارِبٍ فَالذُّرُوبِ  
وَنَحْنُ فَوَارِسُ الْهَيْجَا إِذَا مَا  
رَأَيْتُ الْقَوْمَ اجْمَعُ لِلْهَرُوبِ  
نَقِيبُ عَلَى الْحِفَاظِ فَلَنْ تَرَانَا  
نُثْلُ نَخَافُ عَاقِبَةَ الْخَطُوبِ  
وَيَمْنَعُ سِرِّيْنَا فِي الْحَرِبِ شُمُ  
مَصَالِيَتِ مَسَاعِرُ الْحَرُوبِ  
وَيَا مَنْ جَارُنَا فِينَا وَتَلَى  
فَوَاضِلُنَا بِمَحْتَفِظِ خَصِيْبِ  
وَلَوْ سَأَلْتُ بَنَى الْبَطْحَاءِ قَالَتْ  
هُمْ أَهْلُ الْفَوَاضِلِ وَالسَّنْيُوبِ  
وَيُشْرِقُ بَطْنُ مَكَّةَ حَيْنَ نُضْحِي  
بِهِ وَمَنَاخُ وَاجِبَةِ الْجُنُوبِ<sup>(١)</sup>

وتفتخر مكة بشيخ العلماء الشيخ محمد صالح كمال، كما ورد في مدح عبدالمحسن الصحاف له، حيث يقول:

كَمَالٌ عِلْمَكَ قَدْ زَانَتْ بِهِ الرُّتَبُ  
وَمَكَّةَ عَمَّهَا مِنْ قَحْرِهَا الطُّرْبِ<sup>(٢)</sup>

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٣٧٩-٣٨٠

(٢) نشر الرياض ٦١٧/٢

## الفخر الحديث:

وكما افتخر القدماء بالانتماء لمكة، فإنَّ المحدثين هم كذلك يفخرون بمكة القداسة والعظمة والشرف والتاريخ، ويعتزون بمشاعرهما، ويذهبن بمكائنها، يقول أحمد قنديل:

انت ابصرتنا بوابيك نحيا  
كحياة مليئة بك فخرًا

وفخر محمد حسن فقي بأنَّها مسقط رأسه، وأنَّه فتح عينيه فوق الثرى الذي درج عليه سيد الخلق، وصحابته الأماجد:

لقد عشتُ فيها منذ ستين حجة  
فاطريني أني بمكة مولدي  
لقد ولد المختارُ فيها فاشرفتُ  
دياجيرها بالنور من خير محتر  
وقد وُبدَ الأمجادُ من كلِّ ملهم  
بشوقٍ يراعٍ أو بحمدٍ مُهنَّد<sup>(١)</sup>

وبماذا تفخر مكة؟ إنَّها تفخر بميلاد سيد ولد آدم وصفوة الخلق، وبها نزل القرآن الكريم، وفيها الكعبة المشرفة، وهي قبلة المسلمين، وفيها المقام والحطيم وزمزم، وكل المشاعر التي تهوي إليها أفئدة المسلمين، أفلا يحق لأم القرى أن تفخر بكل هذه المزايا، يقول الشاعر أحمد قنديل على لسانها:

امهاتُ القُرى لديكم وإنِّي  
أنا أمُّ القُرى على الدهر تُبْرى<sup>(٢)</sup>

ولهذه المزايا حقُّ لها أن تفخر على سائر بقاع الدنيا، كما يرى محمد حسن فقي:  
قد تركتُ البريقَ للبلد الخا  
صل ماذا يُجدي عليك البريق<sup>(٣)</sup>

(١) مكِّي قبلي ٧٣

(٢) للرجع نفسه ٢٨

(٣) للرجع نفسه ٧٠

ولماذا نفتخر بها؟ لأنها كما يقول زين العابدين:

هي أغلى البلاد عندي وأسنى  
أمة في صعيدٍ نتباهي  
هي مني الحياة والروح والجسد  
سُ ونجوى الفؤاد ما أغلاها<sup>(١)</sup>

ويفخر محمد هاشم رشيد ومنيع هذا الفخر أن أرض الحجاز تضم كل شيء، يقول:

وقسفت عليك وفي اضلعي  
أحسُ بأنني أضمُّ الجـزيرة  
واسمُ صوتك في مسمعي  
يُدمرُ بالذكريات النُصيرة  
فذكرى أراها بأرض الحجاز  
ترفعُ فوق السهول الفساح  
فاشعرُ بالفخر والإمتزاز  
والثم كل الرُئي والبَطَاح<sup>(٢)</sup>

### ثانياً، المديح

لا يعني هنا المديح على إطلاقه، ولا يظن القارئ أننا نريد المدح المتعلق بالأشخاص الذين حكموا مكة أو تولوا أمرها، فنكر ما قاله من عرضوا للشعر في بيئة مكة في عصورها المختلفة، لأن خطتنا كما أوردنا ذلك في مقدمتنا للكتاب أننا لا نريد تطويل البحث بما لا يرتبط به ارتباطاً وثيقاً، وإنما نقصد هنا المدح المتعلق بمكة، فإذا ذكرت مكة في مدح الشخص سواء أكان من مكة أو من خارجها، فهذا ما يعني هنا، إذاً هو ذلك المديح المرتبط بمكة حديثاً عن صفاتها، أو ذكرها لأمكانها وما حدث فيها، ولعلنا نبدأ بالمديح النبوي.

(١) المرجع نفسه ٢٤٧

(٢) الشعر للحديث في الحجاز ٦

## ● المديح النبوي

والبداية به تشريف، وسنقتصر في مديحه صلى الله عليه وسلم على ما ارتبط بمكة ارتباطاً وثيقاً، كالحديث عن حال مكة عند ولادته، أو في مبعثه، أو عند فتحها.

والمديح النبوي بدأ مع بداية تأسيس الدولة، فكان شعراء الدعوة: حسان بن ثابت، وعبدالله بن رواحة، وكعب بن مالك، هم نواة هذا المديح، ثم بدأ يتسع ليشمل الشعراء المنضوين تحت لواء الإسلام، أو الذين تأبوا وأتابوا، مثل كعب بن زهير، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب، وعبدالله بن الزبير، ولسنا بصدد ذكر كل الشعراء الذين منحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن غايتنا مقصورة على الحديث عن مكة حتى لا نخرج عن شرط البحث وخطته وتكليفه، ومن هنا فالمدح النبوي المتعلق بمكة هو مطلبنا.

وما أطلق عليه من غرض المديح النبوي بعد وفاة النبي عليه السلام اشتدُّ اشتداداً عارماً في قرون الضعف، وفي الفترات التي كانت فيها الدولة أو الدول الإسلامية تواجه امتى الحملات، كما في عصر الحروب الصليبية، والحروب المغولية والتترية، ولذلك نرى أن هدير هذا المدح بدأ يشتد في القرن الخامس واستمر مريه حتى القرنين الثامن والتاسع، ولا يعني هذا أن القرون القبلية والبعيدة خلت من مدحه عليه الصلاة والسلام، لا لم يخل عصر بل فترة من مدحه، فمدحه غاية وشرف، ولكن أقول: إن المدائح النبوية كانت في تلك الفترة في أظهر حالاتها، وفي هذا الصدد يقول الدكتور شوقي ضيف: (وانبثقت من الشعر الصوفي منذ ابن دريد في أوائل القرن الرابع الهجري مدائح نبوية عطرة بالمسيرة الزكية، وما نصل إلى القرنين السادس والسابع حتى يتكاثر هذا المديح، ويزهر، ونظن ظناً أنه كان للحروب الصليبية أثر في ذلك) وقراءة قصائد المديح النبوي تطلعنا على ثلاث حلقات أو مفاصل تربط ما بين شخصية الرسول الأعظم عليه السلام ومكة المكرمة، وهي:

الميلاد والبعثة والهجرة هذه الوحدات الثلاث التي تعاورها الشعراء في مدحه عليه السلام هي قصدنا، ويمر الشعر المديحي من خلال البعثة على بعض الحوادث التي حدثت لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة، كتنقض الصحيفة، وحادثة الإسراء والمعراج،

وبعض معجزاته عليه السلام، ولقد تتبعتُ المجموعة النبهانية في المدائح النبوية فوجدت اتفاق الكثير من القصائد المدحية على عرض هذه الإضاءات ، ولذلك فإنني سأقتصر على إيراد بعض النماذج اختصاراً لا تفصيلاً.

فميلاد المصطفى عليه السلام وارتباطه بمكة التي حازت الفخار بمولده، وضجت سروراً وفرحاً، هذه الأرض التي بها نشأ، وعليها درج تعلن فرحها ومسررتها بميلاده العظيم ، فالشاعر الإمام يحيى الصرصري من شعراء القرن السابع الذي يُعدُّ من أكثر الشعراء مدحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يمزج ما بين الولادة وعام الفيل يقول معلناً أنَّ ميلاده كان من أسرار رد حملة أبرهة، وبه أشرقت عرصات الأرض:

ثُمَّ اسْتَقَلَّتْ بِهِ الزَهْرَاءُ أَمْنَهُ الدَّ  
حِصَانٌ لَمْ يَلْقَهَا فِي الْحَمْلِ ثَقِيلُ  
حَتَّى بَدَأَ عَامٌ سَارَتْ نَحْوَ مَكَّةَ أَوْ  
شَابَ الْأَحَابِيشِ يَحْدُو جَيْشَهَا الْفِيلُ  
فَكَانَ مِنْ سِرِّهِ الْمَكْنُونِ أَنْ تَفْسَحَتْ  
عَنْهَا أَعَادِيهَا الطَّيْرُ الْإِبَابِيلُ  
فَاشْرَقَتْ عَرَصَاتُ الْأَرْضِ حِينَ بَدَأَ  
نُورُ لُةٍ فِي الطَّبَاقِ السَّبْعِ تَجْوِيلُ<sup>(١)</sup>

والشيخ عبدالعزيز الزمزمي من شعراء القرن العاشر يرى ازدهاء الليل والنهار لمولد النبي عليه الصلاة والسلام، وتبتهج مكة سروراً بمقدمه :

يَوْمَ مِيلَادِهِ وَلَيْلَةَ مَسْنَرَا  
هُ أَزْدَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَزْدَاءُ  
وَسَمَا الْقَدْرُ مِنْهُمَا بِفَخَارِ  
طَبَقِ الْأَرْضِ سَوْدًا وَالسَّمَاءُ  
وَامْتَلَتْ مَكَّةَ سُرُورًا وَلَيْمَ لَا؟  
يَمْلَأُ الْبِشْتَرُ قَطْرَهَا سُرَاءُ

(١) المجموعة النبهانية في المدائح النبوية ٣ / ٣٣

هي أرضٌ فييها ولادَةُ طه  
وهو منها قد ابتداء الإسراء  
كان تردأهُ ومربأهُ فييها  
فجلا نورُ شمسهِ البطحاء  
وعلا الإنسُ والبهاءُ جبأاً  
راسياتر بها خصوصاً حراء<sup>(١)</sup>

وذكر الإسراء وانتقال الرسول الكريم من مكة إلى القدس يعرض له الشعراء ويراه  
البرعي فوق كل فخر، وأكرم من كل كرامة كما في قوله:  
تناهى فخرُ كلِّ أخي فخرار  
ولن تلقى لفخرهم انتهاء  
كفلة كرامة المطراج فخرأاً  
بها في الثريب ساء الأنبياء  
سرى من مكة بيسراق عرأ  
لاقصى مسجدر وعلا السماء<sup>(٢)</sup>

وكما ذكر البرعي في النموذج السابق عن الإسراء من البيت الحرام، يشير إليه  
الحافظ بن حجر في منحه فيقول:

سرى للمسجد الأقصى بليار  
من البيت الحرام إلى السماء  
رفيق الروح بالجسم ارتقى في  
طباق خف فييها بالهزاء  
علا ونأ وجأز إلى مقام  
كريم خن فيهِ بالانطفاء<sup>(٣)</sup>

(١) الحجرة النبوية في الدائع النبوية ١ / ١٦٠

(٢) المصدر نفسه ١ / ١١١

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٤٨

وعرض الشاعر يوسف النبهاني جامع المذائح النبوية في قصيدته الهمزية (طيبة الغراء في مدح سيد الأنبياء) لحادثة الإسراء والمعراج، وينهيها بتكذيب كفار مكة لهذه الرحلة السماوية، فيقول:

ثُمَّ عَادَ الضَّعِيفُ الْكَرِيمُ إِلَى الْإِلَهِ  
لَمْ وَتَمُتْ مِنْ رَبِّهِ النَّعْمَاءُ  
عَادَ قَبْلَ الصَّبَاحِ لِمَارْتَابٍ فِي مَكَّةَ  
كَفَّةً قُومٌ مِنْ قَوْمِهِ يُنَادُوا  
اعْظُمُوا الْأَمْرَ وَهُوَ فَعَلَ عَظِيمٌ  
لَمْ تُشَابِهْ صِفَاتِهِ الْعِظَمَاءُ<sup>(١)</sup>

أما حصار الشعب ونقض الصميفة، فهو من جملة ما تحدث عنه الشعراء في مذائحهم، من ذلك قول شرف الدين البوصيري:

خَمْسَةٌ طَهُرْتُ بِقُطْعِهِمُ الْأَرْضَ  
ضُفُفْتُ الْإِذَى بِهِمْ شَمْلًا  
فُذِيتْ خَمْسَةُ الصَّحِيفَةِ بِالْخَمْسِ  
سَسَةً إِنْ كَانَ بِالْكَرَامِ فَسَادُ  
فَتِيَّةٌ يَتَوَاتَرُ عَلَى فَعْلٍ خَيْرٍ  
خَمِذَ الصَّبِيحِ أَمْرُهُمُ وَالْمَسَاءُ  
يَا لَأَمْرٍ آتَاهُ بَعْدَ هَشَامِ  
زُنْفَرَةٍ إِيَّاهُ الْفَتَى الْإِنْدَاءُ  
وَنَهْيُزٍ وَالْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ  
وَأَبُو الْبَخْتَرِيِّ مِنْ حَيْثُ شَاؤُوا  
نَقَضُوا مَبْرَمَ الصَّحِيفَةِ إِذْ شَدَّ  
نَتَّ عَلَيْهِمُ مِنَ الْعَدَا الْإِنْدَاءُ  
أَذْكَرْنَا بِأَكْلِهَا أَكَلَ مِنْسَا  
فَ سَلِيمَانَ الْأَرْضَةَ الْخَرَسَاءُ

(١) المصدر نفسه ١ / ٢٠٢



وبها اخبر النبي وكم اخذ

مرج خبأ له الغيوب خبأ<sup>(١)</sup>

ويذكرون بعض معجزاته عليه السلام في مكة، مثل انشقاق القمر، يقول الصرصري:

ولة بالابطاح القمر انشط

ف بنصفين ليس فيه خفاء<sup>(٢)</sup>

ويوصف الرسول عليه السلام بالابطاحي، كما في قول البرعي:

نبي هاشمي ابطحي

شماله السماحة والوفاء<sup>(٣)</sup>

وتكرر هذه الصفة عند جمال الدين بن نباتة، فيقول:

وما انتقلت مناقب ابطحي

وعنها الارض تفصح والسما<sup>(٤)</sup>

ويذكر المادحون هجرة المصطفى عليه السلام، وما حدث فيها من نوم علي في فراشه، وخروجه من بينهم، ووضع التراب على رؤوسهم، وتوجهه عليه السلام للفار بصحبة أبي بكر الصديق، ولعل التشابه يفرض علينا عرض نموذج لما أورده شرف الدين البوصيري في همزته، حيث يقول:

له يوم خروجه من مكة

مخروج موسى خائفًا يترقب

والجن تئنشد وحشة لفراقه

شعرًا تفيض به الدموع وتسكب

والغار قد شئت عليه غارة

أعداؤه حرصًا عليه واجلبوا<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر نفسه ١ / ٨٢ - ٨٣

(٢) المصدر نفسه ١ / ١٠٩

(٣) المصدر نفسه ١ / ١١٤

(٤) المصدر نفسه ١ / ١١٧

(٥) المصدر نفسه ١ / ٣٠٣

وأخيراً يعبر المديح النبوي فتح مكة، هذا الفتح الأعظم الذي يذكره يوسف النبهاني في مدحيته المطولة، فيقول:

ما شفى النفس بعد هذا وهذا  
غير فتح به استمر الشفاء  
فتح أم القرى وسيدم الخلد  
لـ سوى طيبة فكل إماء  
أي فتح للمصطفى كان فيه  
فوق عرش البيت الحرام استواء  
أي فتح للمصطفى كان عرساً  
ولأم القرى عليه جلاء  
أشرقنت شمساً ببرج كدام  
فأسست نارت على البطاح كداء  
حسنتها كدئ فلما استشاطت  
هاج فيها الغواة والغواء<sup>(١)</sup>

وفي مقصورة الإمام عبدالرحمن المكودي من شعراء القرن الثامن والمتوفى في بداية القرن التاسع وصف حرفي ودقيق لفتح مكة، فقد جاءها بالكاتب الجرارة، فلما بطاحها خيلاً ورجالاً، بعشرة آلاف فارس من مختلف القبائل، وأقبل الرسول عليه الصلاة والسلام في كتيبته الخضراء، تصحبها الركائب، ويظل مستمراً في وصفه ودخول مكة، وتحطيم الأصنام، والعفو عن الملقاء<sup>(٢)</sup>.

#### ● المديح العام

كما نجد في مديح ابن الزبيرى لقريش وعبد مناف، حيث يقول:  
كانت قريش بيضة فتفقت  
فالبح خالصها لعبد مناف

(١) المصدر نفسه ١ / ٢١٦

(٢) انظر المصدر السابق ١ / ٢٨١ - ٢٨٢

الرأيشين وليس يُوجَدُ رايش  
والقائلين هُتْمُ لالْأُسْـيافِ  
والخالطين غنيهم بفقيرهم  
حتى يعود فقيرهم كالكاقي  
والضاربين الكبش تَبْرُقُ بيضة  
والمانعين البيض بالأسْـيافِ  
عمرو الغلا هُتْمُ الثريد لعشر  
كانوا بمكة مسنتين عجا<sup>(١)</sup>

وبمدح الحليفة ابن شماس مقسمًا بكل السارين إلى بيت الله قائلاً:  
إليكم يا ابن شماس شَجَجْتُ بها  
عَرْضَ الفلاة إذا لَحَتْ فيا فيها  
حلى انْحَتْ قُلوصي في ياركم  
بخير من يَحْتَذِي نعلًا وحالها  
إني لغير الذي يَسْـتَـرِي لعمبتِه  
عَظُمُ الصَّجِجِ لمقاتري وأهليها  
لقد تداركني منه ولا حَمَنِي  
سَيْبُ كَسَا اظْطَمَأ قد لآخ عاريها  
فليجزم الله خيرًا من أخي ثقة  
وَلْيَهْدِمِ بهْدَى الخيرات هاديا<sup>(٢)</sup>

وببدأ العصر الإسلامي بمدح أكرم الناس وصفوتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولعل العرض مدح سيد الخلق على عمومه يخرج بنا عما التزمناه من ارتباط الموضوعات بمكة، ولذلك لنا من مدحه عليه الصلاة والسلام ما تذكر فيه مكة، من ذلك قول كعب في قصيدته المشهورة (البردة):

(١) أخبار مكة ١/ ١١٢ وإتحاف النوى ١/ ٢٧

(٢) نيران الحليفة ٢٨١

في فتية من قريش قال قائلهم  
 ببطن مكة لما استلموا زولوا  
 زالوا فما زال أنكاس ولا كشف  
 عند اللقاء ولا ميل مغازيل<sup>(١)</sup>

ويقول أبو الأسود الدؤلي في مدح علي بن أبي طالب، وأنه ثالث العابدين بها، يوم لم  
 يكن بها عابد له:

أما أنه ثالث العابدين  
 من بمكة والله لا يُعبد<sup>(٢)</sup>  
 ويمدح عبيد الله بن قيس الرقيات عبد الله بن الزبير بأنه ابن مكة، فيقول:  
 أنت ابن مفضل الجبط  
 ج كنيتهما فعداهما  
 فالببيت ذي الأركان فالله  
 مؤسست من بطحاهما<sup>(٣)</sup>  
 ويمدح الأحوص الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزيز بإثره في مكة، فيقول:  
 وله إذا سربت قريش منهم  
 نجد الأروسة والعمال الفضل  
 وله بمكة إذ أمية أهلها  
 إرث إذا غدت القديم مؤنل<sup>(٤)</sup>

وسقاية الحاج هي ما يتمدح بها المرء، فمروان بن أبي حفصة يمدح الفضل بن يحيى  
 الذي ولي خراسان سنة ١٧٨هـ فأحسن السيرة، واتخذ جنداً من العجم سمّاه العباسية،  
 وجعل ولايم لهم، وإن عُدّتهم بلغت خمسمائة ألف رجل، فيمدحه بحسن ولاته لبني ساقى  
 الحجيج الذين ورثوا ذلك وراثته، فيقول:

(١) شرح ديوان كعب بن زهير ١٩ - ٢٣  
 (٢) ديوانه ١٥٢  
 (٣) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ١١٧ ص  
 (٤) شعر الأحوص الاتصاري ١٦٩

ما الفضل إلا شهَابٌ لا أَقُولُ له  
 عند الحروبِ إذا ما تَأَفَّلُ الشُّهُبُ  
 حَامٍ على مَلَكٍ قَوْمٍ عَزَّ سَهْمُهُمْ  
 من الوراثة في ايديهم سَبَبُ  
 امسَتْ يَدُ لبني ساقِي الحَجِيجِ بها  
 كَتَائِبُ ما لَهَا في غَيْرِهِمْ اربُ  
 كَتَائِبُ لبني العباسِ قد عُرِفَتْ  
 ما ألف الفضلُ منها العُجْمُ والعَرَبُ<sup>(١)</sup>

وفي هذا المعنى يمدح معن بن أوس المزني حمزة بن عبدالله بن الزبير الذي له بطحاء مكة والسقاية، فيقول:

فَإِنَّكَ فَرَعٌ من قَرِيشٍ وَإِنَّمَا  
 تَمُدُّ النَّدَى منها الفُرُوعُ الشَّوَارِعُ  
 عَثُوا قَادَةَ للنَّاسِ بِطَحَاءِ مَكَّةِ  
 لَهُمُ وَسِقَايَاتُ الحَجِيجِ الدَّوَاهِجُ<sup>(٢)</sup>

ويمدح أبو دهل الجمحي عبدالله الأزرق أحد ولاية عبدالله بن الزبير، لأنه أزه من سكن البطحاء، يقول:

لا يَبْعُدُ اللُّهُ عِبْدَ اللَّهِ لَيْسَ لَهُ  
 عِنْدِي مَزَالَةٌ مَا هَبَّتِ الرِّيحُ  
 أَزْهَرُ من سَاكِنِ البَطْحَاءِ الحَقَّةِ  
 بِالمَجْدِ والسُّؤْدِ البَيْضِ المَسَامِيحِ<sup>(٣)</sup>

ومن مشهور المدح، ما ورد من مدح الفرزدق في علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، حيث الممدوح هو المعروف من جميع الأماكن في مكة، ويجعل

(١) شعر مروان بن أبي حفصة ١٨

(٢) جمهرة نسب قريش ٤٧ وشعر للدمعة الإسلامية في العصر الأموي ١٦١

(٣) ديوان أبي دهل الجمحي ٤٥

الشاعر العلاقة التي تربط المدوح بهذه الأماكن علاقة ود ومحبة متبادلة حيث يمد الحطيم  
يده ليمسك يد المدوح، يقول:

هذا الذي تُعرِفُ البطحاءَ وطائفة  
والبيتُ يعرفُ والحِلُّ والحَزَنُ  
هذا ابنُ خيرٍ عبادِ اللهِ كلهمُ  
هذا التقى النقي الطاهرُ العلمُ  
إذا رآته قريشٌ قال قائلُها  
إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ  
يُلَمَى إلى ثُرُوفِ العزِّ التي قُصُرَتْ  
عن نيلها غرباءُ الإسلامِ والعجمُ  
يكادُ يُنسى عِرْفانُ راحتهِ  
ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلِمُ<sup>(١)</sup>

ويمدح دمعِل الخزاعي آل البيت لكونهم أهل مكة، فيقول:  
يا آلَ بيتِ المصطفى  
يا أهلَ مكة والحُفَا  
يا خيرَ مَنْ قد حَجَّ إلى  
بيتِ الحرامِ وعرفنا<sup>(٢)</sup>

ويمدح الشافعي آل البيت قائلاً:  
يا راكباً قفَّ بالمُحَصَّنِ من مئى  
واهتفَّ بقاعدِ خيفِها والناهضِ  
سَحَرًا إذا فاضَ الحبيجُ إلى مئى  
فَيُخَضُّ كَمَلَتَ عِلْمِ الفراتِ الفاضِ

(١) بيان الغزديق ٧/ ١٧٨

(٢) شعر دمعِل الخزاعي ٣٤٣

إِنْ كَانَ رَفِضًا حَبْ أَلِ مُحَمَّدٍ

فَلْيُشْهِدِ الثَّقَلَانِ أَنِّي رَافِضِي<sup>(١)</sup>

ويهتز البيت طربًا وشوقًا لتقديم الممدوح، كما أحسَّ بالوحشة لبعده عنه، والمدح بضيافة مكة، وتطهيرها من المارقين، كما في قول شهاب الدين المرشدي في مدح الشريف مسعود بن الشريف إدريس:

وَصَنَتْ مَكَّةُ إِذْ طَهَّرَتْ حَوَازِهَا

مِنْ ثَلَاثَةِ أَهْلِ تَحْلِيثٍ وَالْحَسَا<sup>(٢)</sup>

وبدر الدين العليّ يمدح حسن بن عجلان أمير مكة بالطريقة ذاتها، فعربته إلى إمارة مكة بعد عزله عنها تمثل عودة للفتح المبين، وتجديد لفتح النبي عليه السلام، وقد تطهرت مكة من الرجس، كما في هذا المدح:

حَسْبِي مَجَاوِرَةُ الْمَشَاعِرِ وَالصَّفَا

وَالْمُرُوثَيْنِ وَتِلْكَ خَيْرُ شَعَائِرِي

وَجَنَابُ مَلِكِ الْإِبْطَحِينَ بِمَكَّةِ

بِدْرِ الْهُدَى الْقَمَرِ الْمُنِيرِ الزَّاهِرِ

سُلْطَانِ مَكَّةَ وَالْمَشَاعِرِ كُلِّهَا

وَأَمَامَهَا النَّاهِي الْمَطَاعِ الْأَمِيرِ

وَمُجَدِّدِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ بِهَا وَمَنْ

أَحْيَا بِهَا فَتْحَ النَّبِيِّ الْحَاشِرِ

وَعَدْتُ شِعَابَ الْإِبْطَحِينَ كَانَمَا

سَسَالَتْ بِسَيْلِ اسْتَنْةٍ وَيَوَاتِرِ

وَبَخَلَتْ فِي يَوْمِ الْخَالَا مَكَّةُ

يَوْمًا عَلَى الْأَعْدَاءِ مِنْكَ قِمَاطِرِي

(١) معجم الأبيات ١/ ٢٤٠-٨ ديوان الشافعي ١١٧

(٢) السلافة ٩٢

وَتَطْهَرَتْ بِكَ مَكَّةُ مِنْ رِجْسِهَا  
تَطْهِيْرٌ مُتَّفَقٌ بِمَا طَاهِرٌ  
وَاخْتَارَكَ اللَّهُ الْعَظِيمُ لِبَيْتِهِ  
وَلِسَاكِنِ الْبَيْتِ الْغَتِيْقِ وَحَاضِرِ

وَيَمْدَحُ عَبْدِ الْقَادِرِ الْمَطْبَرِي الشَّرِيْفَ حَسَنَ بْنَ أَبِي نَمِي بْنِ بَرَكَاتٍ بَآئَهُ قَدْ وَرِثَ حَكْمَ  
مَكَّةَ أَبَا عَنْ أَبِي:

خَلِيْفَةُ اللَّهِ فِي أَمِّ الْقُرَى شَرْفًا  
مَا زَالِ وَارَثَةُ فِيهَا أَبَا فَا بِنَا  
إِمَامًا قَبْلَتِنَا الْغُرَاءَ أَفْضَلَ مِنْ  
حَضَمَى حِمَاهَا لَوْجِهِ اللَّهُ مُخْتَسِبَانَا (١)

وَهُمْ يَمْدَحُونَ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ تِلْكَ الْمَشَاعِرِ كَمَا يَقُولُ مَوْفِقُ الدِّينِ عَلِي بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَنْدِيْدِي  
فِي مَدْحِ الشَّرِيْفِ حَمِيْضَةَ بْنِ أَبِي نَمِي:

وَمِنْ بَنِي نَجْمٍ نَمِيْ أَنْجَمٌ  
طَبَّطَفَتْ الْأَرْضَ سَنَاءً وَسَنَاءً  
أَهْلُ الْمَسَاعِي وَالْحَصَفَا وَزَمَزَمِ  
وَالْمَشْتَرِكَيْنِ وَالْمُصَنَّى وَمِنِيْ (٢)

وَالْمَدْحُ بِوَرَاةِ الْوُقُوفِ بِالْحَجِيْجِ وَإِمَارَتِهِمْ، وَالْقِيَامُ عَلَى الرِّفَادَةِ وَالسَّقَايَةِ، وَالرِّفَادَةُ هِيَ  
مَا يَمْدَحُ بِهِ إِدْرِيسُ الْحَسَنِي، تَامَا كَمَا قَالَ الرُّضْنِي سَابِقًا:

لَهُ وَقَفَاتٌ بِالْحَجِيْجِ شُهُوْنَهَا  
إِلَى غَنِيْبِ الدُّنْيَا مَبْنَى وَالْمَخِيْفَةِ (٣)

وَأَبُو نَوَاسٍ يَمْدَحُ الْعَبَّاسَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ بِكَوْنِهِ يَقُوْمُ لِلنَّاسِ حَجَّهُمْ، وَيَقُوْمُ  
بِإِطْعَامِهِمْ حَتَّى لَا يَجِدَ الْآكِلُ مِنَ يَأْكُلُهُ، لَصَنُوْرُ النَّاسِ وَشَبْعُهُمْ مِنْ مَوَائِدِهِ، يَقُولُ:

(١) السِّلَاقَةُ ٤٧

(٢) مَدِيْحُ الْحَمَامِ ٣ / ٩٠٤

(٣) دِيْوَانُ الرُّضْنِي ٢ / ٢٠



لَقَدْ قَوْمٌ الْعَبَّاسُ النَّاسِ حَجُّهُمْ  
 وَسَانَ بِرَهْبَانِيَّةٍ وَقَارِ  
 وَعَرَفَهُمْ أَعْلَامُهُمْ وَأَرَاهُمْ  
 مَنَارَ الْهُدَى مَوْصُولَةً بِمَنَارِ  
 وَأَطْعَمَ حَتَّى مَا بِمَكَّةَ أَكَلُ  
 وَأَعْطَى عَطَايَا لَمْ تَكُنْ بِخُصْمَارِ  
 وَحُمْلَانُ ابْنَاءِ السَّبِيلِ تَرَاهُمْ  
 قِطَارًا إِذَا رَاحُوا أَسَامَ قِطَارِ<sup>(١)</sup>

والعمل من أجل مكة هو ما يَتَمَدَّحُ به، فالشريف بركات يمدح قانصوه الغوري، فيدعو له بالعودة سالماً لأن ذلك منة على مكة، فيقول:

وَأَمْنٌ عَلَى مَكَّةَ الْغُرَا وَسَاكِنَيْهَا  
 بِعُودِهِ سَالِمًا فِي أَشْرَفِ الرُّتَبِ<sup>(٢)</sup>

وتثنى أم الفوئد بن أخزم على ابنها الذي خدم الكعبة طويلاً، ثم تولى الإجازة بالناس لمكانه من الكعبة، فقالت:

إِنِّي جَعَلْتُ رَبًّا مِنْ بَنِي كَعْبَةٍ  
 رَيْبُطَةً بِمَكَّةَ الْخَلِيلِ كَعْبَةٍ  
 فَجَبَّارِكُنْ لِي بِهَا مِنَ الْيَمِينِ  
 وَاجْعَلْهُ لِي مِنْ صَالِحِ الْبَرِيَّةِ<sup>(٣)</sup>

وَمُدَّحِ أَهْلَ مَكَّةَ بِالْثَنَاءِ عَلَيْهِمْ لِمَكَانَةِ بِلَدِهِمْ، فَهَمْ غُرَسُ الدِّينِ، وَصَفْوَةُ الْمَوْلَى، وَقَدْ ارْتَفَعَتْ صِفَاتُهُمْ، وَسَمِعُوا قَدْرًا، كَمَا نَجِدُ فِي رَدِّ الْإِمَامِ زَيْنِ الْعَابِدِينَ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ الطَّيْبِيِّ الْمَكِّيِّ عَلَى بَيْتَيْنِ مِنَ الشُّعْرِ قَالَهُمَا الشَّيْخُ غُرَسُ الدِّينِ الْخَلِيلِيُّ فِي أَهْلِ مَكَّةَ عِنْدَمَا نَزَلَهَا فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ أَحَدٌ، فَقَالَ:

(١) ديوان أبي نواس ٤٣٥-٤٣٦

(٢) بلوغ المرام ١٥٨/٣

(٣) أخبار مكة للأندلسي ١٨٧/١

جِيرَانُ مَكَّةَ جِيرَانُ الْإِلَهِ إِذَا  
 لَا يَغْبِطُونَ بَعْنَ قَدْ غَابَ أَوْ حَضَرَ  
 لَوْلَا الطَّبِيعَةُ عَاقَبَتْهُمْ لَكَانَ لَهُ  
 إِسْرَاءُ رُوحٍ بِسَرِّ السِّرِّ قَدْ ظَفَرَ<sup>(١)</sup>

فَرَدَّ عَلَيْهِ قَائِلًا:

وَاهِلُ مَكَّةَ غَرَسُ الدِّينِ لَأَجْتَنِّ مِنْ  
 أَغْصَانِهِ ثَمَرِ التَّقْوَى وَكُنْ ثَمَرًا  
 فَإِنَّهُمْ صَفْوَةُ الْمَوَالِي وَخَيْرُ الثَّغَرِ  
 مِنْ خَلْقِهِ وَلَهُمْ فِي الْفَضْلِ مَا اشْتَهَرَا  
 سَمَوْا فَخَارًا وَطَابُوا مُحْتَدًا وَزَكُوا  
 أَصْلًا وَعِلْمًا وَطَالُوا مُرْتَقَى وَثَرَا  
 وَكُلُّ فَضْلٍ فَغَلَّطَهُمْ قَدْ رَوَى وَرَوَى  
 وَكُلُّ سِرٍّ فَمَنْعَهُمْ فِي الْوَجُودِ سَرَى  
 وَكَسِيفٌ لَا وَهْمٌ أَهْلُ الْإِلَهِ وَفِي  
 جِوَارِهِ وَقَدْ امْتَأَزُوا بِمَا نَكَرَا  
 لَا يَشْهَدُونَ سِوَى مَوْلَاهُمْ فَلَذَا  
 لَا يَغْبِطُونَ بَعْنَ قَدْ غَابَ أَوْ حَضَرَ  
 وَحَيْثُ كَانُوا كَمَا قَدْ قَلَّتْ حُقُ لَّهُمْ  
 إِسْرَاءُ رُوحٍ بِسَرِّ السِّرِّ قَدْ ظَفَرَ  
 وَإِنْ يَكُونُوا مَعَ الْأَمَلَاكِ فِي قَرْنٍ  
 لَوْلَا الطَّبِيعَةُ اعْنَى كَوْنَهُمْ بَشَرَا  
 فَخَذُ حَبِيبًا قَدِيمًا مَسْنَدًا لَهُمْ  
 عَنْهُمْ صَحِيحًا صَرِيحًا وَاقْتَفَرِ الْإِثْرَا  
 وَالْقَطْعُ قَرَالِذُ تُنْ مِنْ فَوَائِدِهِمْ  
 فَإِنَّهُمْ بِحَسَرٍ عَلِيمٍ يَلْفِظُ الثُّرَا

(١) سلافة العصر ٥٠

أما تراءُ بجيـدِ الدهر مُتَنظِماً  
وفي ثُرا المجدِ والعلـيـامِ مُتَنَثِراً  
ولو نشاءُ نَظْمَنا من جـواهرِ  
قصائدٍ في معاني فضلهم غُزْراً  
تفوقُ نَظْمَ اللّـكـي من بلاغِـها  
لكن يقول لسان الحال والشُعْرا<sup>(١)</sup>

ويمدح الشعراء بالحج، كما مدح أشجع السلمي هارون الرشيد الذي جمع بين الحج والغزو، يقول:

ألفَ الحَجَّ والجِـهـادَ فـما يـدُ  
لَكَ من سَفَرَتَيْنِ في كلِّ عامٍ  
سَفَرُ الجِـهـادِ نحو عُدُوِّ  
والمطايا لسفرة الإحرامِ  
طلبُ اللّـةِ فهو يسعى إليها  
بالمطايا وبالجـيـادِ السُّوامِ  
فَيَـدَانِ يَدُ بـمكةَ تـدعو  
هُ وأخرى في دعوهِ الإسلامِ<sup>(٢)</sup>

ويكرّر أشجع السلمي مدحه لهارون الرشيد بالمزاوجة بين الحج والغزو، وتكرار الحج في كل عام، وهو من كثرة حجه استأنس به الحرمان، يقول:

استأنسَ الحَرَمَـنَ مَن  
لَكَ بِزورٍ في كلِّ عامٍ  
والحَجُّـزُ والحَجُّـزُ الأصـفُ  
مُـعطولٌ مَنٌ واسـتـلام

(١) سلافة المعصر - ٥٠

(٢) شعر أشجع السلمي ١١١

فَضُئِنْتَ تُسْنَكُ وَأُحْصِرُفُ

حَـ بِخَيْرٍ ظَعْنٍ أَوْ مَقَامٍ<sup>(١)</sup>

ويمدح ابن مناذر الجرامكة على الطريقة ذاتها التي مدح بها أشجع الخليفة الرشيد،  
فهم كذلك يقرنون الجهاد بالحج، يقول:

أَقَانَا بَنُو الْأَسْلَافِ مِنْ آلِ بَرْمَكٍ

فَبِأَيِّ طَيْبٍ أَخْبَارٍ وَبِأَيِّ حُسْنٍ مَنْظَرٍ

لَهُمْ رَحْلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ إِلَى الْعَرْدَا

وَأُخْرَى إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ الْمُسْتَرْ<sup>(٢)</sup>

وهذه المزاججة بين الفعلين نجدها تتكرر عند أبي المعالي الكلابي الذي قال في  
الرشيد بعدما اتخذ قلنسوة كتب عليها (غاز حاج):

فَمَنْ يَطْلُبُ لِقَاءَكَ أَوْ يُرِيدُ

فَبِالْحَرَمَيْنِ أَوْ أَقْصَى الثُّغُورِ<sup>(٣)</sup>

ولعل من جميل المشابهة ما بين الحج ومناسكه والقتال وأثاره، والربط بينهما على  
طريق المقابلة والتشبيه هو ما مدح به أبو تمام أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري، الذي  
كان يتولى حرب الروم، وحفظ الثغور، فالتطية هنا في الحج، مثلها هناك في المعركة، ونداء  
الواجب، والإحرام وسفك دم الجُنْدِ شبيهه بسفك دم الأعداء والمُحْدِنِ، ورمي الجمرات  
كإشعال نار الحرب، والسعي والإرقال بين الصفا والمروة شبيهه بسرعه نحو عذره، كل ذلك  
يتتابع في مشهدين جميلين ينقلنا فيهما أبو تمام ما بين مشاعر الحج في مكة، وارض  
المعركة في بلاد الروم، حتى أنه في النهاية يقرن الحج والجهاد، ويجعلهما في إطار واحد  
يجمعهما كما في قوله:

سَتُنِي عَنِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا أَجْبُكَ وَعَنِ

أَبِي سَعِيدٍ وَفَعْدِيهِ فَلَا تُسَلِّ

(١) المصدر نفسه ١٠٤

(٢) طبقات ابن المعتز ١٢٥

(٣) ديوان ابن حنبل ٢ / ٦٥٢

حُطَّتْ إِلَى عُمْدَةِ الْإِسْلَامِ أَرْحُفُهُ  
 وَالشَّمْسُ قَدْ نَفَضَتْ وَرْسًا عَلَى الْأَصْلِ  
 مَتَّبِعِيًّا طَائِلًا لَبَّى مُنَادِيَةً  
 إِلَى الْوَعَى غَيْرَ رَغِيدٍ وَلَا وَكِلٍ  
 وَمُخْزِرًا احْرَمْتَ أَرْضَ الْعِرَاقِ لَهُ  
 مِنَ الْمُدَى وَاكْتَسَتْ ثَوْبًا مِنَ النُّخْلِ  
 وَسَافِكًا لِدِمَاءِ الْبُذْنِ قَدْ سَفِكَتْ  
 بِهِ دِمَاءُ ذَوِي الْإِحْسَارِ وَالْخُلِ  
 وَرَامِيًّا جَمَرَاتِ الْحَجِّ فِي سَنَةٍ  
 رَمَى بِهَا جَمَرَاتِ الْيَوْمِ ذِي الشُّغْلِ  
 يَرْدِي وَيُرْقِلُ نَحْوَ الْمُرُوتَيْنِ كَمَا  
 يَرْدِي وَيُرْقِلُ نَحْوَ الْفَارِسِ الْبَطْلِ  
 لَمَّا تَرَكْتَ بِيَوْتَ الْكَفْرِ خَاوِيَةً  
 بِالْفَزْوِ اثْرَتْ بَيْتَ اللَّهِ بِالْقُفْلِ  
 وَالْحَجِّ وَالْفَزْوِ مَقْرُونَانِ فِي قَرْنٍ  
 فَانْهَبَ فَاثَتْ زَعَاثُ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ (١)

ويشبه أيامه في معاركه ضد الروم بإيام النهر والتشريق، يقول:  
 إِنَّ أَيَّامَكَ الْجِسَّانُ مِنَ الرُّوْ  
 مِ لَحُمَرُ الصُّبُوحِ حَمَرُ الْغُبُوقِ  
 مُطْلَمَاتُ كَانَهَا بِالدَّمِ الْمُهْ  
 حَرَاقِ أَيَّامُ الْحُحْرِ وَالْثُّشْرِيقِ (٢)

ويستمر مريرها مع أبي تمام، فيمدح خالد بن يزيد الشيباني الذي ولّاه المعتصم  
 الحرمين ثم عزله، بالطريقة السالفة ذاتها، فيقول:

(١) ديوان أبي تمام ٣ / ٨٨ - ٩٣

(٢) المصدر نفسه ٣ / ٢٤٣

أَقْرَى السَّلَامِ مُعَرِّفًا وَمُحَمَّدًا  
 مِنْ خَالِدِ الْمَعْرُوفِ وَالْهَيْجَاءِ  
 سَيِّلٌ طَمَعًا لَوْلَمْ يَنْدُدْ ذَالِدُ  
 لَتَبَطَّحَتْ أَوْلَادُ بِالْبَطْحَاءِ  
 وَغَدَتْ بَطُونُ مَنَى مَنَى مِنْ سَيِّبِهِ  
 وَغَدَتْ حَرَى مَنَى ظُهُورُ حِرَاءِ  
 وَتَعَرَّفَتْ عَرَفَاتُ زَاخِرُهُ وَلَمْ  
 يُخْصَصَنَّ كَدَاءُ مِنْهُ بِالْكَدَاءِ  
 لَا يُحَرِّمُ الْحَرَمَانُ خَيْرًا إِلَهُم  
 رَامُوا بِهِ نَوَاءً مِنَ الْأَنْوَاءِ<sup>(١)</sup>

ويقول في مدح الأفشين:

فَتَرَكْتَ أَرْضِيَّ وَهِيَ يُرْقَى بِاسْمِهَا  
 هُنَّ الصَّفَا فَتُغْفِرُ مِنْهُ عُيُونُ  
 لَوْ تَسْتَطِيعُ الْحَجَّ يَوْمًا بِلَدَّةٍ  
 حَجَّتْ إِلَيْهَا كَعْبَةٌ وَحَجُّونُ<sup>(٢)</sup>

وعلى الطريقة ذاتها يمدح ابن حنيس سابق بن محمود إذ يجمع بين الحج والغزو، يقول:

وَلَقَدْ شَفَقْتُ الْحَجَّ بِالْغَزْوِ الَّذِي  
 لَوْلَاكَ أَطْجَجَ زُأْمَةُ إِمَكَاةٍ  
 وَبَدَلَتْ حَمَرَ الْمَالِ فِي تَنْغِيهِمْ  
 أَيَّامَ عَزْرٍ عَلَيْهِمْ وَجَدَاةٍ  
 لَمْ يَجْلُ لَكَ مِنْ إِلَهكَ نَصْرُهُ  
 وَمَوْجِلٌ لَكَ عِنْدَهُ رَضَوَاةٍ

(١) ديران أبي تمام يشرح الخطيب التبريزي ١١٨/١ ومعرّك الموضوع الذي يقف الناس فيه يوم عرفة والمعتمد الموضوع الذي تُرمى فيه الجمار. وخرى: أي خليفة جديدة، أو بحر الدار: أي بقائنها.

(٢) ديران أبي تمام ٣١٨/٣

هي مِنَّةٌ يَبْقَى عَلَيْكَ ثَنَائُهَا  
 فِي النَّاسِ مَا صَحَّ بِتَجَرَّةِ رِعَايَةِ  
 الْبَيْتِ يَشْكُرُهَا إِذَا طَافَتْ بِهِ  
 زَمَنُ الْحَجَّيِجِ وَتَبَلَّتْ أَرْكَائُهُ  
 فَاجَابَ فِيكَ اللَّهُ دَعْوَةَ قَارِي  
 يَتْلُو هُنَاكَ قِرَاءَةً قَرَأَتْهُ<sup>(١)</sup>

ويقال وفد الحجيج أيضاً قسماً من المدح، فهذا صنعة بن الحجاج، يمدح وفداً قدموا  
 للحج، فيقول:

أَكْرَمَ بِهِمْ وَفَدًا يَطِيبُ بَنَشْرَهُمْ  
 ظَهَرَانُ مَكَّةَ كُلِّهَا وَالْأَبْطَحُ  
 مَا مَثَلُهُمْ أَحَلَى نَدَى وَشَمَائِلًا  
 غُرًّا وَأَعْطَى لِلْجَمِيلِ وَأَسْمَحُ  
 وَبِهِمْ أَبَاهِي كُلُّ مَنْ وَافَى مَنًى  
 فِي عَمَلِنَا وَلَهُمْ أَوْدٌ وَأَنْصَحُ<sup>(٢)</sup>

وإذا كان المادح يمدح الممدوح لتشرفه بانتسابه لمكة، أو لكونه من آل البيت، أو لحكمه  
 لها ورعايته وصيانيته لمرافقتها، فإن بعضهم يرى أن مكة أضافت بوفود الممدوح إليها، كما  
 يقول ابن مناذر في مدح يحيى البرمكي وأولاده:

سَتُظَلِّمُ بِغَدَاذٍ وَيَجْلُو لَنَا النَّجَى  
 بِمَكَّةَ مَا عِشْنَا ثَلَاثَةَ أَبْحَرٍ  
 إِذَا وَزَّكُوا بِطُحَاءِ مَكَّةَ أَشْرَقَتْ  
 بِيَحْيَى وَيَا فَضْلَ بْنَ يَحْيَى بْنِ جَعْفَرٍ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان ابن جرير ٦٥٢ / ٢

(٢) تكملة خريدة القصر للمصنف الأصمغاني قسم شعراء العراق ٧٩٠

(٣) معجم الألباء ٦ / ٣٦٤٩

وفي مدح أمير الجيوش يقول ابن حييس في مبالغة بعيدة:

وقد سمع الله الكريم لأمة  
تيممت البيت العتيق المحرماً  
ولولاك لم ينزل عريباً بمكة  
ولا وريت تلك الخلاق زمرماً  
وموسمها في كل عام وإننا  
نرى كل يوم في جنازة موسماً<sup>(١)</sup>

وتانس أم البلاد كما يسميها الشاعر يحيى النشو بأميرها عطيفة بن أبي نمي:

أضحت به أم البلاد أنيسنة  
فالعذل منها بالمسرة موثق<sup>(٢)</sup>

ويجرد الشعراء من أماكن مكة أشخاصاً ييشون لمقدم المدوح، فالمشاعر تسلم عليه، والبيت يهتز ركنه اشتياقاً، وما هو المصلى والحطيم وزمزم يسجع كما يسجع الحمام، وترحب به الأركان، وتسرب به الجبال، كل هذه الاحتفالية تلقاها في مدح الشريف علي بن حسن بن عجلان، من قصيدة قالها فيه قطب الدين أبو الخير محمد بن عبد القوي للكي، ومما قاله يمنحه:

غور الهنا لنا قسبت بواسم  
سرواً وكل الكائنات مسباسم  
ولما تراعت المشاعر مخرباً  
أشارت بتبسيم عليك البصهارم  
ولما رآك البيت أقبلت هرة  
إليك اشتياق إنك بك عالم  
كذلك المصلى والحطيم وزمزم  
وقد سجع من حولهن الحمام  
ورحبت الأركان لنا رايتها  
كان المثلث قد اتاها وكاظم

(١) ديوان ابن حييس ٢ / ٥٦١

(٢) الأشراف في تاريخ الأشراف ١٠٧



وسُئِرَتْ جِبَالُ الْبَطْحَيْنِ كَانَهَا  
 عَلَيْهَا أَبُو النَّفْسِ الزَّكِيَّةِ قَادِمٌ  
 وَكَانَ الصَّفَا يَخْتَالُ لَمَّا صَعِنَتْهُ  
 وَمَاسَتْ سُرُورًا إِذْ رَأَتْهُ الْمَعَالِمُ  
 مَهَابِطٌ وَحَى إِلَهُ وَالْحَرَمُ الَّذِي  
 نَمَاكَ بِبَطْحَاءِ الْوَصِيِّ وَهَاشِمٍ<sup>(١)</sup>

وإذا كانت الكعبة هي كعبة البطحاء والحرم تأتيها الوفود للحج، فالممدوح هو كعبة  
 أخرى، والشاعر ما سار من حرم إلا إلى حرم، كما يقول عماره بن أبي الحسن اليماني من  
 شعراء القرن السادس في مدح خليفة مصر الإمام الفائز بن الظافر، وكان أمير مكة قد  
 أرسل الشاعر في سفارة إليه، يقول في منحه:

الْحَمْدُ لِلْعَيْسِ بَعْدَ الْعَزَمِ وَالْهَمِ  
 حَمْدًا يَقُومُ بِمَا أَوَّلَيْتَ مِنْ نِعَمٍ  
 لَا أَجْضَدُ الْحَقُّ عِنْدِي لِلرُّكَايِ يَدُ  
 تَعَمَّتِ اللَّجْمُ فِيهَا رَتْبَةُ الْخُطَمِ  
 قَرَيْنٌ بَعْدَ مَزَارِ الْعِرِّ مِنْ نَظَرِي  
 حَتَّى رَأَيْتُ إِمَامَ الْعَصْرِ مِنْ أَمِّ  
 وَرُخْنٍ مِنْ كَعْبَةِ الْبَطْحَاءِ وَالْحَرَمِ  
 وَفَدَا إِلَى كَعْبَةِ الْمَعْرُوفِ وَالْكَرَمِ  
 فَهَلْ ذُرَى الْبَيْتِ أَنِّي بَعْدَ فِرْقَتِهِ  
 مَا سِرَتْ مِنْ حَرَمٍ إِلَّا إِلَى حَرَمٍ<sup>(٢)</sup>

ويقدو المدح بأن يكون الممدوح ركنًا من أركان مكة، بل الركن الأيمن من أركان  
 الكعبة، كما في قول الشاعر عفيف الدين علي بن عبدالله بن جعفر في مدح أمير مكة رمية:

(١) الإشراف في تاريخ الأشراف ١٢٨ - ١٢٩

(٢) النكت المصرية في أخبار الوزارة المصرية ٣٢

أُمِّيَمَ الحَرَمِ الشَّرِيفِ وَقَاصِدًا  
 إِلَ النَّبِيِّ ظَفَرَتْ غَايَاتِ الْمُنَى  
 لَا تَحْسَبَنَّ أَبَا ثُمَيٍّ غَالِبًا  
 فَرَمِيثَةُ بَنِ أَبِي ثُمَيٍّ هَا هُنَا  
 ضَرْبُ السَّرَادِقِ حَوْلَ كَعْبَةِ مَكَّةَ  
 وَغَدَا لَهَا رَكْنًا وَكَانَ الْإِيْمَانُ<sup>(١)</sup>

ويعلمك الشريف مبارك بن عطيفة سواكن، فيمدحه الشاعر يحيى بن يوسف  
 المكّي المعروف بالنشوي، ويستحثه على العودة لمكة، فما سواكن هذه بدار إقامة  
 لشريف مثله، يقول:

فَمَا سِوَاكُنْ أَرْضٌ أَوْ كَلِيمٌ بِهَا  
 وَمَا مَقَامُكَ إِلَّا الرِّكْنُ وَالْحَجَرُ  
 فَسَبِّحْ إِلَى مَكَّةَ وَأَنْزِلْ بِسَاحَتِهَا  
 فَانْتِ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ تَنْقَصِرُ  
 أَمِثْلُ مَكَّةَ تَسْلُوها وَتُزَكِّيها  
 عَجِبْتُ مِنْكَ فَعَلَّها كَيْفَ تَنْتَقِرُ<sup>(٢)</sup>  
 ويمدح الممدوح بأنه سلطان مكة، وفي عجلان بن رمية يقول يحيى النشوي:  
 سلطان مكة والمشاعر والصفاء  
 مَنْ لَا يَخَافُ مِنَ الزَّمَانِ نَزِيلُهُ<sup>(٣)</sup>

والممدوح هو فرجة البلد الحرام، كما يقول القاسم بن علي بن هتيمل في مدح  
 السلطان الملك المظفر ملك اليمن في القرن السابع الهجري:  
 يَا فَرَجَةَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَيَا ضِيَاءَ  
 جَوْ الْعِرَاقِ وَفَرَجَةَ الْأَمْصَارِ<sup>(٤)</sup>

(١) الإشراف في تاريخ الأشراف ٢١٧

(٢) الإشراف في تاريخ الأشراف ١٢٨ - ١٢٩

(٣) الإشراف في تاريخ الأشراف ١٠٠

(٤) كتاب المعقد اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية ١ / ١٩٧

## وفي الشعر الحديث:

نجد المدح يرتبط ارتباطاً واضحاً بمن يقدم خدمات لهذه البلدة المقدسة، ولعل أولهم هو الملك عبدالعزيز آل سعود، ذلك الملك الذي استطاع أن يجمع البلاد بالقوة، فهذا أحمد الغزاوي يمدح الملك عبدالعزيز بوصف بطولاته، وإنجازاته الحربية، وهو بذلك قد جاور البيت العتيق، كما في قوله:

ملككم فجاج الأرض بالسيفِ عنوةً  
وجاورتم البيت العتيق المحرماً<sup>(١)</sup>

وبهذا النصر تغمر البهجة قلوب كل الناس، حتى حنام البيت العتيق، يقول الغزاوي أيضاً:

في كل دارٍ مـهـرجانٌ سـاهـرٌ  
لـك فـيـه عـيـن الحـبِّ لـيـس تـنـامُ  
وبكل قلبٍ فرحةٌ غنى بها  
في جانب البيت العتيق حَمَام<sup>(٢)</sup>

ومن صور المدح في الملك عبدالعزيز تهينة مكة لحجاج بيت الله، وتأمين الطرق لهم، ويتساءل فؤاد شاکر تساؤل العارف عن الرجل والزعيم الذي أَمِنَ الحرم:

انهضن إلى البيت وارفع فوقه العظما  
واسأل هنالك عمَّنْ أَمِنَ الحرماً  
اسأل ثجبتك وفؤد البيت عن ثقة  
لا غرو في من عرفناه ولا جرماً  
إن السليكة المُرَجى المُرْتَضَى أبداً  
عبد العزيز المُنْفَذى المُفَرَّد العَلَمَا<sup>(٣)</sup>

وإذا كان فؤاد شاکر يسأل ويجيب، فإن الغزاوي يكرر السؤال ثلث السؤال، ويلج في ذلك، لأنه يرى الانقلاب الواضح، فمن بعد الخوف والاضطراب والقلق، حل الأمن والطمأنينة، وأصبح الحاج يغفو ويسير آمناً لا يخشى على نفسه شيئاً، كما في هذه الأبيات:

(١) ديوان الغزاوي ٢ / ١ / ٦٠٦

(٢) نفسه ٢ / ٢ / ١٠٦٨

(٣) الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ١٤٢

فَمَنْ كَانَ مِنْ قَبْلِ السُّعُودِ وَبِاسِهِ  
يَطِيقُ بُلُوغَ الصَّحْ دُونَ قَرَأَلِ  
وَمَنْ كَانَ يَسْتَطِيعُ الْمَنَاسِكَ أَمَّا  
عَلَى نَفْسِهِ مَا بَيْنَ جَمْعٍ وَجَرُولِ  
وَمَنْ كَانَ فِي الرُّيَا يُصَنِّقُ أَنَّهُ  
يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي أَمَانٍ مَخُولِ  
وَمَنْ كَانَ يَأْتِي لِلْحِجَازِ وَقَلْبُهُ  
يُرْجَى نَجَاةً مِنْ حِمَامٍ مُعْجَلِ  
وَمَنْ كَانَ لَا تُغْرِي الثِّيَابُ بِحَتْفِهِ  
وَلَوْ هِيَ سَاوَتْ نَصْفًا حَبَّةَ خَرْدَلِ  
وَمَنْ هُوَ هَذَا الزَّاعِمُ الْيَوْمَ أَنَّهُ  
يُقَاسِي الَّذِي قَدْ كَانَ زَعَمَ الْمُضْطَلِّ  
وَمَنْ يَبْسُغُنِي الْأَقْسُولُ الَّذِي أَرَى  
فَكُلِّ لِسَانٍ غَيْرِ عَضْبِي مَقُولِ  
وَمَنْ ذَا الَّذِي لَا يَشْكُرُ اللَّهَ نِعْمَةً  
تَحَنَّنَتْ عَنْهَا عَلُّ شَاكِرٍ وَاعْزَلِ  
فَهَلْ أَنَا إِلَّا مُؤْمِنٌ لِحَقِيقَتِهِ  
هِيَ الشَّمْسُ لَا تُخْفَى عَلَى مُتَأَمِّلِ  
وَهَلْ يَجْحَدُ الْفَضْلَ الَّذِي هُوَ ظَاهِرٌ  
سِوَى أَكْفَرٍ عَنْ مَنَهِجِ الْحَقِّ مُعَدِلِ<sup>(١)</sup>

يذكر فؤاد الخطيب ذلك، فيقول:

وَأَنْتَ مَهَنْتَ لِلْحِجَازِ مَوَاطِنَهُمْ  
فِي الْبَحْرِ لَا خَطَرَ يَخْشَوْنَ أَوْ عَطَبًا  
تَصَوُّوهُمْ فَبِهِ إِبْرَاجٌ مَوْطِدَةٌ  
مِنَ الْمَرَاغَى أَعِيَتْ لُجَّةُ الْجُبَا<sup>(٢)</sup>

(١) الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ١٢٧-١٢٨

(٢) الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ١ / ١٧٨

ولتفرح مكة ما شاء الله لها أن تفرح بأبن فيصل الملك عبد العزيز، وبهذا الأمن والاطمئنان الذين أرخاهما عليها، كما يقول ابن بلهد:

فبشراك يا أم القري بأبن فيصل  
وبشراك إذ أب المليك السمين  
وكانت به أم القري مطمئنة  
بأمن وأهلها سـجـوداً ورفح  
كان عليها حنة عبقريّة  
ثناطاً باركان أم صبيح وترفع  
وأصبح بأديها مقيماً بنعمة  
بعميش أنيق والسكوالم زئج  
حماها من الأعداء من كل جانب  
وأمنها والسيف بالسيف يقرع<sup>(١)</sup>

ويتكرر المدح بنشر الأمن والأمان، فهذا رشيد أيوب يقول ماثلاً:

أيها الناشئ اعلّام الأمان  
في ربوع الحـرم  
يا نصير الحق يا ثبت الجنان  
يا كـريم الشـليم<sup>(٢)</sup>

ويؤكد ذلك خليل مطران قائلاً:

نظم الأمين لبـيت الله بوسعة  
براً ويرعاه في تقوى وإيمان  
أقر حاضره أمناً وبأية  
ما أنفع العدل مقروناً بإحسان<sup>(٣)</sup>

(١) الملك عبد العزيز في مرآة الشعر ٩٢ وأم صبيح اسم من أسماء مكة

(٢) الملك عبد العزيز في عيون شعراء الشام ١٣٣

(٣) نفسه ٢٠

وشاعر هو عبدالعزیز بن شعبان یطرق هذا المعنى، وينهي بالشكر لمن جعل الحج میسوراً:

بِعَزْمَتِكَ اِزْدَهَى الْبَيْتُ الْحَرَامُ  
وَسَادَتُهُ السَّكِينَةُ وَالسَّلَامُ  
حَبِوتٌ حَجِيجَةٌ اَمْنَا وَيُسْرًا  
قَطَابٌ لَهُمْ بِمَقْنَأَةِ الْمُقَامِ  
وَاضْحَى الْحَجُّ مَيْسُورًا وَزَالَتْ  
بَلَا مَهْلٍ مَصَاعِبُهُ الْجِسَامِ  
وَكُنْتُ لَنَا الْكَفِيلَ بِذَا فَشْكُرًا  
لِفَضْلِكَ اِيَّهَا الْمَلِكُ الْهُمَامُ<sup>(١)</sup>

وتكاد هذه النعمة تسيطر على كثير من معاني المدح في الملك عبدالعزیز، وأغلب قصائد المدح، تظهر هذا المعنى، لأنها ترى فيه ما يدعم وجهة نظرها، والأمثلة على ذلك كثيرة، وقد عرضنا لنماذج منها، وذلك كاف في التلليل عليها لأنها متشابهة، وطرائق التعبير عنها متقاربة.

وفي ذلك يقول الدكتور حسن بن فهد الهويمل: «والقارئ لهذا الشعر يدرك أنه جاء عفويًا وصادقًا إثارته تلك الشخصية، وما أنجزته في مدة قصيرة من متغيرات غيرت ملامح الجزيرة العربية، ويكفي أن نقرأ تركيز الشعراء على الأمن والاستقرار، وجمع الشمل الذي حققه الملك عبدالعزیز بعد الفوضى، والخوف، والذين يفدون إلى الديار المقدسة لأي غرض ثم لا يجدون مأوى ولا أنى، ويؤنون حجبهم أو عملهم بكل راحة، يتذكرون ما كانت عليه البلاد، وما يلاقيه الحجاج من قتل ونهب وأويرة».

هذه المتغيرات المفاجئة أثارت كوامن مشاعرهم، وفجرت ينابيع شعرهم، فسجلوا إعجابهم وشكرهم لهذا المنقذ الذي أمّن السبل، ويسر الطرق إلى الحج، وطهر البيت للطائفين والمعاكفين والركع السجود»<sup>(٢)</sup>.

(١) الملك عبدالعزیز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ٢٢٠

(٢) الملك عبدالعزیز في عيون شعراء صحيفة أم القرى ١٤

ويظهر خير الدين الزركلي إعجابه بإلغاء الرسوم عن الحجاج، ويرأها منحة من الملك  
عبد العزيز في التخفيف على حجاج بيت الله، يقول:  
منحت ضيوفَ الله في حجِّ بيته  
فَخَفُّ إلى أبوابِ مكة مُجِبَهُدُ  
رجعت بهم عبرَ القرونِ فاصبحوا  
يُغْلَوْنَ ما علَّ النبيُّ محمَّدُ  
إذا جاءها جارٌ فاهلاً ومرحباً  
وفي ظلكَ الممدودِ نُزِّلَ مُقَهَّدُ<sup>(١)</sup>

وهذا المعنى نجده عند محمد أحمد العقيلي الذي يقدم إلغاء الرسوم عن الحجاج  
كبشرى لهم، يقول:

واباح الحجَّ لا رَسْمًا لهُ  
رَهَقًا يَفُشِّي وفودَ المسلمين  
أكبرَ العالمِ في تصريحه  
خطَّةً قَحَرَتْ عنها المُصلِحونَ  
وسرى البرقُ به مُؤَلِّقًا  
يحملُ البُشرى إلى أكرمِ دين<sup>(٢)</sup>

ومن صور مدح الملك عبدالعزيز استغلال المناسبات الدينية، وبخاصة في أيام الحج،  
يقول الشاعر جعفر عوض في مدحه باداء مناسك الحج:

يا مليكاً به الكوارثُ زالت  
وأزاحتُ بَوادرُ الحَـ\_\_\_\_دكانِ  
فُزْتُ بالحجِّ في غُلا عرفات  
ثم لبُيت خالقِ الأكوانِ  
وازدلفتُ المنى لمزلفات  
واقفاً عندَ مشنعر في ثهاني

(١) الملك عبدالعزيز في عيون شعراء الشام ٢٠

(٢) المجموعة الشعرية الكاملة ٢٢٩

وبها قد لقطت شُهَبَ جِمار  
 للمشيطاين وهي كالنيران  
 وحبائك الجليل كُسنوة بيتر  
 قبلة الناس من قديم الزمان  
 وبلغت المنى بابهج عبيد  
 هو عيد الأضحى وتاجُ الثهاني<sup>(١)</sup>

ومن صور المدح في الملك عبدالعزيز في ما يرتبط بموضوعنا هو ما يراه الشعراء  
 في عهده من تجديد عهد النبوة، كما يقول محمد أحمد السياحي الصنعاني:

يا جيرة البيت العتيق سلام  
 يهديكموه الشرق والإسلام  
 جددتم عهد النبوة مشرقاً  
 فزمت بما جددتم الأيام  
 من يزعة عبد العزيز يصل به  
 في المجر ألقا في الهوى وغرام<sup>(٢)</sup>

وأما آخر يبدو عهد الفاروق عمر، كما يقول الغزاوي:

أهي أم الفُرى قد عاد عهد  
 به الفاروق يلدنم الصحابا  
 كذلك قد رايت ولست أخشى  
 على ما قلت في الأخرى حسنا<sup>(٣)</sup>

أما صور فرح مكة بالمدوح وسعيها للقائه، تلك الصور التي تكررت عند القدماء  
 نجده أيضاً في الشعر الحديث، فالغزاوي يمدح الملك عبدالعزيز من خلال نعمة التي حلت  
 على مكة، وما هي تفرح وتهش لقدومه، ولو استطاعت الصعود إليه لسمت رباحها، فمكة  
 تشعر بعظيم المنن التي قدمها لها، يقول:

(١) الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة لم القرى ١٠٢

(٢) نفس ١٧٤ - ١٧٥

(٣) أحمد الغزاوي وآثاره الأدبية ٢/١٨٧



نَعِمْتَ بِأَوْبِكَ مَكَّةَ وَبِطَاحِهَا  
 وَاخْضَرُ وادِيهَا وَشَحْ شَحَاحِهَا  
 حَتَّى إِلَيْكَ قُلُوْ اطَاقَتْ مُسَرَّتْ قَى  
 لَسَمْتَ إِلَيْكَ بِهَا الْغَدَاةَ رِيَا حِهَا  
 أَوْتِيَتْهَا مِنْهَا تَقْلُدُ جِيْدَهَا  
 بِعَقُوْدِهَا وَبِهَا اسْتَدَارَ وَشَاحِهَا  
 امْلُتْ خَافَقَهَا وَشِئْتَ صِرْوَحَهَا  
 وَبِهَا اسْتَنَارَ عُذُوْهَا وَرَوَاحِهَا<sup>(١)</sup>

وهذه أم القرى تختال بحلج الفخار، ويطل السناء من أجياد لقديم الملك سعود بن عبدالعزيز، كما يقول الغزالي:

لِمَنْ السَّنَاءُ أَطْلُ مِنْ أَجِيَادِ  
 فَهَفْتُ إِلَيْهِ طَوَالِغِ الْأَجِيَادِ  
 شِبْثُ الْمَلِكِ سَعُوْدُنَا الشَّهْمُ الَّذِي  
 شَرَفْتُ بِهِ قَدْرًا حُمَاةَ الضَّمَامِ  
 امْسَتْ بِهِ أُمُّ الْقُرَى تَخْتَالُ فِي  
 حُلُلِ الْفَخَّارِ بِطَارِفِ رَوَاحِلِ<sup>(٢)</sup>

وتكرر هذه النغمة في مدح الملك فيصل بن عبدالعزيز، فهذا النور والجلال يملأ أرجاء مكة حيث يؤم الملك فيصل أقطاب الملوك في الحج، وهذه مكة تزدان به، ويزهو به البيت، ويفخر به المقام، حتى الحجر يبدو سعيداً، كما في قول محمد بن أحمد العقيلي:

جَلَالٌ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَسُوْدُ  
 يَرْفُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بُنُوْدُ  
 وَيَقْمُرُ أَرْجَاءُ الْمَشَاعِرِ مِنْ مَنَى  
 وَمَكَّةَ أَنْوَارُ الْهَسْدَى وَيَجُوْدُ

(١) أحمد الغزالي وآثاره الأدبية ١/٢ / ٦٦٦

(٢) المصدر نفسه ٢ / ١ / ٦١٠

يُضِيءُ كَنُورِ الْبَدْرِ مُنْطَلِقُ السَّنَا  
 وَفِي أَفْقِهِ زَهْرُ النُّجُومِ وَفُودُ  
 مُلُوكِ وَأَقْطَابِ إِلَى الْبَيْتِ وَانْبَرُوا  
 لَتَجْدِيدِ حَبْلِ الْوَدِّ وَهُوَ أَكِيدُ  
 تَوْثِيهِمْ فِي مَوْقِفٍ بَعْدَ مَوْقِفٍ  
 وَأَنْتَ إِمَامُ الْوَرَى وَعَمِيدُ  
 وَأَنْتَ رَاعِي الْبَيْتِ وَالْبَيْتِ قِبْلَةُ  
 وَلِلَّهِ يَعْنُو رُكْعٌ وَسُجُودُ  
 زَهَا الْبَيْتِ وَأَزْدَانُ الْمَقَامِ يَحْسُنُوقِرُ  
 مِنْ الْوُشْيِ قَدْ هَفَّتْ عَلَيْهِ بُرُودُ  
 تَبْدِئُ يَمِينُ الرُّكْنِ فَخْرًا وَاشْرِقْ أَلْه  
 مَقَامُ وَمَا الْحُجْرُ وَهُوَ سَعِيدُ  
 هَذَا عَاهِلُ الْإِسْلَامِ غَيْرِ مَدَافِعِ  
 تَرْفُ لُةً فِي الْمَازِمِينَ وَفُودُ<sup>(١)</sup>

والمالك فهد بن عبد العزيز يُمدح لانه خادم الحرمين الشريفين، فنسبته إليهما نسبة  
 تشريف، كما يقول حمزة بن أحمد الشريف:

وَلِخْدَمَةِ الْحَرَمِينَ أَخْلَصَ إِسْمُهُ  
 فَعَدَا بِتَارِيخِ الْعَصُورِ مُسْتَظَرًّا  
 فِي مَكَّةَ التَّنْزِيلِ فِي بَيْتِ الْهَدَى  
 أَعْمَالُهُ الْجَلِيَّ يُشِيدُ بِهَا الْوَرَى<sup>(٢)</sup>

ويؤكد هذا المعنى إبراهيم المالكي، فيقول:  
 خَدَمْتُمُ الْحَرَمِينَ الطَّاهِرِينَ وَقَدْ  
 هَيَّأْتُمُو عَرَفَاتِ اللَّهِ ثُمَّ مَنَى

(١) المجمعة الشعرية الكاملة ٥٥٣ - ٥٥٦

(٢) خادم الحرمين الشريفين في الشعر السعدي المعاصر ٨٤

كلُّ المشاعِرِ قد اَضَحَّتْ مَهِيَّةً

حتى غدا الحُجَّ سهلاً ليس فيه عَنَاءٌ<sup>(١)</sup>

ويرتبط اسمه بخادم الحرمين في الشعر الحديث، فيقول يوسف بن عبد الظاهر:

يا خَادمَ الحَرَمينِ جَولَكَ غامِرٌ

وسخاءُ فضلكَ مُشْرِقٌ وضاءٌ<sup>(٢)</sup>

والمعنى نفسه عند الشاعر: إنصاف علي البخاري:

يا خَادمَ الحَرَمينِ كَفَّكَ امطرُ

فاطشوا وشبَّتْ أُمٌّ من الخَيراتِ<sup>(٣)</sup>

ثالثاً، الوصف (وصف الأماكن والبقاع المكيّة)

وصف مكة بصفاتها القدسية والمكانية، ووصفها ببيتها وما تتميز به، أو تفتقر إليه، هو ما نجده في الأشعار التي تعرض لمكة في مختلف العصور، وانظر إلى هذا الوصف لشاعر جاهلي، حيث يبين لنا في وصفه لها عن اتصافها بقلّة الماء، وبخاصة قبل إعادة تأهيل بئر زمزم:

هَمْ نَزَلُوهَا وَالْمِيْسَاءُ قَلِيلَةٌ

وليس بها إِلَّا كَهُولُ بني عمرو<sup>(٤)</sup>

ويقول آخر:

بَنُوها ديارًا جَمَّةٌ وَطَوَوُا بِهَا

بَحَارًا تَسْجُحُ المَاءُ من تَبْجِجِ البَحْرِ<sup>(٥)</sup>

ويرد ذكر الأماكن في الشعر العربي على مختلف عصوره، فهذا المتوكل الليثي يذكر

ذا المجاز في شعره فيقول:

(١) خادم الحرمين الشريفين في الشعر السعودي للماضري ١٦٧

(٢) المرجع نفسه ١

(٣) المرجع نفسه ٢٨

(٤) أخبار مكة للأزدقي ١٠٨/١

(٥) سيرة ابن هشام ١٧٤/١

للشاعرين بذي المجاز رسوم  
في بطن مكة عهدهن قديم<sup>(١)</sup>

• وصف الحج والمناسك والمشاعر

يكاد شعر ما قبل الإسلام ينضوي في: الحديث عن مكة، وتصوير الحج، والحنف والقسم بالبيت الحرام، والحديث عن أحداث مكة، وبعض مظاهر المدح والفخر، والوصف.

وفي قصيدة أبي طالب اللامية نجده يذكر حركة الناس في مشاعر الحج دون أن يقصد قصداً في وصف الحج في الجاهلية، فالقصيدة في معرض تبيان موقف الشاعر من الأحداث التي تجري حوله، كما يبدو في هذا الحديث، فهو يتعوذ بهذه الأماكن، ولكنه من خلال ذلك يوضح تنقلات الحجاج ما بين المشاعر، فمن الطواف، ولثم الحجر، إلى موقف إبراهيم عليه السلام، ثم السعي بين الصفا والمروة، والوقوف عند المشعر الحرام، وعرفة، ثم تجمعهم في المزدلفة ومنى، ثم رمي الجمرات:

واحضرت عند البيت زهطي وإخوتي  
وأستكت من أثوابه بالوصائل  
قياماً معاً مستقبلياً رتاجاً  
لدى حيث يفضي خلفه كل ناهل  
وحيث ينبعث الأنثرون يكابهم  
بمقضى السيول من إسافر ونائل  
موسمة الاضمار أو قصرائها  
مخيسة بين السديس وبازل  
ترى الوثع فيها والزخام وزينة  
باعنائها مغفوة كالعناكل  
اعوذ برب الناس من كل طاعن  
علينا بسوء أو ملبج بباطل

(١) شعر المتكلم الليثي ٧٤

ومن كاشح يسئلى لنا بمعيبة  
 ومن ملحق في الدين ما لم تُحاول  
 وتؤثر ومن أرسى نبيراً مكانة  
 وراق ليترقى في حراء ونازل  
 وبالببيت، حق البيت ، من بطن مكة  
 وبالله إن الله ليس بغافل  
 وبالحجر المستودع إذ مسحوه  
 إذا اكتنفوه بالضحى والأصائل  
 وموطىء إبراهيم في الصخر رطبة  
 على قدميه حافياً غير ناعل  
 وأشواط بين المروتين إلى الصفا  
 وما فيهما من صورة وتماثل  
 ومن حج بيت الله من كل ركب  
 ومن كل ذي نكر ومن كل راجل  
 وبالمشعر الأقصى إذا عملوا له  
 إلا إلى ملقى الشراخ الأنوابل  
 وثوقا فيهم فوق الجبال عشية  
 يُقيمون بالأيدي صدور الرواحل  
 وليلة جمع المنازل من مئى  
 وهل فوقها من حُرمة ومنازل  
 وجمع إذا ما المفريات اجزئة  
 سراعاً كما يُخرجن من ولع وأبل  
 وبالجفرة الكبرى إذا متصوا لها  
 يؤثون أنثاً راسها بالجنابل  
 ويكند إذ هم بالحصباء عشية  
 تُجيز بهم حجاج بغيرين وال<sup>(١)</sup>

(١) نبيان أبي طالب ٦٣ - ٧٠

وإذا كان أبو طالب قد ذكر الأماكن التي يسير فيها الحاج، فإن ضباعة بنت عامر تبين لنا الكيفية التي كان الناس يطوفون بها، ويبدو أنهم كانوا يقومون بذلك عراة، كما تقول:  
اليوم يبدو بعضُهُ أو كئُهُ  
ومما بدا منه فلا أحلة<sup>(١)</sup>

وهذا ميمون بن عامر القشيري يقسم بالذي حجّت قريش بناءه، وهم يركبون الإبل، ويعلون أصواتهم بالتلبية، ويبدون من كثرتهم كنجوم السماء عدداً:  
أما والذي حجّت قريشُ بناءهُ  
على كلِّ مَوالٍ اليبسينِ طليحُ  
ينادون لَبِيّ ذي الجلالِ كأنهم  
نجومٌ بدتْ بين السَّماء تلوح<sup>(٢)</sup>

إنّ وصف مناسك الحج ومشاعره يملك على الشعراء البابهم وخيالهم، ذلك النسك العظيم الذي يبدأ بوفود الحجاج من كل فج إلى مكة، يستأثر في كل العصور حتى ما قبل الإسلام في عديد القصائد باهتمام بالغ، وهذا ابن دريد من شعراء القرن الرابع يذكر لنا ما يقوم الحاج به من مناسك في مقصوده المشهورة، فيتحدث بدءاً عن النية للتوجه لمكة ثم يتحدث عن كل منسك من مناسك الحج قائلاً:

ينوي التي ففعلها ربّ العلى  
لما دعا ثريثها على البنى  
حلى إذا قابلهَا استعبرَ لا  
يملكُ دمع العين من حيث جَرى  
ثمّت طافَ وانثى مُسنّما  
ثمّت جاء المروتين فسقى  
واوجب الحجّ وثلى عُمره  
من بعد ما عجّ ولبى ودعا

(١) المستدرک فی شعر بني عامر ١٢١

(٢) المستدرک فی شعر بني عامر ٢٧٦-٢٧٧، وموالم اليبسين: والطيح من الإبل: الذي جهده المسير.

ثُمُّتَ رَاحَ فِي السُّلْبَيْنِ إِلَى  
 حَيْثُ تَحْجَى الْمَازِمَانِ وَمِنَى  
 ثُمَّ إِلَى التَّعْرِيفِ يَقْرُو مُخْبِرًا  
 مَوَاقِفًا بَيْنَ أَلَالِ الْعُلُقَا  
 ثُمَّ اتَى الْمَشْتَفَى يَدْعُو رِيَّةً  
 تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً حَتَّى هَمَى  
 وَاسْتَأْنَفَ السَّبْعَ وَسَبْعًا بَعْدَهَا  
 وَالسَّعْيَ مَا بَيْنَ الْعُقَابِ وَالْمُؤَى  
 وَرَاحَ لِلتَّوْبِيعِ فِي مَنْ رَاحَ قَدْ  
 أَحْرَزَ أَجْرًا وَقَلَى هُجْرَ الْغَا<sup>(١)</sup>

وهذا عبد الرحيم البرعي يذكر لنا وفد الحجيج، ويصف لنا حركتهم وطوافهم  
 وسعيهم، فيقول:

وَفِي أَمِّ الْقُرَى قَرَرْتُ عِيُونََ  
 عَشِيَّةَ لَاحِ زَمَنُومٍ وَالْخَطِيمُ  
 أَوْلَاكِ الْوَفْدُ وَفَدُّ اللَّهِ لَانُوا  
 إِلَيْهِ بِفَقْرِهِمْ وَهُوَ الْكَرِيمُ  
 وَطَافُوا قَامِينَ بِبَيْتِ رَبٍّ  
 فَتَمَّ لَهُمْ طَوَافُهُمُ الْقُدُومُ  
 وَبَيْنَ الْمُرُوتَيْنِ سَعَوْا سَبْعًا  
 لَكِي يَمْحُو شَقَاؤُهُمُ النُّعْمُ  
 وَقَامُوا فِي تَمَامِ الْحَجِّ فَرَضًا  
 وَنَثَبًا طَالِبِينَ رِضَا يَدُومَ  
 وَأَنَا فِي الْمَشْتَاهِدِ كُلِّ حَقٍّ  
 وَمَا سَمِعُوا مَلَامَةً مِنْ يَلُومَ

(١) دياران ابن دريد ١٢٠ - ١٢١ دها: بسط. البلى: جمع بلية والمقصود مكة. استعجن بكى. التعريف: عرفات. يقرن  
 يتبع للمواضع. الال: موضع بعرفات. العقاب والصوى: موضعان.

وراحُوا بعدُ للتوبيع لَمَّا  
قَضَوْا ثَقُلَا هناك ولم يقيموا<sup>(١)</sup>

وهذا الوصف الذي يورده البرعي هنا إيجازاً، يأتي به في قصيدة أخرى تفصيلاً،  
فيذكر كلَّ أمور الحاج حتى من الاغتسال والإحرام والتلبية، يقول:

حتى انتهيتُ إلى الميقاتِ في زُمرٍ  
من وفد مكة يا طويى لها زُمرُ  
ثم اغتسلنا وأحرقنا وسارَ بنا  
حادي المطيُّ يخوضُ الهولَ والخطراً  
ولم أزلُ رافعاً صوتي بتلبيّتي  
مع الملبّين ممن حجَّ وأعطسوا  
حتى اتأخّط مطايانا بذئ كرمٍ  
لكلِّ وفدٍ لديه زُففةٌ وقبري  
من ريغٍ رافة ربِّ الحجِّ والحجِّرِ الـ  
ميمونِ لَمَّا وصلنا الحجِّرَ والحجراً  
طَفْنَا التُّسُومَ وصَلَّينا لِدُرَّةِ مَا  
رُمْنَا وجِئْنَا بركنِ السُّعْيِ إنْ شُكِرَا  
ثم اطمأنَّ بنا التُّعْزِيفُ بعددِ  
في موقفٍ جمع الساداتِ والخُبرَا  
وفي المُفِضِينَ عدنا حينَ تمَّ لهم  
رميُ الجِصَّارِ وهاجَ التُّفْرُ منْ نُقْرا  
هَجَّسُوا وراحوا يزورون ابنَ أمنةٍ  
وعُذَّتْ في الفِرَاقِ الجافينَ مُتَنظِرا<sup>(٢)</sup>

(١) شرح ديوان البرعي ١٠٥-١٠٦، والتفت في الناسك: ما كان من قص الأظفار والشارب وحلق الرأس ورمي  
الجمار، ونحر البدن، وما شابه ذلك.

(٢) نفس المصدر ١٠٩ وانتظر في وصف مناسك الحج العديد من القصائد في العصر الوسيط والقرون الممتدة من القرن  
الخامس وحتى العاشر في المجموعة النبهانية في اللوائح للتبوية في المواضع التالية: ١ / ٩٤، ١٢٦، ٢ / ١٠٥،  
١١١، ٣٠٤، ٤ / ٣٩



والشعر الحديث هو الآخر وقف عند مناسك الحج، وأوفاهما حقها من الوصف والتيان، يقول الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي: «وفي الشعر الحديث أخذ الحج نصيباً موفوراً من الذكر... وعرف شعر الحج ملاحم الحج وينبغي هنا أن أذكر بالاعتزاز أن الحفلات الحولية التي وضع تقليدها الملك عبدالعزيز رحمه الله كان لها الأثر الكبير في ملاحم الحج، فقد كانت المائدة السنوية التي كان يقيمها لكبار الحجاج، تحفل بالقصائد الجياد، وكذلك الشأن في حفلة الاستقبال الكبرى التي تقام في منى، وقد شارك في ذلك شعراء محليون من المملكة العربية السعودية، وشعراء من خارجها، فاستمعنا إلى شعراء فحول من خارج المملكة، من أمثال: عمر أبو ريشة، وأبو الإقبال اليعقوبي شاعر فلسطين، وحسين بستانه، وهادي خفاجي، وغير هؤلاء كثيرون من شعراء مصر والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين والمغرب العربي.. وللأستاذ عمر أبو ريشة ملحمة إسلامية كبرى.. وقد سجلت حوليات الحج الكثير من الشعر الرائع الذي اشتمل على وصف الحج ومشاعره، وتأثيره في نفوس المسلمين»<sup>(١)</sup>. ولعل الكتابين اللذين ألفا عن الملك عبدالعزيز، وهما: الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى، والملك عبدالعزيز في عيون شعراء الشام يوردان العديد من المقاطع التي تتحدث عن الحج، وتصفه من بداية الرحلة إلى ختامها، وسنأخذ بعض اللقطات المعبرة، لأن أخذها جميعاً، معناه أن كتابنا هذا سيتضاعف مرات ومرات، ولذلك سأقتصر على نماذج محدودة لشعراء من المملكة، وبعض النماذج لشعراء من خارجها، حتى نتبين كيفية الوصف والمعالجة.

ففؤاد شاكر يصف لنا الحجيج وقد مشوا في مواكبهم الخاشعة يدمعون الله عز وجل ويلبّون:

هَتَفَ الْحَجِيجُ وَاشْتَرَقَ الْحَرَمَانِ  
وَهَفَّتْ عَلَى كُنْفِ الْقُلُوبِ إِسْكَانِي  
وَتَطَلَّعَتْ زَمْرُ الْحَجِيجِ تَشْوِوفاً  
لِلْبَيْتِ فِي خَلْرِ مِنَ الْإِيمَانِ  
وَمَشَتْ كَتَائِبُهَا تَرَوْحُ وَتَفْتَدِي  
تَحْتَآلُ فِي أَمْنٍ وَبَيْنَ أَسْوَانِ

(١) الحج في الأدب العربي ١٧

في موكبٍ خَشَعَتْ لَهُ إِنْصَارَها  
غَضَضاً بِكُلِّ جَوَارِحٍ وَجَنانِ  
فاضَتْ بِهِ خَلَلُ الشُّعَابِ مَسَالِكُ  
فِيأَحَادُ الأَبْيَاضِ وَالْوِديانِ<sup>(١)</sup>

والغزاي يصف لنا هذه الجموع، فيقول متسائلاً:  
لِمَنِ الْجَمْعُ وَتَنَشَّرَتْ بِالوادي  
مَتَخَشَّعِينَ عَلَى هَدْيٍ وَرِشَادِ  
وَلِمَنْ تَحَدَّرَتْ الْمَدَامُ خَبِيفَةً  
وَتَضَرُّعًا فِي لَهْفَةٍ وَتَنَادِي  
وَلِمَنْ غَنَّتْ هَذِي الْوَجُوهُ كَرِيمَةً  
وَتَجَرَّرَتْ فِي الْمَوْقِعِ الْمُطْتَارِ  
وَلِمَنْ مَشَتْ كُلُّ الْفِجَاجِ وَأَقْبَلَتْ  
بِالْوَفْرِ يَهْتَفُ بِاسْمِهِ وَيَنَادِي  
لَهُ لِلرَّحْمَنِ جَلَّ جَلَالُهُ  
هَذَا الْخَضُوعُ يَلُجُّ بِالْعَبَّارِ<sup>(٢)</sup>

وفي لقطة أخرى للغزاي، يصف مسيرهم، فيقول:  
سُبُحَانَ مَنْ جَمَعَ الْحَجِجِ  
جَافِلًا قُسُوقًا وَلَا جِدَانِ  
لَبَّى خِلَالُكَ الدَّعَا  
مَنْ كُلِّ فُجٍّ بِأَمْتٍ جَدَّانِ  
وَتَتَابَعُوا زُمَرًا عَلَى  
مَتَنِ الْبَحَارِ أَوِ الْجَبَبَانِ  
شُغِفَتْ النِّوَاصِي خُسْرًا  
لَمْ تُلْهِهِمْ دُنْيَا وَمَالِ

(١) للملك عبدالعزيز في عيدين شعراء صحيفة أم القرى ١١٠

(٢) أحمد الغزاي وأثارة الأبيية ٨٩٧/١/٢

يَتَسَابِقُونَ لِمَوْقِفٍ  
 خَلَّتِ الْقُرُونُ وَمَا اسْتَحَالَ  
 لَا فَرْقَ بَيْنَ عَظِيمِهِمْ  
 وَحَقِيرِهِمْ بَيْنَ التَّلَالِ  
 كُلِّ امْرئٍ مِنْهُمْ تَسَا  
 وَى فِي اللَّجْبَاسِ وَفِي الظُّلَالِ<sup>(١)</sup>

وهذا شاعر معاصر هو حبيب معلل المطيري يصف سير الركبان إلى البيت المحرم،  
 ودموعهم تجري، وأصواتهم تلي، يقول بعد تحية البيت الحرام:

أَلَا إِلَهِهَا الْبَيْتُ الْعَتِيقُ تَحِيَّةُ  
 إِلَيْكَ عَلَى الْإِيمَانِ مَا نَاحٍ نَاضِجُ  
 سَرَتْ نُحُوكَ الرِّكْبَانُ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ  
 قَدْ أَبْيَضَتْ الْأَثْوَابُ وَالْقُلُوبُ صَالِحُ  
 يُؤْمِنُونَ نَحْوَ الْبَيْتِ تَهْمِي غِيُوْنُهُمْ  
 كَانَ مَدَارَ الْعَيْنِ فَيَبْهَنُ نَاضِجُ  
 يَنَادُونَ يَا لَبَيْكَ لِلَّهِ سَمِيْعُهُمْ  
 فَتَسْمَعُهُمْ تِلْكَ الْجِبَالُ النُّوَاطِجُ  
 لَكَ الْحَمْدُ يَا رَبَّاهُ مَا طَافَ طَائِفُ  
 وَمَسَّحَ بِالرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ مَاسِجُ

ويتصور نفسه مع الحجاج فيقول:

كَأَنِّي فِي تِلْكَ الرُّبُوعِ مُلْبِئِيَا  
 مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى يَبْلُغَ الْقَرِيبُ طَائِغُ  
 لَدَى الْكَعْبَةِ الْفَرَاءُ طَابَ مَزَانُهَا  
 أَتَاهَا مِنَ النَّاسِ الْكَرَامِ الْجَحَاجِجُ

(١) ديوان نوافذ الشمس ٧

ففي عرفات الله يَفْخُونَ حُوبَةً  
 لها في صميم القلبِ نَدْعُ يُرَاجُ  
 وفي المشعرِ القدسيّ مَدَّوا أَكْفَهُمْ  
 يا ربَّ في الاعتابِ ناتي المَنالِحُ<sup>(١)</sup>

وإذا كان الشعراء في العصر الحديث من المكين وغيرهم قد ترنموا بحب مكة، فإن من شعراء الوطن العربي في كل بقاعه، من كانت لهم مكة طموحاً وغاية، والوصول إليها أمنية ورغبة، والحديث عنها تقريراً وطاعة، ولعل أمير الشعراء أحمد شوقي كانت لديه الرغبة الأكيدة في الوصول إليها، وما قصيدته إلى (عرفات الله) إلا تعبير عن ذلك الشوق الأكيد، فشوقي يعبر عن شوقه من خلال هذه القصيدة المدحية، حيث يؤكد على ذكر التفاصيل، فيقول:

إلى عرفات الله يا خيرَ زائر  
 عليك سلامُ الله في عرفات  
 ويومٌ تولَّى وجههُ البيتَ ناضراً  
 وسيمٌ مجالي البشرِ والقسمات  
 على كلِّ أفقٍ بالحجازِ مَلالِكُ  
 تزفأُ تحايا الله والبركات  
 وفي الكعبةِ القراءِ ركنٌ مُرحَّبُ  
 بكعبةِ قحارٍ وركنٍ عفا  
 وما سَكَبَ الميزابُ ماءً وإنما  
 الماضُ عليك الأجرُ والرحمات  
 وزمزمُ تجري بينَ عَيْنَيْكَ أَهْبُتَا  
 من الكواثرِ المعسولِ مثقَّجراتِ<sup>(٢)</sup>

وهذا إحسان عباس يخاطب مكة ويهبتها بمولد الرسول الأعظم في قصيدته (عرس النور في أم القرى) يقول:

(١) ديوان نوافل الشمس ٧ - ٩  
 (٢) الشوقيات ٩٨ / ١

حَرَكِي مَزَهَرَ الْمَصْبَاهُجُ إِنَّ الدَّ  
 لِيلَ يَصْحُو عَلَى اهْتِزَازِ النُّشِيدِ  
 وَاسْتَجَبِي فِي الشُّعَابِ تَرْنِيمَةَ النُّو  
 رِ وَنَافِغِي الْأَطْيَافِ بِالتَّفْقِيرِ  
 وَاعْتُزِّي الْكَوْنَ بِالْهَتَافِ فَقَدْ هَبَ  
 حَبَّ عَلَى الْكَوْنَ نَفْحَةً مِنْ خُلُودِ  
 بَشَرِي الدَّهْرِ فَالْغَيُوبُ تَجَلَّتْ  
 عَنْ سَنَامِ فِي وَجْهِ خَيْرٍ وَلِيدِ  
 انْتَرِيَا مَنْزِلَ الْمَلَائِكَةِ وَالْوَحْدِ  
 سِي وَمَهْوَى الْإِيمَانِ وَالْوُحِيدِ  
 احْرَمْتُ حَوْتِكَ الْقُلُوبُ وَرَاحَتُ  
 تُلْهَلُ الْأَمْنُ مِنْ لَمَّاكَ الْبُرُودِ  
 النُّبُوءَاتُ مِنْ جِسْبِيْنِكَ فَاَضَتْ  
 وَجَنَّا الْكَوْنَ فِي عَمِيقِ السُّجُودِ  
 عَادَةُ الْبَرِيدِ انْتَرِ فِي كُلِّ قَلْبٍ  
 مَعْبُدٌ طَائِفٌ بِعَيْدِ الْحُدُودِ  
 انْتَرِ تَسْبِيحَةً يَظَلُّ الْحَيَارَى  
 حَوْتَهَا حُوءًا لِيَوْمِ الْوُرُودِ<sup>(١)</sup>

#### • ذكر الأمكنة والبقاع

فهذا أبو طالب يذكر لنا في لاميته التي مدح بها نبينا محمد عليه أفضل الصلاة  
 والسلام العديد من أمكنة مكة مثل: (جبل نذر وحراء والبيت الحرام وما فيه من الحجر  
 الأسود، ومقام إبراهيم والصفاء والمروة، والمشعر الحرام، وجبل عرفة، ومزبلة، ومنى  
 والمحصب)، ولا يكاد يترك مكاناً أو مشعراً إلا وأتى به في هذه اللامية الرائعة في مدح  
 سيد البشر، يقول:

(١) ديوان إحسان عباس ٢٥٧

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وَلاَ فِيهِمْ  
 وَقَدْ قَطَعُوا كُلَّ الْغُرَى وَالْوَسَائِلِ  
 صَبِرْتُ لَهُمْ نَفْسِي بِسَمَرَاءَ سَمْحَةً  
 وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ ثَرَاثِ الْمَقَاوِلِ  
 وَاحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ نَهْطِي وَإِخْوَتِي  
 وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ  
 قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَةً  
 لَدَى حَيْثُ يَفْضِي حَلْقَةُ كُلِّ نَاهِلِ  
 أَعْلَوْذُ بَرِيءُ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعَنٍ  
 عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مُلِجٍ بِبِطَاطِلِ  
 وَفُؤْرٍ وَمَنْ أَرَسَى ثُرَيَّيْرًا مَكَانَةً  
 وَرَاقِرٍ لَيْلِيًّا فِي حِرَاءٍ وَنَازِلِ  
 وَبِالْبَيْتِ حَقُّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةِ  
 وَيَالِلَهُ إِنْ أَلَّةَ لَيْسَ بِغَسَّافِلِ  
 وَبِالْحَجَرِ الْمُسْتَوْدِ إِذْ يَمَسْحُونَهُ  
 إِذَا اكْتَنَفَوْهُ بِالْخُحَى وَالْأَمْنَانِلِ  
 وَمَوْطِي إِبْرَاهِيمَ فِي الْمُنْخَرِ رَطْبَةً  
 عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاهِلِ<sup>(١)</sup>

وهذا الأمشي يذكر عدداً من الأماكن في قوله يهجو عمير بن عبد الله بن المنذر بن  
 عبدان، فيقول:

فَمَا أَنْتَ مِنْ أَهْلِ الْحَجُونِ وَلَا الصَّنَا  
 وَلَا لَكَ حَقُّ الشَّرِبِ مِنْ مَسَارِ زَمْزَمِ  
 وَمَا جَعَلَ الرَّحْمَنُ بَيْتَكَ فِي الْعُلَا  
 بِأَجْيَادِ غُرَبَى الصَّنَا وَالْمُحَرَّمِ<sup>(٢)</sup>

(١) ديبان أبي طالب ٦٢ - ٧٤

(٢) ديبان الأمشي الكبير ١٧

وذكر الأماكن في الشعر الحديث يلتقي مع القديم، وإن كان بعض المسميات قد تغير،  
يذكر مفرج السيد الكعبة الشريفة، والمقام والحجر وحطيم وزمزم والمنارات وحراء، يقول:

وبك الكعبة الشريفة تزهو  
بسناها وطيرها القوارج  
والمقام الكريم والحجر فيه  
يجد المتندر لذة الإنسراج  
وحطيم وزمزم وهو أعلى  
للؤادي من الزلال القسراج  
والمنارات في ثجى الليل الهدى  
من منار البحار للمفلاج  
وحراء العظيم بفجار حرام  
منزل الوحي والهدى والمفلاج<sup>(١)</sup>

ويعدد حسين عرب هذه الأماكن، فيقول:

وحراء وزمزم والمصلى  
ومئى والمقام والمروان  
والمحاريب والمشاعر كون  
ناطق بالأسقى وبالإيمان  
هذه مكة فحي المغانى  
بين أرجائها بعذب الامانى  
فإذا ما نظرت للكعبة القدر  
رام فاسجد لفاطر الأكوان  
فهنا بيته وهذا حماة  
فان فيه الحجيج بالغفران  
والمنارات حولة سامخات  
رجعت في السماء صوت الأذان<sup>(٢)</sup>

(١) مكي قبلي ٢٠٦

(٢) للرجع نفسه ٤٥

ويذكر الغزالي هذه الأماكن من خلال القصيدة المدحية، ففي مدحه للملك فيصل يقول:

في رُبَى الخَيفِ من مِثْنٍ شَبِثْتُ بِرُقَا  
ثُمَّ وَتَلَّهَا هُوَ السَّحَابُ الثَّقَالُ  
رَبِعْتُ مِنْهُ ذَاتَ عِرْقٍ رَقِرَ وَوَجُ  
وَعَكَظُ وَكَـ \_\_\_\_\_ بَكْبُ وَالْأَلُ  
وَبَنَقَ مَنَازِلُ دِي الْأَرَاكِ تَهَادَى  
مُوكِبُ النَصْرِ وَابْتَرَى الْأَبْطَالُ<sup>(١)</sup>

ويقول في أخرى مائحا الملك فيصل وذاكرا العديد من الأماكن:

هَذَا خَبِيرٌ فِي الْبِرْجَاءِ شَرَفَلُ  
وَشِبْقَانَةٌ تَعْلُو بِهَا الْأَسْنَامُ  
إِنَّ الْمَشْنَاعِينَ مَا أَزْهَتْ إِلَّا لَأَدُ  
مَنْ بِهَا الْفِرَاقُ وَالْحَبْوَةُ ثَقَامُ  
وَجِجْرَا وَجَمْعُ الْبَطَاحِ وَمَكَّةُ  
وَالْخَيْفُ وَالْتَلْوِيمُ وَالْأَهْلَامُ  
لَهَجَّتْ بِفَيْصَلٍ إِيَّاهُ الْمَلِكُ الَّذِي  
يَزْهُو الرَّشِيدُ بِعَصْرِهِ وَهَشَامُ<sup>(٢)</sup>

ويحظى غار حراء أو جبل النور من الشعراء المحدثين والمعاصرين بلفتات وصفية جميلة، تؤكد على مكانة هذا الجبل في النفوس، وما كان له من أثر، حيث المكان الأول الذي احتوى تعبد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيه اشرق النور، يقول حسين عرب متسائلا عن ذاك العهد الرائع، عهد الوحي والقرآن، هذا العهد الذي جعل الغار مكللا بالغان:

(١) أحمد الغزالي وآثاره الأدبية ٢ / ٢ / ١٥٦٨

(٢) أحمد الغزالي وآثاره الأدبية ٢ / ٢ / ١٦٧٥



جبَلُ النُّورِ كَيْفَ عَهِدْتُكَ بِالْوَحْدِ  
 يَ وَعَهْدُ الرِّبُوعِ وَالْقِرَانِ  
 أَيُّ سِرٍّ أَحَاطَ بِالْغَارِ حَتَّى  
 صَارَ هَارًا عَلَى جَبِينِ الزَّمَانِ  
 أَشْرَقَ الْفَجْرُ مِنْهُ فَاشْتَعَلَ النَّيْ  
 لُ ضِيَاءٍ وَهَلَلَ الْمُشْرِقَانِ  
 وَصَلَ الْأَرْضَ بِالسَّمَاءِ حَبِيبُ  
 عَيْقَرِي الظَّلَالِ وَالْأَلْوَانِ  
 آيَةُ بَعْدَ آيَةٍ بَعْدَ أُخْرَى  
 يَتَوَارَى مِنْ نُورِهَا النَّبِيُّرَانِ  
 سُورٌ كَالنَّجُومِ بِلْ هِيَ اسْمَى  
 بِالْمَعَانِي وَبِالْهَدَى وَالْبَيَانِ<sup>(١)</sup>

وجبل النور الذي شهد المعجزات عند حسن عبدالله القرشي، منه شع اليقين، وهو  
 قمة الخلود، كيف لا وقد تعبد فيه سيد البشر؟ يقول:

هَيْتَا جَبَلُ النُّورِ كَمْ ذَا شَهْنَتُ  
 مِنَ الْمُعْجِزَاتِ وَكَمْ ذَا ظَهْنُ  
 تَحَدَّثَ فُلِي الْغَارِ شُعَ الْيَقِينِ  
 وَقَدْ تَنُطِّقُ النَّخْرِيَّاتُ الْحَجَرِ  
 أَيَا قِيَمَةٍ فَوْقَ هَامِ الْخُلُودِ  
 سَمِعْتُ بِسَنَاهَا الشَّذِيَّ الْخَطِيرِ  
 إِذَا مَا ارْتَقَيْتُ إِلَيْكَ انْطَوَى  
 بِحَسَنِي الزَّمَانِ وَكُلُّ الْبَهْمَنِ  
 وَخَفُفْتُ وَطَلَّتْ أَنْ يَسْتَقَرَّ  
 أَمَا سَاَرُ فَيْكَةِ نَبِيِّ الْبَهْمَنِ

(١) مكِّي قبلتي ٤٧

وَكَمْ قَبْدٌ تَعَسَّبَ ثَبَتَ الْجَنَانِ  
يَزِينُ مُحَيَّاهُ اسْمِي انْزِ  
إِلَى أَنْ أَطْلُ عَلَى الْكَافِّنَاتِ  
كَإِطَالَةِ الْفَجْرِ بَعْدَ السُّحُورِ<sup>(١)</sup>

الأخوانة، موضع بمكة ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام قديماً، وحديثاً تشمل  
أحياء الروضة والششة وما جاورهما. وقد ذكرت في الشعر، فمن ذلك ما ورد في شعر  
يفتخر فيه الحارث بن خالد المخزومي باتتمائه وانتسابه لمكة، وبالأذات إلى مكان بعينه في  
مكة هو الأخوانة، فيقول:

مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا إِنْ مَنَزَلْنَا  
فَالْأَخْوَانَةُ مَثَا مَنَزَلِ قَوْمِ  
إِذْ نَلْبَسُ الْعَيْشَ هَهُنَا لَا يَكْثُرُ  
قَوْلُ الْوَشَاةِ وَلَا يَنْبُو بِنَا الزَّمَنُ<sup>(٢)</sup>

أبو قبيس؛ جبل من جبال مكة، ومكة تقع بين جبلين هما: أبو قبيس وحميقعان،  
ويتصل بأبي قبيس الخندمة، وقال فيها حماس بن قيس البكري:  
إِنَّكَ لَوْ شِئْتَ يَوْمَ الْخَنْدَمَةِ  
إِذْ كُنْ صَفْوَانٌ وَفَرَّ عِظْمَرَةَ<sup>(٣)</sup>

يقول علي بن محمد التتويحي القاضي يذكره:  
قَدْ قَدِمَ الْعَجَبُ عَلَى الرَّؤُوسِ  
وَشَارَفَ الْوَهْدُ أَبَا قُبَيْسٍ<sup>(٤)</sup>

بئر ميمون؛ بئر بمكة بين البيت والحجون بأطبع مكة، وفيه قال عمر بن أبي ربيعة:  
نَزَلْتُ بِمَكَّةَ مِنْ قُبْبَالِ نَوَافِلِ  
وَنَزَلْتُ خَلْفَ الْبَيْتِ أبعَدَ مَنَزَلِ<sup>(٥)</sup>

(١) للرجع نفسه ١٢٤

(٢) غاية اللرام ١ / ١٢٠

(٣) كتاب المناسك ٤٧٢ - ٤٧٤

(٤) للمصنف من الشعراء ٢٢

(٥) شرح نيران عمر بن أبي ربيعة ٤٩٨

وقيل:

وهم حفروا البئر التي طاب مأواها

بمكة والحُجَّاجُ ثُمَّ شُهُودٌ<sup>(١)</sup>

بطن مكة، بطحاؤها وداخلها. وقريش قسمان: قريش البطحاء وهم الذين يسكنون  
أباطح مكة، وهم أشرافها، وقريش الظواهر وهم الذين ينزلون ما حول مكة، يقول أمية بن  
أبي الصلت الثقفي في رثاء عبدالله بن جعدان:

الْأَثَرُونَ كَمَمَا أَرَى

وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحٍ

أَنْ قَدْ تَغَيَّرَ بَطْنُ مَخٍ

حَكَّةٌ فَهِيَ مُوجِشَةُ الْإِبَاطِحِ<sup>(٢)</sup>

ويقول مرة أخرى في رثاء ابن جعدان ذاكراً أنه من قريش الأباطح الأشراف لا من الظواهر:

نَزَلُوا الْبِطَّاحَ وَقَدْ خَلَّتْ

بِهِمُ الْبُيُوتُ وَالظُّوَاهِرُ

فَخَلَّتْ مِنْهُمَا بِالْبِطَا

حَ وَحَلَّ غَيَّرَكَ بِالظُّوَاهِرِ<sup>(٣)</sup>

وفي ذلك يقول أحد الشعراء:

فَلَوْ شِئْتُ لَهَدَيْتُ مِنْ قَرِيشٍ عَصَابَةً

قَرِيشِ الْبِطَّاحِ لَا قَرِيشِ الظُّوَاهِرِ<sup>(٤)</sup>

ويقول أبو دهل ذاكراً بطن مكة:

وَلَا تَوَعَّدْ لِنَفْسِكَ عَلِيًّا

فَإِنْ وَعَيْدَهُ كَلَّا وَبِيلُ

(١) معهم ما استعجم ٤ / ١٢٨٥

(٢) ديوان أمية بن أبي الصلت ٢٤٧

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ٤١٤

(٤) هامش ديوان أمية ٤١٤

ونحن ببطن مكة إذ تداعى

لرهطك من بني عمرو وعيل<sup>(١)</sup>

الحجون: يفتح أوله على وزن فعول: موضع مكة عند المخصب هو الجبل المشرف  
بحذاء المسجد الذي يلي شعب الحارين، على ما بين الحوضين اللذين في حائط عوف..  
قال أبو ذؤيب الهذلي:

الغني إليها وخير الرأسو

لأهلهم بنواحي الخبـ

بأية ما وقفت والركـ

ب بين الحجون وبين السـ<sup>(٢)</sup>

ويذكر الأسدي متشوقاً:

ديان الحي أين هم قـ

انعمان الأراك أم الحجون<sup>(٣)</sup>

ويقول محمد بن جعفر:

فصلني عليه الله ما نر شـ

ووافـ حجون البيت اركـ<sup>(٤)</sup>

ويدعو ابن المقرب، فيقول:

أنعم علينا بالدعاء إذا التـ

بحجون مكة مشـ<sup>(٥)</sup>

الحجر: حطيم الكعبة، وهو المدار بالبيت كأنه حجره، مما يلي الشعب<sup>(٦)</sup> (ويقع في  
شمال الكعبة، وهو ما حطم من الكعبة وكسر، وهو بناء مستدير على شكل نصف دائرة..

(١) ديان أبو عيل ٩٨

(٢) معجم ما استعجم ١ / ٣٣٦

(٣) المصنفون من الشعراء ١٤١

(٤) المصدر نفسه ٢٥٠

(٥) ديان ابن المقرب ٢ / ٩٩٤

(٦) معجم ما استعجم ٢ / ٤٢٧

وهذا البناء مغلف بالرخام، وأحد طرفيه محاذ للركن الشامي، والآخر محاذ للركن الغربي<sup>(١)</sup> وقال ابن دريد: (كانوا يحلفون عنده، فيحطم الكاذب)<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد ذكر الحطيم كثيرًا في الشعر العربي، ويقرن بزمزم دائمًا، يقول عروة بن اذينة:

لو كان حَيًّا قَبْلَهُنْ فَغَائِثًا  
حَيًّا الحَطِيمُ وَجُوهُهُنْ وَزَيْنُ  
وَكَانَهُنْ وَقَدْ حَسَرْنَ لَوَاعِبًا  
بِيضٌ بِكَافٍ الحَطِيمِ مُرْكَمٌ<sup>(٣)</sup>  
ويقول الشريف المرتضى معلًا ملكيته للحطيم:  
ولنا الحَطِيمُ وَزَيْنُ وَثَرَانَا  
نِغَمُ الثَّرَاثِ عَنْ الْخَلِيلِ مَقَامُ  
وَالْحَجَرُ وَالْحَجَرُ الَّذِي لِيَصِفَاتِهِ  
أَبَدُ الزَّمَانِ الْخَمُّ وَالْثَقِيلُ<sup>(٤)</sup>

وفي مثله يقول أشجع السلمي:  
وَالْحَجَرُ وَالْحَجَرُ الْأَصْفُ  
مُ بِطُولِ مَنْ وَأَسْتَـلَامُ<sup>(٥)</sup>

حراء: جبل يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة مكة، ويسمى جبل النور، ويحتوي على غار حراء الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام يتعبد فيه قبل الرسالة، وفيه كان أول نزول الوحي، ويلفظ بكسر أوله، ممدود على وزن فعال، جبل بمكة، قال الأصمعي: بعضهم يذكّره ويصرفه، وبعضهم يؤكّته ولا يصرفه، قال عوف بن الأحوص في ثانيته:

(١) جغرافية شبه جزيرة العرب ١٦٤ - ١٦٥

(٢) كتاب الأمكنة والمياه للزمخشري ٦٨

(٣) شعر عروة بن اذينة ٣٦٨

(٤) بيان الشريف المرتضى ٣ / ٣١

(٥) شعر أشجع السلمي ١١١

فإني والذي خَجْتُ قريشَ  
مُضَارَمَةً وما جَمَعْتُ حِرَاءَ<sup>(١)</sup>

وانشد الفراء:

أَلَسْنَا أَكْثَرُ الْأَعْيُنِ رَحْلًا  
وَأَعْظَمُ هُمْ بِيْطُنٍ حِرَاءَ نَارًا

قال ابن الأنباري: إنما لم يجر حراء لأنه جعله اسمًا لما حول الجبل، فكانه اسم  
للمدينة، وانشد لابن هزيم في التانيث:

وَحِيلَتْ حِرَاءُ مِنْ رِبِيعٍ وَصَيْفٍ  
نَعَامَةً رَمْلٍ وَافِرًا وَمُقَنَّصًا

وأجراها لضرورة الشعر، وقال أبو حاتم التذكير في حراء أعرف الوجهين<sup>(٢)</sup>.

ويشبهه أحد الشعراء برأس الفارسي المتوج، كما في قوله:

تَفَرَّجَ عَنْهَا الْهَمُّ لَهَا بَدَا لَهَا  
حِرَاءُ كِرَاسِ الْفَارِسِيِّ الْمُتَوَّجِ  
مُنْعَمَةً لَمْ تَدِرْ مَا عَيْشُنْ شَيْفُورٍ  
وَلَمْ تَعْتَرِدْ يَوْمًا عَلَى عَوْدِ عَوْسُجٍ<sup>(٣)</sup>

ورود في شعر حسان بن ثابت يشبه جمع الكفار يوم بدر بجبل حراء، يقول:

شِدَادَةٌ كَانَ جَمْعُهُمْ حِرَاءَ  
بَدَتْ أَرْكَائُهُ جُنُحَ الْغُرُوبِ  
فَلَا فَيْئَاهُمْ مَنَا بِجَمْعٍ  
كَأَسَدِ الْغَابِ مُرْدَانٍ وَشَيْبِ<sup>(٤)</sup>

(١) معجم ما استمع ٢/ ٤٧٦

(٢) معجم ما استمع ٢/ ٢٤٧ والبيت في ديوانه ١٣٤ والمقترض: الذي سقط ريشه

(٣) انظر المجاز بين اليمامة والمجاز ٣٠٨

(٤) ديوان حسان بن ثابت ٧٠

## الرخيف:

ويذكره عبدالله بن قيس الرقيات، فيقول:

ليتَ شَيْطَرِي أَفَاحَ رَاحِلَةَ الْمَسَدِ

لَكَ وَمَا إِنَّ إِخَالَ بِالْخَيْفِ أُنْسِي<sup>(١)</sup>

ويقول كُثَيْر:

تَوَهَّمْتُ بِالْخَيْفِ رَسْمًا مَحِيلاً

لِيَخْرُجَ لِحَرْفٍ مِنْهُ الطَّلُولُ<sup>(٢)</sup>

ولمحيار يقول:

ليتَ بَيْتًا بِالْخَيْفِ أَمْسِي اسْتَضَمَّنَا

هُ قَرَانًا وَلَوْ غَرَامَنَا وَوَجَدْنَا<sup>(٣)</sup>

ويقول الشريف الرضي:

وَإِذَا مَرَزَتْ بِالْخَيْفِ قَاشَتْهُ هَذُ

أَنْ قَلْبِي إِلَيْهِ بِالْأَشْوَاقِ<sup>(٤)</sup>

ثبير، جبل بمكة.. كانوا يقولون في الجاهلية: (أشرق ثبير كيما تُفِير) وهو الذي صعد فيه النبي صلى الله عليه وسلم، فرجف به، فقال: «أسكن ثبير، فإنما عليك نبيٌ وصديقٌ وشهيد»<sup>(٥)</sup> وقد روي هذا في حراء.

ويقول العرجي ذاكراً ثبيراً في غزله:

وَمَا أُنْسِمَ مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا أُنْسَمَ مَوْقِفًا

لَنَا وَلَهَا بِالْكَفِّحِ بَوْنٌ ثَبِيرِ

(١) ديوانه ٥٨

(٢) مجمع ما استمع ٧٨٧ / ٣

(٣) مثير العزم الساكن ٣١٨

(٤) ديوان الشريف الرضي ٧٩ / ٢

(٥) سنن الترمذي رقم ٢٢٧٤

ولا قولها وهذا وقد سَمَحَتْ لَنَا  
 سـوابقُ دمعٍ لا تجفُّ غـزيرِ  
 انت الذي خُبِرْتُ أنك بـاكرُ  
 غداة غـدٍ أو راحٍ بهـجـيرِ  
 فقلتُ: يسيرُ بعضُ يومٍ بـقـيـةِ  
 وما بعضُ يومٍ غـيـبـةِ بـيسـيرِ<sup>(١)</sup>

دار الندوة؛

أنشأها قصي بن كلاب لتكون مركزاً ونادياً يجتمع فيه زعماء قريش، لتبادل المشورة  
 في ما يخص مصالح مكة الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية والعسكرية، وكانت  
 ملاصقة للمسجد الحرام من ناحية الجهة الشامية من الكعبة، وكانت فسيحة وسيدة،  
 وفيها كانت قريش تقضي شؤونها العامة، وقد سُميت الندوة لأنهم كانوا إذا حزبهـم أمر  
 ندُّوا إليها للتشاور<sup>(٢)</sup>.

قال ابن سلام:

الهي قُصَيًّا عن المجدِ الأساطيرُ  
 ورشوةٌ مثل ما تُرشى السُّفاسيرُ  
 وأكلها اللحمُ بحثاً لا خليطة  
 وقولها رحلتُ غيرَ مَضتُ غيرَ<sup>(٣)</sup>

الريان؛ وفي ظهر دار العجلة جبل الريان، قال الشاعر:

يا حَبْـبـذا جـبـلُ الرِّيانِ من جـبـلِ  
 وحَبْـبـذا ساكنُ الرِّيانِ من كـانِ

ويذكر حمد الجاسر: والبيت لجريز، ومن المستبعد أن يقصد جبلاً بعيداً من بلاده<sup>(٤)</sup>  
 ولا أدري سبب استبعاد حمد الجاسر ذلك، فجبيل نعمان أيضاً بعيد عن كل من ذكروه، ولم  
 يكن ذلك مما يستبعد.

(٢) انظر الأغاني ٤ / ٣٨٤، وياقوت الحموي ١٩ / ٣٧٩

(٤) كتاب المفاسك ٤٧٦

(١) المجاز بين اليمامة والمجاز ٣٠٣

(٣) طبقات شعراء ١ / ٣٣٥ - ٣٣٦



## ذو المجاز:

سوق من أسواق العرب، وهو عن يمين الموقف بعرفة، قريباً من كبك<sup>(١)</sup>، ووردها في الشعر يدل على أهميتها، يقول أبو ذؤيب الهذلي:

وراح بها من ذي المجاز عشية  
يُبادر أولى السابقات إلى الحبل<sup>(٢)</sup>

ويقول المتوكل الليثي:

للغانيات يذي المجاز رسوم  
في بطن مكة عنهن قديم<sup>(٣)</sup>

ويرى الأستاذ سعيد الأفغاني أن ذا المجاز الذي ورد في ملحقة الحارث بن حلزة اليشكري في قوله:

وانكروا حلف ذي المجاز وما قد  
حرم فيه اليهود والكفلاء

أنها التي في شمال الجزيرة لأن مقام قبيلته يشكر والأحداث بينها وبين غيرها كانت هناك<sup>(٤)</sup>، ولا أتصور أن هناك ما يمنع أن يكون هذا الحلف قد عقد في هذا السوق قرب مكة تأكيداً على الالتزام به، وبخاصة أن قبيلة يشكر كانت من القبائل التي ترد هذه الأسواق كما ذكر هو نفسه قبل قليل في حديثه عن ورود القبائل موسم الحج، وسوق عكاظ.

ويبدو أن إقامة هذه الأسواق في وقت الحج ما ينعم القول بأنها هي المقصودة في هذا الشعر.

السُرَر: بكسر أوله موضع مذكور في رسم الحجون، كما في بيت أبي ذؤيب:

بِأية ما وقفت والركا  
بُ بين الحجون وبين السُرَر<sup>(٥)</sup>

(١) أسواق العرب ٢٤٧

(١) معجم ما استعجم ٤ / ١١٨٥

(٤) أسواق العرب ٢٤٨

(٢) شعر المتوكل الليثي ٧٤

(٥) معجم ما استعجم ٣ / ٧٣٢

يقول الحطينة:

يَا دَارَ هَنْدٍ عَفَّتْ إِلَّا أَثَا فِيهَا  
بَيْنَ الطَّوِيِّ قَصَصَاتِ رَقَوَائِيهَا

قلبي: موضع قريب من مكة، وفيه يقول زهير بن أبي سلمى:

إِلَى قَلْبِي تَكُونُ الذَّكْرُ مَأْ

إِلَى أَكْثَا فَرُؤْمَةٍ فَالْحَجَّسُونَ<sup>(١)</sup>

مكاظ: ومكاظ مشتق من قولك: عكظت الرجل عكظاً إذا قهرته بحجته، لأنهم كانوا يتعاكظون هناك بالفخر، قال ياقوت الحموي: (عكاظ اسم سوق من أسواق العرب في الجاهلية، وكانت قبائل العرب تجتمع بعكاظ في كل سنة، ويتفاخرون بها، ويحضرها شعرائهم، ويتناشدون ما أحدثوا من الشعر، ثم يتفرقون)<sup>(٢)</sup> (وقيل: عكاظ ماء، قال: إنَّ عكاظاً ماؤنا فخره، وقيل: عكاظ ما بين نضلة والطائف إلى بلد يقال له الفتق، كانت سوق تقام هلال ذي القعدة فلا تزال قائمة عشرين يوماً)<sup>(٣)</sup> ويذكر المروزي في شرح الحماسة فيقول: (عكاظ: واد للعرب فيه سوق لهم يجتمع فيه طوائف الناس من جميع الأحياء، فيتعارفون فيها، ويتعلقون بالأخبار بعد التذاكر بها، والتنسم لها، وبينهم المواعيد، والمقايضات، والإحن والتُّرات، والمنافرات، والمنافضات)<sup>(٤)</sup> ويصفه الأستاذ سعيد الأفغاني بقوله: (عكاظ هي المعرض العربي العام أيام الجاهلية، معرض بكل ما لهذه الكلمة من مفهوم لدينا نحن أبناء هذا العصر، فهي مجمع أدبي لغوي رسمي، له محكمون تُضربُ عليهم القباب، فيعرض شعراء كل قبيلة عليهم شعرهم وأدبهم)<sup>(٥)</sup> وكانت بعكاظ وقائع مرة، وفي ذلك يقول نريد بن الصمة:

تَقِيَّتْ عَنْ يَوْمِي عَكَازٌ بِحُلِيِّهَا

وإنَّ يَكْ يَوْمَ ثَالِثِ أَتَغْسِيْبُ

(٢) مجمع البلدان: عكاظ

(١) مجمع ما استمع ٢ / ١٠٩٣

(٤) شرح ديوان الحماسة ٢ / ١٥١٤

(٢) كتاب الأمانة للزمخشري ١٥٤

(٥) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام ٢٨٥

وإن يك يوم رابع لم أكن به

وإن يك يوم خامس التجنب<sup>(١)</sup>

ويشير حاتم الطائي إلى مكانة عكاظ الشعرية، وأن الشعر من عكاظ ينتشر بقوله:

فلا عرلن الأدم والنعم ثقلني

يردن عكاظا بالذي أنا قال<sup>(٢)</sup>

ويذكر النابغة الذبياني عكاظه وكان فيه شيخ النقاد والمحكمين، فقد أشار عليه زُرعة

ابن عمرو بن خويلد وقد لقيه في عكاظ بأن يشير على قومه بقتال بني أسد وترك حلفهم،

فأبى النابغة الغدر وقال بعد أن توعد زُرعة:

تُبئت زُرعة والسفاهة كاسمها

يُهدي إلي غرائب الأشراف

فخلفت يا زرع بن عمرو إنني

رجل يثشق على العدو ضيراري

أرايت يوم عكاظ حين لقيتني

تحت العجاج فما شققت غباري

إذا أفسستنا خطئنا بيننا

فحملت برّة واحتملت فجار

فلنأتينك مصائد وتنفقن

جيشنا إليك فوادم الأفوار

رهط ابن كوز مخفي اندراعهم

فيهم ورهط ربيعة ابن خذاف

(١) معجم ما استعجم ٢ / ٩٦٠-٩٦١

(٢) بيان حاتم الطائي ٢٨٤ والأسم: صفة الجليل، والجمع: صفة الخيل.

وينو جَنِيْمَةً حَيُّ صَدُوقٍ سَادَةً  
 غَلَبُوا عَلَى خَبْتٍ إِلَى تَغَشَّاتٍ  
 مُتَعَفِّفِي جَنْبِي عَكَظَ كَلْبُهُمَا  
 يَدْعُو بِهَا وَلِدَانَهُمْ غَزَّاعِي<sup>(١)</sup>

وكانت القبائل تأتي عكاظ للتجارة من قريش وهوازن وغطفان وخزاعة والأحباش  
 وعضل والمصطلق، ويؤمها من العراق والبحرين واليمامة وعمان والشحر وسائر أطراف  
 الجزيرة، وكان أمر الموسم وقضاء عكاظ في بني تميم يكون ذلك في أقدانهم: الموسم على  
 حدة، وعكاظ على حدة، وكان من اجتمع له ذلك منهم عامر بن الظرب العدواني، وسعد بن  
 زيد مناة من تميم، وقد فخر المخبل بذلك في شعره، فقال:

لَيْسَالِي سَعْدٌ فِي عَكَظٍ يَسُوْقُهُا  
 لَهُ كُلُّ شَرْقٍ مِنْ عَكَظٍ وَمُغْرِبٍ<sup>(٢)</sup>

وكان أصحاب الثارات يتصرفون إلى من لهم ثار عندهم، وإذلك كان الفرسان يضعون  
 على وجوههم أقنعة حتى لا يُعرفوا، وكان طريف بن تميم العنبري من فرسان العرب لا  
 يتقنع، فنظر إليه رجل يتعرفه، فقال:

أَوْ كَلَّمَا وَرَيْتُ عَكَظَ قَبِيلَةٍ  
 بَعَثُوا إِلَيَّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسَّمُ  
 فَتَوَسَّمُونِي إِنَّمَا أَنَا نَلْعَمُ  
 شَاكِي سِلَاحِي فِي الْحَوَادِثِ مَعْلَمُ  
 تَحْتِي الْأَغْبَرُ وَفَوْقَ جُلْدِي نُكْرَةٌ  
 زَغَفْتُ تَرْدُ السَّيْفِ وَهُوَ مُنْكَمُ<sup>(٣)</sup>

فالمنافرة والمسابقة، والتجارة، والبحث عن الضائع، ومن له أسير، ومن يبحث عن  
 عمل، ومن يريد إشهار عمل من أعماله، كل أولئك كانوا يأتون عكاظ، قال أبو ذؤيب الهذلي:

(١) ديوان النابغة الذبياني ٣٧ وعرعار لعبة لصبيان الأعراب كانوا يتداعون بها ليجتمعوا للعب  
 (٢) انظر الأزهري ١٣١ وأسواق العرب ٢٩١ والبيت في ديوان المخبل  
 (٣) انظر أسواق العرب ٣٠٥، والثورة: الدرر الواسعة. والمزغفة: الدرر اللينة أو الرقيقة

إذا بُنِيَ القسبُ بابٌ على عكاظٍ

وقام البيعُ واجتمع الالوفُ<sup>(١)</sup>

وقال آخر يضرب بها المثل:

فإنَّكَ ضَحَّاكٌ إلى كلِّ صاحبٍ

وانطقُ من قسٍّ غداةَ عكاظها<sup>(٢)</sup>

وهم إذا أرادوا نشر شعرهم بين العرب جاؤوا عكاظ وأنشدوا، كما ورد عن عمرو بن كلثوم في معلقته، حيث جاء عكاظ وأنشدها، والدليل على أهمية عكاظ في نشر الشعر قول أمية بن خلف الخزاعي يهجو حسان بن ثابت، يقول:

إلا من مبلغ حسانٍ عنِّي

مُـنـفـلـحـةٌ تدبُّ إلى عكاظٍ<sup>(٣)</sup>

فلجابه حسان بقوله:

أتاني عن أمية زورٌ قولٍ

وما هو بالمغيبِ بذي حِفاظٍ

سأنشر ما حبيتُ لهم كلامًا

يُنشَرُ بالمجاميع من عكاظٍ<sup>(٤)</sup>

ومذه امرأة قُتِلَ زوجها، فهجت قاتله من بني عوف، منكرة إياهم بأنهم سوف يلقون قولها هذا في عكاظ:

مـتى تـرـنـوا عـكاظـاً ثـوا فـثـوا

باسماعٍ مجابِئها قِصانُ

أجيرانُ ابنِ مَيْثَ خُبروني

أعـيـنُ لـابـنِ مـيـثَ أـمَ ضـمـانُ

(١) أسواق العرب ٣٣٩

(٢) للرجع نفسه ٣٣٩ - ٣٤٠

(٣) المرجع نفسه ٣٣٩

(٤) للرجع نفسه ٣٣٩

تَجَلَّلَ خِرْيُهَا عَوْفَ بْنَ كَعْبٍ  
فَلَيْسَ لَخَلْفِهَا مَنَةٌ اُتِيْدَارُ  
فَاِنْكُمْ وَمَا تُخْفُونَ مِنْهَا  
كَذَاكَ الشَّيْبُ لَيْسَ لَهَا خِمَارٌ<sup>(١)</sup>

المأزمان:

وهما جبلان، قال أبو إسحاق الحري: (وإذا كنت جائئاً من عرفات إلى منى فانت  
تصير بين جبلين، وهما المأزمان)، قال كثير:  
وَقَدْ خَلَقْتَ جَهْدًا بِمَا نَحَرْتَ لَهُ  
قَرِيشٌ غَدَاةُ الْمَازَمِينِ وَصَلَتْ<sup>(٢)</sup>

المُخَصَّب:

بضم أوله، وفتح ثانيه، مَفْعَلٌ من الحصباء، موضع بمكة<sup>(٣)</sup>، يقول محمد بن إبراهيم  
الأسدي واقفاً على أطلال الحصب:  
كَلِّفَ بِالْمُخَصَّبِ وَاسْأَلْ أَيُّهَا الرَّجُلُ  
تِلْكَ الرُّسُومَ عَنِ الْأَحْبَابِ مَا فَعَلُوا<sup>(٤)</sup>

مجنة:

ماء مذكور في رسم عكاظ، ومجنة على أميال يسيرة من مكة، بناحية مر الظهران،  
قال أبو نؤيب الهذلي:  
فَوَاقَى بِهَا عُسُفَانٌ ثُمَّ أَتَى بِهَا  
مَجَنَّةٌ تُصَلِّفُو فِي الْقِلَالِ وَلَا تُثْقِي<sup>(٥)</sup>

وقد وردت في قول بلال بن رباح رضي الله عنه، في التشويق إلى مكة، بعد أن  
أصابته حمى المدينة:

الْأَلَيْتُ شَرِيحِي هَلْ أَبَيْتُ لَيْلَةً  
بَلِخٌ وَخَوْلِي إِخْرَجٌ وَجَلِيلٌ

(١) شرح ديوان الصائفة ٢ / ١٥١٤ (٢) كتاب للناسك ٥٠٦ - ٥٠٧

(٣) معجم ما استعجم ٤ / ١١١٢ وانظر كتاب الأمكنة والمياه والجبال ٦٢

(٤) المصنوع من الشعر ١٣٦ (٥) شرح أشعار الهذليين ١ / ٩٤

وهل أريدن يوماً مياماً مجتةً  
وهل يبسئون لي شامةً وطفيل<sup>(١)</sup>

مئى،

يقول الحارث المخزومي:

إنني وما نحرروا غداة مئى  
يوم الجمار تؤونها العُقْل<sup>(٢)</sup>

ويقول علي بن أفلح:

هذه الخُـفِيفُ وهاتيك مئى  
فترقق أيتها الحادي بئى<sup>(٣)</sup>

ولو تتبعنا ما ورد في مئى لجمعنا ديواناً كاملاً.

نُغمات: هو عُرنة.

يقول عنه عبدالله بن إدريس (: انشودة الشعراء، ونفحة الهوى، وملعب الصبا،  
وريحانة تهامة، وميزابها، يذكر فيذكر الأراك والبشام والقرب، وتستذكر ليالي أنسه،  
ومجالي مرابعه، ونفحات نوره) <sup>(٤)</sup> ويصدق هذا القول على هذا الجبل الذي تفنى به  
الشعراء، ففاح أريج، وعبقت رائحه، كما يقول النميري:

تضوُّع مسكاً بطن نغمات أن مشئت  
به زينب في نسـو عـطـرات<sup>(٥)</sup>

ويذكر الفرزدق أراكه، فيقول:

نعون بـنـغمات الأراك التي جئى  
لها الركب من نغمات أيام عرُفوا<sup>(٦)</sup>

(١) أخبار مكة للأزرقي ١٣٦، والإتخر والجليل: نباتان. وشامة وطفيل: جبلان مشرفان على مكة

(٢) مثير العزم الساكن ١٣٢

(٣) المصدر نفسه ٣١٨

(٤) المجاز بين الهامة والحجاز ٢٥٨

(٥) العفر والاعتذار ٢ / ٢٥٥

(٦) ديوان الفرزدق ٢٨٤

ويخبر عمر بن أبي ربيعة لمحبيته هند أطيّب هدية هي عود أراك من أعواد  
شجر نعمان:

تَخَيَّرْتُ مِنْ نَعْمَانَ عَوْدَ أَرَاكِ  
لَهْنَدٍ وَلَكِنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدًا<sup>(١)</sup>

وقال أبو العميل:

أَمَّا وَالرَّاقِصَاتُ بِذَاتِ عِرْقٍ  
وَمَنْ مَنَى بِنَعْمَانَ الْأَرَاكِ  
لَقَدْ اضْمَرَّتْ حُبِّي فِي فَوَادِي  
وَمَا اضْمَرْتُ حُبًّا فِي سِوَاكِ<sup>(٢)</sup>

ويقول ابن الفارض في جبل نعمان متشوقاً إليه:  
يَا رَاكِبَ الْوُجُئَاءِ بُلِّغْتَ السُّنَى  
إِنْ جُبِتْ حَرُّنَا أَوْ طَوِيَتْ بِطَاخَا  
وَسَلَكْتَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ فَعُجْ إِلَى  
وَادِ هُنَاكَ عَسَى أَنْ يَبْلُغَا<sup>(٣)</sup>

ويكرر لفظ نعمان عند مهيار الديلمي، وكأنه يستعذب هذه اللفظة، فيقول:  
أَمْرُكُمْ أَشْرَى بِنَعْمَانَ نَاصِحًا  
وَقُلْتُ: أَحْبَسْتُهَا تَلْحَقَ الْحَيُّ رَاخَا  
لِقَاءَ عَلَى نَعْمَانَ كَانَ غَنِيمَةً  
وَهَيْهَاتَ يَدْنُو بَعْدَمَا فَاتَ نَارِخَا  
دَعَوْنِي وَنَعْمَانَ الْأَرَاكِ أَرُودُهُ  
تُجَاوِبُ صَوْتِي طَيْرُهُ الْمُتَنَاوِخَا<sup>(٤)</sup>

(١) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٤٨٩

(٢) شعر أبي العميل، وكتاب المناصب ٥٠٩

(٣) ديوان ابن الفارض ٢ / ٣٧٢

(٤) مثير العزم الساكن ١٣٦



الوجه:

منهل معروف بطريق مكة، وفيه يقول نور الدين بن الجزار الشافعي:

ولما رايتُ الوجهَ سالَ من الحَيَا  
وقد طابَ فيه للخجيجِ مقامُ  
وعاينتُ ركبَ الحجِّ حلَّ بسفحه  
وقد ضُربتُ في جانبيه خيامُ  
ومنّوا إلى الغيثِ الهطولِ اكْفُهُمْ  
فجاءَ عليهم بالعطاء غمامُ  
فقلتُ على الوجهِ المليحِ تحيةً  
مباركةً من ربنا وسلامُ<sup>(١)</sup>

ومثله للمعلّب المكي:

اقولُ ووادي الوجهِ سالَ من الحَيَا  
وقد طابَ فيه للخجيجِ مقامُ  
على ذلك الوجهِ المليحِ تحيةً  
مباركةً من ربنا وسلامُ<sup>(٢)</sup>

ولا يزال شعراء من الشعراء المعاصرين يصرون في قصائدهم على المورد بكل أمكنة مكة، وكان هذا الوصف والتعداد من التلذذ بالذكر (تُعاد حديثها فيزيد حسناً) فالشاعر المعاصر الدكتور إبراهيم نتو يصف لنا بقاع مكة وصفاً ذهنياً مجرداً كما في قوله:

امْكُ يا عمادَ النين والرحمنُ حامِئها  
ثُريا في مدائننا وحاضرها وماضيها  
وفيها كعبةُ التوحيدِ إسماعيلُ بانيها  
وإبراهيمُ أرساها على الإيمانِ ياديها  
وهاجرُ لم تزل تسعى بمزواها وصالِها  
وغارُ الشورِ فمُ حراءُ كان الله منشيها

(١) ربحانة الألباء ٢/ ١٦٦ - ١٦٧

(٢) ربحانة الألباء ٢/ ١٦٧

إلى عرفات مزدلف ومن خيفر ويكفيها  
ومن بشر على ظمأ بقدر الكفا يُرويهـا  
وباب شبيكة المشتاق في الشُّنْأ اقصيها  
وغينم نزهة العشاق جرول في بوايهـا  
بسوق الليل في الاسحار مخزوم يُناغيها  
واجياد إلى الشُّعْبين بل باقي حواريهـا<sup>(١)</sup>

ويقول مرة أخرى معدداً بعض الأسماء الحديثة لأماكن مكة:

شَبِيكَةُ أَجِيَادٍ وَحَارَةُ بَابِهَا  
وَجِرُولٌ هَجَلَاها حَجْجُونَ مُكَلَّنُ  
وَعَارُ حَرَامٍ فَالشُّعْبَابُ وَشُنْأُ  
وَرِيْعَاتُهَا الْفَرَا وَخَوْضُ وَمَسْفَلُ<sup>(٢)</sup>

ولا يختلف هذا التعداد عن تعداد علي حسن أبو العلا الذي يذكر كل الأماكن والمشاعر المقدسة مثل: الكعبة وعرفات، وزمزم، والصفا والمروة، وحراء، وثدر، وكدي وكدا، وثبير:

كعبَةُ الْقَصَابِ مِنْ حَجٍّ مُنِيبًا  
أَبْلَغَ النَّفْسِ مِنَ الْأَجْرِ مَنَاهَا  
وَدَعَا لِلَّهِ فِي مَوَاقِفِهِ  
عَرَفَاتِ اللَّهِ يَحْظِي مِنْ آتَاهَا  
لَيْسَ فِي الْأَرْضِ مَكَانٌ مِثْلُهَا  
وَبِهَا زَمَزَمٌ مَوْصُوفٌ دَوَاهَا  
وِدَوَابِي الْمَرُوثَيْنِ اسْتَقْبَلَتْ  
مَنْ سَعَى لِلَّهِ بَدْعًا يَمْتَنِّفَاهَا  
وَحَرَاءُ سَبَّاحٍ فِي نُورِهِ  
كَمْ رَوَى الْآيَاتِ تَلَوَّى مِنْ سَمَاهَا

(١) هنيل الحمام ١ / ٤٧ - ٤٨

(٢) هنيل الحمام ١ / ٤٩، وشبيكة: محلة الشبيكة جوار الحرم. وجرول: اسم محلة. ومجلما: جزء من محلة الشبيكة.

من مُخَذِّي وَكْدَامٍ وَثَبِيرٍ  
شهد الهجرة نوراً قَرَوَاهَا<sup>(١)</sup>

وقد أفرد بعض الشعراء وصفاً واضحاً للمكان، كما في هذا الوصف للشاعر صالح الشرنوبلي الذي يصف المكان والحدث الذي جرى فيه، فيقول:

أَوَيَا إِلَى الْغَارِ الْكَرِيمِ فَعَشَّشْتُ  
فَوْقَ الْمَغَارِ هَوَاتِفُ الْأَسْنَحَارِ  
وَالْعَنْكَبُوتُ بَنَى مَسَالِمَ بَيْتِهِ  
قَدَرًا مِنَ الْمُتَصَرِّفِ الْقَهَّارِ  
يشكو أبو بكر إلى المخضار ما  
يلقى فَيُذَكِّرُهُ بِطُفْرِ الْبَارِي  
ويقول والتاريخ ينصتُ خاشعاً  
قَوْلًا تَخَلَّدُ فِيهِ فَمِ الْأَنْصَارِ  
الله ثالثنا فلا تُجْزَنُ وَمَنْ  
يُصْئِرُهُ يَأْمَنْ مِنَ الْأَى وَضِرَارِ<sup>(٢)</sup>

ويطلب الشاعر حسين عرب من جبال مكة أن تأقّب لذكرى تلك الحادثة العظيمة، ويدعوها للتذكّر - وهي بلا شك الشاهد الموثق الذي رأى الحدث كاملاً بأم عينيه - كيف أنبثق النور من غار حراء، ليسير في هذه الجموع الوافدة من الشرق والغرب جاءت مؤتمة بهذا النور الباهر:

أَوَيْي يَا جَبَّالَ مَكَّةَ لِلذِّكْرِ  
جرى جلالاً وكِبَرِيٍّ لِمَعِيدِ  
واذكري كيفَ اشْرَقَ النُّورُ مِنْ غَا  
رِ بَعِيدِ فِي الْأَفْقِ غَيْرِ بَعِيدِ  
وَاطْلَيْ عَلَى حِمَى الْكَعْبَةِ الْغُرِّ  
رِءَاءَ إِطْلَالَةِ الرَّقْمِيقِ الْوُدُودِ

(١) منيل الحمام ٣ / ٨٤٧-٨٤٨

(٢) ديوان صالح الشرنوبلي ٤٣٦

وَالْخُزْزِي لِلْوُفُودِ مِنْ كُلِّ قَبْلٍ  
 قَدْ تَلَقَّتْ كَرِيمَةً بِالْوُفُودِ  
 نَهَلَتْ مِنْ رَوَاقِدِ الْحَرَمِ إِلَّا  
 مِنْ مَنْ مِنْهُمْ أَلْهَى وَالْجُودِ  
 وَأَفَاضَتْ بِهِ إِلَى الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ  
 بِهِ نَمِيرًا مَعَطَّرًا لِلْوُفُودِ<sup>(١)</sup>

وتتعدد أوصاف مكة فهي: مرابع المجد، ومهد الإسلام، ومنهل الدين، ومنبع العلم،  
 كما يقول أحمد بن محمد مصلي:

سَطَعَ النُّورُ وَالْهُدَى فِي رُبَاهَا  
 وَتَجَلَّى وَحْيُ السَّمَاءِ فِي حِمَاهَا  
 نَفَحَاتُ قُدْسِيَّةٍ قَدْ تَسَامَتْ  
 وَسَرَتْ فِي الْقُلُوبِ تُرْوِي صَدَاهَا  
 تِلْكَ أُمُّ الْفَرَى مَرَابِعُ مَجْدٍ  
 هِيَ مَهْدُ الْإِسْلَامِ مَوْطِنُ طَه  
 هِيَ لِلدِّينِ مَنَهْلٌ طَابَ وَرْدَا  
 وَهِيَ لِلْعِلْمِ مَنَبَجٌ قَدْ تَنَاهَى  
 شَيْعُ مِنْهَا التَّوْحِيدُ فِي خَيْرِ نَهْجٍ  
 رَفَعَ إِلَهَ قُدْرَهَا وَحَمَاهَا<sup>(٢)</sup>

وهي قبلة للمسلمين، وملاذ الخائف، وهي أمانة من الجوع والخوف، كما يقول سراج بن عمر مفتي:

وَالِى الْآنَ مَجْدُ مَكَّةَ بَاقٍ  
 قِبْلَةُ الْمُسْلِمِينَ مَا اسْتَمَاهَا  
 سَطَعَ النُّورُ هَادِيًا مِنْ رُبَاهَا  
 فَشَقَّى الْقُلُوبَ مَنْ بَلَّوَاهَا<sup>(٣)</sup>  
 وَرَسُولُ الْهُدَى تَضَرَّعَ يَرْجُو  
 رَيْةً فِي حِرَاءِ نَصْرًا وَجَاهَا

(١) دهران حسين عرب ١/ ٦٣-٦٩

(٢) عدیل الحمام ١ / ٢٥٩

(٣) مكدنا ورد في الأصل، وفيه خلل مروضي.

دَاعِيَا طَالِبَا هِدَايَةِ قُومٍ  
 قَدْ تَمَانَوْا ضَلَالَةً وَسَفَاهَا  
 فَاسْتَجَابَ إِلَهُهُ وَأَنْتَصَرَ الْبَدِيعُ  
 مِنْ نَفْسِ الْحَبِيبِ نَالَتْ مُنَاهَا  
 اصْبَحَتْ مَكَّةُ مِلًّا وَلِقُودُ  
 مِنْ بِلَادٍ بِعِيدَةٍ مَأْتَاهَا  
 لِيُؤْتُوا الْحَقَّ فِي أَشْهُرِ الْحُجَّ  
 حَجٌّ وَفِي الْغَيْرِ عُمْرَةٌ تُؤْتَاهَا (٥)  
 امْكُتُوا أَهْلُهَا مِنَ الْخُوفِ وَالْجَوْرِ  
 عِزًّا قَرِيبًا لِلسَّمَاءِ فَضْلًا حَبَاهَا (٦)

وهي عند عبدالله بإسرا حيل:

مَوْطِنُ الْهَدْيِ يَا مِلًّا لِلرَّشَادِ  
 وَمَنَارَ الشُّمُوعِ وَالْإِعْتِدَادِ  
 مَهْطُ الْوَحْيِ وَالنُّبُوءِ وَالْحَقِّ  
 حَقٌّ وَمَهْدُ الدَّعَاةِ وَالرُّوَادِ (٧)

ولا يختلف وصفها عند كثير من الشعراء المعاصرين، فهي قبلة الأرض، ومنزل  
 الرحي، وكعبة القصاد كما في قول علي بن حسن أبو العلا:

مَكَّةُ يَا قِبْلَةَ الْأَرْضِ وَحَسْبِي  
 أَنْ بَنَى اللَّهُ كَيْبَانِي مِنْ قُرَاهَا  
 مَكَّةُ يَا مَنْزِلَ الْوَحْيِ وَضَيْيًّا  
 غَمَزَ الْأَكْبَوَانَ فَارْدَانِ بِهَاهَا  
 مَكَّةُ يَا مَهْدَ أَسَادِ الشُّعْرَى  
 اخْتَضَعُوا الْأَفْئَاقَ وَالْقَادَاتِ لُرَاهَا  
 تُرْبُهَا كَالْمِسْكِ عَطْرًا وَعَبِيرًا  
 وَأَمَانُ اللَّهِ قَدْ عَمَّ حِمَاهَا (٨)

(١) مدجل الحمام ٢ / ٥٤٩

(٥) مكذأ ورد في المصدر، وفيه خلل مروضي.

(٢) مدجل الحمام ٢ / ٦٧٠

(٣) مدجل الحمام ٣ / ٨٤٧

## رابعاً: الشعر الصوفي

له أيضاً قصب السبق في هذا الميدان الغزلي التجريدي، ونحن هنا لسنا معنيين بمقاصد ورموز الصوفية التي ترى في هذه المسميات كثي عن عوالم الروح. بمقدار عنايتنا بورود هذه الأسماء والصفات على الحال، وواقعية الشوق إليها كما في هذا القول لابن الفارض مترنماً بأسماء اللواتي خيمن في كدا، أو اجتمعن على ماء زمزم على سبيل التجريد، حيث يطلب من صاحبه الشدو بأسمائهن، وأن يذكره عندهن على طريقة عمر بن ابي ربيعة، وأن يبلغهن حزنه الشديد لفراقهن والبعد عنهن:

واشْتَدُّ بِاسْمِ اللَّامِ خَيْبَةً كَذَا  
عَنْ خُودِهَا وَهَنْ بِمَا أَحْصِيهِ حَيَّ  
نَهَمَ مَا زَمَزَمَ شَادَ مُحَسِّنُ  
بِحَسَانٍ تَخَيَّنُوا زَمَزَمَ جِي<sup>(١)</sup>

وما هو ذا يجرد من الكعبة فتاة الثنايا، يتمنى النهل من ريقها العذب، ويشيد بجمالها، ويدعوها لأن تمن عليه بنظرة، فيقول:

أَيَا كَعْبَةَ الْحُسْنِ الَّتِي لَجَمَالِهَا  
قُلُوبٌ أُولَى الْأَبَابِ لَبَّتْ وَخَجَّتْ  
بَرِيقُ الثَّنَايَا مِنْكَ أَهْدَى لَنَا سَبْلاً  
بَرِيقُ الثَّنَايَا فَهُوَ خَيْرُ هَدِيَّةٍ  
وَاحِى لِعَيْنِي أَنْ قَلْبِي مَجَاوِزُ  
حِصَاكَ فَتَأَقَّتْ لِلْجَمَالِ وَحُجَّتْ  
وَلَوْلَاكَ مَا اسْتَهْدَيْتُ بَرّاً وَلَا شَجَّتْ  
فَسَوَادِي فَابْكِي إِذْ شَدَّتْ وَرُقْ أُنْكَا  
أَرْوَمُ وَقَدْ طَالَ الْمَدَى مِنْكَ نَظْرَةٌ  
وَكَمْ مِنْ مِمَاعِدُونَ مَرْمَائِي طُلَّتْ  
وَقَدْ كُنْتُ أَدْعِي قَبْلَ حُبِّكَ بِاسْأَلُ  
فَعَدْتُ بِهِ مُسْتَبْسِلاً بَعْدَ مُنْعَتِي  
جَمَالَ مُحْيَاكِ الْمُصُونِ لِمَا مَعَتْ  
عَنْ اللَّحْمِ فِيهِ عُدْتُ حَيّاً كَمَا كُنْتُ<sup>(٢)</sup>

(١) شرح ديوان ابن الفارض ٧٢ - ٧٣

(٢) المصدر نفسه ٧٣٩

والفرق بين الغزل الصوفي في أماكن مكة وبين شعراء المدائح النبوية، أو شعراء التشويق والحنين، هو أن الغزل الصوفي كما ذكرنا له كناية ورموزه ومقاصده التي يهدفون إليها، أما الآخر فهو لون من الغزل الذي يعبر عن الحب للمكان، وظاهر هذه الأبيات الثنائية لابن الفارض هو التغني بحب الكعبة، والشوق إلى حماها، ولكنك إذا أعدت الأمر إلى رموزهم لوجدت أن الكعبة هنا كما يرمزون هي الحضرة المقصودة من حيث تجليها في قلوب المعارفين.<sup>(١)</sup>

ومع ذلك وإن وجه الشعراء والشارحون إلى بعض الكتابات والرموز، فإن بعض القصائد لشعراء الصوفية تكاد تكون من تلك العاطفة المشتركة، والحنين الجامع الذي يجمع لك محبة هذه الأماكن المقدسة، التي يجري حبها في عروق كل مسلم.

وينشغل الشعر الحديث بهذا الحب كما انشغل سابقه، ولكنه حب واضح للمكان، وإن تلبس بلبوس العشق الأنثوي، فكثير من عشاق مكة في الشعر الحديث لا يورثون من حبهم للمكان، بل يصرحون، ويشاغل الشاعر فؤاد حمدي طيف مكة، فيعلن غرامه بطيف محبوبته، الذي سريفاً ما يتضح أنه غرامٌ بالوطن، وحب للمكان، كما في هذا القول:

طِيفٌ يَشْتَاعِلُنِي أَمْ ثَوْرَةٌ بِنَمِي  
أَمْ نَوْرُ مَكَّةَ غَطَى رَقْعَةَ الْحَرَمِ  
أَمْ رَوْضَةٌ بِجَنَانِ الْخُلْدِ وَارْفَةِ  
أَمْ كَعْبَةٌ بُنِيَتْ تَهْدِي مِنَ الظُّلُمِ  
يَا لَأَمِي بِغِرَامِ كُنْتُ أَكْثَرُ  
قَدْ اسْتَفَاضَ فَنَوَى ثَوْرَةٌ بِنَمِي  
إِنَّمَا عَشَقْتَ جَمَالَ الْبَيْتِ مِنْ وَجَلٍ  
يَا وَيْحَ قَلْبِكَ بِالْإِلْمِ الْعَظِيمِ رَمِي<sup>(٢)</sup>

ويعلن سراج مفتي حبه للمبينة، ومن سواها يملك القلوب:

تِلْكَ الْمَدِينَةُ الْحَبِيبَةُ فِي الْقَلْبِ  
حُبٌّ وَمِنْ مَدِينَةِ مَكَّةَ نَهْـوَاهَا  
هِيَ أَمْ الْقُرَى بِكُلِّ جَلَالٍ  
مَكَّةَ الْحَبِّ مُشْرِقاً بِهَا<sup>(٣)</sup>

(١) انظر شرح ديوان ابن الفارض ٣٣٩

(٢) مدبل الحسام ٢ / ٤٤٩

(٣) مدبل الحسام ٣ / ٩٩٠

## خامساً: الحنين والشوق

حرارة الشوق والتوق، وشدة الحنين والوجد، والهيام والصباية إلى مكة عام وخاص، فاما العام: فهو لكل المسلمين الذين يشملهم أمر الله تبارك وتعالى لنبيه إبراهيم الخليل ﴿وَأُذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(١)</sup>.

ودعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَارًا غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس رضي الله عنهما: «تحنُّ إليهم، قال: وأراد حب سكنى مكة، فكل من لم يزر مكة يتمنى زيارتها ويشتاق إليها، وكل من زارها يتمنى العودة إليها، وتكرار زيارتها لما يتوق إليه من ثواب الله عز وجل، وبخاصة أنَّ مضاعفة الثواب فيها يزيد على غيرها من الأماكن، ولقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أتى هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه»<sup>(٣)</sup> ويكون المشوق الراغب للأماكن المقدسة يطفئ ظمأ الروح، ويستشفى بها من شدة الوجد وسقم البدن، من شدة معاناة البعد، سواء أكان ابتداءً ونهلاً، أم كان عودة وعللاً، إذ إنَّ من لم يزر مكة تدفعه الرغبة الجامحة، والشوق الأكيد لتحقيق هذه الرغبة في الزيارة حجاً أو عمرة، وأما العلل فهو شدة التعطش لعودة النهل، فمن رأى هذه الديار لا يرتوي إلا من زمزمها، ولا تكتحل عيناه إلا برؤية حرمها، ومن هنا يشتد العطش، وتشتعل نار الحنين في الصدور والقلوب، تحت الفكر والخطى للعودة.

وأما الخاص، فيختص بأهل مكة التي هي وطنهم وبلادهم وأرضهم التي بها نشأوا، وعليها درجوا، فإن خرجوا منها عبَّروا عن هذا الشوق العارم الذي يلازم كل بعيد ومقرب عن وطنه.

(١) سورة الحج آية ٢٧

(٢) سورة إبراهيم آية ٢٧

(٣) صحيح مسلم باب الحج ٤٢٨



ويعلك فؤاد علي رضا هذا الحنين، فيقول: «ونعمت قريش بالهدوء العائلي، فقد فطنوا إلى متعة السفر في سبيل الكسب، ولذة الحنين إلى الوطن وهم يبعدا، وفرحة العودة إلى الدار، ولقاء الأسرة والأصحاب، والتردد على مجالس السمر بعد طول اغتراب، ورغبة قريش عن الغزو والاثارة والأحقاد بينهم وبين جيرانهم، بل اتخذوا من هؤلاء الجيران أحلافًا وأعوانًا واضيافًا»<sup>(١)</sup> ومع القناعة بهذا القول، وأن حب الوطن، والشوق إليه قد يزداد مع البعد، إلا أن حب الوطن لا يبرر، فالأوطان على أي حال كانت تحب ويشتاق إليها حتى لو كانت خيمة في صحراء قاحلة، كما قالت ميسون بنت بحدل الكلبية في تشويقها لخيمة الأهل، على الرغم من أنها كانت تتنعل العز، وتسكن قصور الخلافة:

لَبِيتُ تَحْفُفُ الْأَرْوَاحِ فِيهِ  
 أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ  
 وَلُبْسُ عِبَاءٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي  
 أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ  
 وَاقْلُ تُسَيِّرُ فِي كَسْرِ بَيْتِي  
 أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرِّغْمِيفِ  
 وَبُخْشُؤُ مِنْ بَنِي عَمِّي نَحِيفُ  
 أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجِ عِلِيفِ  
 وَكَلْبُ يَنْبَحُ الطَّرَاقَ دُونِي  
 أَحِبُّ إِلَيَّ مِنْ قِطِّ الْبَيْفِ<sup>(٢)</sup>

فحب الوطن يسكن العروق، ولذلك قرن الله تبارك وتعالى الجلاء عن الوطن بالقتل، فقال جل ذكره: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾<sup>(٣)</sup> وجعل القتال بإزاء الجلاء عن الأوطان، فقال تقطعت أسماعه: ﴿وَمَا لَنَا إِلَّا نَقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا﴾<sup>(٤)</sup> وكفى أنه جعل الخروج عن

(١) أم القرى مكة المكرمة ١٧٤

(٢) المنتخب والمختار ٤٦٦

(٣) سورة النساء ٦٦

(٤) سورة البقرة آية ٢٤٦

الوطن عقوبة، فقال عزٌ من قائل: ﴿وَأَمَّا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُقْفَرُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي القول المأثور: «الخروج عن الوطن عقوبة»<sup>(٢)</sup>.

ومن هنا يبدو الحنين حنينين، والشوق شوقين، والتفريق بين هذين اللونين قد يبدو في ظاهره تعسفيًا، فيقول القائل: الشوق والحنين لا ينقسمان ولا يتجزآن ولكن المدقق في ثنايا هذا القول، يجد منطقياً، وهما إن ظهرا فرعين إلا أنهما من شجرة واحدة، وإن تدفقا نهرين فتميرهما من تبع واحد، وهما بذلك شقيقان متلازمان، إلا أن لكل واحد منهما طعمه ورويقه، وإن كان مذاقهما هو سلسيل الشوق، ولذة الحنين.

والحنين الأول هو حنين الذات إلى مسقط الرأس، وهو مسار من اغترب عنها من أهلها، وشعر الحنين عند هؤلاء يكاد يختلف عما يليه، إذ هو أدخل في باب الحنين للأوطان، وإن ظهرت فيه المسحة الدينية، فالمكان يفرض هذا الشكل لأنه ليس كغيره من الأمكنة، فأي مكان آخر وإن حمل الحب والشوق وتمني اللقاء فإنه لا يحمل في طياته ما تبعته مكة في نفوس المشتاقين من قداسة وروحانية، جعلت لشعر الحنين والشوق في مكة مذاقاً آخر وطعماً ذا نكهة خاصة متميزة بعبقها الديني، وهذا اللون في جانب حب الأوطان يتشارك فيه كل من ينشأ في مكان، حتى لو كان هذا المكان حرّة من الحرات، فقد قيل لأعرابي: من أين أقبلت ؟ قال: من هذه البادية.

قلت: وأين تسكن منها ؟

قال مساقط الحمى، حمى ضرية، موضعة أرضها لعمر الله ما أريد بها بدلاً، ولا أبغي عنها حولا، حفتها الفلوات، ونفحتها العذوات، فلا يملوإح ماؤها، ولا تحمي تريتها، ولا يُعمرُ جنبابها، ليس فيها قذى ولا أذى، فنحن بأرفه عيش، وأوسع نعمة.

قلت: فما طعامكم ؟

(١) سورة المائدة آية ٣٣

(٢) الحنين إلى الأوطان للكسروي ٣٣

قال: بخ بخ عيشنا - والله - عيشٌ يُعلَلُ جاذبه، وطعامنا أطيب طعام وأمنؤه، الفتُّ والهبيد والضباب واليرابيع والقناذد والحيات، وريِّما - والله - أكلنا الجلد، وشوينا القد، فلا نعلم أحداً أخصب منا عيشاً، فالحمد لله على ما بسط من النعم، وأنشد:

إلا هَلْ إلى شَمِّ الخُزامى ونظير  
إلى موطني قبل المماتِ سبيلُ  
فيا أثلَّ القاع من بطن نُوضِج  
حنيني إلى أطلالِكن طويلُ  
ويا أثلَّ القاع قلبي مُوكلُ  
بكن وجسدي خيرُكن قليلُ  
ويا أثلَّ القاع قد ملُّ مُحبَّتي  
مَسيري فهل في ظُلُكن مقيلُ  
أريد انحداراً نحوكم فيصنني  
ويمنَّعني نِئْنُ عليّ ثَقيلُ  
أحدثُ نفسي عنك أن لستُ راجعاً  
إليك فحزني في الفؤاد خصيل<sup>(١)</sup>

والاصطفاء الرياني مكة على سواها من البقاع يجعلها مثابة للناس وأماناً، واختيارها لتكون مقرُّ بيته، وحاضنة حرمه، وقبلة أمته، ثبَّتْها في القلوب والأفئدة، وأحيّاها في الخواطر والنواظر، فلهجت بها الألسنة، وتداولتها الأقلام، وزادها مكانة في القلوب وشرقاً بين البلاد أن جعلت زيارتها فرضاً على من استطاع من المسلمين، فدغدغت أحلامهم، وهفت إليها نفوسهم، وانشغلت بها مشاعرهم وعواطفهم.

وأجَّج نار الشوق إليها تلك الفضائل الجمّة التي جاءت تصلها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله عليه الصلاة والسلام «صلاة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة فيما سواه إلا مسجدني هذا»<sup>(٢)</sup>

(١) الحنين إلى الأوطان ٧ والفخ: حب يرى. والهبيد: حب المختل

(٢) صحيح مسلم (المج) ٥١٢

فإذا تعلّق القلب، وانشغل الفؤاد، لهج اللسان، وانتال البيان ليعبّر عن عظيم شوقه،  
وفيض حبه.

وأول الغيث قطر، وهذه أول قطرات الحنين تعصر من عيني عمرو بن الحارث بن  
مضاض الجرمي، عندما أخرجته خزاعة من ملكه، وطريقته عن مكة إلى خارجها يقول  
الأزرقى: «وقد كان أصابه من الصبابة إلى مكة ما أحزنه، فأرسل إلى خزاعة يستأذنها  
في الدخول عليهم، والنزول معهم بمكة في جوارهم... فأبت خزاعة.. فنزعت إبل لمضاض..  
فخرج في طلبها، حتى وجد أثرها قد دخلت مكة، فمضى على الجبال من نحو أجباد،  
حتى ظهر على أبي قبيس يتبصر في بطن وادي مكة، فأبصر الإبل تُنحر وتُوكّل، لا سبيل  
له إليها، فخاف إن هبط الوادي أن يُقتل<sup>(١)</sup>»، فكان أن أمضى الشوق والحنين مضاضاً،  
فقال مثلاً لما جرى، ومتشوّفاً لريّوح مكة:

وقاللة والدمعُ سكباً مُبادراً

وقد شرقت بالدمع منها المُحاجِرُ

كان لم يكن بين الحُجّون إلى الصفا

أنيسٌ ولم يُسَمّر بمكة سامِرُ

فلعلّ لها والقلبُ مني كأنما

يُتَجَلّجُ بين الجناحين طائرُ

بلى نحنُ كنا أهلّها فساوالنا

صروفُ الليالي والجنودُ العوائلُ

وكنّا ولاّ البيح من بعد نابتِ

نطوف بذاك البيت والخيرُ ظاهرُ

ملحنّا فعرّزنا فاعظم بملكنّا

فليس لحى غيرنا ثمّ فآخرُ

فإن تُلقن الدنيا علينا بحالها

فإن لها حالاً وفيها التشنّجُ

(١) تاريخ مكة / ٩٦

فَأَخْرَجْنَا مِنْهَا الْمَلِيكَ بِقَدَرٍ  
 كَذَلِكَ يَا لِلنَّاسِ تَجَرِي الْمَقَابِرُ  
 اقْسُوا إِذَا نَامَ الْخَلِيُّ وَلَمْ أَنْمِ  
 إِذَا الْعَرْشُ لَا يَتَعَذُّ سُهَيْلٌ وَعَامِرُ  
 وَبُنْتُ مِنْهَا أَوْجُهَا لَا أَحْبُهَا  
 قَبَائِلُ مِنْهَا حُمَيْرُ وَيَحَابِرُ  
 وَصِرْنَا أَحَابِيثًا وَكُنَّا بِغَيْطَةٍ  
 بِذَلِكَ عَفَفْنَا السَّنُونَ الْغَوَابِرُ  
 فَسَحَّتْ بِمَوْعِ الْعَيْنِ تَبْكِي لِبِلْدَمٍ  
 بِهَا حَرَمٌ أَثْنٌ وَفِيهَا الْمُشْتَاعِرُ  
 وَتَبْكِي لِبَيْتِ لَيْسَ يُؤْذِي حُمَامَةٌ  
 يَظَلُّ بِهِ أَثْنَا وَفِيهِ الْعَصَافِرُ  
 وَفِيهِ وَحُوشٌ لَا تُرْمُ أَنْيَسَةٌ  
 إِذَا خَرَجْتُ مِنْهُ فَلَيْسَتْ تُفَادِرُ<sup>(١)</sup>

وما أروع ليالي الانس! وما أجمل ذكريات السمر! وانظر كيف اختصر هذا الشاعر  
 ماضياً طويلاً في (كان) التي غدت فيصلاً بين ليالٍ مقمرة مضت، وبين ليالٍ مظلمة حلت،  
 (فكان) هذه بحرورها الثلاثة تمثل النقلة والفرق ما بين اجتماع الشمل والقتامة، وتصدّعه  
 وتمزّقه، ما بين الانس والآفة، والوحشة والفصمة، ما بين العزة والسلطان، والذلة والهوان،  
 ففي لحظة واحدة، انقضّ السامر، وأنهى البنيان العامر، ومن بعد خضرة وطيب عيش، إلى  
 كبرة وقتام وأغبرار علت وجه الحياة:

كَانَ لَمْ يَكُن بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا  
 أَنْيَسٌ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

(١) أخبار مكة للأزرقي ٩٧ / ١ - ٩٨ وتعديل للممام ٩٥٢ / ٢ وقد نسبت هذه القصيدة في بعض مصادر الشعر  
 المكي إلى مضاض، وإلى عمرو بن الحارث بن مضاض، وإلى الحارث بن عمرو بن مضاض.

لقد غدا هذا البيت معنىً سيئاً لكل حالة مشابهة. وأصبح نموذجاً يحتذى لكل من عرض له ما عرض للجرحي من التحول والتقل.

ونجد جرحياً آخر يحنُّ إلى مكة حنيناً يفيض بالأسى لما آل إليه أمر جرحهم من الخروج عن مكة، بعد أن كانوا مالكيها، وأصحاب الأمر فيها، ويبدو أنَّ هذا الجرحي قد طرد من مكة لاعتراضه سيد خزاعة عمرو بن لحي الذي نصب الأصنام حول الكعبة وغير الحنيفة. فقال له ناصحاً وموجهاً:

يَا عَمْرُو لَا تَظْلِمُ بِمَكَّةَ  
حَكَّةً إِنَّهَا بِلَدِّ حَرَامٍ  
سَمَّاكَ بِعَمَّاكَ أَتَيْنَهُمْ  
وَكَذَلِكَ تُخْرِتُ رَمَّ الْأَنَامِ  
وَبَنِي الْعَمَمِ الْبَقِيقِ الَّذِي  
مَنْ لَهُمْ بِهَا كَانَ السُّوَامُ<sup>(١)</sup>

فأخرجه عنها، فقال متشوقاً إليها:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتُ لَيْلَةً  
وَأَهْلِي مَعِيَ بِالْمَازَمِينِ حُلُولُ  
وَهَلْ أَرَيْنُ الْعَيْسَ تَنَفَّخَ فِي الْبُرَا  
لَهَا بِمَنْىً وَالْمَازَمِينَ ذَمِيلُ  
مَنَازِلُ كُنَّا أَهْلُهَا لَمْ تَحُلْ بِهَا  
زَمَانٌ بِهَا فِي مَا أَرَادَ تَحُولُ<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر نفسه ١ / ١٠١

(٢) أخبار مكة ١ / ١٠١

وهذا ابن أم مكتوم من شدة شوقه إلى مكة يسير بها ويطوف - على الرغم من كف بصره - بلا قائد ولا هادي ويقول:

حَبِّبْ لِي مَكَّةَ مِنْ وَادِي  
بِهَـا أَرْضِي وَعِـوَادِي  
بِهَـا تُرْسِخْ أَوْتَادِي  
بِهَـا أَشْشِي بِلا هَادِي<sup>(١)</sup>

(وكان) هذه التي تقيد التحسر على المرور السريع، وانتقضاء الأيام الجميلة التي عبر عنها الحارث بن مضاض تتكرر عند سديف بن ميمون الذي يقول:

كَأَنِّي لَمْ أَقْطُنْ بِمَكَّةَ سَاعَةً  
وَلَمْ يُلْهِنِي فِيهَا رَيْبٌ مُنْعَمٌ  
وَلَمْ أَجْلِسِ الْخَوْضِينَ شَرْقِي زَمْزَمٍ  
وَهِيَ هَاتِ أَيْنَا مِنْكَ لَا أَيْنَ زَمْزَمٍ  
يَحْنُ فَوَادِي إِنْ سَهِيلٌ بَدَا لَهُ  
وَأَقْسَمُ أَنَّ الشُّوقَ مَلَّى لِمَنْهُمْ<sup>(٢)</sup>

ويستمر مرير (كان) من العصر الجاهلي مروراً بالإسلامي إلى العصر العباسي وكان نعمة الحنين التي أطلقها الحارث بن مضاض نعمة أبدية سائرة، وانظر في هذا الالم الذي يبديه عبيدالله بن عبدالله بن طاهر عندما خرج من بغداد، إن نكري الجرمي في خروجه من مكة هي التي تنتصب أمام عبيدالله في خروجه من بغداد وتبدو المائلة، فيقول:

وَقَائِلَةٌ وَالْمُكَبُّ مِنْهَا مَبَادِرُ  
وَقَدْ قَرَحَتْ بِالْمَعِ مِنْهَا الْمُحَاجِرُ  
وَقَدْ أَبْصَرَتْ بِغَدَادَ مِنْ بَعْدِ أَنْسَهَا  
بَنَّا وَهِيَ مِنْهَا مَقْفَرَاتُ دَوَائِرُ  
كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّفَا  
أَنْتَيْسَ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

(١) أخبار مكة للأزقي ٢ / ١٥٤

(٢) المقعد الفريد ٥ / ٨٧

فقلتُ لها والقلبُ مِنِّي كأنما  
تخلُبُ بـه بين الجناحينِ طائرُ  
بلى ! نحنُ كنّا أهلَها فإزّالنا  
صروفُ الليالي والجدودُ العوائِرُ  
ولم تُبقِ مِنّا طاهرِيّاً مؤمراً  
رفيسّاً وأعلى ساسةِ الملوكِ طاهرُ  
أرقتُ وما ليلُ المُضَامِ بنائم  
وقد ترقّدُ العينانِ والقلبُ ساهرُ  
فيا نفسُ لا تُفَنِّي أسَى وانكري الأسَى  
فيوشكُ يوماً أن تدورَ الدوائرُ<sup>(١)</sup>

بل إن هذا المعنى الذي يفيض بالأسى والحزن لفارقة الديار والحنين إليها، يصبح  
مثلاً سائرًا تتمثله الالسنة في الحالات المشابهة، بل غدا الشعراء يضمنونه قصائدهم،  
كما في هذا القول لأبي علي اليوسي:

فاصْبَحْ في أرْجائها اليومُ مُنْشِداً  
يُرثِدُ مما قال من قَدْ خَلا شِعْراً  
كانَ لم يكن بين الحُجُونِ إلى الصفا  
أنيسُ، بلى لكن هوى جَدُّهم عُلْراً<sup>(٢)</sup>

وهذا شاعر يتعلق قلبه جبل نعمان فيقول صادقاً:  
ألا إيتها الركبُ اليمانون عرجوا  
علينا فقد أضحى هوانا يمانيا  
تَسْأَلُكُمْ هل سألَ نَعْمَانُ بَعْدَنا  
وحُبُّ إلينا بَطْنُ نَعْمَانِ واديا  
عَهْدُنا به صيداً كثيراً ومشرِياً  
به نَنقُحُ القلبَ الذي كان صاديا<sup>(٣)</sup>

(١) الموضح للموزياني ٥٤٣ - ٥٤٤ والأسى: الحزن. والأسى: للتسبي جمع أسوة

(٢) النبوغ المغربي في الألب العربي ٨٩٤

(٣) غاية اللرام ١ / ١٣٠



ويقول الحارث المخزومي وهو بالشام في تصوير هذا الشوق:

من كان ذا شَجْنٍ بالشام يحسُّهُ  
فإن في غيرهِ أمسى لي الشَجْنُ  
وإن ذا القصر حنَّاً ما به وطني  
لكن بمكة أمسى الاهل والوطن  
من ذا يسائل عَنَّا أين منزلنا  
لأنَّ الحوانة مَنَّا منزل قَمِينُ  
إذ نلبس العيش صفواً ما يكرهُ  
قول الوشاة ولا ينبو بنا الزمن<sup>(١)</sup>

ويستطيل أمية بن عائذ العمري مقامه في مصر، ويتشوق إلى مكة، فيقول من قصيدة يمدح بها والي مصر عبدالعزيز بن مروان:

ملى راكبٌ من اهل مصر واهله  
بمكة من مصر العشية راجع<sup>(٢)</sup>

ويقول ابن جماعة باعناً سلامه لمن بالمحصب:

يا سائق الاظعان إن جُرَّت الحمى  
سَلِّمْ على من بالمحصب دارة  
واشرخ له ما يلتقي مشتاقه  
من فرط شوق أحراقه ناره<sup>(٣)</sup>

ولابن الصاحب مثل شوق ابن جماعة، فيقول:

على الأبطح المكي طيباً سلامي  
وازكى تحياتي كمسك خيام  
إذا ذكروا في الحي طيب حديثه  
خلعت على السُّمار ثوب منام

(١) المصدر نفسه ١ / ١٣٠

(٢) شرح أشعار الهذليين ٢ / ٥٢١

(٣) الجواز بين اليمامة والحجاز ٢٠٦

## منازلُ افـــراحي وانسي ولئنني

وموسمُ اعيادي ودانُ هيامي<sup>(١)</sup>

ويهتز في صدر شاعر البطحاء الحنين إلى مكة، هذا الحنين الصافي النبع، الخالص لها والذي لا تشوبه شائبة الشوق لأحد غيرها، إنها وحدها المعنية بهذا الوجد الحار، والشوق المتلطي، والحنين الفياض، والعاطفة المتأججة، يقول:

إليكِ اشتياقي لا إلى الربيع والجمي

وفيكِ غرامي لا لسُطُدي ولا بُنني

ومما الحيُّ لولا انتِ إلا قِيلةٌ

ومما الربيعُ إلا موحشُ الإنسِ والسُّكنى

سلامٌ على وادي المُحَصَّبِ والتَّوى

وعهد الغواني والمعاهد والمغنى

ولولاكِ ما حنَّت ربابي إلى الجمي

ولا حملتُ رجلي عُذافِرةً وجنا

سلامٌ مشقوقٍ لا سلامٌ مُودِعٍ

ولكنَّ كُليباً مغرماً مدنفاً مُضننى

جنى ثمراتِ الوصلِ بالخَيْفِ من مِئى

وإن ثمارَ الوصلِ أحسنُ ما يُجنى

وللهِ ايامي بمئةٍ والصَّنْفَا

وطولُ مقامي ما الذُّ وما اهنى

ومسحتُ بالبيتِ العتيقِ محاجرِي

وقبَلْتُ من بعد الطَّوافِ به الرُّكنا

قضيتُ بها نُسكي وحجِّي وعُمَرتي

وخَفَّفتُ أوزاري وثَلْتُ بها الحُسنى

أعلَنُ نفسي بالاماني وينقضي

زمانِي ويونُ الوصلِ ما يُسهرُ الجَفنا

(١) للمجاز بين اليمامة والمجاز ٢٠٧

إلى ما يُبِيدُ الشُّوقَ والوَجْدُ دُونَهُ  
غِرامُ يَثِيرُ الوَجْدَ والهَمُّ والحِزْنَ  
أحْنُ إلى تلك المعاهدِ والرُّبَا  
حينَ امرئٍ يُلْكي الغِرامَ إذا أنا<sup>(١)</sup>

هذه النفقة الصافية من الحنين، تبعها نفثات من كل شاعر كانت مكة له موطنًا، ولعل الشريف الرضي صاحب الشوق القديم المتجدد من أكثر الشعراء تحننًا إلى ربوع مكة، فهو نبتها الذي يبدي في تشوقه آيات الحب والحنين، وتتراقص الصور أمام عينيه، فيدعو قلم الدموع ليسجل في حافظته هذا الإبداع الذي ظل على الأيام جديداً:

عارضاً بي ركبَ الحجاز أسافل  
مَـتى غُـدَّةَ بَـايَـامٍ سَـلَعِ  
وَاسْتَمَلَا حَـدِيثَ مَنْ سَكَنَ الْخَيْدَ  
فَأَتَنِي أَنْ أَرَى الدِّيَانَ بَعَثَنِي  
فَلَعَلَّنِي أَرَى الدِّيَانَ بِسَمْعِي<sup>(٢)</sup>  
يَا غَزْلاً بَيْنَ النُّقَا وَالْمُصَنَّنَى  
لَيْسَ تَبْسُقِي عَلَى نَيْبَالِكَ دَرْعِي  
كَلَّمَا سَأَلَ مِنْ قُرَآدِي سَهْمٌ  
عَادَ سَهْمٌ لَكُمْ مَنْخُضِيضُ الْوَقْعِ  
وَتَحَرَّجَتْ يَوْمَ رُحْتِ حَرَامَا  
مِنْ عَطَائِي فَمَنْ أَبَاكَ مُنْعِي  
مَنْ مُعِيدُ أَيَّامٍ سَلَعِ عَلَى مَا  
كَانَ مِنْهَا وَابْنَ أَيَّامٍ سَلَعِ  
طَالِبٌ بِالْعِرَاقِ يَنْشُدُ هِيَهَا  
تَ زَمَانَا اضْلَعُ بِالْجَزْعِ<sup>(٣)</sup>

(١) مدخل الحمام ١/ ١٣٢

(٢) المقتطف من أزهار الطرف لابن سعيد الأندلسي ١٣٣

(٣) ديوان الشريف الرضي ١/ ٦٥٧ - ٦٥٨

ويتشوق أخوه الشريف المرتضى، وهم أهل الديار وأهل الشوق والحنين، فيقول:

الاي نسييمَ الرّيح من ارضِ بابلِ  
تحملُ إلى اهل الخيامِ سلامي  
والني لأهوى ان اكونَ بارضهم  
على انني منها استلفتُ مَقامي  
وقد كنتُ كالعقُدر المنظّم منهم  
فهانذا سلخًا بغيرِ نظامِ  
أبيتُ أنجي أن يَلمَ خيالهم  
وكيف يزور الطيفُ دونَ منامِ  
فلا برقَ إلا خُلبَ بعدَ بَيْنهم  
ولا عارضنا إلا بياضُ جَهم<sup>(١)</sup>

وهذا شاعر مكة محمد بن إبراهيم الأسدي يقف بالمحصب قبل مفارقتها مكة،  
ويسأل عن أهله وماذا فعلوا:

قفْ بالمُحصبِ واسألْ أيّها الرّجلُ  
قلْكَ الرّسومَ عن الأحبابِ ما فعلوا  
همُ أقاموا عَهدِي في ديارهم  
أم صرفلّهم صروفُ الدهرِ فاحتملوا  
فما أسائلُ عن أثارهم أحدًا  
إلا أجابَ غرابُ البينِ قد رَحّلوا<sup>(٢)</sup>

وله قصيدة فريدة في التشوق لمكة. يذكر القضي منها مطلعها:

ديانَ الحسيّ أين همُ قَطُونُ  
انظُمانِ الأراكِ أم الحَجُونُ<sup>(٣)</sup>

(١) المقتطف من أنوار الطرف لابن سعيد الأندلسي ١٢٢

(٢) للممدون من الشعراء ١٣٩

(٣) للممدون من الشعراء ١٤٦

وممن ولد بمكة وتشوق إليها البهاء زهير ذلك الشاعر الرقيق، الذي يبدي في تشوقه  
عن صباية ما بعدها صباية، ولهفة حارة تصدح ما بين جنبيه، إنه حنين الذكريات،  
والأسف على انقضائها، وامتزاج هذا الحنين بالشوق للمحبة يجعله أشد التهاباً، وأكثر  
حرقة، فيلغ قلب صاحبه، ويشغل باله، فيعتريه الخبال، كما يقول:

أحنُّ إلى عهد المصص من مئى  
وعيش به كانت ترفُ ظلاله  
ويا حبذا أمواهة ونسيمة  
ويا حبذا حصباؤه ورماله  
ويا أسلفي إذ شطّ عني مزاره  
ويا حارّني إذ غاب عني غزاله  
وكم لي بين المروتين لبانة  
ويدرّ تمام قد حوتة حجاله  
مقيم بقلبي حيث كنت حبيبة  
ويار لعيني حيث سرت خبائه  
وانكسر أيام الحجاز فأنّني  
كأنّي صريع يغتريه خبائه  
ويا صاحبي بالخيف كنّ لي مسعداً  
إذا أن من ذلك الحجيج ارتحاله  
وخذ جانب الوادي كذا عن يمينه  
بحيث القنا يهتر منه طواله  
هناك ترى بيتاً لزينب مشرفاً  
إذا جئت لا يخفى عليه جلالة  
فلعل ناشداً بيتاً ومن ذاق مثله  
لدى جبر لم يدرك كيف احتبائه  
وكن هكذا حتى تُصادف فرصة  
تُصيّب بها ما رمته وتناله

فَعَرُضُنْ بِنُكْرِي حَيْثُ تَسْمَعُ زَيْنَبُ  
وَقُلْ لَيْسَ يَخْلُو سَاعَةً مِنْكَ بَالَةٌ  
عَسَاهَا إِذَا مَا مَرُّ نُكْرِي يَسْتَعْرِجُهَا  
تَقُولُ: فَلَنْ عِنْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ؟<sup>(١)</sup>

وهذا الشريف محمد بن بركات المكنى بابي نُمي الثاني تتأجج نار الشوق لمكة  
وأهل مكة في جوانحه، فيبدي في شعره عن عاطفة جياشة للمكان وعن حل به، يقول:

نَامَ الْخَلِيُّ فَمِمَّا لَجَفَنِي السَّابَهِرُ  
إِذْ بَاتَ سُلْطَانُ الْغَرَامِ مُسْتَبَامِرِي  
جَفَّتِ الْمَضَاجِعُ جَانِبِي كَأَنَّمَا  
شَوَّكَ الْقَتَارُ عَلَى الْفَرَاشِ مُبَاشِرِي  
وَتَأَجَّجَتْ نَارُ الْغَرَامِ وَاضْطَرَّتْ  
بَيْنَ الْجَوَانِحِ فِي مِخْنٍ سَرَّارِي  
وَشَجِيئُ مِنَ الْمِ الْفِرَاقِ وَخَانِنِي  
صَبْرِي الْوَفَى عَلَى الْخُطُوبِ وَنَاصِرِي  
خَلَّتِ الْمَنَازِلُ مِنْ أَهْلِي مَوَدَّتِي  
وَهُمْ هُمْ فِي الْحَيِّ قَرَّةُ نَاطِرِي  
أَهْلُ الصَّنْفِ بَيْنَ الصَّنْفِ وَطَوِيلِ  
مُلْقَى جِيَادٍ وَفِيضِ الشَّعْبِ حَامِرِ  
يَا أَهْلَ وَدِي لَوْ تَرَوْنِي بِعَمْدِكُمْ  
كَغَرِيبٍ قَوْمِ بَيْنِ أَهْلِي حَامِرِ  
مَنْ بَعْدَ جِيرَانِ الْجُنْفِ أَهْلُ الْوَفَا  
سَمَحْتُ بِإِرسَالِ الدَّمْعِ مَخَاجِرِي<sup>(٢)</sup>

ولا يقل شوق الشعراء المتشوقين لمكة من خارجها عن شوق أبنائها، بل لعله أشدَّ  
حرقة ولهفة، وهذا ابن عساكر عبد الصمد بن عبد الوهاب الشافعي أبو اليُمْن، يتحرَّق شوقاً  
إلى جيرة الحرم، فيقول:

(١) ديوان البهاء زهير ١٤٧  
(٢) الإشراف في تاريخ الأشراف ٣٠٢ - ٣٠٣

يا جـيـرتي بـين الحـجـونِ إلى الصـفا  
شوقي إليكم مجملٌ ومُفـصِّلٌ  
اهوى دياركم ولي بربوعها  
وجدتُ ثبطني وعهد أول  
ويزيني فيها الغدولُ صبايةً  
فيظلُّ يُغريني إذا ما يغلُدُ  
ويقول لي لو قد تبسكت الهوى  
فأقول قد عرَّ الغداة ثبلكُ  
بالحق قل لي كيف تُحسنُ سلوةً  
عنها وحسنُ تصبُّري هل يجمُلُ؟  
يا اهل ودي بالمحصب دموعُ  
من نازح يلقاكم يتعلَّلُ<sup>(١)</sup>

ويتشوق الحسن بن محمد الصفاني النحوي متشوقاً للكعبة:  
شوقي على الكعبة الغراء قد زادا  
فاسنحمل القلصن الوخادة الزادا<sup>(٢)</sup>

وينقل الفيروزآبادي بعض أبيات الشوق والحنين إلى الحجاز، فيقول: (وقد أكثر  
الشعراء ذكر الحجاز في أشعارهم، ومن ذلك قول أشجع السلمي:  
يا كفاف الحـجـجـاز هـوى دفينُ  
يؤرقني إذا هنت العشيُّ وونُ  
أحنُّ إلى الحـجـاز وساكنيه  
حنين الإلف فارقة القـريـنِ  
وابكي حين ترقى كل عين  
بكاء بين زلفه وبينه أنينُ

(١) المقد الثمين ٥/ ٤٣٢

(٢) معجم الألباء ٣/ ١٠١٥

فإن بُغِدَ الهوى وبُعِدَتْ عنه  
وفي بُعْد الهوى تجدو الشجون  
فأعـنـن من رأيت على بكاء  
غريباً عن أحبته حزين  
يموت الصبأ والكتـمـانُ عنه  
إذا حَسُنَ التذَكُّرُ والحنين<sup>(١)</sup>

وليس من شرط البحث الحديث عن الحجاز بعمومه، وإن كان الشوق والحنين في أغلبه للأماكن المقدسة، لكن ذلك قد يبعد بنا كما يقول الشاعر، فتتعدد الشجون، ويمتد البحث ويطول.

ويصور أحد الشعراء شدة شوقه إلى الأماكن المقدسة، ويبين عن عظيم صبره على فراقها وبعداء، ويرى أن تصبره كتحببر السقيم على طيب المقام، فيقول:

أغـلـمـت كـيـف تصـبـرُ  
عن رؤية البـيـتِ الحـرامِ  
والثـنـعـرِينِ ومسـجـدِ  
بالخـيـف يشـهـدُ كلَّ عامٍ  
وعن الزيارـة للـنـبـيِّ  
المـصـطـفـي خـيـرَ الأنامِ  
كـتـصـبـرَ المـنـكـوعُ بـالـ  
اسـقـامِ عن طـيـبِ المـقـامِ<sup>(٢)</sup>

ومن بديع التشويق والحنين قصيدة حجازية قالها علي بن الحسن الرعيني الشاعر الأندلسي متشوقاً إلى أرض الحرمين الشريفين، ومعبراً عن شدة الظمأ لما زمر، ويتمنى أن يلصق خده بترابها الطاهر، يقول:

(١) انظر المجاز بين اليمامة والحجاز ٣٢٩  
(٢) الوطن في الشعر العربي لوهيب طنوس ٢٩٠



حنيني إلى البيت العتيق شديد  
 وشوقي إلى وادي العتيق يزيد  
 فيما ليت شغري هل يباح إليهما  
 وصولاً فيحظى بالوصال عميد  
 ومن لي أن أدعى إلى حرمي هدى  
 وهل لي على تلك البقاع وقود  
 وهل نافع لي ماء زمزم غلة  
 لها بين احتام الخللوع وقود

ثم يحدث ركائبه مسرعاً ومبادراً:

فما لي لا أسمى إليها مبادراً  
 بقيّة عمر تنقضي وتبيد  
 تحت ركابي نحوها عزمة امرئ  
 بمخياة في ذات الإله يجود  
 بهم فيلقي بين عيني عزمة  
 ويمضي مضاء السهم حيث يريد  
 فاقضي لماء النفس في غرصاتها  
 غريباً لديها والغريب شهيد  
 وإن امرأ يقضي فريضة حجه  
 وزورة قبر المصطفى لسعيد  
 وقد فاز بالحسنى ونال زيادة  
 سعيد يواريه هناك صعيد

وينتهي بتوجيه السلام:

سلام على البيت الحرام وطيبة  
 يكر على رعيتهما ويعود

سلامٌ محباً كلما ذكر أرضها

تباعدت الأجفانُ منه تجوداً<sup>(١)</sup>

وفي قصيدة حجازية أخرى يبين هذا الشاعر عن عظيم شوقه، ومحبه لتلك البقاع، ويبيدي عدم صبره على فراقها، وهو يكثر السؤال وكأنه من لهفته لا يكاد يصدق أنه قد يشرب من ماء زمزم، وكما كان تأثير أبيات الجرحمي، فإن الشاعر هنا يختم قصيدته بما قاله بلال بن رباح رضي الله عنه في التشوق لمكة، فيقول:

الا هل إلى البيت العتيق سبيلُ

وهل لي في وادي الراك مسيلُ

وهل لصدر من ماء زمزم شربةُ

يُغُلُّ بها بين الضلوع غليلُ

ومن لي اتاح الله سُؤلي أن أرى

دموعي في بطن المسيل تسيلُ

فيا نجدُ أنجذني بهبة نفحة

تمرُّ بعطف الروض وهو بليلُ

ففي نفسٍ منها عليُّ غلالة

لقلبي وهل يُشْنِفي العليلُ عليُّ

ويا كم مبهة رعن الخليلُ بناها

أما مُسعدِي يوماً إليك خليلُ

تُكَلِّتُ فؤادي يوم انسائك أو أرى

إلى الصبر والسلوان عنك سبيلُ

فلا زال بي شوقٌ إليك مُبرِّحُ

ولا فأتني وجدٌ عليك طويلُ

وقبلي بلالٌ قال يشكو غرامه

وقد شأقته ظلُّ هناك ظليلُ

(١) الدليل والكلمة ٥ / ٨ / ٣٦٤ - ٣٦٥

(اللا ليت شمعري هل ابينت ليلة

بوانر وحوالي إنخير وجليل<sup>(١)</sup>)

ومكة هي القصد والغاية، وهي موضع الرحال وعندها يقال: القى عصا الترحال، فهذا جار الله الزمخشري يجاور بمكة، فيرى أنها متناهب ومرجعه، وإليها يكون عوده لا إلى بلده، فهي ملتزمه، وملقى رحاله:

أنا الجارُ جارُ الله مكةً مركزي

ومضربُ أوتادي ومعدُّ أطنابي

وما كانَ إلا زورةً نهضتني إلى

بلادِ بها أوطانُ رهطي واختبائي

فلما قضتُ نفسي وللهِ دُرُها

لُبانةً دارَ رُثُها غيَرُ حَيَّابِ

عزَّرتُ إلى بطحاءِ مكة راجعاً

كأنِّي أبو الشبلين كُرُ إلى الغابِ

فمن يلقى في بعضِ الثَّريَّاتِ رَحَّةً

فأمُّ القرى ملقى رحالي ومُنْتَابي

ومن كانَ في بعضِ المحاريبِ راحعاً

فلكعبةِ البيتِ المُحَرَّمِ مَحْزَابِ

إذا التصقتُ في آخرِ الليلِ لُبَّتِي

بمُلْتَزِمِ الأبرارِ من أيمنِ البابِ

أو التصقتُ بالمُستجارِ أو التقتُ

على الرُّكنِ أجفاني بسحٍّ وتَسْكَابِ

فقلْ لملوكِ الأرضِ يلهوا ويلعبوا

فذلكَ لهوي ما حييتُ وتلعابي<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر نفسه ٥ / ١ / ٣٦٥ - ٣٦٦

(٢) مخطوطة ديوان الزمخشري ص ٩ عن الإسماعيل بشرح شواهد القاموس والكشاف ٨٠٨

وإن ملا الحنين الضلوع، وتلججت ناره في الكبود، فإن نار بعض شعراء الصوفية تتلهب  
في شوقها، فهي أيام المني عند ابن الفارض، تلك الأيام التي قضاهما في ظلال تلك  
الديار، وهو يتمنى من صميم قلبه عودتها، فهل تعود؟

إيَّامَ ارتَعُ في مِيادِينِ العنَى  
جَزَلًا وَاَرْفَلَ في نِيولِ حَيَايِي  
مَا اَعْجَبَ الْإِيَّامَ تَوَجُّبَ لِفَتَى  
فِيحًا وَتَمَنُّةَ بَسْطِ عَطَاءِ  
يَا هَلْ لِمَاضِي عَيْشِنَا مِنْ عَوْدَةٍ  
يَوْمًا وَأَسْمَحُ بَعْدَهُ بِبَقَايِي

وتتزع مهجة علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشبيلي لانتشاق رائحة هوى  
مكة، فبكاء الوجد ومعاناة الشوق، تجعله يستعجل المطايا للوصول إلى منى قبل أن  
يخترمه الموت، كيف لا؟ وهو وصحبه الشعث الغبير تراهم وهم من شدة الأنين والبكاء  
يصدعون الصخر، لدرجة أنهم حرّموا على أنفسهم الماء حتى يشربوا من زمزم، يقول:

كَيْفَ لَا اَنْدُبُ هَهَذَا بِالْجَمَى  
عَنْ جِفَوْنِي طَارِقِ التُّومِ حَمَى  
نَزَعْتَ شَوْقًا إِلَيْهِ مَهْجَةً  
لَمْ يَدُخْ مِنْهَا الْهَوَى غَيْرَ ذِمَا  
يَا لِيَا لَيْنَا بِذِي الثُّورِ أَمَا  
يَتَسَلَّى الْقَلْبُ عَنْكَ أَمَا؟  
وَعَهْودًا بِاللَّوَى قَدْ سَلَفَتْ  
لَمْ أَذَلْ أَبْكِي عَلَيْهِنَ نَمَا  
يَصْدُقُ الْبَرَقُ فَوَادِي حَسْرَةٍ  
فَأَنَا أَبْكِي إِذَا مَا ابْتَسَمَا  
لَا تَلُومُونِي عَلَى الْوَجْدِ فَمَا  
يَقْفَرُ الْمَنْصَفُ بِاللَّوْمِ فَمَا

كَيْفَ لِي بِالْخَسِيفِ يُدْنُو وَيُنْزِي  
 فَهُمَا هُم قُنُودُ الرَّفَاهِ  
 يَا حُدَادَةَ الْعَيْسِ رِفْقًا إِنَّهَا  
 شَكَّرَتْ الْجَهْدَ وَتُعْجِزُ الْمُتَرَامِي  
 إِنَّهَا قَدْ حَمَلَتْ شُعْمًا إِذَا  
 مَا بَكَوْا قُلْتَ غَمَامٌ سَجَمًا  
 وَمَتَى أَتَوْا اشْتِيَاقًا وَشَكْوًا  
 صَدَعُوا الصَّخْرَ وَشَاقُوا الْأَصْصَامَا  
 شَرِبُوا الدَّمْعَ حَمِيمًا وَارْتَوَوْا  
 وَلِذَا عَالَمُوا الزَّلَّالَ الشُّبَّامَا  
 لَمْ يَزِنُوا الْعَيْسَ حَتَّى حَرَّمُوا  
 كُلَّ مَامٍ أَوْ يَحْتَوَا زَمَنَمَا  
 لَا تَلْمِزُهُمْ فِي الْبَكَاءِ مُطَتَدِيًا  
 كُلُّ جِيفَةٍ شَامٍ أَوْ هَامٍ هَمَامًا<sup>(١)</sup>

وهو يعتكف نفسه على أن عينيه لم تعد تسبح دمعا شوقا لتلك المعاهد، وهذا في  
 القياس غير صحيح، فلو كان صادق الحب لرشحت مقلته كما يقول:

ارى دعوى المَحَبَّة لا تصحُ  
 وَخُلِبَ بِرَقِّ عَزْمِكَ لَا يَسْحُ  
 وَلَوْ تَطَوَّى عَلَى عَزْمٍ صَحِيحٍ  
 لَهَا جَكَّةٌ مِنْ نَسِيمِ الْغُورِ نَفْحُ  
 وَكَنْتَ تَطْيِيرُ مِنْ طَرِبٍ مَتَى مَا  
 يَنْفُخُ لَكَ مِنْ بَرُوقِ الْخَسِيفِ نَفْحُ  
 أَثْنُ جَيْكِ الصَّمَامِ كُلِّ حِينٍ  
 وَمَا فِي مَقَلَّتِيكَ لَهْنٌ رَشْحُ<sup>(٢)</sup>

(١) الذيل والتكملة ٢/٥ / ٢٩٣ - ٢٩٥

(٢) المصدر نفسه ٢/٥ / ٢٩٧

والرحلة طلباً للمكارم هي الهم والغاية، ويترنم هذا الشاعر العاشق المتيم  
 بالتغني بالمطيم وزمزم، ويدعو نفسه وهو يتضرع إلى الرحمن في تلك المعالم أن  
 تظهر صفة الهوى بالبكاء الأحمر، حيث الدمع الأبيض لا يكفي للدلالة على صادق  
 المحبة، وجميل شجوه، وعذب ترنمه علم الحمام، فأصغى إليه، يقول من قصيدة تكتنز  
 عاطفة، وتتوهج حرارة:

بينَ المطيمِ وزمزمِ  
 أرسلَ جـ\_\_\_\_\_ونك بالدمِ  
 واضرغِ إلى الرحمن في  
 تلكَ المـ\_\_\_\_\_المِ شُرْخِ  
 لا تـ\_\_\_\_\_رضِ إلا عـ\_\_\_\_\_من دمِ  
 فيـ\_\_\_\_\_ها كلونِ الغندمِ  
 إنَّ الدمـ\_\_\_\_\_وعَ البـ\_\_\_\_\_يضَ لا  
 تمحو خطايا المـ\_\_\_\_\_جرمِ  
 باللهِ يا ريحَ الصُـ\_\_\_\_\_بِّ يا  
 أنهي سـ\_\_\_\_\_لامَ المُـ\_\_\_\_\_ظِ زَمِ  
 بُئِيَ حـ\_\_\_\_\_ديثُ أسـ\_\_\_\_\_ساءِ في  
 نادى الحـ\_\_\_\_\_جِ بـ\_\_\_\_\_يجِ الأعظمِ  
 وأنذِ بـ\_\_\_\_\_سُنِّ رَاكِ البـ\_\_\_\_\_لي  
 طـ\_\_\_\_\_رِ عليـ\_\_\_\_\_همُ وتـ\_\_\_\_\_سُنِّ مـ\_\_\_\_\_ي  
 وبـ\_\_\_\_\_رفِ ريحك تـ\_\_\_\_\_سُنِّ مـ\_\_\_\_\_ي  
 مُـ\_\_\_\_\_هَجِ المـ\_\_\_\_\_طايا الرُزَمِ  
 بُئِيَ حـ\_\_\_\_\_ديثُ مُـ\_\_\_\_\_تَيِّمِ  
 يهـ\_\_\_\_\_وى المـ\_\_\_\_\_طانَ إليـ\_\_\_\_\_همِ  
 تُصـ\_\_\_\_\_غى الحـ\_\_\_\_\_مامُ لشـ\_\_\_\_\_جـ\_\_\_\_\_وهِ  
 فـ\_\_\_\_\_يقـ\_\_\_\_\_ولُ ويكـ\_\_\_\_\_تعلمي  
 وتـ\_\_\_\_\_صـ\_\_\_\_\_يخُ نـ\_\_\_\_\_حو نـ\_\_\_\_\_حيبهِ  
 فـ\_\_\_\_\_تـ\_\_\_\_\_مدُّهُ بـ\_\_\_\_\_ترُفِ (١)

(١) الذيل والتكملة ٢٠ / ٢ / ٢٩٩

ويشتدُّ الأسف والتحسر والندم على انقضاء تلك الأيام، ويتمنى لو زادت، فأصبحت  
عشرًا، وهذا يذكرنا بامنية عمر بن أبي ربيعة الذي تمنى لو أنَّ الحج يتكرر في العام أكثر  
من مرة، فيقول:

أهنا لايامنا بالخَيْفِ لو بَقِيَتْ  
عشرًا وواهاً عليها كيف لم تُدْمِ  
هيهاتَ وأَسْفَى لو كان يُنْقِئُنِي  
أو كان يُجِدِي على ما فاتَ وأُتْمِي

والشوق إلى المكان بكل ما فيه من: أناس وجبال وتراب وشجر هو ذلك الشوق  
الجامع الذي يملأ على ابن الفارض سمعه وبصره وحسه، فيقسم:

وحياتكم يا أهل مكة وهي لي  
قسمٌ لقد قَلْبْتُ به أحشائي  
حُبِّيخُم في الناس أضحى مذهبي  
وهواكم بيني وعطفُـدُ ولائي  
فلِنَازلي سَرَجِ السُّرُجِ فالشبيب  
حُكَّةً فالنُّنْيَةَ من شِبَعابِ كُـدَامِ  
ولحاضري البيت الحرام وعامري  
تلك الخيام وزائري الحُفَماءِ  
ولغتيبةِ الحرمِ المريعِ وجيرةِ الدِّ  
حي المنيع تلُفُّـتِي وعنائي  
وربوعَةُ أَرَبِي اجنُ وربيعةُ  
طريقي وصارفُ أزمَةِ الامواءِ  
وجِبَالَةُ لَبِي مَرْزُوعِ ورمالةُ  
لَبِي مَرْزُوعِ وظلالَةُ أَفيسائي  
وثرابَةُ نِذْيِ الذكيِّ ومِـسَاوَةِ  
وِزْدِي الرُّؤْيِ وفي ثَرَاهُ ثَرائي

وَشَيْخَابُهُ لِيَّ جَنَّةٌ وَقِيبَابُهُ

لِيَّ جَنَّةٌ وَعَلَى صَنْفَاءٍ صَنْفَائِي<sup>(١)</sup>

وأهل المغرب أخرى بالشوق وأجدر، لبعد الشقة، وما يلاقونه من العنت والمشقة،  
ومن هنا فالشوق يكون أشد، والمشوق أشوق، يروي أبو عبد الله الحميدي، قال: أنشدني  
أبو محمد بن عبد الله بن عثمان النحوي بالمغرب لبعض أهل تلك البلاد في الشوق إلى  
مكة - شرفها الله تعالى - شعراً:

يَحْنُ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ فَوَادِي

وَيَحْدُو اشْتِيَايَ نَحْوَ مَكَّةَ حَادِي

وَلِي أَمَلٌ مَا زَالَ يَسْمُو بِهِمَّتِي

إِلَى الْبَلَدِ الْغُرَاءِ خَيْرِ بِلَادِ

بِهَا كَعْبَةُ اللَّهِ الَّتِي طَافَ حَوْلَهَا

عِبَادُهُمْ لِلَّهِ خَيْرُ عِبَادِ

لَا قُضِيَ حَقُّ اللَّهِ فِي حِجٍّ بَيْتِهِ

بِأَصْبَحِ دَقِّ إِيْمَانٍ وَاطْيَبِ زَادِ

أَطُوفُ كَمَا طَافَ النَّبِيُّونَ حَوْلَهُ

طَوَافٌ قَسِيْدٌ لَا طَوَافَ عِنَادِ

وَاسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْإِيْمَانِي تَابِعًا

لِسُنَّةٍ مُهْدِيٍّ وَطَاعَةِ هَادِي

وَارِكُحْ تَلْقَاءَ الْمَقَامِ مُصَلِّيًا

صَلَاةً أَرْجِيهَا لِيَوْمٍ مَعَادِي

وَأَسْمَى سَبُوعًا بَيْنَ مِرْوَةٍ وَالصَّفَا

أَهْلُكُلْ رَبِّي تَارَةً وَأُنَادِي

وَارْقَى عَلَى أَعْلَى الْمُفَرَّقِ دَاعِيًا

إِلَى اللَّهِ رَبِّي فِي صَلَاحِ فُسَادِي

(١) شرح ديوان ابن الفارض ٢٧٢



واتي مني اقصي بها الكفت الذي  
 يتيم به حجتي وهدي رشادي  
 فيا ليتني شارفت اجبلك مكة  
 فليت بنابر عند الحزم وادي  
 ويا ليتني قد جئت بطن محسّر  
 على ذات لون كالعقيق سناير  
 ويا ليتني رؤيت من ماء زمزم  
 صدى خلد بين الجوانح صادي  
 ويا ليتني قد زرت قبر محمد  
 فاشفي بتسليمي عليه فؤادي<sup>(١)</sup>

ويتجدد الشوق، ويجمله المشوق ويفصله، وتزداد صبابته بإغراء العذول، كما  
 يقول أبو اليمن بن عساكر:

يا جيرتي بين الحجون إلى الصفا  
 شوقي إليك مجمل ومفصل  
 اهوى دياركم ولي بربوعها  
 وجئت يورقني وعهد أول  
 ويزيدني فيها العذول صباباً  
 فيظل يغريني إذا ما يعذل<sup>(٢)</sup>

ويعبر الشعراء عن شدة الفرح والابتهاج لدخول مكة ورؤية الحرم، يقول ابن جبير لما  
 رأى البيت الحرام:

بدت لي اسلام بيت الهدى  
 بمكة والنور بابر عليــــه  
 فاحرمت شوقاً له بالهوى  
 واهدت قلبي هنئاً إليه<sup>(٣)</sup>

(١) إثارة الترخيب والتشويق ١٢٣

(٢) المجاز بين اليمامة والحجاز ٢٣٦

(٣) نفع الطبيب ٢ / ٢٨٤

ولا يصدق الشبلي نفسه أنه بين أحضان مكة، فيقول من شدة الوله:  
أبْطَحَــاءَ مَكَّةَ هَذَا الَّذِي  
أَرَاهُ عَجِيــئًا وَهَذَا أَنَا<sup>(١)</sup>

وعلي بن أفلح يحبس الركب، ويندب الربيع، ويكيي الدمن، ويتمنى عودة ذاك الزمن  
في ربوع الخيف ومعنى:

هَذِهِ الْخُصِيفُ وَهَاتِيكَ مَنَى  
فَتَرَفَّقْ إِلَيْهَا الْحَادِي بِنَا  
وَاحْبِسِ الرِّكْبَ عَلَيْنَا سَاعَةً  
تُثْلِبُ الرُّبْعَ وَتُبْكِي الدُّمْنَ  
فَلِذَا الْمَوْقِفِ اعْبُدْنَا الْبُكََا  
وَلِذَا الْيَوْمِ الدِّمَوعُ تَقْتَنِي  
زَمْنَا كَسَانًا وَكُنَّا جِيْرَةً  
يَا أَعْمَادَ اللَّيْلِ ذَاكَ الزَّمْنَا<sup>(٢)</sup>

وهذا أحد شعراء دمشق يهتف عندما حلَّ بها:  
أَنْخِ الرِّكَابَ فَهَذِهِ أُمُّ الْقُرَى  
قَدْ لَاحَ نَوْرُ الْهَدْيِ مِنْ مِشْكَاةِهَا  
وَاجْعَلْ شِعَارَكَ مِنْهُ تَقْوَى اللَّهِ كِي  
تَسْتَنْتِجَ الْخَيْرَاتِ مِنْ بَرَكَاتِهَا<sup>(٣)</sup>

وإذا كان الحنين إلى الأوطان جارئاً، فإن مكة تسلي عن الأوطان، وهذا شاعر  
صدَّته الأمواج عن ركوب البحر والعودة لبلده، فكتب في ذلك قائلاً:  
لَحْنٌ صَدَّنِي الْبَحْرُ عَنْ مَوْطِنِي  
وَعَيْنِي بِأَشْوَاقِهَا زَاهِرَةٌ

(١) مثير العزم للساكن ١٥٤

(٢) مثير العزم للساكن إلى أشرف الأماكن ٣١٨

(٣) خلاصة الكلام ٩٩

فَقَدْ زُخِرَ لِي مَكَّةُ

بَانْوَارِ كَعْبَتِهِ الزَّاهِرَةِ<sup>(١)</sup>

وفي ذلك يقول أبو عبدالله محمد بن علي بن يحيى الأنديسي، ويعد ذلك من النعم العظيمة عليه:

إِذَا كُنْتُ جَارًا لِلنَّبِيِّ وَصَحْبِهِ

وَمَكَّةُ بَيْتُ اللَّهِ مَلَى عَلَى قُرْبٍ

فَمَا ضَرَّنِي أَنْ قَاتَنِي رَغْدُ عَيْشَةٍ

وَحَسْبِي الَّذِي أُوتِيَتْهُ نِعْمَةٌ حَسْبِي<sup>(٢)</sup>

ومن شدة الحب تُنسى القلوب، ويخلفها أصحابها خلفهم في مكة بعد الرحيل، فهذا شاعر يفتش عن قلبه فلا يجده، ويبدو أنه تركه وديعة كما يقول:

لِي فِي الصَّجَازِ وَبِيعَةٌ خَلْفَتْهَا

أَوْدَعْتُهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ مُؤَدِّي

وَاطْلُهَا لَا بَلْ يَقِينِي أَنَّهَا

قَلْبِي لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ قَلْبِي مَعِي<sup>(٣)</sup>

والشوق يجعل ابن الفارض يتصور قلوب العاشقين مطروحة على أرض الخيف، ويطلب الإبل بأن تترفق حتى لا تطأها:

خَفَّفِي الْوُطَةَ فَمَ فِي الْخَيْفِ سَلَمٌ

حَتَّى عَلَى غَيْرِ فَوَادِرٍ لَمْ تُطَيَّ<sup>(٤)</sup>

ولا يكتفي بذلك بل هو ينشد ضالته التي ضاعت منه - على طريقة الشريف الرضي - وهي قلبه ما بين كداء وكدي، ويطلب إخلاؤه بالبحث عنه ورده إليه، وكما سبق فقلبه المتعلق بمكة ضاع فيها:

(١) نلح الطيب ٤ / ٣٢٧

(٢) نلح الطيب ٢ / ٦٠

(٣) شرح ديوان ابن الفارض ١٥٩ والبيتان فيه لم يُنسبا لأحد

(٤) المصدر نفسه ١٥٠

كَانَ لِي قَلْبٌ بِجِرْعَاءِ الْحِمَى  
 ضَمَاعٌ مَنِي هَلْ لَهُ رُدُّ عَلَيَّ  
 إِنْ ثَنَى نَاشِدُكُمْ ثَنُّ دَانِكُمْ  
 سَنُجْـرَا لِي عَنِّي عَنِّي عَنِّي  
 فَاعْبُدُوا بَطْحَاءَ وَادِي سَلَمٍ  
 فَهِيَ مَا بَيْنَ كَدَاعٍ وَكُذَيٍّ<sup>(١)</sup>

ويجعل روحه في مكة التي هي سؤله، وطيبه ثراها، ويتشوق إليها على البعد في  
 شعر يقطر غزوية، مما جعل عبدالله بن إدريس يتساءل في عجب عن هذه النفحات وهذا  
 السمر الشعري الذي في رأيه أعجز شعراء الوجدان، وأخرس أعلام الوصف، وفي ذلك  
 يقول ابن الفارض:

يَا أَهْيَلَ الْحِجَازِ إِنْ حَكَمَ الدَّهْرُ  
 رُبَّ بَيْنٍ قَحْطَاءَ حَتَّمُ إِرَادِي  
 فَنَرَامِي الْقَدِيمُ فَيَكُمُ غَرَامِي  
 وَوَدَادِي كَمَا عَهْدَتُمْ وَوَادِي  
 قَدْ سَكَنْتُمْ مِنَ الْفَوَادِ سُؤِيدَا  
 هُوَ وَمَنْ مَقَلَّتِي مَحَلَّ السُّوَادِ  
 يَا سَمِيرِي رَوْحُ بِمَكَّةَ رَوْحِي  
 شَانِيَا إِنْ رَغِبْتَ فِي إِسْعَادِي  
 فَذُرَاها سُؤْلِي وَطَيْبِي ثَرَاها  
 وَسَبِيلُ الْمَسِيلِ وَرَيْدِي وَزَادِي  
 كَانَ فِيهَا أَنْسِي وَمَعْرَاجُ قَنْسِي  
 وَمَقَامِي الْمَقَامُ وَالْفَتْحُ بَادِي  
 نَقَلْتَنِي عَنْهَا الْحِفْظُ فَجُذْتُ  
 وَارِدَاتِي وَلَمْ أَكُنْ أَوْرَادِي  
 أَوْ لَوْ يَسْمَحُ الزَّمَانُ بِغَوْدِ  
 فَمَعْسَى أَنْ تَعُوذَ لِي أَعْيَادِي

(١) المصدر نفسه ١٥١ - ١٥٢

قَبِيرَةُ الحَظِيمِ والركن والأَسَدِ  
 حَتَارِ والمَروَتينِ مَسْتَعَى العِبارِ  
 وظِلَالِ الجَنَابِ والجِجَرِ والميدِ  
 زَابِ والمَسْتَجَابِ لِلْمُصْطَارِ  
 مَا شَمَمْتُ البِشَامَ إِلَّا وَاهِدِي  
 لِقَوَادِي حَيَّةً مِنْ سُعَادِ<sup>(١)</sup>

ويقسم ابن الفارض على حب أهل مكة، بل إنَّ هذا الحب أصبح مذهبه، وهو أهم أريه، وهو يعدد الأماكن، ويستعيد حديثهم شوقاً إليهم، ومحبّة فيهم، حقاً إن قراءة هذا الشعر تجعلك تعيش حالة حب فريدة، جعلت الشاعر يستخدم كل الأدلة على صدق حبه، فهو لم يترك أسلوباً من أساليب التأكيد والتكرار، والقسم، والدعاء، والتمني، والتصوير والوصف إلا وجاء بها، بالإضافة إلى الألفاظ الدالة على شدة التعلق، وسيطرة معاني الحب التي تؤكد الهميان والحرقة، يقول:

يَا سَاكِنِي البَطْحَاءِ هَلْ مِنْ عَوْدَةٍ  
 أَحْيَا بِهَا يَا سَاكِنِي البَطْحَاءِ  
 قَبِيرِكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَهُوَ لِي  
 قَسَمٌ لَقَدْ كَلَفْتُ بِكُمْ أَحْشَاءِي  
 حُبِّي كُمْ فِي النَّاسِ أَضْحَى مَذْهَبِي  
 وَهُوَ اكُمْ أَرِييَ وَعَقْدُ وَلا لِي  
 يَا لِإِيْمِي فِي حَبٍّ مَنْ مِنْ أَجَلِهِ  
 قَدْ جَدُّ بِي وَجَدِي وَعَزُّ عَزَائِي  
 لَوْ تَدْرِي فِيمَ عَذَّلْتَنِي لَعَذَّرْتَنِي  
 خَفَضُ عَلَيْكَ وَخَلَّنِي وَبَلَّائِي  
 فَلِنَا زِلْ سَرْجَ المُرْبِيعِ فَالشَّجَبِ  
 مَكَّةَ فَالْخَنِيَّةَ مِنْ شُعَابِ كَدَاءِ

(١) المصدر نفسه ٢٧٧ / ٢

ولحاضري البيتِ الحرامِ وعامري  
 تلكَ الخيامِ تلقُني وعَنائي  
 ولغتيهِ الحَرَمِ المريعِ وجيرةِ الدِّ  
 حيِّ المنيعِ وزائري الحَلَماءِ  
 فمهمُّ همَّ صدُّوا نثُوا وصلُّوا جَنُّوا  
 غسِّدوا وقُوا هَجَزُوا رثُوا لُغنائِي  
 أَسْعِدْ أَخيَ وغنِّني بحديثِ من  
 حلَّ الأباطِحِ إنَّ رعيتَ رجائِي  
 وإذا أذى المِلمَ بمهـجـجـتي  
 فشدِّدْ أَعْيَشَابِ الحِجَازِ دوائِي  
 وترابهُ نَدْبِي الذَّكِيِّ ومِـسـاؤُهُ  
 وردي الرويِّ وفي ثِراءِ ثرائِي  
 وشِعَابِ لِي جَنَّةٍ وَقَبَابِ  
 لِي جَنَّةٌ وَعَلَى صَفَاءِ صَفَائِي  
 حَيَّا الحَيَا تلكَ المَنَازِلَ والرَّيِّ  
 وسقَى الوليِّ مِـسـواطِنَ الألامِ  
 وسقَى المشاعِرَ والمَحْصَنَ مِن مَنِي  
 سَخَا وَجَادَ مَوَاقِفَ الانْضَاءِ  
 ورعى الإلهَ بها أَصْحَابِي الأَتَى  
 سَامِرَتُهُمْ بِمَجَامِعِ الأَهْوَاءِ  
 يَا هَلْ لِمَاضِي عَيْشِنَا مِن أُؤَيَّةِ  
 يَوْمًا وَاسْمَحْ بِعُسْدَةٍ بَغْنَائِي<sup>(١)</sup>

وتقديرة مكة بالنفس، والدعاء لها بالحماية والصيانة هو لونٌ من ألوان الحب  
 والشوق، وتعداد مكارمها، وأسباب عظمتها هو أيضًا من هذا الباب، كي يصل منه إلى

(١) بيانه ٢ / ٣٧٠ - ٣٧٢

التعبير عما تتضمنه الجوانح من لهفة وشوق، كما يقول هذا الشاعر الأندلسي من قصيدة له:

امكّة تفديك النفوس الكرائم  
ولا برحت تنهل فيك الغمام  
وكنفت أكف السوء عنك ويئفت  
مناها قلوب كي تراك حوام  
فلأنك بيت الله والحرم الذي  
لعرّته ذل الملوك الامام  
وقد رُبعت منك القواعد بالثقى  
وشانك ايدبرّة وعوام  
وساويت في الفضل الصّراح كلاهما  
ثنال به الرّكلى وثمّصى المسام  
ومن اين تعدوك الفضائل كلّها  
وفيك مقامات الهدى والمعالم  
ومبعث من ساد الورى وحوى الطلى  
بمولد عبيد الله وهاشم  
نبي حوى فضل النبئين والهندي  
لهم اولاً في فضل وهو خاتم  
وفيك يعين الله يلتمها الورى  
كما يلتم اليمنى من الملوك لائم  
وفيك لإبراهيم إذ وطىء الصفا  
ضحي قدم برهانها متفادم  
دعا دعوة فوق الصفا فاجابة  
قطوف من الفج العميق وراسم

ويعد تعداد جوانب الفضل وخصال الفضائل، يهدف لزيارتها، ويدعو الله أن تتحقق  
أمنيته، في الشرب من زمزم، وفي التلبية مع الحاج:

أَنهْفِي لِأَقْدَارِ عِدَّتْ عَنْكَ هُمَاتِي  
 فَلَمْ تَنْتَهْضْ مِنِّي إِلَيْكَ الْعِزَّائِمُ  
 فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى فِيكَ دَاعِيًا  
 إِذَا جَارَتْ لَكَ فِيكَ الْغَمَائِمُ  
 وَهَلْ تَفْحَوْنَ عَنِّي خَطَايَا اقْتَرَفْتُهَا  
 خَطِيءٌ فِيكَ لِي أَوْ يَعْثُلَاتُ رِوَاسُمُ  
 وَهَلْ لِي مِنْ سَقِيَا حَاجِبِكَ شَرِبَةُ  
 وَمَنْ زَمَزَمَ يُرْوِي بِهَا النَّفْسَ حَائِمُ  
 وَهَلْ لِي فِي أَجْرِ الْمُتَّبِعِينَ مَقْسَمُ  
 إِذَا بُنِلَتْ لِلنَّاسِ فِيكَ الْمَقَاسِمُ  
 وَكَمْ زَانَ مَفْنَاكَ الْمُعْظَمُ مَجْرَمُ  
 فَحُطِّتْ بِهِ عِذَةُ الْخَطَايَا الْعِظَائِمُ  
 لَئِنْ قَاتَلَنِي مِنْكَ الَّذِي أَنَا رَائِمُ  
 فَإِنَّ هَوَى نَفْسِي عَلَيْكَ لِرَائِمُ  
 وَإِنْ يَحْضُرْنِي حَامِي الْمَقَابِيرِ مُقْبِرُ  
 عَلَيْكَ فَإِنِّي بِالْفُؤَادِ لِقَادِمُ

ثُمَّ يَخْتَمُ بِإِهْدَاءِ أَزْكَى السَّلَامِ وَالتَّحِيَّةِ:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا طَافَ طَائِفُ  
 بِكَعْبَتِكَ الْعَالِيَا وَمَا قَامَ قَائِمُ  
 إِذَا نَسِمَ لَمْ تُهْجِرْ عَنِّي تَحِيَّةُ  
 إِلَيْكَ فَمُهْدِيهَا الرِّيَّاحُ الدَّوَّاسِمُ<sup>(١)</sup>

ويتشوق أبو علي المروزي الحسن بن علي القطان بعد أن مكث مجاوراً بالحرم  
 فترة، ويعبر عن نفس متروعة بالشوق، مولمة بحب البيت الحرام وكلّ الأماكن الشريفة من  
 خيف منى، إلى المحصب والصفا وشعب عامر، ويظل يعالج الأسى، ويداري حزنه، فيقول:

(١) قتادة العتيان ٧٣٠ - ٧٣١



خليلي هل تشفي من الوجد وقفة  
 بخيف مني والسامرون هجوع  
 وهل لليلات المحصب عودة  
 وعيش مضى بالمازمن رجوع  
 وهل سرحة بالسفح من ايمن الصفا  
 زعت من عهودي ما اضاع مضيع  
 وهل فؤدت خني على ابرق الحمى  
 وما ذاك من قدر الزمان بديع  
 وهل تزين ماء بشيغب بن عامر  
 حوالث لو يقضى لهن شروغ  
 واني متى اعصر التسجل والاسى  
 فللشوق مني والغرام مطيع  
 كفى حزننا اني ابيت وبيننا  
 من البيدر ممتد الفجاج وسبيح  
 أعالج نفسا قد تولي بها الاسى  
 وطرفا يجف الكرن وهو هموع<sup>(١)</sup>

ومن جميل قوله دعوته على داعي التفرق بالعمى:  
 الا قل لجيران الصفا ليت داعي الله  
 تفرق اعلى يوم راح مناديا  
 لعمري لقد ودعت يوم وداعكم  
 بشعب المنقى شعبة من فؤاديا<sup>(٢)</sup>

ويبدو شوق المجرب اقوى واشد، والدعاء بالسقيا يتكرر في كثير من قصائد  
 الشوق، وابن الجوزي يبرر تشوقه لمكة، فيقول: (وصلني كتاب من بعض إخواني من

(١) مجمع الالباء ٣ / ٩٦٠

(٢) مجمع الالباء ٣ / ٩٦٠

الحاج يتضمن الاستيحاش لي في طريق مكة، فهيج شوقي إلى تلك الأماكن، فكتبت إليه أبياتاً منها:

أشراكم في النقا فالمنحنى  
يوم سلع تـكـرونا فـكـرونا  
انقطعنا ووصلكم فاعلموا  
واشكروا المنعم يا أهل منى  
قد ربحتكم وخسرنا فاصلوا  
بفضول الريح من قد شربنا  
يا سقى الله الحمى انتم به  
ودعى تلك الرضا والدنا  
ما قطعتم وإينا إلا وقد  
جئنا أسعى بأقدام المنى  
إن سقاكم ديمة هائلة  
فدموعي قد جرت لي أغينا  
وانادي كلما لبئسكم  
في فؤادي أسفا وحزنا  
امروا شوقنا إلى ذاك الحمى  
شوق محروم وقد ذاق الجنى<sup>(١)</sup>

وعلى مدى العصر يظل شعر الحنين شعلة متوهجة لمكة بلداً وقبلة، ومن شوق أهل البلد في القرن الحادي عشر ما ورد في شعرهم كثير، يقول الدكتور عائض الرادادي: (وشعراء الحجاز في القرن الحادي عشر مرت بهم تجربة الغربة عن الوطن والأهل، وظهر في شعرهم صدى الغربة والحنين)<sup>(٢)</sup> ويذكر من هؤلاء الشعراء: إبراهيم الخياري، ومحمد كبريت، وابن معصوم وأبنيه، وأحمد بن مسعود، وأبو الفضل محمد بن العقاد، وعلي بن القاسم العلنا، وعمار بن بركات، وأحمد الجوهري وعدداً ليس باليسير.

(١) مثير العزم للسكان إلى أشرف الأماكن ١٢٧

(٢) الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ٢٨٢-٢٨٣

ويلوم أحد الشعراء وهو محمد بن علان الصديقي هؤلاء الشعراء على ترك مكة، فيقول معاتباً:

ولا عذرٌ لذي امنٍ مـ  
بمكة لو يكونُ بضيقٍ عيشٍ  
بتـرحالٍ إلى بلدٍ سواها  
لخلفى العيش إلا محضَ طيشٍ<sup>(١)</sup>

وهذا الذي ينهى عنه الصديقي ويلوم الشعراء عليه، هو ما يحسنه علي بن معصوم الذي يصور لحظة فراق مكة بلحظة فراق الروح، وأن هذا الفراق يأتي بتصريف الأقدار، ولولا الحاجة الماسة لما فارقها، وفي ذلك يقول:

فأرقتُ مكةً والأقدارُ تُحـمـني  
ولي قـوـاذٍ بها نـاوٍ مـدى الزمـنِ  
فأرقتُها لا رضىً مئى وقد شهدتُ  
بذاك أملاكاً ذاك الجـبـر والرُّكنِ  
فأرقتُها وبوئى إذ فرقتُ بها  
لو كان قد فأرقتُ روجي بها بدني<sup>(٢)</sup>

ونقل لنا ابن الجوزي هذه الآيات المحترقة على لسان امرأة، يقول: (خرجت أم أيمن بنت علي امرأة علي الروذباري من مصر وقت خروج الحاج إلى الصحراء، والجمال تمر بها، وهي تكي وتقول:

فقلتُ دعوني واتّبـاعي ركبـكم  
أكن طوعاً أيديكم كما يفعل العبدُ  
وما بال زعمي لا يهونُ عليهم  
وقد علموا أن ليس لي منهم يدُ

(١) المرجع نفسه ٢٨٥

(٢) سلوة الغريب: مجلة المورد العراقية، المجلد الثامن، العدد الثاني، ص ١٦٢ سنة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

وتقول هذه حسرة من انقطع عن الوصول إلى البيت، فكيف تكون حسرة من انقطع عن رب البيت<sup>(١)</sup>.

ويمتلئ شعر العصر الحديث بالحنين، فشعراء مكة الذين غادروها لأمر ما كالأعمال العلمية أو الدبلوماسية أو لأي أمر هام، قد هاموا عشقاً بها، وشعر الشوق للمكان اشتد في الشعر الحديث، وكانت البواعث عديدة، ففترة الاستقلال، وغربة الشعراء عن أوطانهم طلباً للرزق كما عند شعراء المهجر، أججت شعر حب الوطن في النفوس.

وهذا حسين فطاني الذي يبتعد عن بلده في مهمة دبلوماسية، يتشوق على البعد مكة، ويحن إليها حنيناً هائماً، فيقول:

يا قِبلةَ المجد في أعلى عوالمها  
ويا مَنى النفس يا أغلى أمانيها  
في ذكرياتك تُغمي كَمَا خُطرتُ  
أحسستُ نشوةَ أيامي تذايبها  
تلك الصُّبَابَاتُ في سنِّ الشُّبابِ لها  
مباهجٌ وهي أشواقٌ تُسميها  
تأثيرها في حنايا النفس متصلٌ  
تقاصرُ البعدُ أم طالت لياليها  
نُسبُ القوادِ أحاسيسنا تلمُّ به  
في مهبط الوحي والإيمان يُعليها  
لعلَّ جارحةٍ معنًى تهيمُ بها  
تستودعُ القلبَ أسراراً تداريها

لماذا كل هذا الشوق والحنين ؟ إنَّ كل التبريرات التي يقدمها الشاعر معقولة ومنطقية، فقد ولد بها هو وأجداده، ومن عزَّتْ بلاده عز، ومكة هي قبلة المسلمين أينما كانوا، فهي معهم في حلهم وترحالهم، يصورون وجوههم نحوها في كل صلاة، ومع كل

(١) مثير الغم الساكن إلى أشرف الأماكن ١٢١/٨

هذه التبريرات، فليس هناك مثل مكة، ولا كاملها جيران الله، ونحن نقول: الحب والشوق للوطن لا يبران، فكيف إذا كان هذا الوطن مكة ؟

وعزُّ في الناس من عزَّت بلادهم  
بما اشادوا لها أو شيدوا فيها  
ولا كمئة في الأمجاد من وطن  
حاشا ولا مثلها أهل كاهليها  
وصبيئة المصطفى عثاب يحفظها  
للجيل صنفًا وللأجيال يرونها  
الله يختار من يرضى لجيرته  
أهلًا وجيرة رب البيت تُرضيها  
ومكة قبله الإسلام تُجَمُّهُم  
عقود نور أضاعت بين نايها  
ولدت فيها وأجدادي بها نشأوا  
على هدى الله إجلالاً لباريها  
بكل قطر به الإسلام لي نسب  
تُعَاذُ صدق أقاموا في أقاصيها  
يَرَوْنَ مكة في حلٍّ ومُـرْتَحِلٍ  
وفي صلاتهم لله صلواتها  
وجوههم نحو بيت الله مقبله  
وحيث كانوا فشطر البيت ولؤها<sup>(١)</sup>

والشاعر علي زين العابدين من أبنائها الذين ابتعدوا عنها، يدعوها لتجدد عمره الذي ضاع في الغربة، ولتضمد جراحه النازفة:

جسدي غمري الذي ضيعة  
وانفقي العزم بنفسي ذا مضام

---

(١) هديل الحسام ٢ / ٤٦٦

هدهديني فـسـالـنـوى لـوـعـني  
لـوعـة غـالـت شـمـوخي وإبائي  
ضـمـدي جـرحي الذي سـال دـمـا  
وتنـزى دافـعا بالكـبرياء

وعندما يعود ويرأها يهتف:

يا لبـشـرايَ وهـذي فـرحـتي  
فـرحـة شـاعـت بـاهـداي رجائي  
عـسـوة النـازح اضمـاء الجـوى  
واثـنـى يـرمل في بـرد الرضـاء  
ويـخ هـذا الذـهر كـم جـرـعـني  
كـاسـة المـلـح من ذؤب الشـقاء<sup>(١)</sup>

#### • الشوق العكسي

ومع شدة الشوق الذي أبداه الشعراء في شعرهم نحو مكة ومشاعرها، إلا أننا نجد بعض الشعراء هاجهم الشوق، وهزم الحنين إلى بلادهم بعد طول مكثهم في مكة، فكان ابتعادهم عن أوطانهم، وفراقهم لذويهم دافعا لأن يشرب بقصائد الشوق العكسي، ولعل نمير بن كهيل من أوائل من هنا إلى ديارهم وهم في مكة، يقول في حنينه إلى نجد على لسان جملة:

يـحـنُ قـعـودي نو الحـيا طـمـبـابة  
بـمـكة وهـنا من تـذكـره نـجـدا  
تـذكـر نـجـدا مـوهـنا بـعـدا انطـوت  
ثـمـيلـة وازدادت عـن الفـه بـعـدا  
تـذكـر نـجـدا حـاديا بـعـد قـادم  
ولا يـلبـثُ الشـوقان أن يـمـتـدا الكـندا<sup>(٢)</sup>

(١) مكي قبلي ٢٤٠

(٢) شعر قبيلة أسد ٥٩٥

وهذه ناقة ذي الرمة تتشوق للعودة من منى بعد أن رأت الإبل تستعد للرحيل والعودة إلى أوطانها، فيقول واصفاً شوقه وشوقها:

أرى ناقتي عند المَحْصَبِ شاقها  
رواحُ اليماني والهديلُ المُرجِعُ  
فقلتُ لها إِرِّي فإن ركبنا  
وركبناها من حيثُ تُهَوِّنُ نُرُغُ<sup>(١)</sup>

ولعل شوق الشريف الرضي إلى العراق يمثل هذا الشوق العكسي، فكم أبدى تشوقه إلى مكة، ومثل لنا كل صور الحنين كترك قلبه هناك، وشدة لهفته إلى ديارها، ومع ذلك فهو يبدي عن شوق آخر معاكس، كما في قوله:

وبالعراق وطُرى  
يا بُغْدَادَ مَا لَاحَ لَنَا  
اشْتَاتَا فُلُهُمْ وَمُرْبِخُ  
إِلَى زُودٍ بِسِيْنَا  
يا ويح لي من شُحْبِي  
أَمَا مَلَلْتُ الشُّجْنَ<sup>(٢)</sup>

ويتشوق أبو محمد اليزيدي إلى الأحبة بعد منصرفه من مكة قائلاً:  
يا فرحتنا إذ صرفنا أَوْجَةَ الإِبِلِ  
نحو الأحبةِ بالإزماعِ والعجلِ  
نحْنُهنَّ وما يُزْمِنُ من دأبِ  
لكنُ للشُّوقِ حُكْمًا ليسَ للإِبِلِ<sup>(٣)</sup>

كما رأينا عند البرعي من شدة الشوق إلى مكة، فإنَّه بعد طول غياب يحنُّ إلى ريعه ودياره، فيقول:

(١) ديوان ذي الرمة ٧٦

(٢) ديوان الشريف الرضي ٢ / ٤٨٢

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز: ٢٧٤

طيفُ الخيالِ من الثَّيَابِتينِ سَرى  
 إلى الحجازِ فوافى مَضْجَعِي سَحرا  
 سَرى على بعدِ دارينا يَنْمُ بهِ  
 رَوْحُ النسيمِ قَيْهَدي مَنَدلاً عَطِرا  
 فكمْ وكمْ جازَ من سهلٍ ومن جبلٍ  
 ومن وعورٍ إلى أمِّ القُرى وقُرى  
 الفدیه من زالحرِ ما زارني ابداً  
 وذاكرٍ ما نَسِي وبني ولا نَكَرا  
 وحاضرٍ نُصِبَ عيني وهو مبتعدُ  
 عني فما غابَ عن عيني ولا حَضرا  
 ليت الأراكَ التي مرَّ النسيمُ بها  
 تدري بشكواي بل ليت النسيمُ درى  
 ما صَبْرُ صَبٍّ لهُ في كلِّ جارحةٍ  
 جرحَ أعادَ عليه صَبْرُهُ صَبْرا  
 وطالما هاجتِ الشكوى له شَجْجاً  
 فذَكَرَتْهُ زماناً مرَّ فأنكَرا  
 من لي بطفلين من خلفي كأنهما  
 رُغِبَ القطا إذ عَدِمْنَ الماءَ والشُّجْرا  
 فارتقتُ ریحانتي قلبي وما رَحِيتُ  
 نفسي الفراقِ ولا اختَرْتُ النوى بَطْرا  
 ولم يكنوا حبيبينِ اقْتَدَبْتُهُما  
 في غريتي بل فحسنتُ السَّمْعَ والبَحْرا  
 هما وديمعةٌ من يرعى ودائعهُ  
 ومن يَرى وهو داني القرب ليس يُرى<sup>(١)</sup>

(١) شرح ديوان البرعي ١٠٧-١٠٨



ولما قفل ابن جبير من رحلة الحج الأولى عائدًا إلى الأندلس ولاحت له من على ظهر  
البحر جبال دانية، قال متشوقًا:

لي نحو أرض المني من شَرْقِ اِنْدَلُسِ  
شوقٌ يؤلِّفُ بين الماءِ والقبسِ  
لاحت لنا من نراها الشَّمُ شامخةً  
تُدني لزهَرِ الدَّراري كَفُ مُلْتَمِسِ  
وقد اغدَّت بنا في اليَمِّ جاريةٌ  
سوداءُ لا تستطيعُ الجري في يَبَسِ  
تُنازعُ الريحُ منها صَهْبٌ مَلَوَّها  
فترتمي بعنانِ مُسَمِّحِ سلسِ  
لولا حذاري أن أدكي لها لَهَبًا  
زجَّيْتُها بريحِ الشوقِ من نَفْسِي  
يا ليت شمري والامالُ مُطَوِّدَةٌ  
وربما امكنت يومًا لِمُحْضَلِسِ  
هل يُدَثِّونُ مَزازَ الشُّوقِ إنْ بهِ  
ما شئتُ من نُهْزِ لائِسِ او خَلَسِ  
وهل تعودنُ أيامَ رَشَفَتِ بها  
سُلَافَةُ العيشِ احلى من جَنَى النُّعَسِ<sup>(١)</sup>

وهذا شاعر عراقي هو فخر بن سيف يقول وهو بمكة متشوقًا إلى بلده العراق:

حملتُ من الشُّوقِ عبئًا ثَقِيلًا  
فاورثَ جِسمي المُعْنَى ثُحُولًا  
وصيَّرتني كَلِفًا بِالْفرا  
مِ اُنْدَلُسِ رِيْعًا وابْكِي مُلُولًا  
نشدتُكُمَا اللّهُ يا صاحبي  
يَ اِنْ جُنْتُمَا بِلُوا الطُّلُجِ مِيلًا

(١) الذيل والتكملة ٥ / ١ / ٦٠٥

نُسائلُ عن حَيِّسِهِم بِالْعِرا  
قِي هَلْ تُؤَوِّضُ أَمْ تُرَاهُ خُلُولا<sup>(١)</sup>

وهناك حنين مختلف، وشوق من نوع آخر، إنه شوق الحكم والتملك، حكم بلاد الحرمين، وهذا الملك المنصور بن أبي عامر ملك الأندلس يمئى نفسه ويتشوق لحكم مصر والحجاز معاً، فيقول:

مَنْعَ الْعَيْنِ أَنْ تَذُوقَ الْمَنَامَا  
حُبُّهَا أَنْ تَرَى الصَّنْفا وَالْمَقَامَا  
لِي دِيُونٌ بِالْشُّسْرِقِ عِنْدَ أَنْاسِ  
قَدْ احْتَلَا بِالْمَشْتَعِرِينَ الْحَرَامَا  
إِنْ قَضَوْهَا نَالُوا الْأَمَانِي وَالْأَ  
جَعَلُوا دُونَهَا رِقَابًا وَهَامَا  
عَنْ قَرِيبٍ تَرَى خَيُولَ هِشَامِ  
يَبْلُغُ النِّيلَ خَطْوُهَا وَالشَّامَا<sup>(٢)</sup>

#### ● مثيرات الحنين ومنبهات الشوق:

تعددت مثيرات الحنين، ومنبهات الشوق، فكان البرق والخيال وركب الحجاج المسافرين ووصاياهم من أشد المثيرات التي تدفع بالشعراء لاستنهاض همهم للرحيل إلى الأماكن المقدسة، فهذا البرق الحجازي يستثير لمعانه أشواق العاشقين، ويثير أوار حُبهم وحنينهم، وأنظر ما فعله البرق بآبن دقيق العيد، لقد قدح في قلبه شرارة الشوق، فقام بها عشقاً وطرباً، فقال:

يَهِيئْ قَلْبِي طَرِبًا عِنْدَمَا  
اسْتَلَمَحَ الْبَرْقُ الْحِجَازِيَا  
يَا هَلْ أَقْصَى حَاجَتِي مِنْ مِئَى  
وَأَنْحَرُ الْبُسْرَى الْمَهَارِيَا<sup>(٣)</sup>

(١) غاية للرام ١ / ٥٣٠

(٢) مطمح الأندلس ٣٩٠

(٣) ديوان آبن دقيق العيد ١٥٤

وَيَتَمَنَّى الشَّاعِرُ يَحْيَى النُّشَوْبَانُ يَلُوحُ لَهُ سَفْحٌ مَنَى وَيَخْفِقُ الْبَرْقُ فَوْقَ جِبَالِهِ:  
 مِنْ لِي بِسَفْحٍ مَنَى يَلُوحُ لِنَاقِظِي  
 وَالْبَرْقُ خَفَّاقٌ عَلَى أَعْلَامِهِ  
 قُلْ لِلْمَقِيمِ عَلَى أَثْثِلَاتِ النَّقَا  
 لَا تَقْتُلِ الْمَشْتَاقَ قَبْلَ حِمَامِهِ<sup>(١)</sup>

#### ● خيال الطيف

استخدم الشعراء كذلك في التعبير عن أشواقهم طيف الخيال الذي يحمل في جعبته  
 تحقيق الأمانى، فالشاعر عبدالرحيم البرعي يستدعي خيالها ليتحدث عن أشواقه فيقول:  
 مَا كَانَ حُجَّةً مِنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ  
 أَنْ لَا يُحْكَنِي حَدِيثُ سَعَادِ  
 بَخَّثْتُ إِلَيَّ مِنَ الْحِجَازِ خَيَالَهَا  
 شَيْئَانِ بَيْنَ بِلَادِهَا وَيِلَادِي<sup>(٢)</sup>

ويرى طيفها على البعد من النيابتين تلك القرية البعيدة عن مكة في جبال اليمن، فيقول:  
 طَيْفُ الْخَيَالِ مِنَ النَّيَابَتَيْنِ سَرَى  
 إِلَى الْحِجَازِ فَوَافِي مَضْجَعِي سَخَرَا  
 سَرَى عَلَى بُعْدِ دَارِينَا يَنْمُ بِهِ  
 رُوحُ النَّسِيمِ فَيَهْدِي مَسْدَلًا عَطَرَا  
 أَقْدِيهِ مِنْ زَائِرٍ مَا زَارَنِي أَبَدًا  
 وَذَاكَ مَا نَسِيَ وَدَيَّ وَلَا ذَكَرَا<sup>(٣)</sup>

ويرهان الدين القيراطي يستقبل طيفها بعد أن طال ترقبه له، وسهره من أجله، كما يقول:  
 أَرْسَلْتُ طَيْفَهَا إِلَى الصَّبِّ لَكُنْ  
 بَعْدَ أَنْ اسْتَهْنَتْهُ فِي الظُّلُمَامِ

(١) الإشراف في تاريخ الأشراف ١٠٧

(٢) شرح ديوان البرعي ١٣٢

(٣) شرح ديوان البرعي ١٠٧

لَا تُشْكِي بِالطَّيْفِ إِلَّا عَلَى مَنْ  
يَتَبَهَّنَا بِلَذَّةِ الْإِغْصَاءِ<sup>(١)</sup>

#### • الوصايا

وهذا شكل آخر من أشكال الاستدعاء، استدعاء الحنين والشوق، إذ يفتنم الشاعر فرصة وداعه حجاج بيت الله، فيقف في وصيته لهم على الأماكن، وكأنه يراها رؤية العين، فيوصيهم بكل خير، كما في هذه الوصية لابن دقيق العيد، حيث يقول من قصيدة طويلة في مدح سيد الأورى عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

يَا سَائِرًا نَحْوَ الْحِجَازِ مُشْتَمِّرًا  
اجْهَدْ فِدَيْتَكَ فِي الْمَسِيرِ وَفِي السَّرَى  
وَتَدْرِعِ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ وَلَا تَكُنْ  
فِي مَطْلَبِ الْمَجْدِ الْإِلِيلِ مُقْصِرًا  
الْقَصْدُ إِلَى حَيْثُ الْمَكَارِمُ وَالْخُدَى  
يَلْقَاكَ وَجْهُهُمَا مُخْبِرًا

ثم يامر الحاج بالوقوف في تلك المنازل، مُقبلًا ثراها الذي مشى عليه سيد البشر عليه السلام:

قِفَا بِالْمَنَازِلِ وَالْمَنَاهِلِ مَنْ تَدُنْ  
وَادِي قِبَاءٍ إِلَى حِمَى أُمِّ الْخُرَى  
وَتَوَخَّ أَثَارَ النَّبِيِّ فَمَضِعْ بِهَا  
مُتَشَرِّفًا خَدِيكَةَ فِي غَفَرِ الْخُرَى  
وَإِذَا رَأَيْتَ مَهَابِطَ الْوَحْيِ الَّتِي  
نُشِّرَتْ عَلَى الْأَفَاقِ نُورًا نُورًا  
فَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مَا رَأَيْتَ شَبِيهَهَا  
مُذْ كُنْتَ فِي مَاضِي الزَّمَانِ وَلَا تَرَى<sup>(٢)</sup>

(١) للجمعية للنهائية ١ / ١٣٥

(٢) ابن دقيق العيد حياته وبعثاته ١٣٩-١٤٠

ويغبط الشاعر عبد العزيز الفشتالي الركب المرتحل إلى مكة، فيودعهم أحراً ما عنده  
من أشواق، إنه الشوق الذي يصبح عقيدة وديناً، يقول:

لَكَ اللّهُ مَنْ رَكِبَ يَرَى الْأَرْضَ خَطُوءَهُ  
إِذَا زُمَّهَا بُدُّنَا نَوَاعِمَ أَبْدَانِ  
أَرْحَمُهَا مَطَايَا قَدْ تَمَشَّنِي بِهَا الْهَوَى  
تَمَشَّنِي الْخُمَيَّا فِي مَفَاصِلِ أَبْدَانِ  
وَيَعُمُّ بِهَا الْوَادِي الْمُقَدَّسَ بِالْحِمَى  
بِهِ الْمَاءُ صَدَقَ وَالْكَلا نَبْتُ سَفْدَانِ  
أَحْنُ إِلَى تِلْكَ الْمَعَاهِدِ إِنَّهَا  
مَعَاهِدُ رَاحَاتِي وَرَوْحِي وَرَيْحَانِي  
وَأَمَلُو مَعَ الْأَشْوَاقِ لِلْوَطَنِ الَّذِي  
بِهِ صَحَّ لِي أَنْسَى الْهَنَى وَسُلْوَانِي  
وَأَصْبَوُ إِلَى أَعْلَامِ مَكَّةَ شَائِقًا  
إِذَا لَاحَ بَرَقَ مِنْ شَمَامٍ وَثَهْلَانِ  
أَهْيَلِ الْحِمَى نَيْنِي عَلَى الدَّهْرِ زُورَةً  
أَحْتُ بِهَا شَوْقًا لَكُمْ عَزَمِي الْوَانِي  
مَتَى يَشْتَفِي جَفْنِي الْقَرِيحَ يَنْظُرُ  
يُزْجُ بِهَا فِي نَوْرِكُمْ عَيْنَ إِنْسَانِي  
سَقَى عَهْدَهُمْ بِالْخَيْفِ عَهْدُ تَعْدُهُ  
سَوَافِحُ دَمْعٍ مِنْ شَمْلُونِي هُتَانِ  
وَحَيَا رِبَوعًا بَيْنَ مَرْوَةٍ وَالصَّفَا  
تَحِيَّةُ مُشْتَاقٍ لَهَا الدَّهْرَ حَيْرَانِ  
رِبَوعًا بِهَا تَتَلَوُ الْمَلَائِكَةُ الْعُلَا  
أَفَانِينَ وَحَيِّ بَيْنَ نَجْدٍ وَقِرَانِ  
وَأَوَّلُ أَرْضٍ بَاكَرَتْ عَرَصَاتِهَا  
وَطَرْزُهَا الْبَطْحَا سَحَابَةُ إِيْمَانِ

وعرسن فيسها للنبيوة موكب  
هو البحر طام فوق هضب وغيطان  
وأدى بها الروح الأمين رسالة  
أفادت بها البشرية مدائح عنوان<sup>(١)</sup>

وصية المسافرين للتعريض على تلك الأماكن هي نوع من الاستشفاء باستدعاء  
الذكرى، كما في هذه الوصية لابن الفارض للركب المتحمل إلى تلك المشاعر:  
يا راكب الجفناء وتليت الردى  
إن جئت حزنًا أو طويت بطاحا  
وسلكت نعمان الأراك فجئ إلى  
وإر هناك عهدت فباحا<sup>(٢)</sup>

ومع هذه الوصايا، يحمل الموصي الركب المفادين إلى مكة رسائل الشوق،  
وتحميات المشوق الظام للذهل، كهذه الرسالة التي يبعث بها المهذب بن الزبير مع  
الحجاج، وفيها يتمنى الفوز باللقاء بحروف تسيل رقة وإطافة، إنها الرقة التي تذوب حنيئًا  
وشوقًا، والشوق الذي يذوب رقة وعذوبة، يقول:

يا ساكني البلد الحرام وإنما  
في الصدر مع شحط المزار سكنتم  
يا ليتني في الغالين عشيئة  
بمنى وقد جمع الرقاق الموسم  
فاموز إن غفل الرقيب بنظرة  
متكم إذا لبى الحبيب وأخروا  
إني لأذكركم إذا ما اشرفت  
شمس الضحى من نحوكم فأسلتم  
لا تبعثوا لي في النسيم تحية  
إني أغار من النسيم عليكم<sup>(٣)</sup>

(١) الذبور المغربي في الأدب العربي ٨٢٩

(٢) شرح ديوان ابن الفارض ٣٧٢

(٣) شعر للمهذب ٢١٦

ويستخدم الشعراء في الحنين طرائق وأساليب ودلالات، من ذلك: الدعاء والوقوف على الأطلال، والتذكر والاستدعاء، والشوق والأرق، والمناجاة والحوار، والاسترواح بشم النسائم والحنن والتأوه على انقضاء تلك الأيام بهاتيك الربوع، وهذا من أشكال استرجاع لذة اللقاء، واستبقاء ذكرى البقاء، كما نجد ذلك عند ابن الفارض في قوله يتنسم نسيمها:

أرواحُ نَعَمَانَ هَلْأَ نَسْمَةُ سَحَرٍ

وماءٌ وجِرةٌ هَلْأَ نَهْلَةُ بَغَمٍ<sup>(١)</sup>

وكقوله متحسراً على رحيله عن تلك الأماكن التي مضت كالحلم:

ورعى لِيَالِي الخَيْفِ مَا كَانَتْ سَوَى

خُلْمٍ مَضَى مَعِ يِقْلَقُهُ الإِغْفَاءُ

وَاهَا عَلَى ذَاكَ الزَّمَانِ وَمَا حَوَى

طَيْبُ الْمَكَانِ بِغَفْلَةِ الرِّقَابِ<sup>(٢)</sup>

والاستفهام يأتي لشدة التعبير عن الشوق والتلذذ بذكر الأماكن والأوقات، وابن الفارض يستخدم أدوات الاستفهام كثيراً، ويكثر من إيراد الأداة هل، التي تتبع ركب الحجيج منذ وفودهم في طواف القدوم وحتى طواف الإنفاضة والوداع واستفهاميتها تثير التشوق لما يفعله هؤلاء الحجاج، وفيها لون من الاستعادة النفسية لما كان يفعله ابن الفارض في حجه، فهو إذًا يحاول كلون من ألوان المتعة الروحية أن يستروح بإعادة شريط الذكريات من خلال هذا الكم من السؤال عن الكيف والحال، يقول:

وَهَلْ نَزَلَ الرِّكْبُ الْعِرَاقِي مُعْرُكًا

وَهَلْ شُرِعَتْ نَحْوَ الْخِيَامِ شِرَافُ

وَهَلْ رَقِصَتْ بِالْمَازَمِينِ قِلَافُ

وَهَلْ لَمَقَّابِ الْبَيْضِ فِيهَا ثَدَافُ

وَهَلْ لِي بِجَمْعِ الشَّمْلِ فِي جَمْعِ مَسْعَرِ

وَهَلْ لِيَالِي الْخَيْفِ بِالْعُمَرِ بَالُغُ

(١) شرح ديوان ابن الفارض ٢٦٥

(٢) للمصدر نفسه ٢٦٥

وهل سَلَّمَتْ سَلْمَى عَلَى الْحَجَّارِ الَّذِي  
 بِهِ الْعَهْدُ وَالتَّفْتُ عَلَيْهِ الْأَصَابِعُ  
 وهل رَهَضَتْ مِنْ شِدِي زَمْزَمَ رَهْضَةً  
 فلا حُرْمَتَ يَوْمًا عَلَيْهَا الْمَرَاضِعُ  
 لَعَلَّ أَمْتِي حَبَابِي بِمَكَّةَ يُبْرِوَا  
 بِذِكْرِ سُلَيْمَى مَا تُجِنُّ الْأَضَالِغُ (١)

والتذكُّار يُؤَجِّجُ الحنين، فإذا أتى موسم الحج، تذكر النازحون بكل الشوق تلك الأيام  
 الرائعة الجميلة، التي يقضي فيها الحاج أعظم المناسك، فهذا الشاعر أحمد الجوهري،  
 يتذكر في الميقات الزماني وهو في أرض الهند موقف الحجيج، فيقول:

تَذَكَّرْتُ إِذْ جَاءَ الْحَجَّيْجُ بِمَكَّةَ  
 وَنَحْنُ وَقُوفٌ نَنْظُرُ الرِّكْبَ مُحْرِمًا  
 فَصَبَرْتُ بَارِضٍ الْهِنْدِي فِي كُلِّ مَوْسَمٍ  
 يُجِدُّ ذَكَارِي لِقَلْبِي مَا أَتَمَّا (٢)

وكما تَذَكَّرَ الشعراءُ أَيَّامَ الحج فاضت عيونهم بالدموع شوقًا لتلك الأماكن، كما  
 يقول محمد يحيى بن معصوم:

تَذَكَّرْتُ أَيَّامَ الْحَجَّيْجِ فَاسْبَلْتُ  
 جِلْفُونِي دِمَاءً وَاسْتَجِدُّ بِي الْوَجْدُ  
 وَإِيَّامَنَا بِالْمَشْعَرَيْنِ الَّتِي مَضَتْ  
 وَبِالْخَيْفِ إِذْ حَادِيَ الرِّكَابِ بَنَّا يَحْدُو (٣)

سادسًا: الرثاء

وما قصيدناه في ما سبق من موضوعات هو قصيدنا هنا، فالرثاء المتعلق بمكة  
 وصفتًا وتصويرًا وبقائما هو ما نصرف همه البحث إليه، ومثال ذلك قول عبدالله بن ثور، أو  
 الحارث بن أمية في رثاء هشام المخزومي، وقد اقشعر بطن مكة لما خلت الأرض بموته:

(١) المصدر نفسه ٢٨٢  
 (٢) نلحة الريحانة ٤ / ١٦٥  
 (٣) سلافة المعبر / ٣٦



وَأَصْبَحَ بَطْنُ مَكَّةَ مُشْتَعِرًا

كَأَنَّ الْأَرْضَ لَيْسَ بِهَا هَشَامٌ<sup>(١)</sup>

ويقول ضباعة بنت عامر في رثائه مشبهة من يابوي إليه كمن يابوي إلى الحرم:

وَأَنْتَ لَوْ وَأَلْتَ إِلَى هَشَام

أَمَنْتَ وَكُنْتَ فِي حَرَمٍ مَقِيمٍ

كَرِيمِ الْخَيْمِ خُفَافَ حِشَاهِ

ثَمَالٍ لِلْيَتِيمَةِ وَالْيَتِيمِ

فَأَصْبَحَ نَاوِيًا بِقَرَارِ رَحَى

كَذَاكَ الدَّهْرُ يُفْجِعُ بِالْكَرِيمِ<sup>(٢)</sup>

ويرثي أمية بن أبي الصلت من قتلوا من قريش من المشركين في بدر، فيقول:

الْأَبْكَيْتَ عَلَى الْكَرَامِ

مِ بَنِي الْكَرَامِ أَوْلِي الْمَمَادِخِ

عَبُّتُكَ الْخَمَامَ عَلَى فُجْرٍ

عِ الْإِيكُ فِي الْغُصْنِ الْجَوَانِحِ

الْأَنْزُونَ كَمَمَا أَرَى

وَلَقَدْ أَبَانَ لِكُلِّ لَامِحِ

أَنْ قَدْ تَفْصِيْرَ بَطْنُ مَكَّةَ

حَقَّةً فَهِيَ مُوَجَّهَةٌ الْإِبَاطِحِ<sup>(٣)</sup>

ويرثي عكر بن المطلب بن أبي وداعة، من لغنوا في جبل الحبشي بأسفل مكة، يقول:

في رثائهم:

كَمْ بِذَاكَ الْحَاجُّونَ مِنْ حَيٍّ صَدَقَ

مِنْ كَهُولٍ أَعْفَى وَشَبَابِ

(١) بدائع البذلة ٢٦

(٢) المستنوك في شعر بني عامر ٢ / ١٢٤

(٣) ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٤٥ - ٢٤٧

سكنوا الجزع جزع بيت أبي مو  
 سى إلى النخل من صفى السباب  
 اهل دار تبايعوا للمنايا  
 ما على الدهر يعدهم من عتاب  
 فارقوني وقد علمت يقينا  
 ما لمن ذاق ميته من إياب<sup>(١)</sup>

ويرثي ابن مقبل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، فيقول:  
 عفا بطحان من قريش فيثرب  
 فملقى الرجال من منى فالمحصب  
 فمستعان إلا أن كل ثنية  
 بمسنان ياويها مع الليل مقنب  
 فنعف وداع فالصفاح فمكة  
 فليس بها إلا دماء ومضرب<sup>(٢)</sup>

ويرثي أسماء بنت أبي بكر الصديق ابنها عبدالله بن الزبير بعد مقتله، فتقول:  
 ليس لله مضرب بعد قوم  
 فتلوا بين زمزم والمقام  
 فذلهم جفاة عك ولحم  
 وصدام وحفير وجذام<sup>(٣)</sup>

ويكي دعي تلك الرسوم الدارسات في رثائه لآل البيت، فعندما يراها تفك عرى  
 صبره، وتهيج صبابته، فيكي منازل الوحي التي خلت من سكانها، فيقول:

(١) اخبار مكة للأزقي ٢ / ٢١١

(٢) نيران ابن مقبل ١١ - ١٢ ومسنان: قرية بين مكة والمدينة. اللثية: الطريق في الجبل. مقنب: جماعة الخيل  
 والفرسان ما بين الثلاثين إلى الأربعين. النعف: ما انحدر من الجبل وارتفع من مجرى السيل ونعف وداع:  
 موضع بنعمان قرب مكة. والصفاح: موضع قريب من نعف وداع بين حنين وأنصاب الهرم. محرب: أي صارت  
 بها حروب.

(٣) منيل الحمام ١ / ٢٢٩

بكيتُ لرسم الدار من عرفاتٍ  
 وأذيتُ نَمْعَ العينِ في الوجْحاتِ  
 وفكَّ عُرَى صبري وهاجَتْ صبابتي  
 رسومُ نيارٍ قد عفتْ وعراتِ  
 مـدارسُ آياتٍ خلَّتْ من تلاوةٍ  
 ومنزلٌ وحي مُطْفِئُ الغرَماتِ  
 لآلِ رسولِ الله بالخَيْفِ من مئى  
 وبالركنِ والتعريفِ والجَمراتِ  
 فكم حَسراتٍ هاجها بمحسّرٍ  
 وقوفي يومَ الجمعِ من عرفاتٍ<sup>(١)</sup>

وقال قيس بن عيزارة يرثي أخاه الذي مات بمكة:  
 فَسَقَى الْغَوَاذِي بَطْنَ مَكَّةَ كُلَّهَا  
 ورستُ به كلُّ التُّهَارِ تَجْوُدُ  
 تروي الكرامَ به وتروي صاحبِي  
 وأخي جديراً بالكرامِ سَمِيدُ<sup>(٢)</sup>

وبالطريقة ذاتها يرثي أبو صخر الهذلي عبدالعزيز بن عبدالله بن خالد بن أسيد:  
 عفا سَرْفٌ مِنْ جُمْلِ الْفُتْرَتِي قَفَرُ  
 فشحَبَ قَادِحَانِ الْفَنَاتِ الْفُتْرُ  
 فَخَيْفٌ مِنْ أَوْي خِلَافٍ قَطِينِ  
 لمكةٌ وحشٌ مِنْ جَمِيلَةِ الْحَبِيرِ  
 تبسَّتْ بِاجْيَارِ فقلتُ لصاحبِي  
 الشمسُ أصبحتْ بعدَ غيمٍ أمِ البدرِ<sup>(٣)</sup>

(١) شعر دجيل الخزاعي ٢٩٣

(٢) شرح شعر الهذليين ٢ / ٥٩٨

(٣) شرح شعر الهذليين ٢ / ٩٥٠

وهي بداية غزالية لقصيدته رثائية، وما يهمننا هنا هو ما ورد من ذكر مكة وأماكنها.

وفي الرثاء نجد التناسي بالراحلين ممن سكنوا مكة والحرم، كقول ابن المقرب:

وإِنَّ أَلَّ مُضَاهٍ مَعَ عَقَائِلِهَا

مِنْ جُزْءِهِمْ سَاكِنِي بُحْبُوحَةِ الْحَرَمِ<sup>(١)</sup>

ونجد الشعراء الرائيين يتفقون على جعل المشاعر كلها تحزن لفقد الفقيد، وتغتم

لفراقه، كما في رثاء أحمد بن العلاء الحلبي لأمير مكة محمد بن بركات أبو نمي الثاني:

فَجَعَلَتْ بِهِ الدُّنْيَا قَلْبِي يَفْدِي بِهَا

نَفْسِي نَكَّةً وَالْأَرْوَاحُ بِالْأَجْسَامِ

وَسَهَتْ لِمَمَرِّهِ الْأَنَامُ تَحِيُّرًا

فَكَانَهَا سَتْرِي بِغَيْرِ مُدَامِ

وَعَدَا الصُّفَا مُتَكَنِّرًا وَجَفْوَةً

شُدَّ غِصَابُ لَمْ تُكْحَلْ بِمِيلِ مَنَامِ

وَعَيُونُ زَمَنٍ أُلْزِحَتْ وَبِمَوْثِقِهَا

اسْتَفَا عَلَيْكَ عَلَى الدَّوَامِ دَوَامِي

وَمَقَامُ إِبْرَاهِيمَ أَمْسَى لَا يَسُنَا

ثَوْبَ الْحِدَادِ أَسَى وَثَوْبَ سَقَامِ

وَلِرُكْنِ بَيْتِ اللَّهِ وَحَشَّةُ ذَاكِرِ

أَبْنَا لِقَابِلَةِ نَفْسِكَ الْبَسَامِ

وَلِطَوَائِفِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ مُكْفَنًا

نَكْرِي بِطَوَائِفِ حَالَةِ الْإِحْرَامِ

لَوْ خَلَّتْ فِي نَفْسِهِ لَعَجِبْتَ مِنْ

أَسْدَرِ عَلَى فَرَسٍ بِغَيْرِ لِحَامِ

قَدْ سَارَ مِنْ بَابِ السَّلَامِ ضَحَى إِلَى

دَارِ السَّلَامِ إِلَى الْعَلَا يَسْتَلَامِ<sup>(٢)</sup>

(١) شرح ديوان ابن المقرب ٢ / ٨٤٦

(٢) هديل الحمام ١ / ١٨٤ - ١٨٥

والقسطلاني المكي يرثي قاضي مكة نجم الدين الطبري، ويرى أن البيت قد  
استوحش لموت الطبري هذا:

مات الحياء ومات الجود والكرم  
والعلم والجلّم والاحكام والحكم  
والفضل مات لموت النجم قاطبة  
واستوحش البيت والاركان والحرم<sup>(١)</sup>

وتدهى أم القرى بمصيبة موت الشريف محمد بن بركات كما يقول نور الدين  
الحجازي في رثائه:

رزة ائال المسلمين خبالا  
وؤفى به الإسلام حتى مالا  
ومصيبة رُميت بها أم القرى  
اهدت إلى أرض الحجاز نخالا<sup>(٢)</sup>

وهذا عمر بن فيصل آل زيد يرثي الشريف مسعوداً الذي توفي في موسم الحج فيقول:

فاض الحجيج من المشاعر بعدما  
اتوا المناسك بالتمام وكبروا  
جماعت جحافلهم لانتعاب مكة  
فوج يلم بها وفوج ينفّر  
في ذلك اليوم العظيم فقدت من  
قلبي عليه من الأسى يتلفظن  
وعزائي في أن الحجيج جميعهم  
حضرُوا الصلاة وبالمصاب تأثروا  
ودعوا الإله على اختلاف لغاتهم  
فلعلّه أن يستجيب ويغفر<sup>(٣)</sup>

(١) العقد الشعرى ٤ / ١٨٢

(٢) الإشراف في تاريخ الأشراف ٢٦٢

(٣) مدبل الحمام ٢ / ٩٥٠

## سابعاً الهجاء

ومن الهجاء هجاء خدّاش بن زهير لابن جدعان، وفيه يتهمه بأنّه لا يتورع عن سرقة ثياب الكعبة:

وانبئت ذا الضرع ابن جدعان سبّني  
وإني بذى الضرع ابن جدعان عالم  
أمرّكة أن كانت لبطنك عُنّة  
وأنت مكفي بمكة طاعم  
وترضى بأن يهدي لك الغنل مُصلّحاً  
وتحنق أن تُجنى عليك العظام  
أبى لكم أن النفسوس الذلة  
وأن القري عن واجب الضيف عاتم  
وأن الحلوم لا حلوم، وأنتم  
من الجهل طير تحتها الماء دائم  
ولولا رجاء من علي أعزّة  
سرقتم ثياب البيح والبيت قائم<sup>(١)</sup>

ويهجّر حسان بن ثابت أبا سفيان، وقال يخاطبه في شأن أبي زهير، وكان الوليد بن المغيرة قتله، وكان أبو سفيان صهره، فأراد حقن الدماء، وأدّى عقله، ولم يطلب بدمه، فقال:

غدا اهل ضوّجي ذي المجاز كليهما  
وجار ابن حرب بالمفتمس ما يغدو  
ولم يمنع العير الضروط ذماره  
وما منعت مخزاة والدما هنذ  
كسالة هشام بن الوليد ثيابه  
فأبلى وأخلف مثلها جُددًا بعد<sup>(٢)</sup>

(١) للمستدرک في شعر بني عامر ٢ / ١٨١ والضرع: الجبان. والمكة: الأطواء في البطن من السمن. العقل: يفتح العين وسكون الفاء: شحم خميصتي الكبيش وما حوله. عاتم: متلخّر. بنو علي: قال ابن قتيبة هم بنو كنانة والأبيات في الشعر والشعراء ٦٥٠

(٢) ديوان حسان بن ثابت ١٤١

ويهجو عبدالله بن جحش كفار قريش وصدهم عن سبيل الله، ويرد عليهم حين قالت قريش: قد أحلّ محمد وأصحابه الشهر الحرام:

تُعْتَوْنَ قِتْلًا فِي الْحَرَامِ عَظِيمَةً  
وَاعْظَمُ مِنْهُ لَوْ يَرَى الرَّئِيسُ رَاشِدُ  
مُذَوِّجُكُمْ عَمَّا يَقُولُ مُحَمَّدُ  
وَكَفَرُ بِهِ وَاللَّهُ رَاعٍ وَشَاهِدُ  
وَإِخْرَاجُكُمْ مِنْ مَسْجِدِ اللَّهِ إِهْنُ  
لَلَّاءِ يُرَى لِلَّهِ فِي الْبَيْتِ سَاجِدُ  
فِرَانًا وَإِنْ عَيَّرْتُمُوهُ بِقَتْلِهِ  
وَارْجَفَ بِالْإِسْلَامِ بَاغٍ وَحَاسِدُ  
سَتَقِينَا مِنْ ابْنِ الْحَضْرَمِيِّ رَمَاحَنَا  
بِخَلْعَةٍ لَمَّا أَوَقَدَ الْحَرْبَ وَأَقْدُ<sup>(١)</sup>

وتهجر زجلة بنت منظور الحجاج الذي جاء يخطبها بعد قتل زوجها عبدالله بن الزبير، فتقول:

أَبْعَدَ عَائِلَتِي بَيْتَ اللَّهِ تَخْطُبُنِي  
جَهْلًا جَهْلَتُ وَغِبُّ الْجَهْلِ مَذْمُومُ<sup>(٢)</sup>  
ويهجو الأحوص ابن حزم والي سليمان بن عبد الملك، فيقول ساخراً:  
أَقُولُ وَأَبْصُرْتُ ابْنَ حَزْمِ ابْنَ قُرْتَنِي  
وَقَوْفًا لَهُ بِالْمَازِنِ الْقَبَائِلُ  
ثُرَى قُرْتَنِي كَانَتْ بِمَا بَلَغَ ابْنُهَا  
مُصَنَّفَةً لَوْ قَالَ ذَلِكَ قَائِلُ<sup>(٣)</sup>

ويحاول أن يوغر صدر الخليفة سليمان على واليه ابن حزم، فيقول:

(١) سيرة ابن هشام ١ / ٦٠٥

(٢) العقد الثمين ٥ / ١٥٦

(٣) شعر الأحوص ٦٥ والملازمان جلا مكة، وقيل اسم موضع بين للشعر الحرام ومعرفة

سليمان إذ ولّك حُكْمَنَا  
وسلطانًا فاحكم إذا قلتَ وأعدِلْ  
يَوْمَ حَجِيجِ الْمُسْلِمِينَ ابْنُ قُرَيْشٍ  
فهَبْ ذاكَ حَجًّا ليس بالمتقبَّلِ<sup>(١)</sup>

وقال فضالة بن شريك يهجو عبدالله بن الزبير لعدم إعطائه ناقة، ويدعو غلمانَه للخروج من مكة:

أقول لغُلّمتي شدُّوا رِكَابِي  
أجاورُ بطنَ مكة في سِوَارِ  
فمما لي حينَ اقْطَعُ ذاتَ عَرْقٍ  
إلى ابنِ الكاهلية من مَعَارِ  
أرى الحاجاتِ عند أبي خَبِيبِ  
تُكَدَّنْ ولا امْنِيَّةُ بالِبِلادِ  
شكوتُ إليه أن تُقَبِّتَ قُلُوصِي  
فردُّ جوابٍ مشدود الصَّفادِ  
يضمنُ بناقصةً ويرومُ مُلْكًا  
محالٌ لَكُمْ غيرُ السِّدادِ<sup>(٢)</sup>

وقال عبيد الله بن الحر يهجو مصعبًا، ويتهدده متوعدًا بأنه إن لم يبك كما أبكاهم فلا طاب ولا سمي، وهذا من القسم على تأكيد الفعل، يقول:

أيرجو ابنُ الزبير ليومَ نصري  
بعاقبةٍ ولم انْحُرْ حُسَيْنًا  
فإن لم تبكْ ملحمةً وقَتْلِي  
كما قَتَلْتَنَا وكما بكينا

(١) شعر الأحوص الأتصاري ١٧٨

(٢) شعر قبيلة أسد ٤٣٠ - ٤٣٢ وذات عرق: الحد بين نجد وتهامة. نقبت: حقت لخفافها من كثرة السير. القلوص: اللثاق الطويلة الترائم. الصفاد: حبل يربط به.



فلسلا طغنا بمكة في حجيج  
ولا زُرنا المقام ولا سَفِينا<sup>(١)</sup>

ويهجو الحزين الكتاني عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام لأنه مدحه فلم يعطه شيئاً فقال:

حلفت وما صبرْتُ على يمين  
ولو أدعى إلى إيمان صبر  
ربُّ الراقصات بشُفْرِ قوم  
يُوافونَ الجمارَ بعُشْبِ عَشَر  
لو أنَّ اللؤمَ كان مع الثريا  
لكانَ حليفُ عمرو بن عمرو  
ولو اني عرفتُ بأنَّ عسراً  
حليفُ اللؤمِ ما ضيَّعتُ شِفْري<sup>(٢)</sup>

ويحرض ابن عنين العزيز صاحب اليمن على أشراف مكة وسبب ذلك أنَّ ابن عنين توجه إلى مكة ومعه مال وأقمشة، فخرج عليه بعض بني داود، فأخذوا ما كان معه، وسلبوه، وجرحوه، فكتب إلى الملك العزيز صاحب اليمن، وحرّضه على الأشراف الذين فعلوا به ما فعلوا:

وإنَّ أريدَ جهاداً رُدَّ سيفُكَ في  
قومِ اضاعوا فروضَ الله والسُّنْنا  
طهرْ بسيفك بيتَ الله من دنس  
وما احاطَ به من خُسْنةٍ وخِنا<sup>(٣)</sup>

وقال صنعة بن الحجاج يهجو وقد أقدم للحج، وأنهم لولا الفائدة التي تعود عليهم من التجارة ما قدموا مكة:

(١) المعنى والاعتذار ٢ / ٤٤١ - ٤٤٢

(٢) شعر كثانة من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي ٢٩٨

(٣) ديوان ابن عنين ١٠٢ وانظر كتاب عمدة الطالب في أنساب بني طالب لجعل الدين أحمد بن علي الحسني ص ١١٢ .

لا يطمع السائل في مآلهم  
قط ولا رق لسهم قلبه  
لولا تجارائهم ما أتى  
مكة حجاجاً لهم رغبة<sup>(١)</sup>

وقال غيره:

يحجون بالمال الذي يجمعونه  
حراماً إلى البيت العتيق المصرم  
ويزعم كل منهم أن وزنه  
يخط ولكن فوقه في جهنم<sup>(٢)</sup>

ومن لطيف العتاب واللوم ما أنشده عمرو بن حبان الضرير حين لم يهد إليه الحجيج شيئاً، فقال:

كان الحجيج الآن لم يقربوا ملى  
ولم يحملوا منها سواكاً ولا نعل  
أتونا فما جاعوا بعود أراك  
ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلاً<sup>(٣)</sup>

ثامناً: الشعر التعليمي والأراجيز

وجدنا كثيراً من الشعر التعليمي أو النظم الشعري المتعلق بمكة ومشاعرها، واماكنها، ولعل هذه الكثرة تبين عن الاهتمام والانشغال بهذا البلد الأمين، وما محاولات الشعراء في هذا الإطار إلا تعبيراً عن شدة التعلق به، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- أرجوزة إبراهيم بن إسحاق الحريري

- أرجوزة أحمد بن عمرو

(١) تكملة خريدة القصر ٧٨٩

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف ١/ ٣٢

(٣) المستطرف في كل فن مستطرف ١/ ٣٦

- أرجوزة الحج لأحمد بن هيسى الخولاني
- أرجوزة الحجر للحسن بن عبد الكريم الصنعاني
- أرجوزة الحج لعبد الوهاب بن أبي نصر بن هريشاه (مخطوط، بالمكتبة الخالدية بالقلم)
- أرجوزة في نظم تاريخ الأزرق لعبد الملك بن أحمد الأرمني المصري
- در النظم في وقوع أركان البيت المعظم لإبراهيم بن يوسف المهتار المكي
- رسالة في أسماء مكة المكرمة لمجد الدين الفيروزيادي
- اللؤلؤ المكتون في ذكر أسماء أهل الحجون لعلي الصانع (منظومة)
- مثير الغرام إلى طيبة والبلد الحرام للمير محمد بن إسماعيل الصنعاني (منظومة)
- المعلقة الإسلامية في تاريخ الكعبة والمسجد الحرام لمحمد توفيق اليميري، (منظومة)
- منظومة أبي شامة عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي الدمشقي (- ٦٦٥هـ)
- منظومة في الأماكن التي يستجاب فيها الدعاء بمكة وحواليها لعبد الملك بن حسين العصامي المكي (- ١١١١هـ)
- منظومة في صفات أشهر بناء الكعبة المعظمة لمحمد طاهر بن عبد القادر الكردي (- ١٤٠٠هـ)
- منظومة في مناهل طريق الحجاز لبدر الدين الزركشي
- منظومة محمد بن إبراهيم بن جماعة (- ٧٣٣هـ)
- النظم البديع في مولد الشفيح ليوسف بن إسماعيل النبهاني (- ١٣٥٠هـ)
- نظم تاريخ مكة للأزرق لتقي الدين عبد الملك بن أحمد الأرمني المصري الشافعي
- نظم الدرر في اختصار نشر النور والزهر في تراجم علماء مكة وأفاضلها من القرن الماضي إلى القرن الرابع عشر لعبد الله بن محمد هادي الهندي (- ١٣٦٥هـ)
- نظم مراحل الحجاز مع شرحه لابن هادي المكناسي
- نظم المولد الشريف لفيض الدين حسين أبو الفيض

- نظم المولد النبوي الشريف لمحمد بن سليمان بن الفقيه  
- نظم مولد النبي صلى الله عليه وسلم لعلي بن حسن البرزنجي  
- نظم التسبب الشريف النبوي لعبدالله بن محمد الناهض

ومن الشعر المنظوم ما نظم في أسماء مكة المكرمة، وذلك في قول القائل:

مكة اسماء ثلاثون عُدَّتْ  
ومن بعد ذلك الثمان منها اسمُ بكة  
صِلاخ وكوئى والحرام وقانس  
وحاطمة البلد العريش بقرية  
ومعطشة أم القرى رحم باسة  
ونساسة رأس يفتح لهمزة  
مقسسة والقاسية ناشة  
وراس وتاج أم كوئى كبرية  
سبوحة عرش أم رحن عرشنا  
كذا حرم البلد الأمين كبلدة  
كذلك اسمها البلد الحرام لامنها  
وبالمسجد الاسنى الحرام تسمت  
وما كثرة الاسماء إلا لفضلها  
حبها به الرحمن من أجل كعبه<sup>(١)</sup>

وقال الإمام نجم الدين الطرسوسي في منظومته عن ثياب الكعبة، وهل يجوز بيعها  
أو أخذها بلا ثمن ؟ فقال:

وما على الكعبة من لباس  
إن رث جاز بيضة للناس  
ولا يجوز أخذها بلا شرا  
للاغنياء لا ولا للفقراء<sup>(٢)</sup>

(١) أوردها محقق كتاب أخبار مكة للأزقي بهامش ص ١ / ٢٨٣

(٢) الإعلام بعلام مكة ٤٩

ومن ذلك ما نظمته علي بن عبدالقادر الطبري في تاريخ عمارة البيت، فقال:  
 بنى البيت خلقٌ وبيتُ الإله  
 مدى الدهر من سابقٍ يكرمُ  
 ملائكةً، آدمٌ ولدهُ  
 خليلٌ عمالةُ جُزهمُ  
 قصي، قريشٌ ونجلُ الزبيرِ  
 وحججُ حاجٍ بعدهمُ يُعلمُ  
 وسلطانُ الملكِ المنزلي  
 مرادٌ هو المأجدُ المنعمُ  
 أدامَ الإلهُ لنا ملكةً  
 وأبقاهُ خالقنا الأعظمُ<sup>(١)</sup>

ومن الشعر التعليمي أرجوزة أبي طالب عبدالجبار الاندلسي التاريخية، وفيها يذكر  
 الدولة الأموية، وما حدث لابن الزبير على يد الحجاج، فيقول منها:  
 ثم تولّى الأمرَ عبيدُ الملكِ  
 وكانت الدماءُ به لم تُسفلِكِ  
 لكُنةً كان شديدُ الحرِّمِ  
 أبو الخلالِ الرضِي الحُثمِ  
 وكان من عماله الحجاجُ  
 سرابجةً في خطبه الوهاجُ  
 حتى إذا بابن الزبير ظفِرًا  
 وكان في مكة يعلو المنبرُ  
 للحرمين والعراق مالكا  
 وثمنه عجبٌ أخ له هنالكا  
 سقاءُ كاسنا مرةً المزاجِ  
 وكان للحروبِ ذا احتياجِ<sup>(٢)</sup>

(١) سلافة العصر ٥٨

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ١/٢ / ٤٧٥

## تاسعاً: الشعر التاريخي

من ألوان الشعر الذي حفل به العصر الوسيط الشعر التاريخي، فمن ذلك ما أرّخه زين العابدين بن عبد القادر الطبري، حيث يقول: (مما اتفق لنا أنا ركبنا في صحبة الشيخ عبد الصمد بن محمد العمودي وزير مكة للإشراف على عمارة داره بمنى، ومعنا الشيخ محمود، فسقط عن حصانه... فأرّخت سقطته ارتجالاً، بقولي: طاح الشيخ محمود، ثم جعلت لهذا التاريخ توطئة نظماً، فقلت:

لله يومٌ اتينا فيه خَيْفَ مَنَى  
لقصير دارٍ لها بالسعر تشييدُ  
وبيننا ربُّ تلك الدار واسطةُ  
بها لنا ولعقد المجر تنضيدُ  
سرنا على منهوات الخيل تمرُّ في  
مسيرها ولطير السمر تُفريدُ  
وكان في الركب محمودٌ على فرسٍ  
يقول: إني من الفرسان معدودُ  
فخرٌ عند استباق الخيل مُجدٍ  
وما ادعى بلسان الحال مردودُ  
فقلت مرتجالاً في حال سقطته  
تاريخ ذلك طاح الشيخ محمود<sup>(١)</sup>

ويؤرخ عبد المحسن القلعي لوفاة الشريف زيد بن محسن في شعر يرثيه، فيقول:

يا أهل مكة إن سَيِّدَنَا الذي  
ملك الحجازَ وكان فيه الإرشدُ  
رَبُّ السُّمَّاحَةِ والشَّجَاعَةِ والحيَا  
والجَلَمِ ومنقاهُ النُّقَى والسُّؤْدُ  
لقي الإله فكان تاريخي له  
زيد بن مُحَسِّنٍ في الجنانِ مُخَلَّدُ<sup>(٢)</sup>

(١) سلالة العصر ٥٠

(٢) نعمة الريحانة ٤ / ٢٧٥

وأرخ عبدالقادر الطبري لتاريخ هدم البيت بالسيل الذي حدث عام ١٠٣٩ هـ بقوله:

هدم البيت امرُ ربه تفتشنا

هـ بسيل لم يحو عرفاه ضبط

في نهار الخميس عشرين شعبا

نَ الْبَيْتَ الْخُرُوبِ مِنْ عَامِ (غَط) (١)

وقال الإمام فضل بن عبدالله الطبري مؤرخاً لذلك:

سُئِلْتُ عَنْ سَبِيلِ اتَى

وَالْبَيْتُ عَنْهُ قَدْ سَقَطَ

مَسَّتْ اتَى؟ قُلْتُ لَهُمْ:

مَجِيئُهُ كَانَ (غَط) (٢)

أي تاريخه بحساب الجمل: (١٠٠٠ + ٩ + ٢٠ = ١٠٢٩ = غ + ل + ط)

\*\*\*\*

---

(١) الإشراف في تاريخ الأشراف ٢٤٨

(٢) الإشراف في تاريخ الأشراف ٢٤٨





### القسم الثالث

### الشعر في أحداث مكة المكرمة



## الشعر في أحداث مكة المكرمة (الكعبة، تسميتها، وبنائها، وحرقتها، وسيلها، ورميها بالمنجنيق)

### • تسمية الكعبة

ذكر الثعالبي في تسمية الكعبة (بيت الله) كما أن أهل مكة أهل الله، والحجاج زوار الله، فالكعبة بيت الله الذي جعله الله مثابة للناس، وحطة للخليل، وحطاً للنبيح، وقبلة لسيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكعبة لأمته التي هي خير الأمم، وقد كانت للعرب في الجاهلية لا تبني بنياناً مريمًا تعظيمًا للكعبة، وقد كانت تحلف ببيت الله، كما قال زهير:

فما سمعتُ بالبيت الذي طافَ حوْلةً  
رجالٌ بَنَوْهُ من قريشٍ وجُزْءِهم

وقال النابغة:

فلا وربِّ الذي قد زُرْتُه حَجَجًا  
وما هريقٌ على الانتصاب من جَسَدٍ<sup>(١)</sup>

قال ابن قتيبة: (ونذكر قوم أن أبي بن سالم الكلبي ورد مكة وقريش تبني البيت، وتشاجروا في إخراج النفقة، فسألهم أن يولّوه ركنًا من أركانها، فوّلّوه الرُّبْع الذي فيه الركن اليماني، فبناه فسمي اليماني. وقال شاعرهم:

لنا أيمَنُ البَيْتِ الذي تعبَسَ دَوْنُهُ  
ورائهُ ما بَقِيَ أبى بن سالم<sup>(٢)</sup>

وفي ذكر بناء قريش للكعبة، ورد (أن امرأة جمرت للكعبة بالبخور، فطارت شرارة من مجمرتها في ثياب الكعبة، فاحترق أكثر أخشابها، وجاء سيل عظيم، فصدع جدرانها... فارادوا أن يشدوا بنيانها، ويرفعوا بابها... ثم إن قريشًا اقتسمت جوانب البيت... وجمعوا الحجارة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم، حتى إذا انتهى

(١) ثمار اللؤلؤ في المضاف والمنسوب ١٧

(٢) المعارف ٥٦١

الهدم إلى الأساس، فافضوا إلى حجارة خضر كالأسنمة، فضربوا عليها بالمعول، فخرج برق يكاد أن يخطف البصر، فانتهوا عند ذلك الأساس، ثم بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن الحجر، فاختم فيه القبائل، وكل قبيلة تريد أن ترفعه إلى موضعه، وكادوا أن يقتتلوا على ذلك، فقال لهم أبو أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وكان شريفاً مطاعاً: اجعلوا الحكم بينكم في ما اختلفتم فيه أول من يدخل من باب الصفا. فقبلوا منه ذلك. فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رآه، قالوا: هذا محمد الأمين، وكان يسمى قبل أن يوحى إليه أميناً لأمانته وصديقه، فقالوا جميعاً: رضينا بحكمه. ثم قصّوا عليه قصّتهم. فقال صلى الله عليه وسلم: إليّ ثوباً. فأتي به، فاخذ الركن، فوضعه بيده، ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بطرف من هذا الثوب فحملوه جميعاً، وأتوا به ورفعوه إلى ما يحاذي موضعه، فتناوله رسول الله صلى الله عليه وسلم من الثوب، ووضعه بيده الشريفة في محله، وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب المخزومي:

تَشَاجَرَتْ الْأَحْيَاءُ فِي فَصْلِ خُطَّةٍ

جَرَتْ طَيْرُهُمْ بِالْفَحْشِ مِنْ بَعْدِ أَسْعَدِ

تَلَاقَوْا بِهَا بِالْبُغْضِ بَعْدَ مَوْعِدِ

وَأَوْقَدَ نَارًا بَيْنَهُمْ شَرُّ مَوْقِدِ

فَلَمَّا رَأَيْنَا الْأَمْرَ قَدْ جَدَّ جَدَّةُ

وَلَمْ يَبْقَ شَيْءٌ غَيْرَ سُلِّ الْمُهَنْدِ

رَضِينَا وَقَلْنَا الْعَدْلَ أَوْ طَالِعِ

يَجِيءُ مِنَ الْبَطْخَاءِ مِنْ غَيْرِ مَوْعِدِ

فَلَمَّا جَانَا هَذَا الْأَمِينَ مُحَمَّدُ

فَقَلْنَا رَضِينَا بِالْأَمِينِ مُحَمَّدِ

بَخِيرَ قَرِيشٍ كُلِّهَا أَمْسِ شَيْمَةَ

وَفِي الْيَوْمِ مَعَ مَا يُحْدِثُ اللَّهُ فِي غَدِ

فَجَاءَ بِأَمْرِ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ

أَعْمَ وَأَرْضَى فِي الْعَوَاقِبِ وَالْبَدِ

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الرِّدَاءِ وَكُلُّنَا

لَهُ حَصَّةٌ مِنْ رَفْعِهَا قَبِيضَةُ الْيَدِ

فَقَالَ ارْفَعُوا حَتَّى إِذَا مَا عَلَتْ بِهِ

أَكْفُهُمْ وَأَفَى بِهِ خَيْرَ مَسْنَدِ

وكلُّ رَضِينَا قَسْعَةً وَصَنِيعَةً  
فَاعْظُمُ بِهِ مِنْ رَأْيِ هَادِرٍ وَمَهْتَدٍ  
وَتِلْكَ يَدٌ مِنْهُ عَلَيْنَا عَقِيلِمَةً  
يَرْوَحُ بِهَا هَذَا الزَّمَانُ وَيَغْتَدِي

وكانت أول زيادة تضاف إلى الحرم بعد بناء قريش في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث تكاثر المسلمون كما يروي الأزرقى (وضاق المسجد بالناس، ولزم توسيعه اشترى نوراً حول المسجد هدمها وأدخلها في المسجد<sup>(١)</sup>) وكانت التوسعة الثانية في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وفعل ما فعله سلفه بشراء الدور، وضمها للمسجد.

ثم تصدعت الكعبة، وتهدم بعض جدرانها، واحترق بعض أخشابها في حصار ابن الزبير، ولما انتهى الحصار، قرر ابن الزبير هدم الكعبة، وإعادة بنائها على قواعد إبراهيم عليه السلام، لما سمعه من حديث عائشة «لولا أن قومك حديثو عهد بشرِك الكعبة، فالزقتها بالأرض، ولجعلت لها باباً شرقياً وباباً غربياً، وزدت فيها ستة أذرع من الحجر، فإن قريشاً استحصرتها حين بنت الكعبة، فإن بدا لقومك من بعدي أن يبنوه فلهي لأريك ما تركوا منه، فارأها نحرًا من سبعة أذرع» أخرجه الشيخان في صحيحيهما. فهدمه ابن الزبير، وأعاد بنائها، ولما فرغ طيبها بالمسك والعنبر، وكساها الديباج، وكان ذلك في رجب من سنة أربع وستين للهجرة.

وفي عهد عبد الملك بن مروان (كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يذكر له أن عبد الله بن الزبير زاد في الكعبة ما ليس منها، وأحدث فيها باباً آخر، فكتب إليه عبد الملك أن يعيدها على ما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهدم الحجاج جانبها الشامي قدر ستة أذرع وشبرا، وبنى ذلك الجدار إلى أساس قريش) وندم عبد الملك على هذا الفعل عندما تكلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: (وددت والله أنني تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك)<sup>(٢)</sup>.

واستمر عمارة البيت في عهد الوليد بن عبد الملك، قال الأزرقى: (عمر الوليد المسجد الحرام، ونقض عمل عبد الملك، وعمل عملاً محكمًا، وهو أول من نقل الأساطين

(١) إخبار مكة للأزرقى ٢ / ٦٩ - ٧٠.

(٢) الأعلام بأعلام مكة ٥٧.

الرخام، وسقفه بالساج المزخرف، وجعل على رؤوس الأساطين صفائح الذهب، وأزاد المسجد بالرخام، وجعل للمسجد سرائقات<sup>(١)</sup>.

ويمدح أيمن بن خريم مروان بن الحكم حيث بنى قبة عند المقام، فيقول:

مـروانُ إنَّ قناتَهُ خَطِيئَةٌ

عُرسَتْ أرومتُها أعرُ المفسرِ

وبنيتَ عندَ مقامِ ربِّكَ قُبَّةٌ

خضراءُ كُلُّ تاجِها بالفِسْفِسِ

فسمّاوها ذهباً واسفلُ أرضِها

وَرَقٌ تلالا في البَهِيمِ الجَدِيسِ<sup>(٢)</sup>

ذكر ابن قتبية أن (أول من كساه الأنطاخ والبرود اليمانية: أسعد أبو كرب الحميري، فقال:

وكسونا البيتَ الذي حرّم الله

عَ مَلَأَ مَفْخُوداً وَيُرُوداً)<sup>(٣)</sup>

ومن الأوائل ما ذكر أن أول من أطعم بمكة هاشم، فقد روي أنه (بعد وفاة قصي اختلف بنو عبد مناف وبنو عبد الدار على القيام بشؤون مكة والبيت الحرام من: الحجابة والسقاية والرفادة واللواء، وكادوا يقتتلون، ثم اصطالحوا على أن تكون السقاية والرفادة لبني عبد مناف، والحجابة والرفادة واللواء لبني عبد الدار، وتحالفوا على ذلك، فولي الرفادة والسقاية هاشم،... وهو أول من سنَّ الرحلتين لقريش: رحلة الشتاء والصيف، وهو أول من أطعم الثريد بمكة، وأسمه عمرو، وإنما سُمِّيَ هاشم لهشمه الخبز وثريده لقومه، كما قال القائل:

عمرو الذي هشم الثريدَ لقومه

ورجالُ مكة مُسنِّتونَ عِجَافُ

سَنَّتْ إليه الرحلتانِ كلاهما

سَفَرُ الشتاءِ ورحلةُ الأصيافِ<sup>(٤)</sup>

(١) أخبار مكة ٢ / ٧٠

(٢) للوضع للمزياني ٣٤٧

(٣) المعارف ٥٥٩

(٤) الإعلام بأعلام مكة ٣٢ وهكذا روي رواية البيهقي وعليها إقواء.

وذكر الثعالبي في (إيلاف قريش) قال: (كانت قريش لا تتاجر إلا مع من ورد عليها مكة في المواسم وبذي المجاز وسوق عكاظ

وفي الأشهر الحرم لا تبرح دارها، ولا تجاوز حرمها للتحمس في دينهم، والحب لحرمهم، والإلف لبيتهم، وإقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم، فكان أول من خرج إلى الشام ووفد إلى الملوك، وأبعد في السفر، ومن بالأعداء، وأخذ منهم الإيلاف الذي ذكره الله هاشم بن عبد مناف، وكانت له رحلتان: رحلة الشتاء نحو العبالة من ملوك اليمن، ونحو اليكسوم من ملوك الحبشة، ورحلة الصيف نحو الشام وبلاد الروم، وكان يأخذ الإيلاف من رؤساء القبائل، وسادات العشائر لخصلتين: إحداهما أن تؤيان العرب والصعاليك الأعراب، وأصحاب الغارات، وطلاب الطوائف كانوا لا يؤمنون على أهل الحرم ولا غيرهم.

والخصلة الأخرى أن أناساً من العرب كانوا لا يرون للحرم حرمة، ولا للشهر الحرام قدراً، كبنى ملي، وختعم وقضاة، وسائر العرب يحجون البيت، ويدينون بالحرمة له.

ومعنى الإيلاف: إنما هو شيء كان يجعله هاشم لرؤساء القبائل من الربيع، ويحصل لهم متاعاً مع متاعه، ويسوق إليهم إبلاً مع إبله، ليكفيهم مؤونة الأسفار، ويكفي قريشاً مؤونة الأعداء.... وقد عم مطرود الخزاعي بني عبد مناف بذكر الإيلاف، لأن جميعهم قد فعل ذلك، فقال:

يا أيها الرجل المحوّل رَحْلَةً

هَلْ حَلَلْتَ بِالْعَبِيدِ مَنَافِرَ

الْأَخْذِينَ الْعَهْدَ فِي إِيْلَافِهِمْ

وَالرَّاحِلِينَ بِرَحْلَةِ الْإِلَافِ<sup>(١)</sup>

وفي اختصاص قريش بالإيلاف دون غيرهم من العرب، قال شاعر يرد على بني أسد ما يتعونه من قرابة قريش:

زَعَمْتُمْ أَنْ إِخْوَتَكُمْ قَرِيشٌ

لَهُمْ إِلْفٌ وَلَيْسَ لَكُمْ إِلْفٌ

أُولَئِكَ أَوْمَنُوا خُوفًا وَجُوعًا

وَقَدْ جَاعَتْ بَنُو أَسَدٍ وَخَافُوا<sup>(٢)</sup>

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١١٥-١١٦

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١١٧

ومن الأوائل ما يقال: بَانَ (سعد بن عمر السهمي أوّل من بنى بيتًا بمكة، وأنشد:

وَأَوَّلُ مَنْ بَوَّأَ بِمَكَّةَ بَيْتًا

وَسُوَّرَ فِيهَا سَاكِنًا بِأَثَافِي<sup>(١)</sup>).

وأوّل ما ذكر من الشعر في عمارة البيت، قول مضاض بن عمرو الجهمي بعد أن

تَمَّتْ لَهُ السِّيَادَةُ عَلَى مَكَّةَ بِقَتْلِ السَّمِيدِ مَنْافَسُهُ:

فَنَحْنُ عَمَرْنَا الْبَيْتَ كُنَّا وَلَاكُ

نُدَافِعُ عَنْهُ مَنْ أَتَانَا وَنُنْفَعُ<sup>(٢)</sup>

ويقال: إنَّ أوّل من علّق قناديل الذهب بالحرم السلطان العثماني سليمان خان.

يقول صاحب كتاب الإعلام بأعلام مكة: (وكان آخر من عمره.. المهدي العباسي، وزيادة دار الندوة للمعتضد العباسي، وزيادة دار إبراهيم للمقتدر العباسي، ثم مالت الأروقة الثلاثة من الجانب الشرقي من المسجد الحرام سنة ٩٩٥هـ وفارق السطح المتصل برياط المرحوم السلطان قايتباي.. إلى أن مال هذا الجانب الشرقي ميلاً عظيماً ظاهراً محسوساً، بحيث كان يخشى سقوطه، ثم علّق وأسند بالأخشاب في أيام السلطان الأعظم.. سليم خان.. فبرز أمره الشريف ببناء جميع المسجد من جواربه الأربعة على أحسن وضع، وأجمل صورة، وأمر أن يجعل مكان السطح قبباً محكمة راسخة الأساس.. وفي عهد السلطان مراد كمل إتمام عمارة المسجد الحرام، وفي ذلك يقول صاحب الكتاب مانحاً:

إِنْ سُلْطَانُنَا مُرَادًا نُظِلُّهُ الـ

لَهُ فِي الْأَرْضِ بَاهِرُ السُّلْطَانِ

مَلِكٌ هُوَ فِي الْحَقِّ بَقِيَّةَ عُنْدِي

مَلِكٌ صَبِيغٌ صَبِيغَةُ الْإِنْسَانِ

كَمُلَ الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ بِنَاءً

فَاقَ فِي الْعَالَمِينَ كُلِّ الْمَبَانِي<sup>(٣)</sup>

(١) الإعلام بأعلام مكة ١٠

(٢) الإعلام بأعلام مكة ٢٧

(٣) الإعلام بأعلام مكة ٢ - ٥



واكتمال بناء المسجد الحرام في هذا القول، مرتبط بزمانه، وإلا فإن التوسعة في العهد السعودي وما أضيف إلى الحرم، وما وصل إليه عمرانه شيء رائع وديع، وقد أورد محقق كتاب أخبار مكة ذكراً لهذه التوسعة، وهناك بعض الكتب التي تحدثت عن هذه التوسعة<sup>(١)</sup>.

وتسقط أركان الكعبة، في عام ١٠٣٩هـ حيث دهمها سيل جارف غرق فيه نحو ألف إنسان، ويكون لهذا السقوط صدى حزين في نفوس الناس، وتصدى يوسف بن مهتار المكي لهذا الحدث الذي ماجت له النفوس، واضطريت له الافتدة، وأصدعت له الأحشاء، واهتزت له أركان الأرض، وبعد أن يبدي لهفته على بيت الله وما حدث له، يرجع السبب إلى ذنوب العباد، فيقول:

ماجت قواعدُ بيتِ اللهِ واضطربت  
واهتزَّت الأرضُ من أقطارها وربَّت  
وامستَرِ الكعبةُ الغراءُ واقعةً  
فما أشكُ بأنَّ الساعةَ اقتربتُ  
فأيُّ خطبٍ به أحشأؤنا انصدعتُ  
وأيُّ هولٍ به البسائبُنا سلبتُ  
وأيُّ دهرٍ لقينا من نوائبِهِ  
ما لو على الشامخاتِ الشَّمُ لانسربتُ  
إنَّا إلى اللهِ من دنيا مُنْقَصَرِ  
أيامها مسترداتُنا وهبتُ  
أبت عجائبُ لا تقوى العقولُ لها  
وأيُّ نفسٍ من الأيامِ ما عجبِتُ  
هي التي لعبتُ جنَّتُ وقتُ غدرتُ  
قسستُ الآنثُ أبتُ دانتُ نأتُ قسرتُ

(١) انظر ما جاء في كتاب: الحرمين الشريفان والمشاعر المقدسة للتوسعات والتطوير للدكتور عبدالله بن صالح الرقيبة، الصادر عن وزارة التعليم العالي ١٤٢٢هـ رقم (٢٨).

كم رام أهلُ اللهى من قبل اعصُرنا  
 صفوا لعيشهم من شوبها فابث  
 وكم ارادوا بإدراكهم معرفه  
 تقويم مناهها بالراي فاضطربت  
 فما ثرجي وقد وثت بشاشتها  
 واوجبة الأتس من لذاتها شجبت

ويعد هذه المقدمة التي يبين الشاعر فيها ما أصاب الكعبة، وما ألم بالنفوس من  
 ألم، بيدي عجبه من هذه الدنيا التي لا تصفو لأحد، ومن تناقضها فهي تارة جادة وأخرى  
 هائلة، وبينما تُري وفاعها، تبدي غدرها، وهي تقسو وتلين، وتبعد وتقترب، إنها تلعب بنا.  
 ثم يكرر تلهفه على ما حدث للكعبة، ويصف أركانها وكيف هوت، وأستارها وقد سحبت  
 في الوحل، وأثارها التي عنت:

ما بعد منظر بيت الله مثهبوا  
 تلهي حشاشة حر في البقا رغبت  
 فاي عين على ما كان ما انسكت  
 واي روح لما قد صار ما وصبت  
 لهفي على كعبة الله التي افترقت  
 احجارها بعد ما في حبها اصطحبت  
 لهفي على تلثم الأركان كيف هوت  
 وكيف اوهت حصاة القلب إذ قلبت  
 لهفي على تلثم الأستار كيف عنت  
 أيدي سبا وبوحد السحيب قد سحبت  
 لهفي على تلثم الآثار كيف عنت  
 وكيف شانت ريوج الحزن إذ خربت  
 لهفي ولست أعزري مثشدا أبدا  
 سقينا مئى وليالي الخيفر ما شربت

فكم باكفافيها من مهجة ذهب  
 وكم جَنُوبٍ على ساحاتها وجبت  
 وكم بذلك من ذكرى ومعتبر  
 لمن تذَكَّرَ لَكِنَّ النُّهى غريبت  
 يا خالِقَ الخَلْقِ عَفُواً عن جرائمنا  
 فخوف أنفسنا مما قد ارتكبت<sup>(١)</sup>

- استيلاء خزاعة على مكة،

كان بدء أمر مكة كما جاء عند الأزرقى (أن عمر بن الخطاب قال لقريش: إنه كان ولاية هذا البيت قبلكم طسم، فاستخفوا بحقه، واستحلوا حرمة، فاهلكهم الله، ثم وليته بعدهم جريم، فاستخفوا بحقه، واستحلوا حرمة، فاهلكهم الله، فلا تهاونوا به، وعظموا حرمة)<sup>(٢)</sup>.

وينقل الأزرقى عن ابن إسحاق أنه بعد وفاة إسماعيل عليه السلام تولى ابنه نابت الحكم، وبوفاته انتقلت الولاية لمضاخ بن عمرو الجرمي الذي حكم أعلى مكة، والسميدع من قطرواء حكم أسفل مكة، وأدى اختلافهما إلى قتال تم فيه قتل السميدع وغلبة مضاخ الذي ألت إليه أمور ولاية مكة. وهذه أول الحروب كما يذكر، وفيها يقول مضاخ<sup>(٣)</sup>:

ونحن قتلنا سبيدَ الحي عنوة  
 فاصبح فيها وهو حيران موجد  
 وما كان يبغى أن يكون سوامنا  
 بها ملكاً حتى اتانا السמידع  
 فذاق وبالأحين حاول ملكتنا  
 وعالج منا غحمة ثَجَزُع  
 فنحن همزنا البيت كنا ولائع  
 لحمامي عنه من اتانا ونذفع

(١) السلافة ٢٢٥

(٢) المصدر السابق / ٨٠

(٣) المصدر نفسه / ٨٢

وما كان ينبغي أن يلي ذلك غيرنا  
ولم يك حيًّا قـبـلـنـا ثم يُمنع  
وكنّا ملوكًا في الدهور التي مضت  
ورثنا ملوكًا لا ثرامَ قـتـلـوـضـع

ولما طال حكم جرهم للبيت، وامتنعوا وعزوا، استخفوا بحرمة الحرم، واكلوا مال الكعبة، وكانت خزاعة قد خرجت من اليمن، واستأننت جرهم في النزول معها، فأبى عليها جرهم ذلك، فاقتتلوا، وانتصرت خزاعة، فخرجت ولاية البيت إلى خزاعة، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت<sup>(١)</sup>:

فلما هبطنا بطنَ مرٍّ تخزعت  
خزاعةٌ منا في حلولِ كسراكِر  
ضموا كلَّ وادٍ من تهامة واحتضوا  
بصمُ القنا والمرهفات البواتر  
فكان لها المزياع في كلِّ غار  
تشن بنجر والفجاج العوابر

#### • حكم قصي

وتواصل المنافسة بين خزاعة وبين بني إسماعيل على ولاية البيت، إلى أن ينجح مجمع قريش، قصي بن كلاب الذي حارب بني بكر في الأبطح حتى كثر فيهم القتل، وبعد ذلك تم الصلح الذي أعطى قصياً ولاية البيت، ولما تمت له السيطرة تم إخراج بني بكر وخزاعة من مكة في يوم نكيف<sup>(٢)</sup>، واستولى على أمر مكة كلها، من: حجابة البيت والرفادة والسقاية، وقيادة مكة، وسمي مجمعاً (وقيل: سميت قريش قريشاً لتجمعهم على قصي، والتقرش هو الاجتماع، وفي ذلك يقول القائل:

أبوهم قصي كان يدعى مجمعا  
به جمع الله القبائل من فهر

(١) المصدر السابق ١/ ٩٣-٩٥

(٢) انظر السيرة لابن هشام ١/ ١١٤

هَمْ مُلْكُوا الْبَطْحَاءَ مَجْدًا وَسُؤْدًا

وَهَمْ طَرَكُوا عَنْهَا غُرَاةَ بَنِي عَمْرِو<sup>(١)</sup>

وفيه يقول الدكتور حسين مؤنس: (فهذا الرجل قصي بن كلاب هو الذي وضع أساس قوة قريش ومكانتها، فهو الذي أقرها في مكة، ونقلها من البدوابة إلى الحضارة والاستقرار، ووضع لها من عنده نظاماً شورياً فيه إنصاف للقبائل جميعاً، وهو كذلك صاحب الفضل في تنظيم أمور مكة، وتقسيمها رياعاً بين بيوت أبنائه وحلفائه)<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن سلام: (أصبح الناس يوماً بمكة وعلى دار الندوة مكتوب:

أَلْهَى قُصَيًّا عَنِ الْمَجْدِ الْإِسْطِيرُ

وَرَشُوهُ مِثْلَ مَا تُرْشَى السِّفَاسِيرُ

وَأَكْلَهَا اللَّحْمَ بَحْثًا لَا خَلِيطَ لَهُ

وَقَوْلُهَا: رَحِلْتُ عَيْرٌ مُضْتٌ عَيْرٌ)<sup>(٣)</sup>

#### • عام الفيل

تعد حملة أبرهة الحبشي على مكة حدثاً من أعظم الأحداث التي شهدتها مكة قبل الإسلام، فالقائد الحبشي النصراني أبرهة، يريد تحويل العرب عن كعبتهم، فيصمم على هدمها، وليضع لهم البديل، بني كنيسة في صنعاء سماها القليس، وخرج على رأس جيش عرمرم قاصداً مكة، يقدم جيشه فيل ضخم، ترهيباً وتخويفاً لكل من يحاول الوقوف في وجهه، واستطاع رغم بعض المناوشات في الطريق أن يتغلب على جميع من وقف في وجهه، واستمر في وجهته حتى وصل المعفّس على بعد ثلثي فرسخ من مكة، وبعث بعض جنده للاستيلاء على أموال قريش ومتاعها.

وورد في كتب السير قصة عبدالمطلب مع أبرهة ومطالبته برد إبله، وأن عبدالمطلب عندما رجع من عند أبرهة ورأى عزمه على هدم الكعبة نادى أهل مكة محذراً:

(١) الإعلام بما في مكة من الأعلام ٢٨ - ٢٩

(٢) تاريخ قريش ٧٥

(٣) طبقات فحول الشعراء ١ / ٣٣٥ - ٣٣٦

يا اهل مكة قد وافاكم ملك  
 مع الفيول على انيابها الزبد  
 هذا النجاشي قد سارت كتابته  
 مع الليوث عليها البض تلقد  
 يريد كعبتك واللة مانعة  
 كمنع ثبغ لما جاءه حرد<sup>(١)</sup>

ولما وجد اهل مكة قد غادروها، ذهب إلى الكعبة، وأمسك بحلقه بابها، وأخذ يدعو الله، ويقول:

يا رب لا ارجو لهم سواك  
 يا رب فامنع منهم حراما  
 إن عدو البيت من عاداك  
 امنعهم ان يخرطوا فراكا

وقال ايضا:

يا رب إن المـــــرة يــــف  
 نـع رـحـمة فـامنـع حـلالك  
 وانصــــر على آل الصليـب  
 حـر وعـابـديـه الـيـوم الـك  
 لا يـغـلـبـن صـليـبـهـم  
 ومـحـالـهـم عـنـوا مـحـالـك  
 فـلـن فـعلت فـرـبما  
 أولى فـامنـر ما بدا لك  
 ولـن فـعلت فـرـئة  
 امـنـر تـم به فـعـالـك

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٠ وانظر مروج الذهب للمسعودي ٢/ ١٢٨

جَزُوا جَمْعُوْغَ بِلَادِهِمْ  
وَالْفِيلَ كَيْ يَسْتَبُؤُوا عِيَالَهُ  
عَمِدُوا حِمَاكَ بِكَيْدِهِمْ  
جَهْلًا وَمَا رَقَبُوا جِلْدَكَ  
فَلَنْ تَرْكَتَهُمْ وَكَمِ  
بِتَنَا فَوَا حَزَنِي هِنَاكَ<sup>(١)</sup>

وقال عبد المطلب أيضاً:

لَا هُمْ لِمَا خَزِيَ الْأَسْوَدُ بَنُ مَقْصُودُ  
الْأَخَذِ الْهَجْمَةَ ذَاتَ التَّقْلِيدِ  
بَيْنَ جِرَاءٍ وَتَبِيرٍ فَالْبَرِيدُ  
أَخْفَرْتُ رَبًّا وَأَنْتَ الْمَحْمُودُ  
قَدْ اجْمَعُوا الْإِذَا يَكُونُ لَكَ عَيْدُ  
وَيَهْدِمُوا الْبَيْتَ الْحَرَامَ الْمَعْمُودُ  
وَالْمَرْوُوثِينَ وَالْمَشَاعِرَ السُّودُ

ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة، وانطلق هو وعمرو بن عمرو بن عمران بن مخزوم، ومطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، ومسعود بن عمرو الثقفي. ومن معهم من قريش إلى شعف الجبال، فتمركزوا فيها ينظرون ما أبرهة فاعل بمكة إذا دخلها. وقال عبد المطلب:

قُلْتُ وَالْأَشْرَمُ تُرْدَى خَيْلُهُ  
إِنْ ذَا الْأَشْرَمُ هَرُّ بِالْحَرَمِ  
كَأَنَّهُ تَبْعُ هِي مِنْ جُنْدِ  
جَنْفِيَرٍ وَالْحَيُّ مِنْ آلِ قَدَمِ  
فَأَنْتَنِي عَنْهُ وَفِي أَوْدَاجِهِ  
جَارِحٌ أَمْسَكَ عَنْهُ بِالْكَظَمِ

(١) السيرة لابن هشام ١/ ١٩٠، وأخبار مكة للأزقي ١٤٥/١، وإتحاف الوري ٢١/١

نحن اهل الله في بلدته  
 لم يزل ذلك على عهد ابراهيم  
 نعبد الله وفينا شيمه  
 صلة القرى وإيفاء الذمم  
 إن للبيت لرباً مانعاً  
 من شُرذة بامام يحفظهم

وقال المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم يذكر حادثة الغيل، ويصف حبس  
 الغيل بالمفمس:

انت حبست الغيل بالمفمس  
 حبسك كانه مكربس  
 من بعد ما هم بامر مخلص  
 بحبس ترق فيهم الانفس  
 وقت ثياب ربنا لم تخلص  
 يا واهب الحي جميع الاحسن  
 وما هم من طارق ومنفس  
 وجاره مثل الجوارى الكفس  
 انت لنا في كل امر مفسس  
 وفي هياتر اشدت بالانفس

ونذكر لنا ابن ائينة الثقفي قصة الغيل، وكيف أتى جيش أبرهة بالآله العديدة التي  
 تسد عين الشمس، ويصم صراخهم الأذان، فهم كالشياطين، وعدمهم كالتراب، فيقول:

لعمرك ما للفتى من مفر  
 مع الموت يلحقه والكفر  
 لعمرك ما للفتى عصرة  
 لعمرك ما إن له من وذر



أَبْعَدَ قَبَائِلَ مِنْ حَمِيرٍ  
 اتُوا ذَاتَ مُنْبِجٍ بِذَاتِ الْعَبْجِ  
 بِالسُّفْرِ الْوَفْرِ وَحُجْرَاتِهِ  
 كَمَثَلِ السَّمَاءِ قُبَيْلِ الْمَطَرِ  
 يُصْبِحُ صَرَخُهُمْ الشُّطْرِبَا  
 تَرِيفُونَ مَنْ قَاتَلُوا بِالذِّكْرِ  
 سَعَالِي مَثَلِ عِيدِ التَّرَابِ  
 ثِيَابُ مِنْهَا رِطَابُ الشُّجْرِ<sup>(١)</sup>

وقال نفيل يذكر قصة حادثة الفيل وما رآه من ممالك أبرهة وجيشه:

أَلَا حُسَيْبِيَتِ عُمَا يَا رُبَّنَا  
 نَعْمَنَّاكُمْ مَعَ الْإِسْبَاحِ عَيْنَا  
 رُبَّنَا لَوْ رَأَيْتَ وَلَسَ ثَرِيثُ  
 لَدَى جَنْبِ الْمُفْطَسِ مَا رَأَيْنَا  
 إِذَا لَعَنَ نَبِيَّ وَرَضِيَتِ أَمْرِي  
 وَلَنْ تَأْسَيَ عَلَى مَا فَاتَ بَيْنَنَا  
 وَكُلُّ الْقَوْمِ يَسْأَلُ عَنْ نُفَيْلٍ  
 كَانَ عَلَى الْخُبَشَانِ دَيْنَا<sup>(٢)</sup>

وتذكر سبيعة بنت الأحب ملك جيش الفيل في وصيتها لابنها:

وَالْفِيلُ أَهْلَكَ جَيْشُهُ  
 يُرْمُونَ فِيهَا بِالصُّخُورِ<sup>(٣)</sup>

وعبدالله بن الزبيري يتحدث عن حرمة مكة، ويضرب المثل بحرمتها ما صنع الله

بجيش أبرهة، فيقول:

(١) إتحاف الوري ٤٤

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٣٦

سائلن أمير الجيش عنها ما رأى  
ولسوف يُثبّي الجاهلين عليها  
سئلون الفأ لم يؤوبوا أرضهم  
بل لم يعش بعد الإياب سقيمها<sup>(١)</sup>

ونذكر أبو هلال العسكري أن (أول ما عظم أمر قریش فسميت آل الله وقرابته حين  
هزم الله جيش أبرهة الأشرم، وقال أمية بن أبي الصلت الثقفي في شأن الفيل:

إن أياثر ربنا باقــــــــــــــــيات  
ما يُماري بهن إلا كفور  
حبس الفيل بالمشغمس حتى  
ظلّ يخبو كانه مــــــــــــــــفور

وقال يصف جيش أبرهة وكثرته، وكيف رنم الله بجيوش الطيور الحاصية:

وعندكم منه بلاء مــــــــــــــــددق  
غداة أبي يغسوم مهدى الكتائب  
كتائبه بالسهل تمشي ورجلة  
على القنقات في رؤوس المراقب  
فلما اجازوا بطن ثغمان رنهم  
جيوش الإله بين سافرو حاصب<sup>(٢)</sup>

وجيوش الإله التي تسفي وتحصب جيش أبرهة هي تلك (الطيور الأباييل أشباه  
اليعاسيب ترميمهم بحجارة من سجيل، وهو طين خلط بحجارة، خرجت من البحر مع كل  
طير ثلاثة أحجار، فملكهم الله عز وجل)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخبار مكة ١ / ١١٢ إتحاف البدر ١ / ٣٧

(٢) الأوائل لأبي هلال العسكري / ١ / ٥٧-٦٢

(٣) مروج الذهب ١ / ٥٢

وبذلك هلك أبرهة وجنده، وفي ذلك يقول الدكتور محمد حسين هيكل عن نتيجة هذه الحملة: (زاد هذا الحادث الفذ العجيب في مكانة مكة الدينية، وزاد تبعاً لذلك في مكانتها التجارية، وزاد أهلها انصرافاً عن التفكير في شيء غير الاحتفاظ بتلك المكانة الرفيعة الممتازة)<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت نتيجة هذه الحملة قد أعلت من مكانة مكة في ما ذكر، فإن النشاط الشعري هو الآخر قد تفاعل مع هذه النتيجة، وفي ذلك يقول فؤاد علي رضا: (كان إخفاق حملة الفيل محوراً لنشاط أدبي كبير، فقد اتخذته كثير من الشعراء موضوعاً لقصائد عصماء، نذكر منهم: عبدالله ابن الزبير، وأبا قيس بن الأسلت، وطالب بن أبي طالب، وأبا الصلت بن ربيعة الثقفي، والفرزدق، وعبدالله بن قيس الرقيات، وغيرهم)<sup>(٢)</sup>.

ويشير جواد علي إلى أثر هذه الحملة في دخول بعض الألفاظ الحبشية في الشعر العربي، فيقول: (أشار علماء اللغة المسلمون والمستشرقون إلى عدد من الألفاظ العربية ذكروا أنها من أصل حبشي، وهي من الألفاظ التي كانت مستعملة ومعروفة قبل الإسلام، وقد ورد بعضها في الشعر الجاهلي)<sup>(٣)</sup> ويقول كلثوم بن عُميس عندما أسره أبرهة وكبله بالحديد، يصف كثرة جيشه بالماء الذي ملا الوادي:

الَا لَيْتَ أَنَّ إِلَهَ أَسْمَعَ دَعْوِيَّ

وَأَرْسَلَ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ مَنَابِيَا

اتَّكَمَ جُمُوعُ الْأَنْثَرَمِ الْفِيلُ فِيهِمْ

وَسَوْدُ رَجَالٍ يَرْكَبُونَ السَّغَالِيَا

وَرَجُلٌ جِسَامٌ لَا يَغْتُ عَيْدِيهِمْ

يَهْرُونَ وَاللَّاتُ الصَّرَابُ الصَّوَادِيَا

أَتَوْكُمُ أَتَوْكُمُ تَبَشَّعُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ

كَمَا سَالَ شَوْبُوبٌ فَبِشَّعَ وَادِيَا<sup>(٤)</sup>

(١) حياة محمد ٦٤

(٢) أم القرى مكة المكرمة ٢٢٩

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٦ / ١٩٣

(٤) سيرة ابن هشام ١ / ١٧٠

وفخر ذو الرمة بقتل أبرهة الأشرم، فيقول:

وأبرهة اصطادت صبوراً رماحنا

جهازاً وعُثْنُونُ العجاجة أكره

تنحى له عمرو فشك ضلوعه

بناقمهم نجلاء والخيل تُضْمِرُ<sup>(١)</sup>

وفي شعر العصور المتوسطة من القرن الخامس وحتى الثاني العاشر يمر ذكر هذه الحادثة ضمن قصائد المديح النبوي، ومن ذلك ما أورده أبو الفضل عبدالمحسن بن محمود التتويحي الحلبي من شعراء القرن السابع في مديحته الالامية التي يصف فيها حادثة الغيل قائلاً:

ماذا أقول وإن أسهبت في ملأ

قبد جاء في منحهم وحي وتزيل

لولاهم هدم البيت العتيق وقد

وافاء قوم عصاة فيهم الغيل

عادوا وقد عاد في التضليل كينهم

وأرسلت فوقهم طير أبابيل

ترمي بأحجار سجّيل تغاسرهم

إذا رمتهم كعصفرو هو مأكول<sup>(٢)</sup>

وفي الشعر المعاصر يبقى أبرهة ماثلاً للعيون، ويبقى هلاكه وهلاك جنده عبرة وعظة، ويبقى الرمز والإيحاء بأن لكل عصر أبرهة من الظالمين المعتقدين، كما في هذه القصيدة التي تحمل في طياتها الكثير من المعاني الإيحائية، التي تعبر عن أن نهاية الظالمين ليست ببعيد، وأن نصر الله قريب من عباده المستضعفين، فالشاعر مصطفى أبو الرز من الشعراء المعاصرين، يسيّر جيش أبرهة في رؤية تناصية إسقاطية، ينقل لنا أحداث عام الغيل، ويتحدث عن أبرهة وجيشه وفيله، وما لاقاه بحجارة الطير الأبابيل،

(١) ديوان ذو الرمة ٢ / ٦٤٤

(٢) المجموعة النبهانية في اللدائع النبوية ٣ / ٣٨

وقراءتك للقصيدة توحى بأن الشاعر لا يروم سوى تأريخ هذا الحدث، فتفاصيله كما يذكرها معروفة لصغارنا الذين يقرأون (سورة الفيل) ويعرفون تفسيرها، لكن المتأمل في القصيدة يلمح من خلال هذه البساطة عمقاً وريفاً يقّدي إلى تشكيل رؤية استنباطية تقول: مهما عتا المجرم في إجرامه، فإنّ له يوم الفيل، وقرأ معي لقطات القصيدة التي لا تبعد كثيراً عن صور الحدث كما حدث، ولكن هذه البساطة تغري بالتأمل:

إلى أين تـزحفُ يا أبرهه؟

فما الأمرُ ما شئت أن تصنع

إلى أين ؟ أين ؟ تخيّل السُّماء

ويخلق أبرهه مسنماً

ويزحفُ يكسوه ثوبُ الفـرور

وكلُّ الشياطين جاءت معه

وتفعلُ في رأسه فـلها

وأسكره كاسُة المُـلـه

وفي قدرة الله كان الجوابُ

وإني لمن شط أن يسـمـفـه

فما امرؤ الفـلـد المـؤمـن

بأيدي اللـيـم لكي تتـبـفـه

ولكن كما شاء ربّ الأنـام

ففي الكون أركانة الأريـمـه

إلى غير ذي الزرع تـهـوي القلوبُ

ويمتلئ القلب من البـذـفـه

ويمتلئ الجوُّ من فـور

بطيـر اطـلـت لكي تـزـفـه

أبـابـيل يرميه سـجـيـها

بضرب القـض له مـضـجـه

ويضطرب الفصيل من هوله  
 ويلقى من الطير ما أوجسه  
 كصفر تبخر أحلامه  
 ومن يا ترى المرقد جرعته؟  
 فما ظن للبيت من ماله  
 سيصرعه قبل أن يصرعه<sup>(١)</sup>

وما أظن الشاعر يروي لنا هذه الحكاية إلا وفي ذهنه أبرهة العصر، والطيور  
 الأبايل، طيور الانتفاضة.

وهذا الاكتشاف ليس بحاجة إلى كبير بحث، فقد صدرت دواوين وقصائد في شعر  
 الانتفاضة تمزج في الصورة وتماهي ما بين طيور الأبايل وأطفال الحجارة.

وهذا ياسين تعلب الغيل أيضاً في خطابه لبيت الله يمزج بين تلك الحجارة القديمة  
 وحجارة الانتفاضة، فيقول:

يا بيت الله ومعدن  
 إني عريء الأمنية  
 أبرهة يلعن أبرهة  
 نغبات الحقد الأزلية  
 وما ذنك البيض ارتفعت  
 تتحدى شجاً جرية  
 والموكب يمضي ملتمساً  
 كل الجبابرة القسسية<sup>(٢)</sup>

ونجد بعض الشعراء يذكرون هذه الحادثة، كلون من ألوان التذكير والوعظ،  
 فينقلونها لنا بأسلوب سردي يقترب من النثر الخبري، كما في قول سراج مفتي:

(١) متولة باليد من ديوان له مخطوط

(٢) مجلة المنهل عدد ٤٨٥ مجلد ٥٢ جمادى الآخرة ١٤١١هـ / ديسمبر ٩٠ ويناير ١٩٩١م

تَلَحُّمُ الْبَلَدَةِ الْحَبِيبَةِ فِي الْقَدِّ  
 حَبِ وَمَنْ مَسَّلُ مَكَّةَ تَهْـوَاهَا  
 كَرَّمَتْهَا عَنَابَةُ اللَّهِ بِالْبَيْدِ  
 حَتَرَبَهُ زَادَ مَجْجَدُهَا وَعُلاَهَا  
 وَحَمَّاسَهَا مِنْ كُلِّ صَاحِبِ مَكْرِ  
 وَلِثَمِيمٍ يَرِيدُ مَسْجِدَهَا  
 تِلْكَ ذَكَرَى السَّنِينَ هَيْهَاتَ تُنْسَى  
 قِصَّةُ الْفِيلِ خُلَّتْ نَظَرَهَا  
 بَيْئُوا الْغَيْدَ يَا لَهَا مُخْزِيَاتِ  
 يَبْرُوهَا فَأُخْزِفُوا بَلْغَاهَا  
 نَزَلُوا مَكَّةَ وَسَاقُوا الْمَوَاشِي  
 قَمَرْتُمْ قَدْنَةً تَشِيرُ إِذَاهَا  
 فَاتَاهُمْ جَدُّ النَّبِيِّ لِيَحْظَى  
 بَنِي آقَرٍ مِنْ مَالِهِ إِشْتَرَاهَا  
 أَنَا رَبُّ لَهَا وَلِلْبَيْتِ رَبُّ  
 سَوْفَ يَحْمِيهِ مِنْ ظُلُومٍ تَبَاهَى  
 دَمَرْتَهُمْ طَيْرُ الْإِبَابِيلِ رَجُمَا  
 بِحِجَارٍ فِي الْفَتَكِ مَا امْتَضَاهَا<sup>(١)</sup>

#### ● حَرْبُ الْفُجَارِ

الفجار الثاني أو الآخر، ذكر ابن عبد ربه الأندلسي أنه (خمسة أيام في أربع سنين: أولها يوم نخلة، ولم يكن لواحد منها على صاحبه، ثم يوم شمعطة لهوازن على كنانة، وهو أعظم أيامهم، ثم يوم العبلاء، ثم يوم شَرْبٍ وكان لكنانة على هوازن، ثم يوم الحريرة، وكان لهوازن على كنانة، وتظاهر الناس بعد ذلك إلى السلم، على أن يذروا الفضل ويتعاهدوا ويتوثقوا)<sup>(٢)</sup>.

(١) شعر كنانة من الجاهلية إلى العصر الأموي ٤٤٨ .

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٥ / ٢٥١ - ٢٥٢ .

ونكر أبو عبيدة أنه كان يعكاظ أربعة أيام: يوم شمطة، ويوم العبلاء، ويوم شرب،  
ويوم الحريرة وهي كلها من عكاظ فشمطة من عكاظ هو الموضع الذي نزلت فيه قريش  
وحلفائها من بني كنانة بعد يوم نخلة، وهو أول يوم اقتتلوا به من أيام الفجار بحول على  
ما تواعدت عليه من هوازن وحلفائها من ثقيف وغيرهم، فكان يوم شمطة لهوازن على كنانة  
وقريش، ولم يقتل من قريش أحد وقال خداش بن زهير:

فأبلغ إن مررت به هشامًا

وعبد الله أبلغ والوليد

بأننا يوم شمطة قد أقمنا

عمود الدين إن له عمودا

ثم التقى الأحياء المذكورون على رأس الحول من يوم شمطة بالعبلاء، إلى جنب  
عكاظ، فكان لهوازن أيضًا على قريش وكنانة، قال خداش بن زهير:

الم يبدؤكم أنا جـ

لدى العبلاء خيلف بالقيار

ضربناهم ببطن عكاظ حتى

تولوا فالعين من النجـ

فهو يوم العبلاء. ثم التقوا على رأس الحول وهو اليوم الرابع من يوم نخلة بشرب،  
وشرب من عكاظ، ولم يكن بينهم يوم أعظم منه، فحافظت قريش وكنانة، وقد كان تقدم لهوازن  
عليهم يومان، وقيد سفيان وحرب ابنا أمية وأبو سفيان ابن حرب أنفسهم، وقالوا لا يبرح منا  
رجل مكانه حتى يموت أو يظهر، فسموا العنابسة وجعل بلاء بن قيس يقاتل ويرتج:

إن عكاظًا ماؤنا فـ

وذا المجازي بـ

فانهزمت هوازن وقيس كلها إلا بني نصر، فإنها صبرت مع ثقيف، وذلك أن عكاظًا لهم فيها نخل  
وأموال، فلم يفتوا شيئًا، ثم انهزموا، وقتلت هوازن يومئذ قتلاً ذريعًا، قال أمية بن الأسكر الكناني:

الا سائل هوازن يوم لاـ

فوارس من كنانة معلـ

لدى شرب وقد جاشوا وجـ

فاوعب في النـ



ثم التقوا على رأس الحول بالحريرة، وهي حرة إلى جنب عكاظ، مما يلي مهب جنوبها، فكان لهوازن على قريش وكثانة وهو يوم الحريرة.

شهد خدّاش بن زهير من بني عامر بن صعصعة حرب الفجار، وكان من أكثر الشعراء حديثاً في شعره عن أيام هذه الحرب، وكان يوم نخلة هو أول أيام الأقربة، وفيه يقول خدّاش بن زهير:

يَا شَسْدُ مَا شَسَدْنَا غَيْرَ كَاذِبٍ  
 عَلَى سَخِينَةٍ لَوْلَا الْبَيْتُ وَالْحَرَمُ  
 لَمَّا رَاوَا خَسِلْنَا فُرَجَى أَوَّلُهَا  
 أَسَادُ غِيلٍ حَمَى أَشْبَانَهَا الْأَجَمُ  
 وَاسْتَقْبَلُوا بِضُرَابٍ لَا كِفَاءَ لَهُ  
 يُبْذِي مِنَ الْغُرْلِ الْإِكْفَالِ مَا كَثَمُوا  
 وَلَوْ شِئْلَالُ وَغَطْلُمُ الْخَيْلِ لِاحْقَةٍ  
 كَمَا تَخْبُ إِلَى أَوْطَانِهَا النُّعْمُ  
 وَلَتْ بِهِمْ كُلُّ مُحَضَارٍ مُتَمَلِّئَةٍ  
 كَانَتْهَا لِقْوَةٌ يَحْكُمُهَا هَتَرُمُ  
 إِذْ يَتَّقِينَا هَشَامٌ بِالْوَلِيدِ وَلَوْ  
 أَنَا فَعَلْنَا هَشَامًا شَالَتْ الْخَدَمُ  
 قَدْ قَرَرَتِ الْعَيْنُ إِذْ يَدْعُونَ خَيْلَهُمْ  
 لَكِي تَكْرُ فِي أَذَانِهَا صَوْنُكُمْ  
 بَيْنَ الْأَرَاكِ وَبَيْنَ الْمَرْجِ تَبْطَحُهُمْ  
 زَوْقُ الْأَسْنَةِ فِي أَطْرَافِهَا السُّهُمُ  
 فَإِنْ سَمِعْتُمْ بِجَيْشٍ سَالِكٍ سَرَقَا  
 أَوْ بَطْنٍ مَرٍّ فَاحْفُوا الْجَرَسَ وَاعْتَمُوا<sup>(١)</sup>

(١) المستدرك في شعر بني عامر ١٧٩/٢، وسخينة: قريش، وكانت الحرب تسميها سخينة لاكلها السخن. زجى: الشبي، وأزجاء: ساقه ونغمه، وأساده: جمع أسد. والفيلة: الأجمة وموضع الأسد. لا كفاء له: لا نظير. والإكفال: جمع كفل، والكلل من الرجال الذي يكون في مؤخر الحرب إنما همته في الفرار. والشلال: القوم المتفرقون، ونهيب القوم شلالاً: أي انتشلوا مطروحين والغيب: السرعة. وفرس محضار: إذا كان شديد الحضر وهو العدو. والململة: المعتدلة الخلق، وقيل الغليظة الصلبة واللقة: العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف. وهشام والوليد: أبنا لفيرة المخزومي وشالت: اضطربت، والخدم السيقان. وسرف: موضع من مكة على عشرة أميال. وبطن مر: واد قريب من مكة، وهو مر الظهران، يعرف الآن بوادي فاطمة.

وفي اليوم الثاني من الفجار الثاني وهو يوم شمظة كانت الغلبة في أول النهار  
لكتانة، فلما صار آخره صبرت هوازن ومن معها من بني عامر، فاستحر القتل في قريش،  
وخداش هنا يبين عن ذلك، وكيف كان القتال والعراك متكافئاً في المعركة، إلا أن الغلبة  
في النهاية كما يقول وكما ورد لمن معه، ولذلك فإن ابن سلام الذي أورد أبياتاً من هذه  
القصيدة في طبقات الشعراء، يعدها من المنصافات، وفيها يقول:

فأبلغ إن عرَضت بنا هَشامًا  
وعبَدَ الله أبْلغ والوليدَا  
أولئك إن يكن في القوم خَيْرُ  
فإن لديهم حَسَبًا وجُودَا  
هم خيرُ المَعاشِرِ من قريشِ  
وأودها إذا قُـبِحَت زُودَا  
بأننا يومَ شَمْظَةَ قَد أَقَمْنَا  
عمودَ المَجْدِ إنْ لَهُ عَمودَا  
جلبنا الخيلَ سَاهِمَةً إليهمْ  
عوابسَ يَدْرِغُنَ النُّقَعِ قُودَا  
وَبَرْنَا نَعْلَدُ السَّيْمَى وَيَاتُوا  
وقالوا مَنبُحُوا الأَنسَ الحَريدَا  
وقد حَتَمُوا القَضَاءَ لِيَجْثَلُونَا  
مَعَ الإصْبَاحِ جَارِيَةً وَلِيدَا  
فَجَاعُوا عَارِضًا بَرْدًا وَجِلْنَا  
كَمَا أَضْرَمْتَ فِي الغَابِ الوَقُودَا  
فَقَالُوا يَالْ عَمْرُو لَا تَفِرُوا  
فَقَلْنَا لَا فِرَانُ وَلَا مَنُودَا  
فَعَارِجْنَا الخُمَاءَ وَعَارِكونَا  
عَرَكَ الثُّمَرِ وَاجْهَتِ الأسُودَا

عَلَوْنَاهُمْ بِكُلِّ آفٍ عَصَبٍ  
 تَخَالُ جَمَاءً وَقَعْتَهُ خُدُودَا  
 فَلَمَّ أَنْ مَثَلَهُمْ هَزَمُوا وَقَتُوا  
 وَلَا تَلْبِثْنَا غَيْبًا مَثُودَا  
 عَصَبْتُمْ عَطْفَيْنِ وَلَمْ تَعْتُوا  
 وَقَاتِغَ قَدْ تَرَكْنَكُمْ حَصِيدَا  
 تَرَكْنَا الْبَيْدَ وَالصَّخْرَاءَ مِنْهُمْ  
 تَخَالُ خِلَالَهَا مَعَزَى صَرِيدَا  
 وَعَبِيدُ اللَّهِ قَدْ قَتَلُوا قِصَارُوا  
 هُمْ الْإِنكَاسُ يَزْعَوْنَ النُّقِيدَا  
 تَرَكْنَا عَامِرِيَهُمْ مِثْلَ عَامِرٍ  
 وَمَثَرَةَ أَهْلِكَوَا إِلَّا الشُّرِيدَا  
 أَنَا الْحَامِي الدُّمَانُ وَلَيْثٌ غَابِ  
 أَشْبَى الْحَرْبِ أَشْعَلُهَا وَثُودَا<sup>(١)</sup>

وفي اليوم الثالث وهو يوم العبلاء الذي انتصرت فيه بنو عامر وبقية فروع هوازن،  
 وانهزمت كنانة، ويوم العبلاء هو اليوم الثاني من أيام الفجار الثاني، وكان اللقاء على قرن  
 الحول بالعبلاء، وهو موضع قريب من عكاظ، وفيه انهزمت كنانة، يقول خدّاش:

أَلَمْ يَجْلِفْكَ مَا لَأَقْتَ قَرِيشَ  
 وَحِيْ بَنِي كِنَانَةَ إِذْ أَتَبَسَّرُوا  
 دَهْمَانَهُمْ بَارِعَنْ مَثَقَ هَرَّ  
 فَظَلُّ لَنَا بَعَقَ وَتَهُمْ زَلِيْرُ  
 نَقَوُومُ مَا رَنَّ الْخَطِيْ فِيهِمْ  
 يَجِيءُ عَلَى اسْتَقْنَا الْجَزِيرِ<sup>(٢)</sup>

(١) شعر خدّاش بن زهير ٥٥٥-٥٥٦

(٢) شعر خدّاش بن زهير ٥٦٤-٥٦٥ وأرعن: جيش عظيم جرار. والمقوة: المكان المنقوع أمام للحلة وبارن الخطي: الرياح اللينة. والجزير: فعل بمعنى مفعول من الجزر.

وقال أيضًا في هذا اليوم:

أَلَمْ يَبْلُغْكَ بِالْعِبْلَاءِ أَنَا  
ضَرِينَا خُنْفًا حَتَّى اسْتَقْدَاوَا  
نُبْنِي بِالْمَنَازِلِ عَزُّ قَيْسٍ  
وَوَنُوا لَوْ تَسِيحُ بَنَا الْبَلَاءُ<sup>(١)</sup>

ويتكرر هذا المعنى، ويذكر مكان حدوث الواقعة في عكاظ فيقول:

أَلَمْ يَبْلُغْكُمْ أَنَا جِـ  
لَدَى الْعِبْلَاءِ خُنْفَ الْقِيَارِ  
ضَرِينَاهُمْ بِيَطْنِ عِكَازٍ حَتَّى  
تَوَلَّوْا ظَالِمِينَ مِنَ الْجَارِ<sup>(٢)</sup>

وفي يوم الحرية وهو اليوم الذي كان لهوازن على كنانة، وفيه قُتل أبو سفيان بن أمية أخو حرب بن أمية، وقُتل من كنانة ثمانية نفر، وفي ذلك يقول خدّاش بن زهير:

لَقَدْ بَلَّوْكُمْ فَا بَلَّوْكُمْ بِلَاغُهُمْ  
يَوْمَ الْحَرِيرَةِ ضَرِينًا غَيْرَ تَكْلِيهِ  
إِنْ تَوَعَّدُونِي فَبِئْسَ لَابِئُ عَمُّكُمْ  
وَقَدْ أَصَابَكُمْ مِنْهُمْ بِشْرُؤُ يَوِي  
وَأَنْ وَرَقَاءَ قَدْ أَوْدَى أَبَا كَنْفَرٍ  
وَابْنِي إِيسَى وَعَمْرًا وَابْنَ أَيُّوبِ  
وَأَنْ عَمْرَمَانَ قَدْ أَرْدَى ثَمَانِيَةً  
مَتَكُمُ وَأَنْتُمْ عَلَى خُبْرٍ وَتَجْرِيِبِ  
يُخَالِسُ الْخَيْلَ طَعْنًا وَهِيَ مُخَضَّرَةٌ  
كَأَنَّمَا سَاعِدَاؤُهُ سَاعِدَاؤُ نَيْبِ<sup>(٣)</sup>

(١) شعر خدّاش بن زهير ٥٥٧

(٢) المستدرك من شعر بني عامر ١٦٥

(٣) شعر خدّاش بن زهير ٥٤٨ والحريرة: تصغير حركة موضع بين الأبناء ومكان قرب نخلة.

وفي هذا اليوم يقول ربيعة بن عثمان يصف قتل ابن محمية الديلي لزمير بن ربيعة  
أبي خدّاش في يوم الحرية من أيام الفجار:

فَسَائِلُ جَعْفَرًا وَبَنِي أَبِيهَا  
بَنِي الْبَرْزِي بِطَفْخَةٍ وَالْمَلَحِ  
عَشِيَّةً لَمْ يَكُنْ لِلرَّمَحِ حِطٌّ  
وَكَانَ الْحِطُّ فِيهِ لِلْمُتَفَاجِ  
غَدَاةً اتَّهَمُ حُمُرُ الْمَنَافِ  
يَسْتَقْنُ الْمَوْتَ بِالْأَجْلِ الْمُتَفَاجِ  
تَرَكَنَا شَاوِيًا يَزْقُو صَدَاةُ  
زَهْمِيرًا بِالْعَوَالِي وَالْمُتَفَاجِ  
أَتَيْخَ لَهْ أَبْنُ مُحَمَّدٍ بَنَ عَبْرٍ  
فَاعْجَلَةُ النَّسْوَمُ بِالْبَطَاجِ<sup>(١)</sup>

وهذا رباح بن الأعلم القشيري ينتقد هذه الحرب، وهو لا يشعر بالندم عن تغيبه  
عنها، بل لو تكررت، فإنه لن يندم لو تغيب أيضًا، بل هو يقرر أنه سيتغيب حتمًا عنها لو  
تكرر حدوثها، فيقول:

تَغَيَّبْتُ عَنْ يَوْمِي عَكاظَ كَلِيهِمَا  
وَإِنْ يَكُ يَوْمٌ ثَالِثُ اتَّجَنَّبُ  
وَإِنْ يَكُ يَوْمٌ رَابِعٌ لَا أَغْضُذُ لَهُ  
وَإِنْ يَكُ يَوْمٌ خَامِسٌ اتَّخَجِبُ<sup>(٢)</sup>

## • الأحلاف

تعاهدت قريش في الجاهلية على عدة أحلاف بين قبائل مكة، ومع جيرانها أحيانًا،  
ومن هذه الأحلاف:

(١) شعر كثانة من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي ٢٥٠، البرزّي: لقب بني بكر. طخفة: جبل لبني كلاب.

(٢) المستدرك في شعر بني عامر ١١٨/٢.

## ● حلف الفضول

هذا الحلف من افضل اعمال قريش في الجاهلية، فقد تحالفوا على رد كل مظلمة وقد حضره رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأيده، وفيه قال: «قد شهدت مع عمومتي في دار ابن جدعان من حلف الفضول ما لو دُعيت إليه اليوم لأجبت، وما أحبُّ أني نقضته ولي حمزُ النُّعم<sup>(١)</sup>».

قال أبو هلال العسكري: ومن أوائل أفعالهم حلف الفضول وروي (أن رجلاً من بني زبيد من منحنج قدم مكة بسلعة، فباعها من العاص بن وائل وكان شريكاً، فظلمه ثمنها، وأبت الأحلاف: عبدالدار ومخزوم وجمح أن يعينوه عليه، فأوفى الزبيدي على أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش حول الكعبة، فصاح بأعلى صوته):

يا آلَ فهرٍ لمظلومٍ بضائعُهُ  
ببطن مكة نالني الدار والنفسُ  
ومُخَرِّمٌ شِعْبٌ لم يَقْضِ غُضْرَتُهُ  
يا للرجال وبين الحَجَرِ والحَجَرِ  
هل مُخَفَّرٌ من بني سهم بخُفَرَتِهِ  
فما زِلْنا أم ضلالٍ مالٌ معتمِرٍ  
إنَّ الحرامَ لمن تَمَّتْ حرامَتُهُ  
ولا حرامَ لثوبٍ الفاجرِ المُدْرِ<sup>(٢)</sup>

فقال الزبير بن عبدالمطلب: ما لهذا مترك، فاجتمعت: زهرة وتيم وأسد في دار عبدالله بن جدعان وصنع لهم طعاماً، فتحالفوا ليكونَ يداً على الظالم للمظلوم حتى يردوا حقه إليه، وعلى الناسي في المعاش.

فقال قريش: قد دخل هؤلاء في فخل من الأمر، ثم اتوا العاص بن وائل، فانتزعوا سلعة الزبيدي من يده، فدفعوها إليه.

(١) الأوائل لأبي هلال العسكري ١ / ٩٦

(٢) الأوائل ١ / ٩٤ - ٩٥

وفي ذلك يذكر الزبير بن عبدالمطلب بن هاشم حلف الفضول قائلاً:

حلفتُ لنعمتِني حلفاً عليهم  
وإن كنا جميعاً أهل دار  
نُسَمِّيهِ الفضولَ إذا عَقَدْنَا  
يعزُّ به الغريبُ لدى الجوارِ  
ويعلمُ من حوالي البسيت أنا  
أبأء الخُئيمِ نمنعُ كلَّ عابِرٍ  
إذا رآه العُداءُ لنا حَرَاماً  
أقمنا بالسُّيُوفِ والأزْوَارِ<sup>(١)</sup>

وقال أيضاً:

إن الفضولَ تعافوا وتعافوا  
الأيقيمُ ببطن مكة ظالمُ  
أمرٌ عليه تعاهدوا وتواثقوا  
فالجارُ والمُختارُ منهم سالِمُ<sup>(٢)</sup>

وورد في سبب آخر (أن رجلاً من ثمالة باع متاعاً من أبي بن خلف فلأواه ونهب بحقه، فاستجار برجل من بني جُمح، فلم يقدِّم بجواره، فقال: يا لقصي! كيف هذا في الحرم وحرمه البيت وأخلاق الحرم أقلُّم لا يُمنعُ مني من ظلم

ويلغ الخير عباس بن مرداس، فقال:

إن كان جاركة لم تنفطك ذمَّة  
وقد شربت بكاس الذلِّ أنفاساً

(١) إتحاف الوري ١ / ١٢١

(٢) إتحاف الوري ١ / ١٢١

فَاتِ الْبُيُوتَ وَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا صَدِّدَا  
 لَا تَلْقُ نَائِيَهُمْ فُحْشُنَا وَلَا يَأْسُنَا  
 وَلَمْ تَكُنْ بِغَدَاةِ الْبَيْتِ مُنْطَلَبِيْنَا  
 تَلْقَى ابْنَ حَرْبٍ وَتَلْقَى الْمَرْءَ عَبَّاسَا  
 سَأَلَنِي الْحَجَّيْجُ وَهَذَا يَأْسُرُ فَلَحُ  
 وَالْمَجْدُ يُورِثُ أَخْمَاسَا وَأَسَدَاسَا  
 فقام العباس وأبو سفيان حتى رداً عليه متاعه.

ويقال: إن سبب حلف الفضول أن قريشاً كانت تتظالم في الحرم، فقام عبدالله بن جدعان، والزبير بن عبدالمطلب فدعوا إلى التحالف على التناصر، والأخذ للمظلوم من الظالم، فأجابوهما وتحالفوا في دار ابن جدعان<sup>(١)</sup>.

وقال الزبير بن عبدالمطلب:

حَلَفْتُ لِنَخْلَقَنَّ حَلْفًا عَلَيْهِمْ  
 وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ  
 تُسَمِّيهِ الْفُضُولُ إِذَا عَقَدْنَا  
 يَعْرِضُ بِهِ الْغَرِيبُ لَدَى الْجَوَارِ  
 وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَا  
 أَبَاةَ الضُّعُفَى نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ  
 إِذَا رَأَى الْعِدَاةَ لَنَا حَرَامَا  
 أَقَمْنَا بِالْأُسُوفِ وَالْأَزْوَارِ<sup>(٢)</sup>

وفي قصة تتعلق بحلف الفضول يورد أبو هلال العسكري أنه (ورد رجل من خثعم مكة، ومعه بنت يقال لها القَتُول، من أحسن الناس وجهًا، فعلقها ثوبًا بن الحجاج، وغلب عليها أباهَا، فأتى أبوها حلف الفضول، فحالوا بينها وبينه، قال ثوبى:

(١) إتحاف الوری ١٣٢

(٢) الروض الأثف ١/ ١٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ١/ ٢٥٩



لولا الفخسولُ وحِلْفُهَا  
والخوفُ من أعدائِهَا  
لدنوتُ من أبيبائِهَا  
ولطُفْتُ حولَ خبيائِهَا  
وشربتُ فضلةَ ريقِهَا  
ولننتُ في أحشائِهَا<sup>(١)</sup>

وقال:

راح صحببي ولم أحيي الفتلولا  
لم أولظهمُ وداعًا جميلا  
إذ أجدُ الفضولُ أن يمنعوها  
قد اراني ولا أخاف الفضول<sup>(٢)</sup>

ويمدحهم حذيفة العنوي بجمع حلف الأحابيش، فيقول:

وهم جمعوا حلفَ الأحابيش كلها  
وهم نكلوا عداً غواة بني بكر<sup>(٣)</sup>

وفي الحرب التي جرت بين خزاعة وكنانة قبل فتح مكة يقول الأخرز بن لعط الديلي  
ذاكراً الأحابيش:

الا هل أتى فُصنوى الأحابيش أننا  
ربنا بني كعب بأفوق ناصل  
حبسناهم في دائرة العبير رافع  
وعند بُديلٍ محبساً غير طائل  
لُذْبِخُهم نبيح الثيوس كأننا  
أسودٌ ثباري فيهم بالقواصل<sup>(٤)</sup>

(١) الأوائل ١ / ٩٥

(٢) المصدر نفسه ١ / ٩٦

(٣) سيرة ابن هشام ١ / ١٧٤

(٤) شعر كنانة من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي ٣٦١

قال الحارث بن حلزة اليشكري ذاكراً حلف ذي المجاز في معلقته:  
واذكروا حلفاً ذي المجاز وما أُنذُ

يَمَ فيه العهود والكفلاء<sup>(١)</sup>

ويمدحهم الحميئة بتوثيق أحلافهم، وأنهم يرفون بهذه الأحلاف التي يعقدونها عند البيت، كما في قوله:

لله دَنَهُم قَوْمًا ذَوِي حَسَبٍ  
يَوْمًا إِذَا جُنُبَةٌ حَلَّتْ مَراسِيهَا  
أَهْلُ الْحِفَاظِ إِذَا مَا أَرْضَةٌ أَرْمَتْ  
بِالنَّاسِ حَاضِرِهِمْ مِنْهَا وَبَادِيهَا  
وَالْمَوْثِقُونَ لِحَاكِ الْبَيْتِ إِنْ عَقِدُوا  
وَمِنْهُمْ سَابِقُ الْجَلَى وَدَاعِيهَا<sup>(٢)</sup>

#### ● صحيفة قريش

قام مجموعة نفر من القرشيين هم: هشام بن عمرو، ومطعم بن عدي بن نوفل، وزمعة ابن الأسود بن المطلب، وأبو البخثري بن هشام بن الحارث، فمزقوا الصحيفة، وتبرؤوا منها، وفي ذلك يقول أبو طالب:

جَزَى اللّهُ رَهْطًا مِنْ لُؤْيٍ تَتَابَعُوا  
عَلَى مَلَأَ يُهْدَى لِحَزْمٍ وَيُثْرَسَدُ  
قَعُودًا لَدَى جَنْبِ الْحَظِيمِ كَأَنَّهُمْ  
مَقَالُؤَةٌ بَلْ هُمْ أَعَزُّ وَأَمَجَدُ  
هُمْ رَجِعُوا سَهْلَ بَنٍ بِيضَاءَ رَاضِيًا  
فَسُئِرَ أَبُو بَكْرِ بِهَا وَمَحْمَدُ  
أَلَمْ يَأْتِكُمْ أَنَّ الْمُحْصِفَةَ مُرْقَتُ  
وَإِنْ كَانَ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللّهُ يَفْسُدُ

(١) أسواق العرب ٣٥٠

(٢) ديوان الحميئة ٢٨٢

اعانَ عليها كلُّ منقر كائنة  
 شهابٌ بكفِّي قابسٌ يتوقدُ  
 جريئة على حلِّ الامور كائنة  
 إذا ما مشى في رفرفِ الدرع اجنود<sup>(١)</sup>

#### ● الهجرة إلى الحبشة

شارك الشعر في تصوير عذابات المسلمين في مكة، وكيف تحولت حياة من آمن  
 إلى حياة خوف واضطهاد، وهذا عبدالله بن الحارث السهمي بعد أن استقر في الحبشة  
 يدعوا إخوانه من المسلمين ليلحقوا به، يقول:

يا راكبًا بلُغْنٍ عني مفلغة  
 من كان يرجو بلاغَ الله والدينِ  
 كلَّ امرئٍ من عبادِ الله مضطهدٍ  
 ببطن مكة مقهور ومفتونٍ  
 إننا وجدنا بلادَ الله واسعة  
 تُنْجِي من الذلِّ والمخزاة والهونِ  
 فلا تقيموا على ذلِّ الحياة وخرُّ  
 ي في السمات وعيبٍ غير مامون<sup>(٢)</sup>

ويذكر نفي قريش إياهم من بلادهم:  
 نَقَلْهُمْ عِبَادُ الْجَنِّ مِنْ حَرِّ أَرْضِهِمْ  
 فاضْحَوْا على اشر شديد البلائل

(١) لسبب قريش ٤٣١

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٣٣٠ ومثل الحسام ٢/ ٢٢٨

## ● فتح مكة

لقد كان فتح مكة هو فتح الفتوح، والفتح الأعظم الذي أطلق عليه في القرآن الكريم (الفتح) فاصبحت عملية الفتح عليه وحده دون سواء، فقال تعالى: «إذا جاء نصر الله والفتح»<sup>(١)</sup>.

وكانت بداية الفتح أن أعانت قريش بالسلاح وفي نفر منها بني النديلي بن بكر على خزاعة، فجازوهم ليلاً فقتلوا منهم عشرين رجلاً، وأحست قريش بالندم لأن في هذا العمل نقضاً لأصلح الحديبية، ولما حدث لخزاعة ما حدث، خرج عمرو بن سالم الخزاعي ومعه رجال من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال:

يا ربَّ إني ناضدٌ محمدًا  
 حلفاً أبينا وأبيهم الأئدا  
 قد كنتم ولداً وكننا والداً  
 نمت استئمننا ولم نُنزع يدَا  
 إن قريشنا اخللوا الموعدا  
 ونقضوا ميثاقك المؤكدا  
 وجعلوا لي في كداء رصدا  
 وزعموا أن لست أدعو أحدا  
 وهم انلُّ وأقلُّ عدا  
 هم بيئتونا بالوتير هجدا  
 وقتلونا رخصاً وسجدا<sup>(٢)</sup>

ويشير حسان بن ثابت بهذا الفتح، في قوله مهدداً ومتوعداً كفار قريش، ويصور لنا الفتح عياناً، فهي هي خيول المسلمين تعبر مكة من ثنية كداء في أعالي مكة، ولا تجد من الرجال من يصدها، فتقف النساء بخمرهن يحاولن صد الخيول المغيرة، وفي ذلك من الاستهزاء والتهوين من أمر المشركين، والظعن في رجولتهم حين يتركون نسائهم في مواجهة الخيول بخمرهن:

عديمتنا خيولنا إن لم نزلوها  
 تشير النقع موعدها كداء

(١) سورة النصر آية ١ (٢) إتحاف الوري ١/ ٤٨٦ - ٤٨٧

تَظَلُّ جِيَانُنَا مُتَمَطِّرَاتِ  
تُتَطَّرُهُنَّ بِالْخُمْرِ الْخُسَاءِ  
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعْدٍ  
سَبَابُ أَوْ قَتَالُ أَوْ هَجَاءُ<sup>(١)</sup>

ويتفق عبدالله بن رواحة مع حسان في هذه البشري، فيقول:  
عَبَدْتُ بُنَيَّ قَتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا  
تُخِيرُ النُّفُوسَ مِنْ خُفْيِ كَدَامِ<sup>(٢)</sup>

وينقل لنا الشعراء كيف تم تطهير الكعبة من الوثنيات، وتدمير الأصنام، ففي ما  
ترويه كتب السيرة في فتح مكة، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَ مَرَّ بَصْنَمَ أَشَارَ  
إِلَيْهِ بِقَضِيبٍ فِي يَدِهِ، وَهُوَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ  
الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا»<sup>(٣)</sup>، «وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ»<sup>(٤)</sup>، فيقع الصنم على وجهه حتى مرَّ  
عليها كلها، وفي ذلك يقول فضالة بن عмир بن الملوِّح الليثي:

لَوْ مَا رَأَيْتَ مُحَمَّدًا وَجَنُودَهُ  
بِالْفَتْحِ يَوْمَ تُكْسَرُ الْأَصْنَامُ  
لَرَأَيْتَ نَوْرَ اللَّهِ اصْصَبَّ بَيْنَنَا  
وَالشَّرَكَةَ يَفْشَى وَجْهَهُ الْإِهْلَامُ<sup>(٥)</sup>

وهذا ضرار بن الخطاب يناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح،  
ويستجد به على سعد بن عبادَةَ الذي يرى قصم ظهر قريش في هذا الفتح كما يقول:

يَا نَبِيَّ الْهُدَى إِلَيْكَ نَجَاحِي  
يَ قَرِيشٍ وَأَنْتَ خَيْرُ نَجَاءِ

(١) ديوان حسان بن ثابت ٨

(٢) ديوان عبدالله بن رواحة ١٥٥

(٣) سورة الإسراء آية ٨١

(٤) سورة سبأ آية ٤٩

(٥) شعر كتانة من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي ٤٩١

حين ضاقت عليهم سعة الأبر  
 ضرع وعاداهم إله السمماء  
 فالتفت خلقها البطان على القو  
 م وثودوا بالصنابل الصلعاء  
 إن سقذا يريد قاصمة الظه  
 ر باهل الخجون والبطحاء  
 خزرجي لو يستطيع من الغيد  
 فخرنا بالأسير والعواء  
 وأهمل المنذر لا يهم بشيء  
 غير سفك الدماء وتبجي النساء  
 قد تلظى على البطاح وجماعت  
 عنه هند بالسفوة السواء  
 إذ ينادي بئس حي قسريش  
 وابن حرب بدا من الشهاداء  
 فلهن المحم اللعاء ونادى  
 يا حمة اللواء أهل اللواء  
 ثم ثابت إليه من بهم الخنز  
 رج والأوس أنجم الهي جاء  
 لتكونن بالبطاح قسريش  
 فكمعة القاع هي اكف الإماء  
 فأنهية فائة أسد الأسد  
 بلذي الغاب والغ في الدماء  
 إله مطرق يدير لنا الامم  
 من سكوتنا كالحية الرطقاء<sup>(١)</sup>

فارسٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سعد بن عبادَةَ، فنزع اللواء من يده، فجعله بيد قيس ابنه.

ويتأهب حماس بن قيس لقتال المسلمين القادمين لفتح مكة، فيقول:

إِنْ يُقْبِلُوا الْيَوْمَ فَمَا لِي عَنْهُ

هَذَا سِلَاحٌ كَامِلٌ وَأَنْتَ

وَذُو غَرَارَيْنِ سَرِيعِ السُّلَّةِ<sup>(١)</sup>

فانهزم حتى دخل على امرأته، وقال لها: أغلقي عليّ بابي. فقالت له: أين ما كنت تقول؟ فأنشد:

وَأَنْتَ لَوْ رَأَيْتَنَا بِالْخَنْدَمِ

إِذْ فَرَصَفُوا<sup>٢</sup> وَفَرَعَكُمَا

وَلَحَقْتَنَا بِالسَّيُوفِ الْمُسْلَمَةِ

يَقْطَعْنَ كُلَّ سَاعِدٍ وَجَمْعَةٍ

ضَرْبًا فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا غُفْقَمَهُ

لَهُمْ نَهْيٌ حَوْلَنَا وَهَمَمَةٌ

لَمْ تَنْطَقِ فِي النَّوْمِ ابْنِي كَلِمَةً<sup>(٣)</sup>

ويستمر الحديث عن أعظم فتح وأجله، وبخاصة في شعر المديح النبوي، وبالأذات في العصر الوسيط، الذي جعله الشعراء حلقة من ضمن حلقات المدح السَّيْرِي، فهم يعرضون في أغلب مديحهم جوانب من سيرة النبي الأعظم عليه السلام، ويبدو فتح مكة من طاقات النور المبهرة في مسيرته عليه السلام، وحتى لا يتكرر الكلام والنماذج التي مرت في الحديث عن مدحه عليه أفضل الصلاة والسلام، فساقترض على نموذج واحد، وأشير إلى مواضع النماذج المتعددة التي تكررت هذا الحدث الهام، ومن جميل وصف هذا الحدث ما أورده الإمام أبو محمد عبدالله بن زكريا الشُّقْرَاطِيْسِي المغربي المتوفى في نهاية القرن الخامس الهجري، يقول:

(١) شعر كنانة من الجاهلية إلى العصر الأموي ٤٨٤

(٢) إتحاف الوري ١/ ٥٠٠

ويوم مكة إذ اشهرفت في أمم  
 تضيقُ عنها فيجاجُ الوعرِ والجبلِ  
 خوافقُ ضائقٍ لدرعِ الخافقين بها  
 في قاتمٍ من عجاجِ الخيلِ والإبلِ  
 وجحظٍ قذفِ الأرجاءِ ذي لجبِ  
 غرمٍ كرهاءِ الليلِ منسحلِ  
 وانتِ ملئى عليكِ الإلهُ تفضُّهم  
 في بهوِ إشراقِ نورِ منكِ مكتملِ  
 خشعت تحت بهاءِ العرشِ حينَ سمعتِ  
 بك المهابةِ فيغلُ الخاضعِ الوجلِ  
 وقد تباشرَ أملاكُ السماءِ بما  
 ملكتِ إذ نلتِ منه غايَةَ الأملِ  
 والأرضُ ترجفُ من زهورِ ومن فرحِ  
 والجوُّ يزهرُ إشراقاً من الجذلِ  
 والخيلُ تنفثُ زهواً في اعتكها  
 والعيسُ تنفثُ زهواً من ثنى الجذلِ  
 لولا الذي خطتِ الآلامُ من قسرتِ  
 وسابقُ من قضامِ فيسرِ ذي حيولِ  
 أهلُ نهبانٍ بالتهليلِ من طربِ  
 وذابَ يذبلُ تهليلاً من الذُّبلِ  
 الملكُ لله هذا عرشُ من عقيقتِ  
 لهُ النبوةُ فوقَ العرشِ في الأزلِ  
 شعبتِ صدعُ قريشٍ بعدما قذفتِ  
 بهم شعوبُ شيعابِ السُّهلِ والقللِ  
 قالوا محمداً قد زارتِ كتابية  
 كالأسدِ تزارُ في أنيابها الضمحلِ



فـوَيْلٌ مَكَّةَ مِنْ أَسَارِ وَطَانِهِ  
وَوَيْلٌ أُمَّ قُرَيْشٍ مِنْ جَوَى هُبُلٍ  
فَجُنْتُ عَفْوًا بِغَضَلِ الْعَفْوِ مِنْكَ وَلَمْ  
تُلْمِمْ لَهُمْ بِالْيَمِ الْيَوْمِ وَالْعَمَلِ  
زَانَ الْخَشُوعِ وَقَارَ مَنَةِ فِي خَفَرِ  
أَرْقٍ مِنْ خَفَرِ الْعِذَاءِ فِي الْكِلِ  
وَطَلَّتْ بِالْبَيْتِ مَسْرُورًا وَطَافَ بِهِ  
مَنْ كَانَ عَنْهُ قُبَيْلُ الْفَتْحِ فِي شُطْرِ  
حَجَرَتْ بِالْأَمْنِ أَقْطَارَ الْحِجَازِ مَعًا  
وَمِلَّتْ بِالْخَيْفِ عَنْ خُوفِهِ وَعَنْ مَلِكِهِ<sup>(١)</sup>

وشارك الشعر الحديث في الحديث عن فتح مكة، فكان هذا الفتح الأعظم من ركائز الحديث عن القصيدة النبوية أو المكية، ولذلك نجد كثيرًا من الشعراء الذين تحدثوا عن ولادة الرسول عليه السلام، أو الهجرة فإنهم قد جعلوا فتح مكة منفذًا من منافذ القصيدة، وأساسًا من أسس بنائها.

وهذا أحمد الجذع شاعر معاصر، يصوِّر لنا فتح مكة بأنه وحي إلهي، وفي ذهنه (سورة النصر) وكيف لبَّى صحابته نداء الفتح، فكان النصر الأسمى، يقول:

ورَفَّتْ عَلَى قَلْبِ الْحَبِيبِ رِسَالَةٌ  
رَوَّاحُ آيَاتٍ بِهِيَ رَيْنَا أَوْحَى  
أَضَاءَ سَمَاءِ الدِّينِ أَنْبَاءَ نَصْرِهِ  
وَأَعْدَاءُ دِينِ اللَّهِ فِي سَاحِنَا صَرْغِي  
وَنَادَى اسْكُودُ اللَّهُ لِبَيْتِكَ مَكَّةُ  
فَهَبْتُ زُخُوفًا نَحْوَ كَعْبَتِهَا ثُلْثِي  
وَأَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ أَمْنًا لَأَهْلِهَا  
وَطَارَ بِلَالٌ فَوْقَ كَعْبَتِهَا يَرْقَى

(١) للمجمعة للذبيانية في المذائع الذبورية ٣ / ١٥٧ - ١٥٨ والفجاج: الطرق. والرمح: اللين السهل. والجطل: الجيش العظيم. واللجب: الصوت. والقنفذ: الغلاة البعيدة. والرهاء: شبيه الدخان والغبرة. والمصجل: الجاري. والحول: التحول. وثهالان ويهليل: جبلا. والذبل: الرماح. وانظر فيما ورد من شعر في المذائع الذبورية ويخص فتح مكة ١ / ٩٢، ٢١٦، ٢٨٠، ٣٧٤ / ٣ / ١٦٧

ونادى بلال بالأذان مُكَبِّراً  
وسارَ صدى التكبير من صوته يَفْدى  
جسيوشُ نبيِّ الله تجني ثمارها  
ومكة رُبَّع الفتح والوثبة الأولى<sup>(١)</sup>

#### • الفتن والحوادث

كانت الحرب التي وقعت بين عبدالله بن الزبير والجيش الأموي بقيادة الحجاج، وتم فيها ضرب الكعبة بالمجنيق، من الحوادث المؤلمة التي ظهر أثرها في الشعر ظهوراً واضحاً، وعُبر الشعر فيها عن شدة أثر هذه الفتن في نفوس من عاشوها، وارتبطت بهذه الفتن ألفاظ ومعاني وصور، مثلتها تماماً.

من ذلك أن الجيش الأموي لما حاصر ابن الزبير عاذ بالكعبة، وأصبح هذا القلب يطلق على ابن الزبير، ونجده في قول زوجته أم هاشم رُجلة بنت منظور بن زَيَّان الفزارية تهجو الحجاج، وتصفه بالجهل، كونه يطلبها للزواج بعد مقتل زوجها، فتقول:

أبعِدْ عائدَ بيتِ الله كُحْطِبْنِي  
جهلاً وغياً الجهلِ مذموم<sup>(٢)</sup>

وقال عمرو بن سعيد متمنياً نجاة ابن الزبير:

فإن ينج منها عائدُ البيتِ سالمًا  
فما نالنا منكم وإن شقنا جُل<sup>(٣)</sup>

ويفتخر جرير بإجارة عائذ البيت، فيقول:

وعائدُ بيت ربك قد أجرتنا  
وابلينا فما نسي البلاء<sup>(٤)</sup>

(١) تصبئة باليد من دبران مخطوط

(٢) غاية الرام ١ / ١٦١

(٣) المصدر نفسه ١ / ١٦١

(٤) المصدر نفسه ١ / ١٦٢

وتستدعي هذه الفتنة ما حصل عام الفيل، وما كان فيه من هلاك أبرهة وجنده، كقول الفرزدق يهجو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي رمى الكعبة بالمنجنيق، ويدعو عليه بأن يصيبه ما أصاب أصحاب الفيل، يقول:

فلما هَـنَا الحجاجُ حينَ طغى بهِ  
غنى قالَ إني مَرْتَقٍ في السَّلالِمِ  
فكانَ كما قالَ ابنُ نوحٍ سارتني  
إلى جبلٍ من خشيةِ الماءِ عاصِمِ  
رمى اللهَ في جثمانه مثل ما رمى  
عن القبلَةِ البيضاءِ ذاتِ المحارِمِ  
جنودًا تسوقُ الفيلَ حتى أعادها  
هباءً وكانوا مُطَرَّخِمْي الطَّراخِمِ<sup>(١)</sup>

ويقابل هذه الرؤية رؤية أخرى مضادة، ترى في ما حدث هو تطهير للبيت الحرام من الفاسقين الملحدين، فهجاء الحجاج من قبل الفرزدق، يقابله مدح يزيد من قبل أبي صخر الهذلي الذي يقول فيه:

وفدٌ أميرَ المؤمنينَ الذي رَمَى  
بجِأواءِ جُـمهورِ قُـمورِ إكـاءِها  
من أرضِ قُـرى الزيتونِ مكَّةَ بعدما  
غُلِبنا عليها واستُـحِلَّ حرامُها  
والحدَّ فيها الفاسقونَ وانسَدوا  
فخافت قواشيتها وطانَ حمائمها  
فطهُـرَ منهم بطنَ مكَّةَ ما جـدَّ  
أبي شِـبابةِ الضَّئيمِ حينَ يُسامِها<sup>(٢)</sup>

ومن الفتن والحوادث ما ورد في شعر عائشة العثمانية من حريق ألم بمكة فأتى فيها، ويبدو أن هذا الحريق جاء نتيجة الحروب التي وقعت فيها، وتصف لنا حال الناس، وما ألوا إليه من موت وأسر وهروب، تقول من قصيدة وصفها ابن المعتز بالمستحسنة:

(١) نيران الفرزدق ٨٥٣

(٢) شرح شعر الهذليين ٩٥٥ / ٢

ارقتُ لِبِسْرٍ رَبدَا ضُوءُهُ  
 بِمَكَّةَ يَبْسُدُو وَيَخْفَى مِرَارَا  
 فَبِتُّ أَمْلَأُ فِي مَضْجَجِي  
 وَابْكِي جَهَارًا وَابْكِي سِرَارَا  
 لَأَمَّ الْقَرْيَ خُرَيْتٌ بِالْحَرِيقِ  
 وَمَاتَ بِهَا النَّاسُ سَيْفًا وَنَارَا  
 إِلَى اللَّهِ أَشْكُو مَقَامَ الْعَبْدَى  
 بِمَكَّةَ قَدْ حَاصَرُوهَا حَصَارَا  
 وَأَسْـسَرَى تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ  
 فَمَاتُوا صَفُوفًا وَمَاتُوا حَذَارَا  
 فَمَنْ صَابِرٍ نَفْسُهُ فِي الْبِلَادِ  
 وَمَنْ خَائِفٍ فَرَّ مِنْهَا وَطَارَا  
 وَمَنْ حَامِلٍ نَفْسُهُ فِي السُّفِينِ  
 يَجُوبُ الثُّجَى وَيَخُوضُ الْبَحَارَا  
 فَيَا قَرْيَةً كُنْتَ مَأْوَى الضَّعِيفِ  
 إِذَا لَمْ يَجِدْ فِي سِوَاهَا قَرَارَا  
 وَمَأْوَى الْغَرِيبِ وَمَأْوَى الْقَرِيبِ  
 وَأَمْنَةٌ لَيْلَتُهَا وَالنَّهَارَا  
 سَابِكِي قَرِيشُنَا لَيْسَا نَالُهَا  
 وَبَيْتُهَا الْخُصُوفُ دَارًا قَدَارَا  
 وَاضْحَكُوا عِبَادِيذَ قَدْ شُرُّوْا  
 وَخَلُّوا الْجِبَالَ وَخَلُّوا الْقِفَارَا  
 بِجَيْرَانٍ بَيْتَكَ حَلَّ النُّكَالُ  
 وَقَدْ عَزَّ مِنْ كَانَ لِلَّهِ جَارَا<sup>(١)</sup>

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز ٤٢٤

وفي دخول الخوارج لمكة بقيادة أبي حمزة الشاري، هرب عبد الواحد بن سليمان، وخلقى مكة وسار إلى المدينة، فدخلها أبو حمزة بغير قتال، فقال أحد الشعراء في عبد الواحد يهجوهُ:

زَانَ الْحَجِيجَ عَصَابَةً قَدْ خَالَفُوا  
لَمِنَ الْإِلَهِ فَفِرَّ عَبْدُ الْوَاحِدِ  
تَرَكَ الْحِلَالُ وَالْإِمَارَةَ هَارِبًا  
وَمَضَى يُخَبِّطُ كَالْبَعِيرِ الشَّارِدِ<sup>(١)</sup>

ويحذر الوزير أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني مما يحدث من فتن بمكة، فيقول:

إِنَّا اسْتَفْنَا لِلدِّينِ إِذَا ظَلَّ نُجَبَاءُ  
بَاغِيُنَا وَالْمُسْلِمُونَ شُهُودُ  
أَفِي حَرَمِ الرَّحْمَنِ يُلْحَدُ جَنُودُ  
وَيُجْفَلُ اسْمُ الرَّائِغِ الْإِلَهِ يَهُودُ  
وَيُخَلَّبُ بَيْتُ اللَّهِ بَيْنَ بِيْوتِكُمْ  
وَقَادِرُهُ عَنْ رَدِّ ذَلِكَ قَعِيدُ  
وَيُوضَعُ لِلنَّجْصِ بَيْتُ بَمَكَةَ  
وَيُخْفَى عَلَيْكُمْ مَنْزَعُ وَقَصُودُ  
أَعْيِدْكُمْ أَنْ تُدْهِنُوا فَيَمْسُكُمْ  
عِقَابٌ كَمَا ذَاقَ الْعَذَابُ ثَمُودُ<sup>(٢)</sup>

ومن هذه الفتن ما حدث في عام ٩٩٥ هـ في زمن الشريف محمد بن بركات أبو نمي الثاني، فقد حصلت فتنة في يوم عيد النحر بين أمير الحج المصري المسمى محمود وبين الشريف المذكور، ويبدو أن محمودًا هذا كان طامعًا في إمارة مكة، فحصلت مقتلة، مما أدى ترك الحجاج لبعض المناسك، لكنه لم يحقق أهدافه، فقال الخطيب عبد الباسط بن أيوب يذكر هذه الواقعة، ويرفعها شكوى إلى السلطان سليمان خان، يقول منها:

(١) تاريخ الطبري ٩٥/٨ والكامل لابن الأثير ١٥١/٥، والمقد الشريف ١٥٢/٧، وإتحاف الوری ١٦١/٢

(٢) النخبة في محاسن أهل الجزيرة ٩٢-٩٣/٢

يا إمامًا بالعدل في الناس سارا  
وهَمَامًا قد دُمِرَ الكَفَّارَا  
هذه قصيدة لبنايك جاءت  
من أناسٍ ممَّا دهاهمُ حَسِيَّارَى  
نُظِمَتْهَا قَرِيحَةً شَاهِدَتْ فِي  
عِثْرَةِ الْمُصْطَفَى أَمُورًا كِبَارَا  
هُوَ جَمِيعُ دُورِهِمْ بِخَيْلٍ وَرَجُلٍ  
وَاسْتَبَاحُوا عِرْضَنَا وَمَالًا وَدَارَا  
وَرَبُّوهُم بِالنُّبَالِ فِي حَرَمِ الدِّ  
نِ قَتَلُوا صَفَارَهُمُ وَالْكِيارَا  
أَلْ بَيْتَ الرَّسُولِ حَلَّ جِمْمَاهُمْ  
وَاسْتَبِيحَتْ لَهُمْ لِمَاءُ جِهَارَا  
مَا اسْتَمَعْنَا وَلَا رَأَيْنَا كَهَذَا  
لَا رَعَى اللَّهُ مِنْ بَهْمِذَا أُنَارَا  
قَدْ أَتَانَا مَحْمُودٌ فِي إِمْرَةِ الْحُجَّ  
جٍ وَقَدْ صَارَ بِالْأَذَى أُمَارَا  
حَكَمَ السُّيُفُ فِي أَعْرُ نَفْسُوسٍ  
وَسَقَاها كَاسَ الرُّدَى وَادَارَا  
قَتَلَ النَّاسَ أَظْهَرَ السُّفْكَ ظَلَمْنَا  
جَالٌ بِالسُّيُفِ يَنْتَنُ وَيَسَارَا  
تَرَكَ الْهَدْيَ وَالضَّحَايَا وَضَحَّى  
بِدِمَاءِ الْأَشْرَافِ فِيهَا وَسَارَا  
حَرَمٌ أَمِنَ وَيُقْتَلُ فِيهِ  
عِثْرَةُ الْمُصْطَفَى جِهَارًا نَهَارَا  
إِنَّ هَذَا أَمْرٌ مُظْهِرٌ شَنِيعٌ  
مُنْكَرُ الثَّنَائِ نُنْهِشُ الْأَبْصَارَا

## قد تركنا لأجله واجبات

ونفخنا المبيت والإعتمار<sup>(١)</sup>

ومما ورد من شعر في حوادث مكة وصف الشعراء للسيول التي كثرت في القرن الحادي عشر الهجري، وألحقت أضراراً جسيمة في بنية الحرم الشريف، ومن أهمها «سيل سنة ١٠٢٣هـ، وسيل سنة ١٠٢٣هـ وقد سالت منه أودية مكة، وامتلا المسجد الحرام، وعلا الماء حتى حاذى الحجر الأسود<sup>(٢)</sup>»، وقد وصف أحمد بن بكر بن سالم سيلاً عام ١٠٧٣هـ فقال:

هَيْفَةُ الرُّعْدُ عِنْدَمَا ابْتَسَمَ الْبَر

قُ فَمَا يَكِي الْغَمَامُ قَطَرَ الْمِيَامِ

وَإِذَا بَا قُلُوبُنَا الْخُصُوفُ وَالرَّع

حَبُ فَيُؤِيلُ لِفَاغِلِ الْقَلْبِ سَامِ

وَإِنَّا طُوفَانُ نُوحٍ وَبِالْمَو

تِ قَطَعْنَا لَوْلَا جَنَابُ الْإِلَهِ<sup>(٣)</sup>

## • هتئة القرامطة

في عام سبعة عشر وثلاثمائة وفي يوم الإثنين السابع من ذي الحجة هاجم أبو طاهر القرمطي في ما يقارب الألف من أتباعه المسجد الحرام، وتروي كتب التاريخ أنهم (دخلوا المسجد الحرام وأبو طاهر سكران ركب فرساً له، ويده سيف مسلول، فصفر لفرسه، فبال عند البيت، وأسرف هو وأصحابه في قتل الحجاج، وأسرفهم ونهبهم، مع هتكة لحرمة البيت، وكان الناس يطوفون حول البيت والسيوف تقوضهم، وكان علي بن بابويه يطوف بالبيت والسيوف تأخذه، فما قطع طوافه، وهو ينشد:

تَرَى الْمُحْبِبِينَ صَرَعَى فِي دِيَارِهِمْ

كَفَيْتُهُ الْكَهْفَ لَا يَدْرُونَ كَمْ لَبِثُوا

(١) الإشراف في تاريخ الأشراف ٢٠٠

(٢) الشعر المجازي في القرن الحادي عشر الهجري ٢٧٢

(٣) المرجع نفسه ٢٧٢

وصعد أبو طاهر بنفسه على باب الكعبة، واستقبل الناس بوجهه، وهو يقول:

أَنَا بِاللَّهِ وَيَا لِلَّهِ إِنَّا

يَخْلُقُ الْخَلْقَ وَأَفْنِيهِمْ إِنَّا<sup>(١)</sup>

وكان هذا الحدث أعظم فتنة تعرض لها الحرم الشريف، حيث قام هذا القرمطي بعد قتل الآلاف من عباد الله، بأخذ أموال الكعبة وهتك أستارها، ونهب دور مكة، وقلع الحجر الأسود، وفعل كل القبائح والمنكرات، واستباح الحرمات، وأتى الكبائر في بيت الله وحرمه، ثم لم يكفه ذلك، بل قال شعراً يدل على عظيم زندقته كما يقول ابن النجم، يقول في هذا الشعر:

فَلَوْ كَانَ هَذَا الْبَيْتُ لِلَّهِ رَبَّنَا

لَصَبَّ عَلَيْنَا النَّارُ مِنْ فَوْقْنَا مَتَبَا

لَأَنَّا حَاجِبُنَا حِجَّةً جَاهِلِيَّةً

مُحَلَّلَةٌ لَمْ تُبْقِ شَرَكًا وَلَا غُرْبَا

وَأَنَّا تَرَكْنَا بَيْنَ زُنُوزٍ وَالْمُحْصَا

جَنَازٍ لَا تَبْقَى سِوَى رَبِّهَا رَبَا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

(١) المقد الثمين ١/ ١٤٣، وإتحاف الوری ٣٧٥

(٢) إتحاف الوری ٣٧٨



**القسم الرابع**  
**الخصائص والسمات الفنية**



## الخصائص والسمات الفنية

للشعر في مكة سمات وخصائص خاصة، ارتبطت بمكة ارتباطاً وثيقاً، عبّر عنه الحال والزمان والمكان والحدث، وذلك ما استدعته مكة بكل تميزها وخصائصها، وظهرت هذه السمات والخصائص في: التشبيه والتمثيل بالقدرة والقوة ويمتد ذلك ليشمل كل ركن من أركان مكة، وفي كل مشعر من مشاعرها، وصفة من صفاتها، وفي المعاني تظهر معاني الدوام والثبات، والقياس بمكة، وتعبّر المجانسة فضاءً جديداً لا يقف عند حد الجنس البلاغي المعروف، وإنما تتجانس الأفعال والأقوال بالمشاعر والمشاهد، وتأتي الأمثال المختصة بمكة لتوضح الشعر بوشاحها، أما الأسلوب فيظهر رونقه من خلال القسم والدعاء والتضمين والاقتباس، ويطل التصوير فيبيدي لنا عن صور ملونة رائعة، يتحول فيها المعنوي إلى المحسوس، والجماد إلى الإنساني، وتطلق هذه الصور معبرة عن لوحات جمالية.

التشبيه والتمثيل لونهان من ألوان السمات الفنية سيطرا على الرؤية الفنية للشعر في ما تمثله مكة من قداسة ومشاعر وصفات ومكانة، وفي ما تمثله أماكنها وطبيعتها وبيئتها، وسواء أكان الشعر يتحدث عن موضوع لصيق بمكة، أو كان موضوعاً بعيداً عن ذلك كالمدح، أو الفخر، أو الوصف، فإن التشبيه بما تمثله مكة كان يستدعي سياق النص، وتماثل الحال، ممّا خلف لنا ثروة تشبيهية تمثيلية، لم تتوقف عند عصر واحد، بل استمرّ مريرها في سائر العصور.

### • التشبيه والتمثيل بالقوة والقدرة

يشبه ذو الرمة شدة هلال بن أحوز التميمي، وقوته على أعدائه بأنه لو هدم بها ثبير لأماله عن مكانه:

في مَخْصَعةٍ من تميم لو تصكُّ بها  
ركني ثبيرٍ لامسى مائل السند<sup>(١)</sup>

ويصور أبو المواهب البكري المجد والعلو بطلانة رضوى وثبير:  
هل المجد إلا عَزْمَةٌ قُرْشِيَّةٌ  
تطاطىء رضوى دونها وثبير<sup>(٢)</sup>

ويقول أبو الفتح البستي في تبيان قوة جيش السلطان، وإن جبل أبي قبيس الراسخ الطود الذي لم اجتمعت الأمم على قلعه ما استطاعت، فإن هذا الجيش في قوته وقدرته قادر على ذلك، مبالغة في التخويف والترهيب:

الم ترَ مــــا أَرادَ أبو علي  
وكنْتُ أَرادُ ذا لبٍّ وكـــــــبيس  
عَمَى السلطانَ فابْتَدَرْتُ إليه  
جِيوشٌ يَقلعونَ أبا قبيس<sup>(٣)</sup>

ومن المشابهة بالحرم والشهر الحرام، قول بغير بن عبدالله القشيري، مشبهًا ممدوحه بالحرم في الأمن والأمان في الشهر الحرام:

وكنْتُ إذا الإقيـــــم كائني  
إلى حَرَمٍ وفي الشَّهْرِ الحرامِ<sup>(٤)</sup>

وهذا شاعر هو فخر بن سيف يشبه كرم الممدوح الأمير عيسى بن فليته بالكعبة، ويتمعّب من وجود كعبتين في الحرم، فيقول:

---

(١) نيران (نور للرمة) ١ / ١٨٥ والطبعة: النبعة والشدّة، والنبعة من الناس. وثبير الجبل المعروف بمكة. والسند: الجمع استناد وهو المكان المرتفع.  
(٢) ربحانة الألباء ٢ / ٢٣٩  
(٣) ثمار القلوب ١٤٦  
(٤) المستدرك في شعر بني عامر ٢ / ١٠٥

أضحت مكارم عيسى كعبة ولقد  
تعجّب الناس من ثنتين بالحرَمِ  
فهذه تُخبط الأوزارَ ما برحت  
وهذه تشمّل الأحرارَ بالنعم<sup>(١)</sup>

وقال شهاب الدين الفاسي يمدح علي بن الحسن بن عجلان الحسني بالفاظ  
يستخدمها من خلال الفاظ الحج مشابها بينها وبين صفات الممدوح:

إنَّ بَانَ وَجْهَ الصُّفَا من رَاكِبِ الكَدْرِ  
وَانشَقَّ فَجْرُ الخُمْبَا عن ظُلْمَةِ الْفِكْرِ  
لَا نُنَرِّى عَلَى أَبِي عَلِيَا أَبِي حَسَنِ  
تَالِىَ مِنَ الْحَمْدِ أَوْ نَظْمًا مِنَ الدُّرِّ  
وَأَوَقَفَ الْقَصْدَ فِي سَاحَاتِ مَشْنَعِهِ  
كَيْمَا أَفِيضَ بِنُسْكَ النُّجَجِ وَالظُّفْرِ<sup>(٢)</sup>

وقوله مشبها الوفود التي تأتيه كذلك التي تطوف بالبيت:  
كَمْ طَافَ حَوْلَكَ مِنْ مَوَلَى وَمِنْ مَلِكٍ  
وَحَوْلَ بَيْتِكَ مِنْ حَاجٍ وَمُسْتَعِيرٍ<sup>(٣)</sup>

ويقايس عرقلة الكلبي بين صيد النساء وصيد الطباء، وكل الصيد بالبلد الحرام  
حرام، كما يقول:

فِي كُلِّ يَوْمٍ رَحْلَةٌ وَمَسْقَامٌ  
وَوَدَاعٌ مِنْ اخْبَبِ بُنْتِةٍ وَسَلَامٌ

(١) غاية المرام ١ / ٥٣٠

(٢) العقد الثمين ٦ / ٢١٥

(٣) العقد الثمين ٦ / ٢١٥

قذفت بنا أيدي النوى جوراً الفلا  
 وكأنها قوس ونحن سهام  
 لا تبعذن مع الحمام رسالة  
 في القلب منها لوعة وغرام  
 فالكذب عند العاشقين كأنها  
 مما يهيج والحمام حمام  
 من لي بصيد طباء مكة موهناً  
 والمثيئ في البلد الحرام حرام<sup>(١)</sup>

ويقول أبو محمد المكتاسي في المشابهة بين أمرين في الاختصاص، فإذا كانت  
 المريّة داره، وفازت مرسية بحظ من الممدوح، فلا غرو في ذلك، فهذه مكة تستقل بنشأة  
 النبي عليه السلام فيها، ويختص بيت المقدس بالمعراج:  
 لا غرو أن تُضحى المريّة داره  
 وتغزو مرسية بحظ أنفس  
 فبمكة نشأ النبي محمد  
 واخضع بالمعراج بيت المقدس<sup>(٢)</sup>

وهذه خرسنة وهي بلد من بلاد الروم تشبه بعض مواضع مكة، فالبحتري يجعل  
 منها مشابهة لحراء في تلاوة القرآن وإقامة الصلاة، من خلال مدحه لأبي سعيد  
 الثغري، يقول:

أحسن الله في جوابك عن فف  
 بر مضاع أحسن فيه البلاء

(١) ديوان عرقلة الكلبى ٩٢

(٢) زاد المسافر ٧٧

حين ابنتُ إليك خـرشنا العـلـ  
يا من الثلج هامةً بيضاء  
بـئـها والقرانُ يـمـدعُ قـيـها الـ  
هـضـبـ حتى كادت تكونُ حـراء<sup>(١)</sup>

وابن الرومي يشبه بيت أبي العباس بن ثوابه بالبيت العتيق، فيقول مادحاً:  
جـُـعلتُ بيـــــوتهم مع الـ  
بيت العتيق لنا مثابة<sup>(٢)</sup>

ويشبهه رمي الناس الزمان، برمي الجمار في المحصب، فيقول:  
بلى قد رماءُ الناسُ من كلِّ جانبٍ  
بتانيبهم إناؤُ رُعيِ المُحصَّبِ<sup>(٣)</sup>

ويقول السري الرفاء مشبهًا دار ممدوحه أبي عبدالله بن عمرو الكاتب بالكعبة  
وطواف الزائرين كطوافهم بزمن والحطيم، يقول:

ودارٌ تُسـدُّ بعـظـيمٍ قـدرٍ  
يُهينُ كـرائمَ النـُـشـبِ العـظـيمِ  
يطوفُ المـادحونَ بِعـُـقـوتِها  
طوافهمُ بـزـمـنٍ والحطيمِ<sup>(٤)</sup>

ويقول مادحاً:  
ومكارمنا تسعي إليهنّ المنى  
سعي الحجاج إلى الصفا والمشعر<sup>(٥)</sup>

(١) ديوان البحري ١٦ / ١

(٢) ديوان ابن الرومي ١٦٣

(٣) ديوان ابن الرومي ٢٩٨

(٤) ديوان السري الرفاء ٢ / ٦٦٢

(٥) المصدر نفسه ٢ / ٢١٣

ويشبه يد الممدوح في تقبيلها بالحطيم وزمزم:  
إِذَا مَا سَقَتْ يُمْنَاءُ رِيًّا وَقُبِّلَتْ  
تَوْهَنْتُ يُمْنَاءُ الْحَطِيمِ وَزَمَزَمًا<sup>(١)</sup>

وقال ابن الأقفاسي من قصيدة في رثاء الوزير علي بن الحسن بن صدقة في تشبيهه  
تقبيل تربة المرثي كلثم البيت ذي الأستار:

نَزُورُكَ فِي قُوَيْيْ خُشُوعٍ وَنَلَقَ  
كَائِكَ تُرْجَى فِي الْخُشْرِ يَحْ وَتُرْهَبُ  
وَنَلْنَمُ تُرْبًا مِنْ رَفِيعٍ مُحَجَّبٍ  
كَمَا يَلْنَمُ الْبَيْتُ الرَّفِيعُ الْمُحَجَّبُ<sup>(٢)</sup>

ويمدح ابن الحداد ابن صمادح بأن العافين والمحتاجين يحجون نراه كما تلقى  
الجموع في المشاعر:

وَلَوْلَا أَبُو يَحْيَى ابْنُ مَعْنٍ مُحَمَّدٌ  
لَمَا كَانَتْ الْإِيَّامُ عِنْدِي دُخَالِيًّا  
فَلَا تَنْكُرُوا مِنِّي بَدِيعًا قَمَجْدُ  
نَوَادِرُ قَدِّدِ أَوْحَتْ إِلَيَّ النُّوَادِرُ  
يَحْكُجُّ نَزَاهُ الدُّهْرَ عَافِرُ وَخَالِفُ  
جَمُوعًا كَمَا وَاهَى الْحَجِيجُ الْمَشَاعِرُ  
فَرَزْنُ مَكَّةَ مَهْمَا اقْتَرَفَتْ مَائِمًا  
وَزَزْ أُلْفَةً مَهْمَا شَكَّوَتْ مَفَاقِيرًا<sup>(٣)</sup>

وما يقارب ذلك قول الرمادي في التشبيه والتمثيل بازديحام الناس حول غرة  
الممدوح كازديحام الحجيج في عرفات:

(١) ديوان السري الرفاء ٢ / ٦٨٣

(٢) معجم الأبياء ٤ / ١٦٨

(٣) الخزيرة في محاسن أهل الجزيرة ١ / ٧١٨



بابي غُرَّةً تَرَى الشُّخْصَ فِيهَا  
 فِي صَفَاءِ انْفَى مِنَ الْمِرَاقِ  
 تُبْصِرُ النَّاسَ حَوْلَهَا فِي اِزْجَامِ  
 كَاِزْجَامِ الْحَجِيجِ فِي عِرْفَانِ<sup>(١)</sup>

وهذا مادح آخر يرى في وجه الممدوح حجة مبرورة، كما في قول الوزير أبو عامر  
 محمد بن عبدالله بن سلمة:

حُجَّ الْحَجِيجِ مِثْلِي فَلِإِذَا بِالْمِثْلِي  
 وَتَفَرَّقْتَ عَنْ حَيْثُ فِيهِ الْإِثْنَانُ  
 وَلَنَا بِوَجْهِكَ حُجَّةٌ مَبْرُورَةٌ  
 فِي كُلِّ يَوْمٍ تُفَكِّفُنِي وَتُعَادِلُ<sup>(٢)</sup>

وللامير سليمان الموحدي في مدح الامير يعقوب المنصور حيث يشبه الوفود التي  
 جاءت للامير من الشام والغز والديلم كتلك التي تغد للحج، يقول:

يَا كَعْبَةَ الْجُودِ الَّتِي حَجَّتْ لَهَا  
 عَرَبُ الشَّامِ وَغُرُّهَا وَالْدِّيَلَمُ  
 طَوَيْتِي لِمَنْ أَمْسَى يَطُوفُ بِهَا غَدًا  
 وَيُحِلُّ بِالْبَيْتِ الْحَرَامِ وَيُحْزِرُهُ  
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يَفُوزَ بِنَظَرِهِ  
 مِنَ الشَّامِ وَمِنْ بِمَكَّةَ يُحْزِرُهُ<sup>(٣)</sup>

(١) معجم الأنبياء ٦ / ٢٨٥٠

(٢) مطمح الأنفس ٢٠٥

(٣) التذوق المغربي في الأدب العربي ٨١٤

وابن حمديس يشبه ساحة الممدوح وما يؤمها من جموع الوافدين كساحة منى  
حيث تزدهم بالحجيج، يقول:

وَكَاْنَ الْحَجُّ لِسَاحَتِهِ  
فِي يَوْمٍ نَدَاؤُ يَوْمٍ مِّنِي<sup>(١)</sup>

ويقول ابن المقرب في مدح الخليفة الناصر لدين الله مشبهًا الملوك الذين يقدمون  
عليه كالذين يطوفون بالركن اليماني:

تَطُوفُ الْمُلُوكُ الْمُتَّيِدُ حَوْلَ قِبَالِهِ  
كَمَا طَافَ بِالرَّكْنِ الْيَمَانِيِّ مُحَرِّمٌ<sup>(٢)</sup>

وهذا شاعر يشبه السلو عن الاحباب بالسلو عن البيت الحرام، كما في قول  
الاسواني احمد بن علي في ربه على اخيه المهنذب عن قصيدته التي اولها:

يَا رِبْعُ اَيْنَ تَرَى الْاَحْبَابَ يَمُوتُوا

فيقول:

رَحَلُوا فَلَا خَلَّتِ الْمَنَازِلُ مِنْهُمْ  
وَنَأَوْا فَلَا سَلَّتِ الْجَوَانِحُ عَنْهُمْ

إلى أن يقول:

هِيَ هَاتِ لَا اسْلُوكُكُمْ أَبَدًا وَهَلْ  
يَسْلُو عَنِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ الْمُحَرِّمُ<sup>(٣)</sup>

والحسن كعبه، كما يقول ابن نباتة متغزلًا:

---

(١) ديوان ابن حمديس ٥١١

(٢) ديوان ابن المقرب ٢ / ٧٦٥

(٣) معجم الاقبياء ٨ / ٤٠٤

يا كعبة الحسن الممنع لا يكن  
 بيني وبينك لجفاء حجاب  
 حاشا لها من قاعة الغيبة  
 يثني لقائها كاشح هـان<sup>(١)</sup>

ومثله قول ابن الفارض:

ايا كعبة الحُسن التي لجمالها  
 قلوب أولي الابواب لبّت وحجّت<sup>(٢)</sup>

وفي تشبيه الغربة عن الوطن بهجرة المصطفى عليه السلام عن مكة، ما ورد من قول أحد الشعراء:

وكم نبت الأوطان يوماً باهلها  
 فاوردتهم عز الحياض الغريبة  
 وهذا رسول الله فارق مكة  
 على جفوة لم ترضها فيه يثرب<sup>(٣)</sup>

وفي التمثيل والمشابهة أورد الثعالبي قال: (ومن بارع التمثيل به قول بعض المحدثين في الحسن بن مخلد، وقد خلّع عليه:

أبا محمد المسعود طالعته  
 فت البرية طراً أيمما فؤت  
 زهت بك الخلعة الميمون طائرها  
 كزهو خلعة بيت الله بالبيت<sup>(٤)</sup>

والجمع بين مكة والقدس هو لون من ألوان المشابهة، فكما تفرح القدس، تفرح عيون مكة كما في مدح ابن الساعاتي لصالح الدين عندما فتح طبرية، حيث يقول:

(١) ديوان ابن نباتة ٢٦٢

(٢) ديوان ابن الفارض ٢٣٩

(٣) ربحانة الألباء ٦/٢

(٤) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ١٨

جَلَّتْ عِزَمَاتُكَ الْفَسَحَ الْمُبِينَا  
فَقَدْ قَرَّتْ عِيُونُ الْمُؤْمِنِينَا

إلى أن يقول:

تَهَرُّ مُعَاطِفَ الْقُدْسِ ابْتِهَاجَا  
وَتَرْضَى عَنْكَ مَكَّةَ وَالْحَجَّوْنَا<sup>(١)</sup>

ويقول العماد الأصهباني في مدح صلاح الدين عندما فتح القدس مبيئاً الموافقة  
بين بيت المقدس ومكة، ومشبهاً فتحها بفتحها، وإزالة الصليبان كإزالة الأصنام:

ابْشُرْ بِفَتْحِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَى  
وَصِيئَةً فِي جَمِيعِ الْأَرْضِ جَوَابُ  
بِفَتْحِهِ الْقُدْسَ لِلْإِسْلَامِ قَدْ شُجِّتْ  
فِي قَمْعِ طَائِفَةِ الْإِسْرَافِ أَبْوَابُ  
فَلْيُ مُوَافَقَةُ الْبَيْتِ الْمَقْدَسِ لَدَى  
بَيْتِ الْحَرَامِ لَنَا تِيَّةٌ وَإِعْجَابُ  
وَالْمُنْخَرُ وَالْحَجَرُ الْمَلُومُ جَانِبُهُ  
كِلَاهُمَا لِعَتَمَارِ الْخَلْقِ مُحَرَّابُ  
نَفَى مِنَ الْقُدْسِ مَكْبَانًا كَمَا تُفِيئَتْ  
مِنْ بَيْتِ مَكَّةَ أَزْلَامُ وَأَنْصَابُ<sup>(٢)</sup>

وفي رثاء نور الدين يجمع العماد في الحزن بين بيت المقدس والبيت الحرام، فيقول:

وَكَمَادَةُ الْبَيْتِ الْمَقْدَسِ يَحْزُنُ إِلَى  
بَيْتِ الْحَرَامِ عَلَيْهِ بَلْ عَرَفَانُهُ<sup>(٣)</sup>

والإحسان لبيت المقدس هو إحسان للبيت العتيق، كما في مدح ابن الساعاتي  
لصلاح الدين في فتح بيت المقدس، إذ يقول:

(١) ديوان ابن الساعاتي ٢ / ٤٠٦

(٢) الروضتين لأبي شامة المقدسي ٢ / ١٠٢ - ١٠٣

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٢١٥

أوتيتَ عزماً في الصروب مسنداً  
 لا زئفنة يخشى ولا هفوانة  
 احسنت بالبيت العتيق ويثرِب  
 ولك الفعائل كثيرة حسنة  
 هذي سيوفك مُحرماتُ بونة  
 لبيكالهن تبسمت حُجْرائه<sup>(١)</sup>

ومن المقايسة المعكوسة قول الشاعر أحمد بن محمد الجوهري:  
 ولو أن أرض الهند في الحسن جنة  
 وسكانها حورٌ واملحها وخدي  
 لما قسنتها يوماً ببطحاء مكة  
 ولا اخترتُ عن سُعدى بديلاً هوئ<sup>(٢)</sup>

#### ● المعاني

تظهر لنا عدة معانٍ تتكرر كثيراً في الشعر المكي، مثل: معاني الدوام والثبات والبقاء، والقياس بمكة، والتشبيه بها.

#### ● الدوام والثبات

كقول ميمون بن عامر القشيري بأنه محافظ على نكر محبوبته، وإن ينساها ما دام الناس يحجون:

فيا خيرَ لا أنساك ما لاح بارق  
 وما نسيتُ ريح صبأ وجنوب  
 وما حج بيت الله فتبان شُرفة  
 بهم شغف مما لقوا وشُحوب<sup>(٣)</sup>

(١) المصدر نفسه ٢ / ١٠٦

(٢) مدخل الحمام ١ / ٢٤١

(٣) المستدرک فی شعر بني عامر ٢ / ٣٧٦

وهذا قيس يغلظ الأيمان في البقاء على حب لبني، وأن حبه لها دائم ثابت لا يزول إلا إذا زال ثبير من مكانه، وإن ينسى حبها ما دام الحَجُون جارا للمحصَّب:

فلا والذي مَسَّحَتْ أَرْكَانَ بَيْتِهِ  
أطوفُ به في مَنْ يطوفُ وَيَحْضِبُ  
نَسِيئَكَ مَا أَرَسَى ثَبِيرُ مَكَائِ  
وما دام جارا للحَجُون الْمُحْضِبُ<sup>(١)</sup>

وفي نفي الود وتشبيهه هذا النفي في بقائه ودوامه كثبات ثبير في مكانه، قول ميمون بن عامر:

يُعَايِنُنِي فِي الْوُدِّ لَا وَدَّ بَيْنُنَا  
طَوَالَ اللَّيَالِي مَا أَقَامَ ثَبِيرُ<sup>(٢)</sup>

وقول شهاب الدين الجعفري في الصلاة الدائمة على محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

وَصَلِّ يَا رَبِّ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَالْأَلِّ وَالصُّحُوبِ دَوَامَ الْإَبَدِ  
مَا طَافَ بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ طَائِفُ  
وما لجأ إلى حِمَاكَ خَائِفُ<sup>(٣)</sup>

ويتكرر عند الشعراء معنى الدوام والثبات بطواف الحجاج بالبيت الحرام، كما في قول كثير عزة في مدح عمر بن عبدالعزيز:

فَعَرِشْتَنِي بِهِ مَا حَجَّ لِلَّهِ رَاكِبُ  
مُفِيدُ مُطِيفُ بِالْمَقَامِ وَزَمَزِمُ<sup>(٤)</sup>

(١) قيس وأبني شعر ودراسة وجمع وتحقيق د. حسين نصار

(٢) شعراء بني قشير ٢ / ١٥٨

(٣) مدخل للحمام ١ / ٢٠١

(٤) ديوان كثير ٣٣٢

ويمدح إسحق الموصللي الخليفة الواثق، داعيًا له بدوام الملك ما دام ثبير، يقول:

يا بني العباس أنتم شفاء  
وضربى شفاءً للقلوب ونور  
أنتم أهل الخلافة فينا  
ولكم منبرها والسرير  
لا يزال المثل فيكم مدى الدهر  
حرميما ما أقام ثبير<sup>(١)</sup>

وفي مثله يقول ابن حيوس ماضيًا:

والعيد يقصّر عن سلامتك التي  
هي في النفوس أجل منة وأعظم  
فاسعد بها وبه وامت مسلمًا  
ما طاف بالبيت المحرم مُحرم<sup>(٢)</sup>

ويمدح ابن عنين الملك العادل سيف الدين بن أيوب، ويصف رياطة جاشه وثباته  
كثبات جبل حراء، يقول:

كم حانث خففت حلوم ذوي النهى  
خوفًا وجاشه فيه أربط من حرا<sup>(٣)</sup>

ويكرر هذا المعنى في مدح الأمير بهرام شاه صاحب بعلبك، فيقول:

ثبث الجنان له حليم يؤكّره  
إن ضامر الطيش رُخني يذبل وحرا<sup>(٤)</sup>

وهل يتزعزع هذا الثبات والرسو، هذا ما يصوره السري الرقاء فالخطوب لشدتها  
زعزعت ثبيرًا وقلقلته كما يقول:

غريث بدم الحانثات لأنني  
أرى فسطها في المتكررات منما

(١) ديوان إسحاق الموصللي ١٢٧

(٢) ديوان ابن حيوس ٢ / ٥٠٦

(٣) ديوان ابن عنين ٧

(٤) ديوان ابن عنين ٥٦

اَزَلْنَ جِبَالَ الْأَزْدِ عَنْ مُسْتَقَرِّهَا  
وَقَرَّطْنَهَا فِي الْأَرْضِ فَذَا وَتَوَّامَا  
فَقَدْ زَعَزَعَتْ مِنْهَا ثَبِيرًا وَقَلَقَتْ  
شُمَامَا وَزَلَّتْ يَدْبُلًا وَيَزَمَرَمَا<sup>(١)</sup>

ويشد هذا المعنى ابن مقرب العيوني، فيستخدمه في شعره كثيراً، إذ نجد التشبيه  
للممدوح في قوته وعزمه وثباته برسو ثبير وشدة وصلابته، يقول:

تَلَقَّاهُ بِعَزْمٍ لَوْ ثَبِيرُ  
وَقَهْلَانٍ بِرُكْبَا لَمَّامَا<sup>(٢)</sup>

ويكرر هذا المعنى في قوله:

مَنْ لَكَ تَحَمُّلٌ مَا لَا يَسْتَطِيعُ لَهُ  
حَقْلًا ثَبِيرٌ وَقَهْلَانٌ فَيَحْتَمِلُ<sup>(٣)</sup>

وفي الرسوخ والثبات يقول:

إِذَا مَا الْحِلْمُ عَذُّهُمَا ثَبِيرُ  
وَمَا حَقْنُ لَدِيهِ وَمَا شُمَامَا<sup>(٤)</sup>

وفي البقاء والدوام، يقول:

فَعَشَنَ لِلْمَعَالِي وَابَقَ لِلْمَجْدِ مَا بَقِيَ  
ثَبِيرٌ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي وَيَذْبُلُ<sup>(٥)</sup>

ويقول جعفر الخطي في بقائه وديمومة حبه كديمومة رسو ثبير:

فَسُومِي عَلَى هَذَا الْجَفَاءِ فَإِنِّي  
عَلَى الْوَدِّ مَا أَرَسَى وَقَرَّ ثَبِيرُ<sup>(٦)</sup>

(١) ديوان السوي الرقاء ٢ / ٦٦٣

(٢) ديوان ابن المقرب ١ / ٢٤٦

(٣) المصدر نفسه ٢ / ٧٠٣

(٤) المصدر نفسه ٢ / ٩٨١

(٥) المصدر نفسه ١ / ٦٣٧

(٦) ديوان جعفر الخطي ٤٧٠



## ● القياس بمكة والتشبيه بها

وفي أهمية الوطن، وإن العزة لا تكون إلا فيه، قال أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي في ضرب من القياس مع مكة:

وما عِزَّةُ الضَّرغامِ إلا عِزُّهُ

ومن مكة ساءت لؤيُّ بنُ غالب<sup>(١)</sup>

وفي تحبيب الانتقال من المكان وتعليقه، يقول ابن حيّوس في انتقال أمير الجيوش الدّزيري ووصوله إلى دمشق:

وبمشقّ فهي له الغداة قسيمة

إنّ المعالي من جوارك تُخسبُ

لولا انتقالُ محمدٍ عن قومه

ما شاركت في الفخر مكة يثرب<sup>(٢)</sup>

ويشبه هذا القول قول ابن مقرب العموني، حيث يشبه ارتحاله عن موطنه بارتحال المصطفى عليه الصلاة والسلام عن مكة، يقول:

فإن ارتحل عن دار قوم لنبوة

ويصبح ربي فيهم قد تابدا

فقد رحل المخنّار عن خير منزل

إلى يثرب تستغي به العيسُ مُنْعِدا<sup>(٣)</sup>

(١) نفع للطيب ٢٦٧/٢

(٢) ديوان ابن حيّوس ٨٦ / ١

(٣) ديوان ابن المقرب العموني ٢٨٤ / ١

ويقترّب منه قول جعفر الخطي في تغيير إقامته وأرتحاله:

نَبَيْتُ بِي أَرْضَكُمْ فَـرَحَلْتُ عَنْهَا  
فَخَيْرٌ مِنْ إِقَامَتِي الرَّحِيلُ  
فَمَكَّةُ وَهِيَ أَشْرَفُ كُلِّ أَرْضٍ  
تَحْمِلُ ظَاعِنًا عَنْهَا الرَّسُولُ<sup>(١)</sup>

وفي التشبيه بمكة في الأمن كانت تُشَبِّه الأماكن مدحًا لها كما يقول الخالديان<sup>(٢)</sup>:

كَمَا أَنَّ الدَّارَ مَكَّةٌ وَهِيَ أَمْنٌ  
لِتِلْكَ الْوَحْشِ مِنْ سَفْكَ الدَّمَاءِ<sup>(٣)</sup>

ويشبه علي السنجاري الشام بمكة في الأمن:

فَالشَّامُ أَضْحَى مِثْلُ أُمِّ الْفَرَى  
أَمْنَا بِكُمْ وَالْحَلُّ لَا يُؤْمِنُ<sup>(٤)</sup>

وفي التضحية بالنفس، وتشبيهه ذلك بأضاحي النحر في منى، قول محمد بن حيدر

الحسيني الذي يرى أنه بين قوة تحميه، أو علم يفنيه، ولأ ذهب كأضاحي منى:

وَلَوْ أَنَّ نَفْسَنَا بَيْنَ جَنْبِي أُعْطِيتُ  
مُنَاهَا وَمِنْ ذَا فِي الدُّنَا أُعْطِيَ السُّنَى؟  
اَتَتْ فِي زَمَانٍ كَانَ يَفْزَعُ مِثْلُهَا  
إِلَى السَّيْفِ إِنْ لَمْ يُسْطَفِرِ الْعِلْمُ بِالْغَنَى  
فَإِنَّا قَضَيْتُ مِنْ مَوْقِفِ الْجَدِّ حُجَّتُهَا  
وَلَا حَكْتَ بَعْضَ الْأَضَاحِي فِي مَنَى<sup>(٥)</sup>

وفي موازنة ومقارنة بين العبادة في الحرم، وبين المراقبة في سبيل الله يقيم  
عبدالله بن المبارك هذه الرسالة التي وجهها إلى صاحبه الفضيل بن عياض، فالأول مقيم  
في ثغور الإسلام مواجهًا للروم، والثاني مقيم في مكة متعبداً فلأيهما المزية، يقول:

(١) ديوان جعفر الخطي ٤٦٣ (٧) ديوان الخالديين ١٢

(٢) الإشراف في تاريخ الإشراف ٤١٧

(٣) الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري ١ / ٢٨٦

(٤) الخالديان هما الأخوان (أبريكر محمد وأبوسعيد عثمان) من الأبناء الذين عاشوا في بلاط سيف الدولة في حلب، وكانا يؤلفان الكتب معاً (القرن الهجري الرابع).

يا عابد الحرمين لو ابصرتنا  
 لعلمت أنك في العبيادة تلعب  
 من كان يخضب خدّه بدموعه  
 فتحورنا بدمائنا تلك الخضب  
 او كان يلعب خيلة في باطل  
 فتحولنا يوم الصبيحة تلعب  
 ريح المبير لكم ونحن عبيدنا  
 ربح السنايك والغبار الاطيب  
 ولقد اتانا عن مقال نبينا  
 قول صحيح صادق لا يكذب  
 لا يستوي وغبار خيل الله في  
 انغر امرئ وبخان نار تلهب  
 هذا كتاب الله ينطق بيميننا  
 ليس الشهاد بيمين لا يكذب<sup>(١)</sup>

وفي التشبيه بالمكان يقول جعفر الخطي:  
 من لي بحضرة التي من زارها  
 فكانت قد زار وادي الخيف<sup>(٢)</sup>

ويشبه الأمير عبدالقادر الجزائري ممدوحه الشيخ أبو النظر الطرابلسي بالكعبة فيقول:

ولا زال مخجوج الاضطر كعبة  
 وممدوحة افعالة وطباعة<sup>(٣)</sup>

#### • المجانسة

ولا نقصد هنا الجنس البلاغي المعروف بأشكاله المختلفة، وإن كان يتضمن حديثنا هنا، لكن المقصود هنا هو هذه المجانسة التي يجريها الشعراء بين المشاعر

(٢) ديوان جعفر الخطي ١٧٢

(١) إتصاف الرعي ٢ / ٢٢٨

(٣) ديوان عبدالقادر الجزائري ١٣٠

والمناسك وما يجانسها من الفاظ الحب والشوق والحنين، فمن ذلك هذه المجانسة المتنوعة التي يجريها ابن زقاعة فيقول:

مُتَّبِعِيَا جِلَّتْكُمْ وَسَقَطِي  
إِلَيْكُمْ كَاشِفَا غِطَائِي  
بَكُمْ أَنَا طَائِفٌ دَوَائِي  
فَمَنْ صَبَّاحِي إِلَى مَسَائِي  
وَقَبْلَتِي تَحْتَبُّهَا إِلَيْكُمْ  
بِالْحَالِ مِنْ مَبْتَدَا صَبَائِي  
هَذَا حَظِيمُ الْفَرَامِ رَكْنِي  
وَأَنْتُمْ عَامَامُ رُبَائِي  
رَقِيتُ فَوْقَ الصُّفَا بَرَقِي  
فَسَرَّقُ مِنْ شَدِيدِ الصُّفَاءِ  
وَهَبَّ لِي مِنْ مَيْسِ نَسِيمِ  
مَرَّقَنِي مِرَّتْ كَالْهَبِيبِ  
بَخِيْفِكُمْ قَدْ خَفِيتُ حَتَّى  
لَا يَنْظُرُونِي مِنَ الْخَفَاءِ  
وَالْهَجَرُ يَرْمِي صَمِيمَ قَلْبِي  
جَمَارَ جَفَرٍ عَلَى الْوَلَاءِ  
بِبَابِكُمْ وَقَفْتِي وَخَجِي  
لَكُمْ وَأُفْرِيائَكُمْ دِمَائِي  
إِنْ يَنْقَضِي فِي الْفَرَامِ نُحْبِي  
فَعُضْرَتِي عُضْرَةُ الْقَضَاءِ (١)

وما هي جمار النار من قلبه تناسب الجمرات، والصفا تجانس صفاء الحب، والطواف والتضحية والحجر والخيف كلها تلتقي في رحاب التجانس والتماثل ما بين الفاظها والفاظ الحب وحركاته ومعانيه وتطعماته وأشواقه، كما يقول ابن زقاعة:

(١) ديوان ابن زقاعة المخطوط ورقة ٥

لَمَّا دَعَاهُ الْهَوَى لِبَاسَهُ مُتَخَلِّفًا  
من بعد تمزيقه اطمأن سلوته  
وسدنت ساعة الإحرام ساداته  
عليه كل طريق غير شيرعته  
وأولفوه على أبواب عزهم  
عسى يذل الأماني يوم وقفته  
والجفن بالثوم ضحكى في عراصم مئى  
وها بقايا النما تجري بمقلته  
ولو رمى جصرة من ناره اضلرت  
تلك البطاخ وما فيها لجمرت  
سعى لذات الصفا لما متفاه متفا  
وطاف بالحب سببًا بعد شمرت  
والجبر لو أن قلب ركنه حصر  
اضحى خطيما على جدران كمبته  
لا خنتم يا أهيل الخيف تهركم  
ولا رحلتم عن الوادي واكتبه  
وزاركم كل وسني مارض هن  
يسقي كتيب المصلى صنوب مرثيه  
حتى يغادره مخشوشبًا عبثا  
كان رضوان وافاء بروضته<sup>(١)</sup>

وتملّ معي هذا الإحرام بالشوق، وإهداء القلب كالهدي والاضحية، كما في هذه  
المجانسة من ابن جبير:

بنت لي اعلاّم بيت الهدي  
بمكة والنور باد عليه

(١) ديوان ابن زقانة للخطبة ورقة ٢١ - ٢٢

فاحرمتُ شوقاً له بالهوى  
واهديتُ قلبي هدياً إليه<sup>(١)</sup>

وهذا عبدالجليل بن وهبون المرسى يرمي جمار شعره على الرغم من بعد ما بينه وبين المحصب، كما في هذا الممدح:

لنا العيدُ لو تذو لنا كمعبدةً المنى  
وركنُ المعالي من ذؤابةٍ يغرب  
فيا أسفا للشعر ثرمى جماره  
ويا بُعداً ما بيني وبين المخصب<sup>(٢)</sup>

وفي مشابهة ومجانسة غزلية راقية يقول أبو الحسن بن أضحى في قلاند العقيان، مشبهاً رمي الصبيب برمي الجمار، والمرمي هو القلب الذي يشبه المحصب، والتضحية ليست بالثأرة والنعم ولكن بالمهجات، يقول:

أتتني أبا نصر نتيجةً خاطرة  
سريع كرجع الطرف في الخطرات  
فأغرب عن وجد كمين طويئة  
باهيف طاور فساتر اللحظات  
غزال أحم المقلتين عرفئة  
بخيف منى للحين أو عرفات  
رماء فاصنى والقلوب رمية  
لكل كحيل الطرف ذي الفتكات  
وقن بأن القلب منك مخصب  
فلبأك من عينيه بالجفرات  
تقرباً بالنسأك في كل منسك  
وضحى غداة الخمر بالمهجات<sup>(٣)</sup>

(١) نفع الطيب، ٢/ ٢٨٤

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢/ ٨ / ٤٧٥

(٣) قلاند العقيان للفتح بن خاتان ٦٤٩

وهذه محبوبة ابن قاضي ميلة ترد عليه بكيد ظاهر من خلال مجانسة لطيفة ما بين  
المشاعر المقدسة ومشاعرها نحوه، فيقول بلسانها:

لئن كنت ترجو في مئى القوز بالمئى  
فبالخيف من إعراضنا نثخوفاً  
وقد اندز الإحرام أن وصناكنا  
حراماً وأنا عن مزارك نمنف  
فهذا وقلني بالحصنى لك منذر  
بانئ النوى بي عن بيارك تفسد  
فباندن نقاري ليلة النفر إنة  
سريع وقل من في العياضة اعرف<sup>(١)</sup>

ومن الجناس قول محمد الفارسي:

لله حين سَمَحَ الدهرُ بهِ  
في دار قَرَمَ بهِها ثم المئى  
كنتُ بهِها لم أخش بيئاً امناً  
أرقل بين الأخشبين فمئى<sup>(٢)</sup>

فالمجانسة بين قوله في الشطر الأول: أخش بيئاً، وقوله في الشطر الثاني:  
الأخشبين.

وهذا شاعر يقابل بين أضحية العيد، وتضحية حبيبه بقلبه، وتقوم المشكلة هنا ما  
بين عيد الناس وعيده، وحج الناس وحجه، ويبالغ في ذلك حتى يجعل طوافهم بالبيت  
كطوافه بمحبوبه، كما يقول:

ضحى الحبيب بقلبي يوم عيدهم  
والناس ضحوا بمثل النشاء والنعم  
إن الحبيب الذي يرضيه سَفَك دمي  
دمي حلال له في الحل والحرم

(١) اللخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٢/٤ / ٥٢٢

(٢) روضة الألباء ٢ / ١٧٢

للناس حجٌ ولي حجٌ إلى سكني  
 تُهدي الاضاحي واهدي مُهجتي ونمي  
 يطوفُ بالبيت قومٌ لو بجارحةٍ  
 بالحبِّ طافوا لالهامهم عن الحرمِ  
 يا لائمى لا تُلمني في هواه فلو  
 عاينت منه الذي عاينتُ لم تُلِم<sup>(١)</sup>

ومن جميل المجانسة ما يذكره شمس الدين النواجي صراحة في قصيدة مدحية  
 للرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، فيقول:

فيا كعبه الأشواقِ هل لمُتِّم  
 يفوزُ ولو في العمرِ يوماً بعمرٍ  
 ويا قبلةَ العشاقِ ماذا عليكِ لو  
 سمحتِ لهُ في الحالِ منكِ بقُبلةٍ  
 صدّدتِ فجانستِ اللقا منكِ بالقلبي  
 وعانيتُ حقاً مُتِّيتي في مُتِّيتي  
 وابديتِ في فنّ الطباقِ بدالعُسا  
 فقيّدتِ اشجاني واطلقتِ غبْرَتِي  
 فموتِي حياتي وانقطاعي توأصلي  
 ومحوي ثباتي واجتماعي تُشكّلي  
 بعيشكِ جودي بالتواصلِ وارحمي  
 غريبَ ديارٍ من بلادِ بعيدٍ<sup>(٢)</sup>

(١) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ٣١٠

(٢) المجرمة النبهانية في اللدائع النبوية ١ / ٤٢٢



## • الأمثال الشعرية في مكة

ورد في كتب الأمثال العديد منها المختص بمكة، وخصائصها ومشاعرها ووصفها وما يحدث فيها، من ذلك:

### - أخسر صفقة من أبي غبشان

وأنتم من أبي غبشان، وأحق من أبي غبشان، وصفقة أبي غبشان، هذا التي يُضرب بها المثل في الخسران، ملخصها: أن أبا غبشان كان ممن ولي أمر الكعبة من بني خزاعة، ويده مفاتيحها، وفي جلسة شرب مع قصي بن كلاب خدمه قصي بعد أن سكر، واشتراها منه بزق خمر، وبلغ المفاتيح إلى ابنه عبدالدار الذي رفع عقيرته بالصراخ عندما اشرف على مكة، وقال: يا معاشر قريش، هذه مفاتيح بيت أبيكم إسماعيل قد ربنا الله عليكم من غير غدر ولا ظلم.

وإفاق أبو غبشان من سكره نادماً خاسراً، ففيل في ذلك:

باعت خزاعة بيت الله إذ سكرت

بزق خمر فما فازت ولا ربحت

وقال آخر:

أبو غبشان أظلم من قصي

وأظلم من بني فهر خزاعة

فلا تلهوا قصباً في شراها

ولو موا شيعتكم إذ كان باعة

وقال آخر:

إذا افتخرت خزاعة في قديم

وجدنا قحراً شرباً الخُمور

وبيعاً كعبة الرحمن حُملاً

بزق بئس مفتخر الفُخور<sup>(١)</sup>

وفي هذا يقول ابن مقرب العيني:

وارضوا رضاً فإن سخط أمرهم

منكم لأخسر من أبي غبشان<sup>(٢)</sup>

(٢) ديوان ابن اللطيف ٢ / ١١٤٦

(١) شار اللطيف ١٣٥-١٣٦

ولنا وقفة عند هذه الحادثة، وهذه الأمثال، فما ورد في كتب التاريخ والسير المعتمدة، أن مفاتيح الكعبة كانت مع قصي و (كان قصي رجلاً جليداً حازماً بارعاً، فخطب إلى حليل بن حبشية بن سلول الخزاعي ابنته حبي.. وحليل يومئذ يلي الكعبة، وأمر الكعبة.. فلما حضرت حليلاً الوفاة، نظر إلى قصي وإلى ما انتشر له من الولد من ابنته.. فدعا قصياً، فجعل له ولاية البيت، وأسلم إليه المفتاح<sup>(١)</sup>، ولكن خزاعة بعد وفاة حليل أبت عليه ذلك، فقامت حرب بينه وبينهم قتل فيها الكثير من الطرفين، ثم تحاكموا إلى يعمر بن عوف، الذي حكم لقصي بحجابة الكعبة، وولاية أمرها دون خزاعة، وبذلك تكون قصة أبي غبشان محل تساؤل؟ فهل غصبته خزاعة المفتاح، ثم رثه بهذه الحيلة التي ترونها كتب الأدب في قصة أبي غبشان هذا؟ ثم قامت الحرب بعد ذلك، ثم حكم له برده، على كل حال تبقى هذه الحكاية ماثراً استفهام.

- أصبح من غير أبي سيارة

قال الثعالبي: هذا غير مشهور يُتمثل به، فيقال: أصبح من غير أبي سيارة، للرجل الصحيح في بدنه، وأبو سيارة رجل من عدوان، وسمعه شُعَيْبَةُ بْنُ خَالِ بْنِ أَعْزَلٍ، وكان له حمار أسود، أجاز الناس عليه من مزدلفة إلى منى أربعين سنة وكان يقف، فيقول شعراً:

خَلُّوا الطَّرِيقَ عَنْ أَبِي سَيَّارِهِ

وَعَنْ مَوَالِيهِ بَنِي قُرَّارَةٍ

حَتَّى يُجِيزَ سَالِمًا حِمَارَهُ

مستقبل القبلة يدعو جاره<sup>(٢)</sup>

- أصفى من ماء زمزم

قال الثعالبي: (يُتمثل بشرفه على سائر المياه لشرف مكانه، ولما ورد في فضائله وفوائده وبركاته، قال أبو هفان يمدح رجلاً:

لَوْ كُنْتُ نَوْءًا كُنْتُ نَوْءَ الْمِزْمِ

أَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ مَاءَ الزَّمْزَمِ<sup>(٣)</sup>

(١) أخبار مكة للأذني ١ / ١٠٥

(٢) المصدر نفسه ٣٦٩

(٣) شار للطلب ٥٦٠

- آمن من حمام مكة

قال الشعالي: (يضرِب به المثل في الأمن والصيانة، كما يضرِب بظباء مكة، قال الشاعر:

لَعَنَ السُّلَّةَ مَنْ يَسْبُ عَلَى  
وَحْسِيًّا مِنْ سَوْفَةٍ وَإِمَامٍ  
يَأْمَنُ الظُّبْيُ وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْ  
مَنْ أَلُ الرِّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ

وقال آخر:

لِيَا لَرِّ تَمْنَى أَنْ يَكُونَ حَمَامَةً  
بِمَكَّةَ يَا وَيْلَكَ السُّتَارُ الْمُخْرَمُ

ومن أمثل وأبلغ ما سمعت في التمثيل بحمام الحرم قول عبدان الأصبهاني، وقد أحسن على إسماعته:

رَغِيْفُكَ فِي الْأَمْنِ يَا سَيِّدِي  
يَحُلُّ مَحَلَّ حَمَامِ الْحَرَمِ  
فَلِلَّ ذَرَكَةٍ مِنْ سَيِّدٍ  
حَرَامِ الرِّغِيْفِ حِلَالِ الْحُرْمِ<sup>(١)</sup>

ويستنهض عقبة الأسدي عبدالله بن الزبير للقتال، ويرى أن بقاءه في مكة كالطير  
والحمام التي تآمن على نفسها فيه، لا يليق بمن يطلب الخلافة، يقول:

مَا زِلْتُ مُذْ حِجَّجَ بِمَكَّةَ مُخْرَمًا  
فِي حَيْثُ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَمَامٌ<sup>(٢)</sup>

(١) نهار القلوب ٤٦٤ - ٤٦٥ وانظر في المثل آمن من حمام مكة في مجمع الأمثال للميداني ١ / ٨٧ وفرائد الخرائد

للخوي ٧٩

(٢) شعر قبيلة إسد ٤٢١

ويصف عبدالله بن الرقيات مكة في قوله:

بلدٌ يامنُ الحمامُ فيه

حيث عادَّ الخليفةَ المظلوم<sup>(١)</sup>

وكان عبدالله يُسمَّى العائد ببیت الله لأنه تحصَّن فيه من الحجاج، ولما حبس عبدالله بن الزبير محمد بن الحنفية لرفضه مبايعته بالخلافة قال:

تُخبِّرُ من تلقاءِ أدِّكَ عائدُ

بل العائدُ المحبوسُ في سجنِ عارم<sup>(٢)</sup>

وقال الفرزدق مشبهًا نفسه بحمام الحرم، من قصيدة يتضرع فيها إلى زياد بن أبيه، يقول منها:

وعبيدُ اتاني من زياد فلم اتم

وميلُ النوى بوني وفضبُ التهائم

فبتُ كائنٍ شسقزُ خيبرية

سنرتُ في عظامي أو سيمامُ الأراقم

زيادُ بنُ مسخَر لو اظنك تاركي

وبالظن قد جسمتني غير ظالم

فإلا تداركني من الله نعمه

ومن إل حرب القُ طيرُ الأشائم

الم ياتهِ أُنِّي تخلُّ ناقاتِي

بنعمانٍ أطرافَ الأراكِ الخوام

محبوسةٌ ترى الأراكَ وربُّها

بمكة يُلقى عائدُ بالمحارم

فدعني أكن ما عشتُ بهري حمامة

من القاطنات البيت غير الروائم<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ١٩٣

(٢) ديوانه ١٩٣

(٣) ديوان الفرزدق ٧٥٦

فَعَيَّرَهُ أَبُو الْعُطَافِ جَرِيرُ بْنُ خُرْقَاءَ الْبَجَلِيُّ، لَمَّا هَجَا الْفَرَزْدَقُ بَكْرَ بْنَ وَاثِلٍ:  
 نَعْمُورِي لَنْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ عَاتِبًا  
 وَاحِدٌ مُنْزَمًا لِلْفَرَزْدَقِ الْيَوْمُ  
 لَقَدْ وَسَّطْتَ الدَّارَ بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ  
 وَضَعْتَ لِلْأَحْشَاءِ إِذْ أَنْتَ مُجْرِمٌ  
 لِيَالِي تَمْثُلِي أَنْ تَكُونِ حَمَامَةً  
 بِمَكَّةَ يُؤْوِيكَ السُّنْبُكُ الْمَحْرُومُ  
 فَإِنْ تَنَأَ عَنَّا لَا تُضَرِّبْنَا وَإِنْ تُقِمِ  
 تُجِئْنَا عَلَى الْمَهْدِ الَّذِي كُنْتَ تَعْلَمُ<sup>(١)</sup>

ولمّا مات زياد، وخرج الفرزدق مطروداً قال:  
 أَبْلَغُ زِيَادًا إِذَا مَا جِئْتُ مَحْزَنَةً  
 أَنْ الْحَمَامَةَ قَدْ طَارَتْ مِنَ الْحَرَمِ  
 طَارَتْ فَمَا زَالَ تَنْمِيهَا قَوَادِشُهَا  
 حَتَّى اسْتَفَانَتْ إِلَى الْإِنْهَارِ وَالْأَجَمِ<sup>(٢)</sup>  
 وأمن الحمام ينسحب على جميع الطيور، كما يقول النابغة الذبياني:  
 وَالْمَوْمِنُ الْعَائِدَاتِ الطَّيْرَ يَمْسَحُهَا  
 رُخْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْفَيْلِ وَالسُّنْدُرِ<sup>(٣)</sup>

والحمام يقطن مكة أمناً في الفة، لا يروعه مروع، كما يقول العجاج من هذه الأرجوزة:

(١) العفو والاعتذار ٣٤٢/٢-٣٤٣

(٢) العفو والاعتذار ٣٤٦/٢

(٣) ديوان النابغة ١٥

فَسالِحَمْدُ لِلّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ  
 ذِي الجَبَرُوتِ وَالجَلالِ الْأَعْظَمِ  
 بَنَى السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ سُلْطَمٍ  
 وَرَبُّ هَذَا الْبَلَدِ الْمَحْرَمِ  
 وَالْقَاطِنَاتِ الْبَيْتِ غَيْرِ الرُّيْمِ  
 أَوَالفُا مَكَةَ مِنْ وَزْقِ الْحَمِي<sup>(١)</sup>

ويظهر هذا المثل في الشعر الحديث، يقول الأمير عبدالقادر الجزائري يصف حاله بعد أن أطلقت فرنسا سراحه:

اسْكُنْ فُرْأدي وَقِرْ الْأَنَ في جَسْدي  
 فَقَدْ وَصَلْتَ بِحُزْبِ اللَّهِ أَحْبَالا  
 هَذَا الْمَرَامُ الَّذِي قَدْ كُنْتَ تَامُلُهُ  
 قَطِبُ مَسَالٍ بِلَقِيَاءِ وَطْبِ حَالا  
 وَعِشْ هَنِيئًا فَاَنْتَ الْيَوْمَ آمِنٌ مِنْ  
 حِمَامِ مَكَّةَ إِحْرَامًا وَإِحْلَالا<sup>(٢)</sup>

- آمِنٌ مِنْ ظِيَامِ مَكَةَ -

قال الثعالبي: يُضْرَبُ بِهَا المَثَلُ فِي الْأَمْنِ، لِأَنهَا لَا تَهَاجُ وَلَا تَصَادُ فِي الْحَرَمِ لِجَاوِرَتِهَا الْحَرَمِ، فَهِيَ تَرْتَعُ، وَتَلْعَبُ أَمْنًا، وَقَدْ ضُرِبَ بِهَا المَثَلُ عَبْدَاللهِ بْنِ حَسَنِ بْنِ حَسَنِ، فَأَحْسَنَ فِي قَوْلِهِ يَصِفُ نَسْوَةَ:

أَنْسَنَ حِرَالُ مَا هَمَمْتُ بِرَيْبَةٍ  
 كَقَطْبِاءِ مَكَةَ صَنِذُهُنَّ حَرَامُ<sup>(٣)</sup>

(١) ديوانه ٢٩٤. القاطنات: اللازمات. الرويم: غير للمفارقة. وزق الحمي: يريد الحمام فرغم يحذف للميم الاخيرة.

(٢) ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري ١٥٦

(٣) نزار الطوب ٤٠٨

## ● الأسلوب

تظهر في أساليب القصائد المكية الوان واضحة فرغها الموضوع المكي،  
كالقسم، والدعاء، والتضمين، والاقتباس، وسأمثل لها سريعاً دون وقوف طويل:

### ● القسم

من أساليب الشعر في مكة القسم، الذي يتنوع ويتعدد استخدامه، واستعماله من شاعر  
لآخر، ويتنوع أيضاً في المقسم به، فهناك القسم المقبول شرعاً، وهو القسم بالله تحت الفاظ  
عدة، ولكنها كلها لا تخرج عما هو مباح في الحلف والقسم، فمنه القسم برب البيت، ورب البيت  
العتيق، والقسم برب الرافضات، والذي حجت إليه قريش، وحج له الحجاج، ومنهم من تعدى  
طوره، فاقسم بما يحرم القسم به شرعاً، كالقسم بالبيت العتيق وزمزم، والحرم والمشاعر، وإذا  
كان القسم الذي لا ينضبط شرعاً مبرراً في الشعر الجاهلي، فإن كثيراً من الشعراء بعد  
الإسلام في مختلف العصور قد أخطأوا في ما ورد عن بعضهم من حلف.

فزهير بن أبي سلمى يقسم بالبيت الذي طاف حوله رجال من قريش وجرحهم، يقول:

فأقسمت بالبيت الذي طاف حوله

رجال بنوهم من قريش وجرحهم

يمينا لننعم السيدان وجننا

على كل حال من سحيل ومجرم<sup>(١)</sup>

ويقسم زهير بالمنازل من منى مائتاً هرم بن سنان والحارث بن عوف، فيقول:

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى

وما سحقت فيه المقادير والقمل

لارتحلن بالفجر ثم لادابن

إلى السيل إلا أن يُعرجني طفل

إلى معشر لم يورث اللوم جثم

أصاغونهم وكل فحلرة نجل<sup>(٢)</sup>

(١) شرح للقصائد المشهورة الصنعة الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م ص ١٧٣ . للمتحيل: فوب لا يُدرم غزله.

(٢) شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ٩٦ - ١٠٠ والمقادير: مقادير الرأس. والقمل: يبريد الشعر. القمل: الليل.

وهذا عدي بن زيد العبادي الجاهلي يقسم برب مكة جامعاً وخالطاً، فيقول:  
سعى الأعداء لا يبالون شراً  
علي ورياً مكة والصليب<sup>(١)</sup>

وهذا كامل العامري صاحب سلمى يحلف ويقسم برب مكة والمصلّى والحجاج، فيقول:  
حلفتُ برب مكة والمصلّى  
وشعثر يخلقون بها اللّماما<sup>(٢)</sup>

وهذا شاعر جاهلي من يثرب هو درهم بن زيد الأوسي يحلف بمن يحج الناس إليه فيقول:  
إنّي لعنن الذي يحجّ له النّاس

س ومن دون بيته سرف  
يمين برّ بالله مجتهد  
يحلف إن كان ينفع الحليف  
لا يرفع العبد فوق سنته  
مما دام منّا ببطنه شرف<sup>(٣)</sup>

والحليّة يقسم بالإبل الراقصات السائرات إلى منى:  
لعنن الراقصات بكل فج  
من الرغبان موعنها مئاه<sup>(٤)</sup>

والقسم ببیت الله يسري في الشعر القديم وبخاصة الشعر الجاهلي، فهذا  
خداش بن زهير، يقسم قائلاً:

كذبتُم وبیت الله حتی تُعالجوا  
قوادم حرب لا تليئ ولا تمري<sup>(٥)</sup>

وعبدالله بن الزبيري يؤكد على أنه في قسمه بار، ولا يحلف على إثم:  
وإن أحلف وبیت الله لا أحلف على إثم<sup>(٦)</sup>

(١) شعر عدي بن زيد العبادي ٢٢ . (٢) المستترك في شعر بني عامر ٢٥٤

(٣) الأقباني ٢٢/٢

(٤) ديوان الحليّة ٩٧ لعم: يعين يحلف به، والرقص: شرب من سیر الإبل، والراقصات: الإبل تكبول في سيرها. اللج: الطريق.

(٥) شعر خداش بن زهير ٥٧٩

(٦) شعر عبدالله بن الزبيري وطلحات فحول للشعراء لابن سلام الجمحي ١ / ٢٤٠



وقال ذو الجوشن الأعور مقسمًا:

كذبتُم وبِيتَ الله لا تبْلغُونَنِي

ولم يكُ قومي قومٌ سوء فاجزعا<sup>(١)</sup>

والتعوذ بالبيت ذي الأركان قديم في الشعر، وهو لون من ألوان القسم، والتعبير عن المكانة القدسية لمكة في النفوس، فهذا عبدالمطلب في ما يُروى عنه أنه لما دخل بحفيده محمد بن عبدالله عند ولادته إلى الكعبة، قال:

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانِي

هَذَا الْفَسْلَ الطَّيِّبَ الْإِرْدَانِ

قَدْ سَادَ فِي الْمَهْدِ عَلَى الْقَلَمَانِ

أَعْيَدَهُ بِالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ

مَنْ كُلُّ ذِي حَقٍّ وَذِي شَنْآنِ

حَتَّى أَرَاهُ سَيُّدَ الْفَتِيَانِ<sup>(٢)</sup>

ويقول أبو طالب في لاميته:

أَعَسَّوْذُ بَرِيءٍ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ

عَلَيْنَا بِسُوءٍ أَوْ مَلِجٍ بِبِطَاطِلٍ

وَبِالْبَيْتِ حَقُّ الْبَيْتِ مِنْ بَطْنِ مَكَّةِ

وَبِإِلَهِهِ إِنْ أَلِلَ لَيْسَ بِفَافِلٍ<sup>(٣)</sup>

ويحذر قريش من المساس بالنبي عليه الصلاة والسلام، ويؤكد من خلال القسم أن عليهم أن يتيقنوا أنه لن يفعل ما يطمعون به، فلا هو تارك مكة، وإن يسلمهم محمدًا، يقول:

كَذَبْتُمْ وَبِيتَ اللَّهُ نُبْرَكَ مَكَّةُ

وَنُظْفَرُنْ إِلَّا أَمْسُرَكُمْ فِي بَلَابِلٍ

(١) المستترك في شعر بني عامر ٢٢

(٢) الطبقات لابن سعد ٧٠/١

(٣) هذيل الصمام ١٠٥/١

كَذَبْتُمْ وَبَيْتَ اللَّهِ تُبْزَىٰ مُحَمَّدًا  
 وَلَمَّا نَطَاعَنُ دُونَهُ وَنَنَاضِلُ  
 وَنُسَلِّمُهُ حَتَّىٰ نُصَرِّعَ حَوْلَهُ  
 وَنُدْهَلَّ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَصَالِ  
 وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِي الْحَدِيدِ إِلَيْكُمْ  
 نَهْوَضُ الرُّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصُّلَاحِ  
 وَحَتَّىٰ تَرَىٰ ذَا الضُّغْنِ يَرْكَبُ رَذْعَهُ  
 مِنْ الطَّعْنِ فَيُحِلُّ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ  
 وَإِنَّا لَعَمْرُ اللَّهِ إِنَّ جَدًّا مَا أَرَىٰ  
 نَقْلُ بَسَنَ اسِيَّافِنَا بِالْأَمَانِلِ

وفي المدح يقسم المقسمون بمن حجَّ له الحجيج، كما يظهر في مدح الأحوص  
 لعمر بن عبد العزيز:

وَلَعَفْرُ مِنْ حَجِّ الْحَجِيجِ لِبَيْتِهِ  
 تَهْوِي بِهِمْ قُلُوصُ الْمَطِيِّ الدُّمْلِ  
 إِنَّ أَمْرًا قَدْ نَالَ مِنْكَ قَرَابَةً  
 يَبْقِي مَنَافِعَ غَيْرِهَا لِمُضَلِّلٍ<sup>(١)</sup>

وفي قول الفرزدق:

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْمِطَايَا  
 وَاعْنَاقِ الْهَدْيِ مُقْلَدَاتِ<sup>(٢)</sup>

ويقسم حميد بن ثور الهلالي برب الراقصات، أي الإبل الذاهبات إلى الحج في  
 تأكيد حبه، وثباته وأنه لا يرضى سواه عوضاً ولو كان ملء الأرض، أو ما يعمله، فيقول:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاqَصَاتِ عَشِيرَتِي  
 زُهَيْفًا وَرَبِّ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْحَبْلِ

(١) شعر الأحوص الأنصاري ١٧١

(٢) ديوان الفرزدق ١١٧

لَوْ أَنَّ لِيَ الدُّنْيَا وَمَا عُدِلَتْ بِهِ

وَجُمْلُ لَغِيرِي مَا ارِدْتُ سِوَى جُمْلِي<sup>(١)</sup>

ويتكرر الحلف برب الراقصات عند الكثير من الشعراء في مختلف العصور، فهذا ابن عنيّن يقسم هو الآخر بهنّ قائلاً:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاqَصَاتِ إِلَى مِئْتِ

وَمَنْ قَرَضَ السَّيِّحَ الْجِمَانَ وَمَنْ رَمَى<sup>(٢)</sup>

ومن طريف القسم أن يقسم المقسم بأنه كاذب، كما في هذا القسم لنصيب الشاعر، يقول:

لَقَدْ هَمَمْتُ فِي جُلُوحٍ لِيَلِرَ حِمَامَةٌ

عَلَى فَنٍّ وَهْنًا وَإِنِّي لِنَائِمٌ

كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا

لَمَا سَبَقْتُ نِيَّ بِالْبَجَاءِ الْحَمَائِمِ<sup>(٣)</sup>

وهذه بلد الممدوح أفضل من بلد المادح، كما يقسم ابن المقرب في قوله:

وَيَلْدُرُ أَنْتَ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ يَهَا

أَحْظَى لَدَيَّ - وَيَبْتَهِرُ اللَّهُ - مَنْ بِلَدِي<sup>(٤)</sup>

ونراه يقسم بما لا يجوز القسم به كقوله:

فَأَمَّا وَأَعْلَامُ الْمُحْصَنِينَ مِنْ مِئِي

وَمَوَاقِفِ الرُّكْبَانِ مِنْ عَرَفَاتِهَا<sup>(٥)</sup>

وفي العتاب يقسم سعيد بن سليمان المساحقي للعباس بن محمد حين غضب عليه برب مئى، والمندفعين إلى مزيلة، فيقول:

(١) ديوانه ١٢٢

(٢) ديوان ابن عنيّن ٨٢

(٣) شرح ديوان الحماسة ٣ / ١٢٨٩ وورد مثل هذا القول منسوباً للمجنون في ديوانه ١٨٦

(٤) ديوان ابن المقرب ١ / ٢٩١

(٥) المصدر نفسه ١ / ٢٠٥

أما وربُّ مئى والعامادات له  
والدافعين بجمع يؤضِعُونَ مَعَا  
لو كان غيرك يطوي حَبْلَ خَلَّتِهِ  
نوني ويلبس ثوبَ الهجر ما اتبعا  
فَارَزَ الذَّمَامَ وَلَا تَقْطَعُ وَسَائِلُهُ  
وارجع فإنَّ احسا الإحسان من رَجَعَا<sup>(١)</sup>

ويقول جعفر الخطي:

أَمَّا وَالرَّاقِصَاتِ كَانَ وَخَشْنَا  
تَنَدُّ بِمَا حَكَمْنَا مِنَ الرَّجَالِ<sup>(٢)</sup>

ويقسم: بغير الله في قوله:

هَذَا وَأَقْسَمُ بِالْمُحَصَّبِ مِنْ مِئَى  
وَوَقُوفٍ وَفِرَّ الْحَجَّ مِنْ عَرَفَاتٍ  
وَيْمًا أَطْيَحَ هُنَاكَ مِنْ شَقَرِ امْرِئٍ  
وَيْمًا أَرِيقَ هُنَاكَ مِنْ نَمِ شِئَاءٍ<sup>(٣)</sup>

وشعراء الغزل يجعلون من القسم شاهداً على صديق حبيبهم وما يقولون، فالشاعر  
عبيد بن عبد العزى السلمي يأخذ من حبيبته قسمًا، فما هي تحلف برب الحبيج كما  
يقول:

وَقَدْ خَلَفْتُ وَالسُّنْثُرُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا  
بَرِبًا حَجِيجٍ قَدْ أَهْلُوا وَعَرَّهُوا<sup>(٤)</sup>

والأحوص يقسم على إلمامه بها، وصدوره عنها بالداء الذي نفسه، يقول:  
كَفُنَانِي إِنْ مَتُّ لِي دَرَجُ أَرَوَى  
وَأَمْتُحَا لِي مِنْ بَشَرٍ عُرْوَةُ مَائِي

(١) غاية اللرام ١ / ٣٦٠

(٢) ديوان جعفر الخطي ٢٥٦

(٣) المصدر نفسه ١٧٥

(٤) قصائد جاهلية نادرة ٦٩

إِنْنِي وَالَّذِي تَحِجُّ قَهْرِي شُ  
بَيْتَهُ سَالِكِينَ تُقْبَلُ كَدَامِ  
لَمَلَمٌ بِهَهَا وَإِنْ أُبْتُ مِنْهَا  
صَادِرًا كَالَّذِي وَرِثْتُ بَدَاءَ (١)

ويحلف لها قيس بن الملوح بالذي حج الملوك بينه بأن يحبها على الرغم من بخلها  
وحنئها، فيقول:

أَحِبًّا عَلَى حُبِّ وَأَنْتِ بَخِيلَةٌ  
وَقَدْ زَعَمُوا أَنْ لَا يُحِبُّ بَخِيلٌ  
بلى والذي حج الملوك بينت  
ويشفي الجوى بالنيل وهو قليل (٢)

وعمر بن أبي ربيعة يحلف برب المواسم بأنه لم يخن عهدا وودانها:  
قَلْتُ بِالْخَيْفِ مَرَّةً  
لَجَّ وَارِثُوعِ  
قَلَنْ بِاللَّهْلِ لَأْتِي  
سَمِعْتُ قَوْلَ ظَالِمٍ  
أَقْبَلِي الْعَمَلُ مِنْ فُسْطَى  
صَادِقٍ غَيِّبِ زَائِمِ  
لَمْ يَخْذُلْكَ الْوُدَادُ لَا  
لَا وَرَبُّ الْمَوْتِ وَاسْمُ (٣)

بل يقسم بأنها تساوي عنده جنة الخلد:  
وَاللَّهِ وَالْبَيْتِ الْعَتِيقِ لَقَدْ  
سَاوَيْتِ عِنْدِي جَنَّةَ الْخُلْدِ (٤)

(١) شعر الأحموس الأنصاري ٧١

(٢) ديوان مجنون ليلى ١٧٤

(٣) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٥٢-٢٥٤

(٤) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة ٢٢٥

ويتأفف قيس بن ذريح لكثرة الحلف التي لا يفي بحقها، فيقول:

الحمد لله قد امتست مجاوره

اهل العقيق وامسينا على سرف

حي يمانون والبطحاء منزلنا

هذا نكرك شمل غير مؤلف

قد كنت اليت جهدا لا افارها

افا لكثرة ذاك القيل والحلف<sup>(١)</sup>

وينفي ابن الهميرة الخيانة والغدر عن نفسه، كما تنهمه محبوبته، ويقسم على ذلك قائلا:

حلفت اميمه ان ودي كاندب

منذق وانني خالني غدار

كذبت اميمه والذي حجت له

شععت الرؤوس بمكة الابران<sup>(٢)</sup>

ويكرر الحلف بأنه ما أضمر حبا لسواها:

أما والراقصات بذات عرق

ومن صلي ينغمسان الاراك

لقد اضمرت حبك في فؤادي

وما اضمرت حبا من سواك<sup>(٣)</sup>

وهل تحب البخيلة، يقسم قيس بن الملوح، فيقول:

أحبا على حب وانتر بخيلة

وقد رعموا ان لا يحب بخيل

بلى والذي حج الملبسون بيته

ويشفي الهوى بالنيل وهو قليل

(١) شعر قيس بن ذريح ٢٢

(٢) ديوان ابن الهميرة ٥٥

(٣) ديوان ابن الهميرة وشرح ديوان الحماسة ٢ / ١٢٧١ ومثير العزم الساكن ١٢٢

## وإن بنا لو ثلّمين لقلّة

إليك كما بالخاصات غليل<sup>(١)</sup>

ويتحدث الدكتور يحيى الجبوري عن تدين المتوكل اللبني، فيقول: «وتدين المتوكل أمر ظاهر في سلوكه وفي شعره.. وقد ظهر أثر الإسلام في كثير من شعره، في معانيه وصوره، ويرد فيه ذكر الحج ومناسكه، ومكة ومواضعها، والبيت الحرام، وتظهر في شعره شخصية المحرم بالحج، وفي أيام الحل والإحرام، وإذا أقسم فهو يقسم بالله وبيته الحرام<sup>(٢)</sup>».

ففي القسم يقول المتوكل متغزلاً:

لا والذي يهوي على بيته

من كل فجٍ مُحرّمٍ نائلٌ

ما لي من علم بها باطن

وقد براني حُبُّها الداخل<sup>(٣)</sup>

ويقسم نصيب فيقول:

خلعتُ ربّاً المُوضّعينَ لربّهم

وحُرّفةٍ ما بينَ المقامِ إلى الجبر<sup>(٤)</sup>

وحتى الشاعر النصراني الأخطل التغلبي يلف برب الراقصات، فيقول:

إنّي خلعتُ ربّاً الراقصاتِ وما

اضحى بمكةً من حُجبٍ واستنار

وبالهدايا إذا اصمّرتَ مَذَارِغَهَا

في يومٍ ذبيحٍ وتشسريقٍ وتبحار

وما بزمزمَ من سُحُطٍ مُخَلّقةٍ

وما بيثربَ من عُوزٍ وابكار<sup>(٥)</sup>

(١) شرح دهران الحماسة ٢ / ١٢٩٦

(٢) شعر المتوكل اللبني ٣٥ - ٣٦

(٣) المصدر نفسه ٢٢٩

(٤) شعر نصيب بن رباح ٩٥

(٥) جمهرة أشعار العرب ٣ / ٩٢٥

ويقسم أحد شعراء قرطبة برب مكة:

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَكَّةَ وَالْجَمْعِ

لَقَدْ وَزَنْتُ كُرُوبِي بِالْجِبَالِ<sup>(١)</sup>

ويقسم ابن حيوس برب من صلى وضعى:

حَلَفْتُ بِرَبِّ مَنْ صَلَّى وَضَعَى

وَمَا ضَمِنَ الْمُحْصَبُ وَالْحَجُونُ<sup>(٢)</sup>

ويجعل ابن الفارض من حياة اهل مكة تسماً له، كما في قوله:

وَحَيَاتُكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ وَهِيَ لِي

فَسَمْتُ لَقَدْ كَلَّفْتُ بِهِ أَحْشَاءِي<sup>(٣)</sup>

ويمدح علي بن محمد الصندودي الشريف أبا نمي محمد بن أبي سعد أمير مكة،

فيقول مقسماً بثلاثة:

وَفِي الْحَرَمِ الشَّرِيفِ خِيَضُ جُودِ

كَأَنَّ الْبَحْرَ انْخَلَعَ الرِّطَامَةُ

أَمَّا وَالْحَجَرُ وَالْحَجَرَاتُ مَنِي

وَيَبْتَغِي اللَّهَ ثَالِثَةً قَسَامَتِهِ

لَشُنْ أَنْزَلَ بِسُوءِ رُوحِ أَبِي نُفَيْ

لَقَدْ أَنْزَلَ عَلَى كَعْبِ بْنِ مَامَةَ<sup>(٤)</sup>

وفي العتاب نجد القسم، فهذا محمد بن جعفر الصقلي يقول مقسماً:

أَمَّا وَاللَّهِ وَالْبَيْتُ الْحَرَامُ

وَتَرْبِيَةِ جَعْفَرِ الْقُرْمِ الْهَمَامُ

(١) الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة ١/١/٢٢٤

(٢) ديوان ابن حيوس ٢ / ٦٦٠

(٣) شرح ديوانه ٢٧١

(٤) غاية اللرام وهديل الصمام ٢/ ٩٠٢ والسوح جمع ساحة. وكعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ضرب به اللؤلؤ في الجود، فهو من أجود العرب.



لَقَدْ أَوْزَنْتَنِي دَاءُ بَخِيلٍ

أَشَدُّ عَلَيَّ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ<sup>(١)</sup>

ويقسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي بأخفاف منى ومن حلٍّ بالمزلفة،  
وبالحجاج الذين يقصدون بطحاء مكة:

حَلَفْتُ بِأَخْيَافِ الْمَخِيْمِ مِنْ مِئِي

وَمِنْ حَلٍّ جَمْعًا وَالرَّعَانِ الْمُتَالِيَا

وَبِالرَّكَبِ يَأْتُمُونَ بِطَحَاءِ مَكَّةِ

عَلَى أَنْ تُبِ تَحْكِي الْحَنِي حَوَافِيَا<sup>(٢)</sup>

وفي الهجاء أيضًا يتم القسم، فما هو الفرزدق يقول في هجاء جرير مقسمًا برب  
الراقصات إلى منى:

حَلَفْتُ بِرَبِّ الرَّاqَصَاتِ إِلَى مِئِي

بِقَيْنِ نَهَارًا دَامِيَاتِ الْمُنَاسِمِ

عَلَيْهِنَّ شُعْتُ مَا اتَّقُوا مِنْ وَبِقَةٍ

إِذَا مَا اتَّقَلَّتْ شَهْبَاؤُهَا بِالْعَمَامِ

لَتُحْكِبَنَّ قَيْسَ بْنَ عِيْلَانَ لِقَعَةً

صَرَى قَرْمِ اخْلَافُهَا غَيْرَ رَاقِمِ<sup>(٣)</sup>

#### • الهداء

ومن الأساليب التي تكثر في هذا الشعر أسلوب الهداء، ولا شك أن المواقف في  
مكة سواء في الحرم أو في المشاعر كلها تستدعي هذا الأسلوب، فمن ذلك قول ضبيعة  
تدعو رب الكعبة بأن يحفظ لها ولدها:

اللَّهُمَّ رَبَّ الْكَعْبَةِ الْمُحَرَّرَةِ

انصُرْ عَلَى كُلِّ عَدُوٍّ سَتَمَةٍ

(١) المصنوعون من الشعراء ٢٥٠

(٢) معجم الأدباء ٧٩٥ / ٢

(٣) ديوان الفرزدق ٦١٠ وشرح ديوان الفرزدق للمصاوي ٨٥١/٢

له يدان في الأمور المُجِبِّهَمَة  
كفُّ بها يعطي وكفُّ منعمه<sup>(١)</sup>

ونو الرمة ينصب وجهه نحو مكة، ويدعو الله، أن يمنَّ عليه بقاء مي:  
وكنت أرى من وجهه مَيَّةً لَمَحَّةً  
فابرق مَفْشِيَةً عليّ مكانيا  
وأنصب وجهي نحو مكة بالضُّحَى  
إذا ذاك عن فرط الليالي بدا ليا<sup>(٢)</sup>

والدعاء للصحاب بتلك البقاع، وتذكر قضاء الليالي الخالية معه، كما في هذا  
الدعاء لابن الفارض:

ورعى الإله بها أُنْصِيحَابِي الْأَقْبَى  
سَامَرْتَهُمْ بِمَجَامِعِ الْأَهْوَاءِ  
ورعى ليالي الخيف ما كانت سوى  
حُلُمٍ مَحْنَى مَعِ يَقْظَةِ الْإِغْشَاءِ<sup>(٣)</sup>

والدعاء بالسقيا على الطريقة التقليدية في الشعر العربي مائل للعيان، إذ نجد  
الشاعر في مختلف العصور يدعو الغيث لسقي تلك الريع، كما في هذه الدعوة للبرعي  
الذي يدعو الغمام للانصباب على زمزم والحطيم:

هَطَلْ الْغَمَامُ عَلَى الْحَطِيمِ وَزَمْزَمِ  
وعلى بقساعٍ بالنَّقَا وَوَهَابِ<sup>(٤)</sup>

وابن الجوزي يدعو الله أن يسقي تلك الديار:  
يا سَقِي اللَّهَ الْجَنَى أَنْتُمْ بِهِ  
ورعى تلك الرُّبَا وَالْمُنَا<sup>(٥)</sup>

(١) المستترك في شعر بني عامر ٢ / ١٣٣

(٢) ديوان ذو الرمة ٢ / ١٣٠٨

(٣) شرح ديوان ابن الفارض ٣٧٢

(٤) شرح ديوان البرعي ١٢٢

(٥) مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن ١٢٧

والإمام الصرصري يدعو بالسقيا للمصلى، وأعلام الصفا، ومنى، وسفح نعمان،  
والثنيات، وتستمر السقيا ممتدة إلى طيبة، يقول:

سَقَى الْمُصَلَّى وَأَعْلَامَ الصَّفَا وَمِنَى  
وَسَقَى ثَعْمَانَ صَوْبَ الْفَضْلِ وَالنُّعْمِ  
وَسَجَّ فَوْقَ ثَنِيَّاتِ الْوُدَاعِ وَمَا  
بَارِضٍ طَيِّبَةً مِنْ وَهْدٍ وَمِنْ أَكْمِ  
غَمَامٍ رَوْحٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُتَبَجِّسٍ  
بِالنُّورِ يُرَبِّي عَلَى مُتَعَجِّجِ الدَّيَمِ  
فَمَا صَبَحَتْ بِرِيَاضِ الْإِنْسِ نَاضِرَةً  
يُثَلِّفِي بِنَفْحَةِ رِيَاهَا جَوَى السَّقَمِ<sup>(١)</sup>

ويدعو ابن الفارض أطار الربيع لتسقي الصفا وأجباد:  
سَقَى بِالصَّفَا الرَّبْعِي رَيْعًا بِهِ الصَّفَا  
وَجَادَ بِأَجْيَادِ نَرَى مِنْهُ ثُرُوتِي  
مَخْشِيَةً لِدَاتِي وَسُوقَ مَارِبِي  
وَقَبْلَةَ أَمَالِي وَمَوْطِنَ عِزَّتِي<sup>(٢)</sup>

ويخصص الشاعر والمحصب:  
وَسَقَى الْمَشَاعِرَ وَالْمُحَصَّبَ مِنْ مَيِّ  
سَحَابًا وَجَادَ مَوَاقِفَ الْأُخْتِامِ

ثم يعمم دعوته لتَهطل بكل تلك الربوع:  
حَيَّا الْحَيَا تِلْكَ الْمَنَازِلَ وَالرُّبَى  
وَسَقَى الْوَلِيَّ مَوَاطِنَ الْإِلَامِ<sup>(٣)</sup>

(١) المجموعة التبهانية في المدائح النبوية ٤ / ٣٢

(٢) شرح ديوان ابن الفارض ١ / ٣٦٠ - ٣٦٣

(٣) شرح ديوان ابن الفارض ٢٦٥

ومن الدعاء ما ترفعه هذه الأم داعية لابنها الذي حجَّ عنها، كما ورد عن أسامة بن منقذ، قال: كان عمي نصر قد أخرج حجة عن والدته، فأراها في النوم كأنها تتشده، فانتبهه والأبيات على حفظه، وهي:

جُزِيتَ من ولدٍ برٍّ بصالحه  
فقد كسبت ثواباً آخرَ الزمنِ  
وقد حَجَّجتُ إلى البيتِ الحرامِ وقد  
اتيتُ زائراً يا خيرَ مُحَضَّنِ  
فلا تُنكِرْ يدُ الأيامِ ما طلعت  
شمسٌ وما صَحَّتْ وقَاءُ في فنٍّ<sup>(١)</sup>

وتملئ المدائح بالدعاء للمدوح، ويهمننا هنا الدعاء المرتبط بمكة، كما في هذا الدعاء الذي لكثرة ترداده كاد يفهمه الصطيم وزمزم، كما في مدح ابن حيَّوس لأمير الجيوش المظفر مصطفى الملك:

فلكثرة الدهواتِ في أرجائها  
قد كادَ يَفْهَمُهَا الحطيمُ وزمزمُ  
كلُّ الوَرَى داعٍ وجُلُّ دعائِها  
الأيَّزِيلُ اللة ظَلُّكَ عَنْهُمْ<sup>(٢)</sup>

ويكرر دعاء الخلائق لمُدَّوحه من حجاج بيت الله في مدحه للوزير الحسن بن عبدالرحمن اليازوري، فيقول:

دعْتُ لكَ بالبقاء وقد أُجِيبْتُ  
خلائقُ أمِّ البيتِ الحرامِ<sup>(٣)</sup>

وجميع المصرمين يدعون له:  
بهِجَةً أعياننا بقاؤك مَحْد  
روسنا قُبُطُيت ما بقي الأبد

(١) معجم الأبياء ٥٩٢/٢

(٢) نيدان ابن حيَّوس ٥٥٦ / ٢

(٣) نيدان ابن حيَّوس ٣٣٢ / ١

بِذَا دَعَا الْمُخْرِمُونَ مَذْنُورًا

مَكَّةَ فِي كُلِّ شَهْرٍ شَهْرًا<sup>(١)</sup>

ومن الدعاء في المذبح قول موفق الدين مكي خطيب خوارزم يمدح أبا العلاء  
الهمذاني، ويدعوله وهو بين الحجون والصفا، فيقول:

بَقِيَتْ بَقَاءَ الذَّهْرِ فِي النَّاسِ خَالِدًا

أَيَا خَيْرٍ مِنْ فِي الْأَرْضِ خَالًا وَوَالِدًا

لَتُرَوَّى أَحَابِيثُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَتَحْيَى مَسَانِيدًا وَتَزَوَّى مَعَانِدًا

فَهَذَا دَعَائِي بِالْحُجُونَ وَبِالصُّفَا

وَهَذَا مَرَامِي حَيْثُ مَا كُنْتُ سَاجِدًا<sup>(٢)</sup>

وهذا يزيد بن حبيب القشيري يرفع دعوته إلى الله هاتفاً:

وَمَا رَأَيْتُ الْهَاتِفِينَ وَرُفِعَتْ

إِلَى اللَّهِ بَيْنَ الْأَخْشَبِينَ السُّؤَالُ

دَعْوَتُ بَأْنِ يَا ذَا الْمَعَارِجِ وَالْعَلَا

أَرَى كُلَّ ذِي بَثٍّ بَكَ الْيَوْمَ هَاتِفُ

أَتُبْنِي بِإِحْسَانٍ جَمَالًا لِمَا تُنْثِي

لَكَ الْيَوْمَ عَانَ فِي الْعِبَادَةِ كَالْف<sup>(٣)</sup>

وما هم حجاج بيت الله الحرام يلجون بالدعاء للممدوح، كما يقول ابن حمديس مادحاً:

يَدْعُو لَكَ الْحَجَّاجُ عِنْدَ عَجِيجِهِمْ

وَصِيَاحِهِمْ بِالْبَيْتِ فِي تَرْحِيبِ

مَنْ كُلُّ أَشْعَثَ مُخْرِمٍ بَلَغَ الْخُنَى

بِمَنْئَى وَادْرَكَ غَايَةَ الْمَطْلُوبِ

(١) المصدر نفسه ١ / ٢٢٢

(٢) معجم الأدياء ٢ / ٨٢٨

(٣) شعراء بني قشير ٢ / ٢٥٩

يبكي بمكة والحُجَّون مرنداً  
وبيترب يدعو بلا تثرير  
فبقيت في العليا لتدمير العدى  
وغنى الفقير وفرجة المخروب<sup>(١)</sup>  
ويكرر ابن حمديس دعاء الناس للممدوح مشبهاً إياه بدعاء الحجيج، يقول:  
في كل بيت، نعمة ومسرّة  
شربوا سُلَافَتَهَا بلا حيزان  
ودعائهم لك في السَّمَاء مُحَلَّق  
حتى لضائق بقرضه الأفكان  
كحجيج مكة في ارتفاع عجيجهم  
وطوافهم بالببيت ذي الأركان<sup>(٢)</sup>

#### ● الاقتباس والتضمن

يمتاز الشعر في مكة بعد ظهور الإسلام من النبع القرآني الفياض، ولذلك فإنّ آيات الكتاب الكريم كانت ماثلة أمام عيونهم، بل تماثلهم سمعهم وأبصارهم، وعواطفهم وخيالاتهم، وفي كثير من الشعر كانت الصياغة الشعرية لمعاني والفاظ الآيات القرآنية هي الأسلوب الأمثل والمعبر عن الحالة أو الموقف، وكان الشعراء يقولون: لا يستطيع الشعر أن يفعل أكثر من ذلك، فالآيات القرآنية التي عبرت عن الموضوعات التي نظرت، لا يستطيع أن يدانيها قول، ومن هنا كان النقل والتضمن والاقتباس هو سبيلهم للتعبير، وقد غرف الشعراء من التعابير القرآنية الكثير، ولسنا بصدد الحصر، ومن الشواهد التي تدل على ذلك قول عبيدالله بن قيس الرقيات:

ليس لله حرمَةٌ مثل بيت  
نحن حُجَّابَةٌ عليه الملاء  
خُصِّمَتْهُ الله بالكرامة فالبا  
دونَ والعاكفون فيه سواء<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان ابن حمديس ٦٣

(٢) المصدر نفسه ٥٠٠

(٣) ديوان عبيدالله الرقيات ٨٧

وهو وجهة الناس أحياء وموتى كما في قول الفرزدق:

هو البيت الذي من كل وجه

إليه وجوه أصحاب القبور<sup>(١)</sup>

وعلى مدى العصور نجد هذه الاقتباسات كما نجد في العصر الحديث نهل بعض الشعراء كقول علي بن حسن أبو العلا:

بؤا الله لإبراهيمَ فيها

موضع البيت قلبى وبناها

عندها أن في الناس فقالوا

ربنا لببيك ربي من دعاها

اشترق التاريخ لما أنزلت

(اقرأ) وازدان باللفظ حلالها

أهلها قد آمن الله حياهم

في جوار البيت والمولى حماها<sup>(٢)</sup>

وإنت بلا شك عندما تقرأ هذا الشعر فإنك ستستحضر الآيات الكريمة التالية: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾<sup>(٣)</sup> وقوله تعالى ﴿وَأَنْتَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾<sup>(٤)</sup> وقوله تعالى: ﴿إِقرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾<sup>(٥)</sup> وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمْنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾<sup>(٦)</sup>.

(١) بيان الفرزدق ١ / ٣٥٠

(٢) مدخل الحمام ٢ / ٨٤٧-٨٤٨

(٣) سورة الحج ٢٦

(٤) سورة الحج آية ٢٧

(٥) سورة الفلق آية ١

(٦) سورة قريش ٤

فالآيات تنزلت في هذا المكان، وهذا نورها قد غطى كل الأنوار كما يقول حسين عرب:

حَرَمٌ آمِنٌ وَبَيْتٌ حَرَامٌ  
وَبِنَاءٌ مَطْهَرٌ أَرَاكَ  
وَالْأَسَابِيحُ وَالْأَرَاوِيحُ تُشْنَوِي  
وَجَنَى الْجَنَّةِ يُزِينُ مِنْهُنَّ دَانِ  
وَصَلَا الْأَرْضِ بِالسَّمَاءِ حَدِيثُ  
عَبْدِ قَرِيٍّ الظَّلَالِ وَالْأَمَانِ  
أَيَّةٌ بِعَدَدِ آيَةٍ بِعَدَدِ اخْبَرِي  
يَتَوَارَى مِنْ نُورِهَا الْخُيَّرانِ  
سُورٌ كَالنَّجُومِ بَلْ هِيَ اسْمِي  
بِالْمَعْنَانِي وَبِالْهَدَى وَبِالْبَيَانِ<sup>(١)</sup>

والنهل من القرآن الكريم يتضح في غالب القصائد، فصفاة مكة ومعاني تكرمها، وتصوير مكانتها يرجع إلى ما أتت به الآيات القرآنية، فقول طاهر زمخشري:

لَجِسْمِي الْبَيْتِ عِنْدَ أَكْرَمِ وَاوِدِ  
غَيْرُ ذِي الزَّرْعِ وَهُوَ رَوْضٌ نَضِيرُ  
لِلْقَدَاسَاتِ فِي ثَرَا مَهْجَطِ الْقُرْ  
قَانِ لِلْخَيْرِ وَهُوَ غِيضٌ وَغَيْرُ  
خَيْرٍ وَادِرِهِ الْقَدَاسَةُ تُجَنَّا  
لِي وَفِي الْعَنَتَيْنِ نَوُزُ وَنُورِ  
وَهُوَ مَهْوَى النَّفُوسِ يَهْفُو إِلَيْهِ  
كُلُّ قَلْبٍ بِرُحْمِهِ يَسْتَجِيرُ<sup>(٢)</sup>

هو في هذا السياق القرآني الذي سار عليه أغلب الشعراء، وإيراد آية أخرى يؤدي إلى النتيجة ذاتها.

(١) مكّي قبلي ٤٧ - ٤٨

(٢) المرجع نفسه ٩٦ - ٩٤



والمحدث الشريف مكانة واضحة في التناص والتضمن والاعتباس، كما نجد في قول علي السنجاري مضمناً حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها)<sup>(١)</sup> عندما علم الرسول صلى الله عليه وسلم بحضور زعامات قريش لمعركة بدر:

فَهَذَا مَكَّةُ الْقَتْلُحْمِ  
أَفْلَاذُهَا وَاجْتَمَعَ الْأَهْلُ<sup>(٢)</sup>

والشاعر عيسى السعلبوس يضمن الحديث الشريف في فضل الصلاة في الحرم المكي فيقول:

وَمَسْجِدُنَا بَيْنَ قَسْمَتَيْهِ  
عَلَى غَيْرِ لَيْسَ فِي ذَا مِرَا  
صَلَاةُ الْمُصَلِّي تُعَدُّ لَه  
مَلِكٌ الْوَقْتُ صَلَاةُ الْوَقْتِ  
كَذَلِكَ أَتَى فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ  
وَمَا قَالَ حَقٌّ بِهِ يُقْتَضَى<sup>(٣)</sup>

ويضمن الأميري قول عمر بن الخطاب المشهور في الحجر الأسود عندما قبله: (إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك)، فيقول الأميري:

الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ قَبْلَتُهُ  
بَشْفَتِي قَلْبِي وَكُلِّي وَتَه  
لَا لَعْنَتِي إِيَّاهُ نَافِعُ  
بَلْ لِهَيْيَامِي بِالَّذِي قَبْلَتُهُ  
مُحَمَّدٌ أَطْهَرُ أَنْفُسِهِ  
كَانَتْ عَلَى صَفْحَتِهِ مُرْسَلَةٌ

(١) سيرة ابن هشام ٢ / ٥٧٠ ولنظر معركة بدر في كتب السير

(٢) الإشراف على تاريخ الأشراف ٤١٧

(٣) إتحاف الوري ٢ / ٢٥٢

قَبْلَهُ وَالنُّورُ مِنْ نُفُوسِهِ  
يُشْرِقُ آيَاتُ هُدًى مُرْسَلَةٌ  
قَبْلَتْ مَا قَبْلَهُ ثَغْرَةُ الدُّنْيَا  
خَاطِقٌ بِالْوَحْيِ ابْتِغَاءَ الصَّلَاةِ<sup>(١)</sup>

ويقول طاهر زمخشري:

لَحْمَى الْبَيْتِ عِنْدَ أَكْسَرَمٍ وَارٍ  
غَيْرِ ذِي الزَّرْعِ وَهُوَ رَوْضٌ نَضِيرٌ<sup>(٢)</sup>

وقول محمد علي مغربي:

فَمَا كَانَ هَذَا الْبَيْتُ إِلَّا مَثَابَةً  
يَحْجُ إِلَيْهَا كُلُّ سَاعٍ وَطَائِفٍ<sup>(٣)</sup>

والشواهد لا تكاد تخلو منها قصيدة من القصائد التي تحدثت عن مكة، والإكثار منها زيادة لا تضيف جديداً، وإذ لك فالعودة للشعر تنبئك عن استخدام التضمين والالتباس بشكل وافر، لأن الموضوع معهود في كتاب الله الكريم، وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم.

#### • التصوير

صَوَّرَ الشعراء البيت الحرام وأركانه في المدح والثناء بصور إنسانية، فجردوا منه شخصاً يتشوق، ويتحرك، ويبكي ويضحك، وتنطق الأركان، وانظر إلى هذه الصور المشخصة في مدح شهاب الدين الفاسي للحسن بن عجلان:

سَافَرْتُ هُنَا فَكَانَ الْفَضْلُ الْمُسْتَفَرَّ  
وَقَدْ رَجَعْتُ فَكَانَ الْفَضْلُ الْمَحْضَرَّ

(١) ديوان مع الله ١١٦

(٢) مكّي قبلتي ٩١

(٣) المرجع نفسه ١٦٤

وحركة البيت أشواقاً إليك به  
لولا ثدومتك هم البيت بالسفر  
وكاد يبكيك المسعى وموقفه  
فيجمعان لفضل العين والائر  
وأوحش الحجز نورات الوقوف به  
ولما قدّ الأنس يحكي فاقد العمر  
وانطق الله ركنيه: بقيت لنا  
كلثمة الركن أو ثقبيلة الحجر<sup>(٥)</sup>  
على المقام يميئاً لا مقام له  
حتى ترى فيه في الأصل والبخر<sup>(٦)</sup>

وانظر إلى هذه الصورة المقابلة في الرثاء، فإذا كان البيت في شوق إلى الممدوح،  
وأركانه تهتز فرحاً وطرباً للقائه، فإنه في الرثاء يتذكر الحزن، وتتفرح جفونه من البكاء:

وغدا الصفا متكرراً وجفونة  
مُدَّ غاب لم تُحلّ بميل منام  
وعيون نزم أترحت وبموعها  
أسفا عليك على الدوام دوامي  
ومقام إبراهيم أمسى لابساً  
ثوب الحداد أسى وثوب سقام  
ولركن بيت الله وحشة ذاكر  
أبناً بقبيلة تغرّك البسّام  
ولطوفك البيت الحرام مكفناً  
نكسرى بطوفك حالة الإحرام<sup>(٧)</sup>

(٥) اشتغال في حركة الرمي (مكناً في الأصل)

(١) المقدم للشين ٦ / ٣١٥

(٢) غاية اللرام ٢ / ٦٣٦

ويشخص أبو الخير بن عبد القوي من مكة امرأة تبكي على عزل واليها، فيقول:

عيونُ مكة تبكي عزلاً حاكِمِها

أبي السعادات جالي ظُلْمَةَ الرُّبَيْبِ<sup>(١)</sup>

ونراها مرة أخرى مشخصة في شكل زوجة تبكي فقد زوجها، كما في رثاء شهاب

الدين بن خبطة لأبي القاسم بن عجلان وأخيه علي، فيقول:

وأمُّ القُصْرَى لولا بقاء أبي القُصْرَى

لأبناها كانت لَقُصْرَى قُصْبَر<sup>(٢)</sup>

ونكاد نجد الشيء ذاته في الشعر الحديث ولا داعي للإطالة.

\*\*\*\*

---

(١) إتحاف الوري ١٢٨/٣

(٢) غاية اللرام ٢٠٥ / ٧

القسم الخامس

---

من شعراء العشق المكي

---



## القسم الخامس

### من شعراء العشق المكي

من خلال العبور الزمني، فقد وجدنا العديد من الشعراء الذين تعلقت قلوبهم بمكة، وهفت نفوسهم إلى مشاعرها، وقد تخيرت عددًا من الشعراء، وجدت فيهم حرارة العاطفة، وشدة التلطف، وقد أبانوا في أشعارهم عن تعلقهم بها، وهم: (الشريف الرضي، والزمخشري، وابن جبير، ويحيى الصرصري، والبرعي، وابن معصوم).

الشريف الرضي،

أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الطاهر الملقب بذي المناقب، يصل نسبه إلى موسى الكاظم، ولذلك لُقِّبَ بالشريف الموسوي، وُلِدَ في بغداد سنة ٣٥٩هـ - الموافق ٩٦٩م وفيها تعلم، وتعمق في علوم القرآن واللغة وعلم الكلام، قال الشعر صبيًّا لم يجاوز العشر سنين بقليل كما يقول عنه الثعالبي في اليتيمة، وأثنى على شعره فقال: (يعد اليوم أبرد أهل الزمان، وهو أشعر الطالبين من مضى منهم ومن غير، على كثرة شعرائهم المفلقين كالحماني وابن طباطبا والناصر، ولو قلت أنه أشعر قریش لم أبعد عن الصدق).

إنه صاحب القول المشهور:

وَتَلَقَّيْتُ عَيْنِي فَمَدَّ خَفِيْتُ

عَلَيَّ الْحَبَارُ تَلَقَّيْتُ الْقَلْبُ

وهو الذي يرى نفسه في الفخر مساويًا للخليفة العباسي لا فرق بينهما سوى رسوم

الخلافة كما يقول:

عَطْفًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا

فِي نَوْحَةِ الْغُلِيَاءِ لَا نَتَفَرَّقُ

ما بيننا يوم الفَخَارِ تفاوتٌ  
أبدًا كلانا في المعالي مُتَفَرِّقٌ  
إلا الخِلافةَ مَيِّزُكَ فَإِنِّي  
أنا عاطلٌ منها وأنتَ مُطَوِّقٌ

ويعتمد أمات الشريف الرضي في الحنين والاشتياق إلى أهل المعلى والخيف،  
وهو ينشد قلبه الذي ضاع منه بين المزيلفة ومعنى:

أيُّهَا الرَّائِحُ الْمَغْدُوحُ  
حاجةٌ للمعشَّبِ المشتاقِ  
أَقْرِ عَنِّي السَّلامَ أَهْلَ الْمُصَلَّى  
وبلاغُ السَّلامِ بِعَدِّ التَّلَاقِ  
وَإِذَا مَا مَرَزَتْ بِالْخَيْفِ فَاشْهَدْ  
أَنْ قَلْبِي إِلَيْهِ بِالْأَشْوَاقِ  
وَإِذَا مَا سُدَّتْ عَنِّي فَقُلْ: نَحْبُ  
وَهُوَ مَا أَظُنُّهُ الْيَوْمَ بَاقِ  
ضَاعَ قَلْبِي فَأَنْشُدْهُ لِي بَيْنَ جَمْعٍ  
وَمَعْنَى عِنْدَ بَعْضِ تِلْكَ الْحِرَادِ  
وَأَبْكَ عَنِّي فَطَالَمَا كُنْتُ مِنْ قَبْ  
لَنْ أَعْيِرَ الدَّمُوعَ لِلْمَعْشَاقِ<sup>(١)</sup>

وهو يبعث التحية الخالصة لتلك الأماكن الغالية على قلبه، إنها تحية الحب الخالص  
والذكرى اللوعة لكل مكان نزل فيه وهو حاج، ويجري حوارًا مع صاحبه يصدع القلب حين  
تشكر القلوب حرَّ شوقها لبعضها البعض، وما أن يحاول صاحبه أن يثنيه عن بكائه لفراق  
الديار، ويذكره بالنفر والتجهيز للعودة والسفر حتى يبذل معه فضل رده، كما في هذه  
التحية الرقيقة العذبة:

حَيُّ بَيْنَ النَّقَا وَبَيْنَ الْمُصَلَّى  
وَأَفْكَاتِ الرِّكَائِبِ الْإِنْضَاءِ

(١) ديوان الشريف الرضي ٧٩ / ٢



وَزَوَّاجَ الْحَجَّاجِ لَيْلَةَ جَفْعٍ  
 وَبِجَمْعِ مَجَامِعِ الْأَهْوَاءِ  
 وَتَذَكُّرِ عَنِّي مَنَاحِ مَطِيِّي  
 بِأَعَالِي مَنِيٍّ وَمَنْزِلِي خَيْبَالِي  
 وَتَعَمُّدِ ذِكْرِي إِذَا كُنْتُ بِالْخَيْبِ  
 لِقِي لُظْفِي مِنْ بَعْضِ تِلْكَ الْقُلُوبِ  
 قُلْ لَهُ: هَلْ ثَرَاكَ تَذَكُّرٌ مَا كَا  
 نَ بِيَابِ الْقُبَيْبَةِ الْحَمْرَاءِ  
 قَالَ لِي صَاحِبِي غَدَاةَ الْفَقْدَانِ  
 نَلْشَاكِي حَزْرَ الْقُلُوبِ الْفُتَّانِ  
 كُنْتُ خَبِيرْتَنِي بِأَنَّكَ لِي الْوَجْدُ  
 دَعَقِيْدِي، وَأَنْ دَاكَةَ دَالِي  
 مَا تَرَى النَّفْسَ وَالنَّحْسَ لِلْبَيْدِ  
 مِنْ قِمَامٍ إِذَا انْظَرْنَا لِلْبُكَامِ  
 لَمْ يَقُلْهَا حَتَّى انْفَضَّتْ لَهَا بِي  
 اتْلُقْ بِمَعْنِي بِفَضْلِ رِدَالِي<sup>(١)</sup>

وهذا الذي ترونه حرًا طليقًا، هو في حقيقة الأمر أسيرٌ عانٍ، أسره المكان حتى ما  
 عاد يقوى على التفكير بمغامرته، فلتقلوا اللوم والعزل أيها الأصحاب، ولا تعجبوا من  
 حالته التي ترونها عليها، فهو يسمع ما لا تسمعون، ويرى ما لا ترون، وإن كانت الأنثان  
 عاجزتين عن السمع، فقلبه يقظ، وجنانه سامع لهمسات الحنين التي تتواصل بينه وبين  
 هذه الأرض المقدسة:

تَعَجَّبْ صَاحِبِي مِنْ بَغَالِي وَأَنْكُرُوا  
 جَوَابِي مَا لَمْ تَسْمَعْ الْأَنْثَانِ

(١) المصدر نفسه ١ / ٣٥

فقلت نعم لم تسمع الآن دعوة  
 بلى إن قلبي سماعٌ وجناني  
 ويا ايها الركب اليمانون خبروا  
 طليقاً بأعلى الخيف أنني عاني  
 ويا صاحبي زحكي اقلأ فإني  
 رايتُ بقلبي غيرَ ما تُريان  
 ولم يبقَ من أيام جُمُع إلى منى  
 إلى موقف التجمير غيرُ اماني  
 تعلل داهي بالعراق طماعةً  
 وكيف شيفائي والطبيبُ يمانى<sup>(١)</sup>

ويصدح قلبه البعد، ويتسأل عن الريح، وهل بقي كعهده ؟ ويعتذر لعاذلته التي تلومه  
 على انشغاله بتذكر تلك المواطن، فيناشدها أن تكف عن عذله، فالأمر خارج عن إرادته،  
 وكيف يسلو وليس له قدرة على ذلك، كما في قوله:

قبلنا صاحبني اليوم أسأل ساعة  
 ولا أرجعاً سمعي بغير بيان  
 هل الرئغ يخذ الظاعين كعهدهم  
 وهل راجع فيه علي زمانى ؟  
 وهل من ذاك الشيوخ عرنين ناشور  
 وهل ذاق ماءً باللوى شفتان ؟  
 لقد غدر الأظعان يوم سؤيقة  
 وينمى لذكر الغادرين بناني  
 لك الله هل يخذ الصدور تحطفاً  
 وهل بعد ريعان البعادر تدانى ؟  
 وعاذلة قرط لأذني عذتها  
 تلوم ومما لي بالسئو يدان

(١) نيدان الشريف الرضي ٥٢٢/٢

أَعَانِيَتْكِ لَوْ أَنَّ قَلْبَكَ كَانَ لِي  
 سَلَوْتُ، وَلَكِنْ غَيَّرَ قَلْبَكَ عَانِ  
 إِلَّا لَيْتَ لِي مِنْ مَاءِ يَنْثَرِينَ شَرِيَةً  
 الذُّ لِقَلْبِي مِنْ غَرِيضٍ لِيَبَانِ  
 ادَاوِي بِهَا قَلْبًا عَلَى النَّأْيِ لَمْ تَذَعْ  
 بِهِ فَتَكَاتُ الشُّوقِ غَيْرَ حَنَانٍ<sup>(١)</sup>

ويمتدُّ حبل الشوق، ويشتدُّ عندما يرى الراكب الراحلين إلى مكة، وهو مقيم بأرض العراق، هو بالعراق ودواءه هناك، إنه ليدع في هذا الموطن البعيد، يبتغي رقية ذاك الموطن الحبيب، يقول:

اقْـسُولُ لِرَجَبٍ رَاحِلِينَ لَعَلَّكُمْ  
 تَحِلُّونَ مِنْ بَعْدِي الْعَقِيقَ الْيَمَانِيَا  
 خُذُوا نَظْرَةً مِنِّي فَلَاقُوا بِهَا الْحَمَى  
 وَتَجَدُّوا وَكُتِبَانَ اللَّوَى وَالْمَطَالِيَا  
 وَمُرُّوا عَلَى أَبِيبَاتٍ حَيٍّ بِرَامَةِ  
 فَاقُولُوا لِدَيْغٍ يَنْتَفِيهِ الْيَوْمَ رَاقِيَا  
 غَدِمْتُ دَوَائِي بِالْعِرَاقِ فَرِيْمَا  
 وَجَدْتُمْ بَنَجْدِلِي طَبِيبًا مُدَاوِيَا  
 وَقُولُوا لَجِيرَانَ عَلَى الْخَيْفِ مِنْ مَيْي  
 ثَرَاكُمُ مِنْ اسْتَنْبِذِكُمْ بِجَوَارِيَا  
 وَمَنْ وَدَّ الْمَاءَ الَّذِي كُنْتُ وَارِدًا  
 بِهِ وَزَعَى الرُّؤُفْنَ الَّذِي كُنْتُ رَاعِيَا  
 قُوا لَهْفَتِي كَمْ لِي عَلَى الْخَيْفِ شَهَقَةٌ  
 تَذُوبٌ عَلَيْهَا قِطْعَةٌ مِنْ فُؤَادِيَا

(١) ديوان الشريف الرضي ٢ / ٥٢٢ - ٥٢٣

ترخلتُ عنكم لي امامي نظرة  
وعشر وعشر نحوكم لي ورائيا<sup>(١)</sup>

ويتحسر على تلك الايام الخالية التي جمعتها بأحبابه في جمع ومنى، وفيها يتحول  
الحنين والشوق إلى الغزل، ولعله غزل إيحائي رمزي، كما في هذه الايات:

مَنْ مَعِي لِي اَنَا  
مي بجوزع السُّمُراتِ  
وليالي بججمع  
ومينى والجسمُراتِ  
يا وقوقنا ما وقفنْ  
في ظلال السُّمُراتِ  
تُششاكى ما عنانا  
بكلام القُمراتِ  
أم من جبيد إلى الدا  
ر طويل اللُفُراتِ  
وغرام غيير ماضٍ  
بلقُعام غيبراتِ  
فسسقى بطنَ ملى والـ  
خَيْفَ صَوْبِ الغاياتِ  
اين راقٍ لفرامى  
وطبيب لبيب ليشكاتى<sup>(٢)</sup>

وكما قلت فالشريف الرضي يخلط الشوق بالغزل، ولعل سائلاً يسأل اهي طريقة ابن  
ابي ربيعة ؟ حيث التفزل بالحاجات، والحديث عن جمال راميات الحصى، أقول: هناك  
فرق بين غزل عمر بن ابي ربيعة، وغزل الشريف الرضي، فالشريف يتوسل بالغزل ليعبر  
عن شوق عارم لتلك الأماكن، بينما عمر ليس في حاجة إلى ذلك إذ هو من المقيمين بتلك  
الديار، ثم إنَّ إحساس الشريف الرضي بالبعد في العراق، وهذه الأرض هي أرض النبوة  
وأرض أجداده، يجعله يشتد في إثرها مستغلاً الغزل ليعبر عن هذه الصميمية التي تجمعها  
بهذه الأماكن، فهذه الظباء الرائحات الغايات اللواتي يرمن بعيونهن النجل قبل الرمي  
بالحصيات، ويمقرن القلوب قبل عقرهن الأضحيان، ما هنَّ إلا تلك الأشواق والعواطف  
الحارة، يتمثلها هذا العاشق المحب لهؤلاء الفتيات، كما في هذه الايات:

(١) ديوان الشريف الرضي ٢ / ٥٧٠ - ٥٧١

(٢) المصدر نفسه ٢١٧

وَقَلْبَاءُ حَتَّى الْيَمِينَاتِ  
 كَقَلْبَاءِ عَمَّا طَلَاتِ  
 رَا حَمَاتِ فِي جِلَابِ  
 حَبِ الدُّجَى مُخْطَمَاتِ  
 رَامِيَاتِ بِالْعِيُونَ النَّ  
 مُجَلِّ قَلْبَلِ الْخَمَاتِ  
 أَلْفَاتِ فِي الْقَلْبِ رَا حَمَاتِ  
 أَمْ لَمَقَاتِ فِي الْبُشَاتِ  
 كَكَيْفِ أَوْدَعْتُ فِئَادِي  
 أَطَيْتُنَا غَيْرَ نَقَاتِ  
 أَيُّهَا الْقَانِصُ مَا أَحَدُ  
 سَنَنْتُ مَتَيْتُ فِي الظُّبَاتِ  
 فَهَاتِكِ السُّؤْرُبَ وَمَا زُوْ  
 وَبِتْ غَيْرَ الْخَسَرَاتِ  
 نَظَرُ يَهْدُنِي قَلْمُنَا  
 كَلَّ عَيْنَ بَقَا ذَا  
 كَمْ نَأَى بِالسُّفَرَاتِ  
 مِنْ غَزَالٍ مِنْ مَهْمَاتِ  
 أَوْ مِنْ جَبِيصٍ إِلَى الدَّ  
 رَكَتِي فِي الْفُتَاتِ  
 وَغَرَامِ غَيْرِ مَا ضَرِ  
 بَلَقَامِ غَيْرِ أَرَاتِ  
 فَسَنَفِي بَطْنِ مِثْنٍ وَالِدِ  
 خُفِيَتْ مَتَوْبَةُ الْغَايَاتِ  
 وَزَمَانًا نَأَمَ الْعُتْدُ  
 ذَالِ مَامُونَ الْوَلَدَاتِ  
 فِي لَيْلِ الرُّكَّالِ  
 بِالْغَوَانِي مُقَمَّرَاتِ (١)

(١) نعيان للشريف الرضي ١ / ٢١٧ - ٢١٨



كَمْ كَرِهَ مَقْفُورٌ  
 لِلْعَاقِرِينَ الْبُؤْسُ  
 بَاعُوا نَفْسَهُمْ  
 عَلَى الْقُلُوبِ أَعْيُنًا  
 يُورِقُ مِنْهُمْ الْحَصَى  
 حَتَّى يَكَادُ يُجْزَى  
 لِيُؤْهِنَ مَنْ لَمْ يَفْقَهُ  
 إِنَّا لَقَيْنَا الْفِتْنَةَ (١)

والمتتبع لديوان الشريف الرضي، يجد العديد من القصائد التي تبدأ بالشوق والحنين، ويقف على كثير من المقطعات المترعة بالنزوع إلى المكان، لقد كان إناء الشريف الرضي مفعماً ومترعاً بعاطفة الحنين إلى مسقط رؤوس الآباء والأجداد، وظل هذا الشوق ينازعه على الرغم من مداواته أحياناً بالسفر إليها حباً وعمرة.

الزمخشري،

هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد، وكنته أبو القاسم، ولُقّب بجار الله، لجوارته بيت الله، ونسب إلى بلده زَمْخْشَر في خوارزم، ولد سنة ٤٦٧هـ - في وقت كان النشاط العلمي والأدبي في ازدهار، ذكر من ترجم له كابن خلكان أنه رجل في طلب العلم إلى بخارى، ثم عمل في التدريس، متنقلاً في كثير من بلاد فارس، لكنه رغب في السفر إلى مكة، والمجاورة هناك، وفي ظلال البيت العتيق، تطول مدة بقاء الزمخشري معلماً ومؤلفاً للتصانيف المختلفة، كما يقول في ذكر تأليف كتابه الكشف في التفسير:

وَتَمَّ لِي الْكَشْفُافُ ثُمَّ بَبْلَدُ  
 بِهَا هَبَطَ الْغَزِيلُ لِلْحَقِّ كَاشِفًا  
 عَلَى بَابِ أَجِيَامِ بَنِي لِي مَنَزَلًا  
 كَرَكَنٍ شَمَامٍ بِالْحَصَفِ مَتَوَاصِلًا

(١) ديوان الشريف الرضي ٢ / ٤٨٠ - ٤٨١

وانشَقَّ في إتمامه من تلاوة

نسيلات وزن في البلاد خفافها<sup>(١)</sup>

ومع حبه لبلاده إلا أنه يرحل عنها، والدافع إلى هذا الرحيل بداية هو شعوره بعدم التقدير، كما ورد ذلك في قوله:

أحبُّ بلاد الله شرقاً ومغرباً

إليّ التي فيها غُذيتُ وليدا

ولكن تواسي بالكرامة غيرها

وهذي أرى فيها الهوان عنيدا

ومما منّزل الإلال للحصر منّزلاً

وإن كان عيش الحر فيه رغيدا

سأرحل عنها ثم لستُ براجع

وأضربُ مرمى في البلاد بعيدا<sup>(٢)</sup>

ويتحول إلى مكة، وفيها يقضي سنوات طويلة من عمره، ويلقى عيشاً طيباً في حمى شريف مكة ابن وهاس، الذي يقول فيه:

بمكة أُميتُ الشريفَ وفتية

حواليه من آل النبي غطارفا

يُتسابع إن نوظرت رداءً لشاهب

وينهض إن نوكرت نرداً مكاتفا

مضى قبل العلامة انتفضوا له

وحبوه حيا الله تلك المعارفا

وكان ابن وهاس لجنبي فارسفا

كما تفعل الأم الحفيّة لاحفا<sup>(٣)</sup>

(١) الأدب العربي في إقليم خوارزم ٢٤٤

(٢) الأدب العربي في إقليم خوارزم ٢٢٨

(٣) المرجع نفسه ٢٢٢ الردء: المعين. والردء: الدفع. والحفية: التي تتألف في الإكرام



ويعد طول إقامة في مكة يهزه الشوق والحنين إلى مسقط رأسه، فيبعث هذه الأبيات من مكة إلى الوزير منتجع الملك في بلاده، يقول فيها:

إليك يهـ — رُني الحب المطاعُ  
ويشكرني لرؤيتك التزاعُ  
فهل لك يا شقيق النفس علمُ  
بما أنبـ — ات عنه وأطلعُ  
ولو اني قدرت لمرت شوقاً  
بحرف رخطوها خطو زماعُ  
وكنـت بحبيث يوصلني إليكُ  
غـ — دوي أو رواحي لأراعُ  
وفي غـ — دواء دارك عن دياري  
أراقب زورة لا تُستطاعُ<sup>(١)</sup>

وتسمح الأيام، ويعود لبلده، ولكنه ما أن يصل إليها، حتى ينازع الشوق لمكة، ويندم ندامة الكسبي، ويبكي بكاء الحنين الواله، ويصور بعده عن مكة تصويراً فيه من شدة الندم ما فيه من شدة التحسر والالـم، يقول:

بكاء على أيام مكة إن بي  
إليها حنين النيب فاقدة البكر  
تذكرت أيامي بها فكأنني  
قد اختلفت زرق الأسنة في صدري  
ابيت على المنخر المبارك باكياً  
كما أحر النساء تبكي على منخر  
وحين تخطينا المناقب وارتمت  
بنا العيس تهوي في مسالكها القفر  
وشط بأصحابي عن البطح السرى  
ولط الجبال المشتمخرات بالسرى

(١) المرجع السابق ٢٢٨

وَقُلْتُ: أَلَا أَيْنَ الْخَطِيمُ وَزَمِزَمَ  
 وَمَا لِي مُحْجُورًا عَنِ الرِّكْنِ وَالْحِجْرِ  
 صَفَرْتُ وَرَاءَ الْغُورِ صَفْرَةً مَقْلَمِ  
 رَأَى يَدَهُ صِفْرًا مِنَ الْبَيْضِ وَالصُّفْرِ  
 وَقُلْتُ لِقَلْبِي قَدْ مَلَكْتَ مَرَّةً  
 فَمَا أَنْتَ إِلَّا طَائِرٌ طَارَ فِي وَكْرٍ<sup>(١)</sup>

ويعود يهزه الشوق إلى مكة، ويرى أنه باع بالخسران، وأن صفقة العودة إلى بلاده كانت صفقة خاسرة، فيرسل أعذب الألحان، ويذكر آخر الآيات، قائلاً:

الْبِتَاحُ بِالْفَوْزِ الشُّقَاوَةُ خَاسِرًا  
 وَاسْتَبْدَلَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةَ بِالْأُخْرَى  
 إِذَا خَطَرْتُ بِالْبَيْتِ لَكَرَى إِنَّا خِشْيَ  
 عَلَى حَرَمِ اللَّهِ اسْتَفْزَنْنِي الدُّخْرَى  
 أَكَايِدُ لَيْلًا كَالْيَالِي وَحَسْرَةً  
 وَدَمْعًا غَزِيرَ الْمُسْتَنْقَى غَائِرَ الْمَجْرَى  
 وَادْعُو إِلَى السُّتُلُونِ قَلْبًا جَوَابَةً  
 لِدَاعِيهِ مِهْرَاقٍ مِنَ الْمُفْطِنَةِ الْعَبْرَى  
 وَمَا عُدُّ مَطْرُوحٍ بِمَكَّةَ رَحْمَةً  
 وَرَبُّكَ لَا عُدْرًا، وَرَبُّكَ لَا عُذْرًا<sup>(٢)</sup>

ويعود المياه إلى مجاريها، ويعود الجار مجاورًا، فتصفو له المشارب، تمامًا كما يعود اللبث لعربته، والسيف لقرابه، كما يقول:

أَنَا الْجَارُ جَارُ اللَّهِ مَكَّةَ مَرْكَزِي  
 وَمَخْزِيًّا أَوْتَادِي وَمَعْقِدُ أَطْنَابِي  
 وَمَا كَانَ إِلَّا زُورَةً نَهَضْتِي إِلَى  
 بِلَادِهَا أَوْطَانُ رَحْطِي وَاحْبَابِي

(١) المرجع نفسه ٢٢٩

(٢) المرجع السابق ٢٣٠

فلمّا قَضَتْ نَفْسِي وَلِلَّهِ دَرْهَا  
لبانة دارِ زَنْدُهَا غَيْرُ خِيَابِ  
كَرَرْتُ إِلَى بَطْحَاءِ مَكَّةَ رَاجِئًا  
كَأَنِّي أَبُو الشَّيْبِلِينَ كَرُّاً إِلَى الْغَابِ<sup>(١)</sup>

ولكن حنين المشتاق يعاوده، فينهض إلى بلده مرة أخرى، وفيها وإفاهُ أجله، فقال أحد تلامذته يرثيه:

فَارَضَ مَكَّةَ تَذْرِي الدَّمْعِ مَقْلُتْهَا  
حَزَنًا لِفِرْقَةٍ جَارِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ<sup>(٢)</sup>

هكذا كانت نهاية جار الله بعيداً عن البيت الذي أصفاه خالص الحب، وأبان في شعره عن عاطفة صادقة، وارتباط أكيد ببيت الله الحرام.

ابن جبير:

محمد بن أحمد بن جبير الكثاني، كان أجداده من الداخلين إلى الأندلس مع الطوابع الأولى للفتح الإسلامي، أديب وشاعر ورحالة، شهر بأدب الرحلة أكثر مما شهر بالشعر على الرغم من وجود ثلاثة دواوين من الشعر له: أحدهما متوسط الحجم لم يذكر اسمه، والثاني بعنوان (نتيجة وجد الجوانح في تلبين القرين الصالح) في رثاء زوجته، وهذا يدل على عظم المحبة والوفاء، والثالث بعنوان (نظم الجمان في التشكي من إخوان الزمان) ولم يعثر على هذه الدواوين، لكن ما ورد له من شعر في المصادر الأندلسية يدل على شاعرية رقيقة ومتمكنة. ويعد عبد القدوس الأتصاري من الموهوبين الأفاض الذين منحوا موهبة السمو في الشعر والنثر معاً، ويثني على شعره فيقول: (ما أطلعنا عليه في كتابي الإحاطة ونفع الطيب من شعره يدلنا على مدى تدفق شاعريته وفحولته، فهو في الأدب مزدوج الإنتاج: نثره بديع في مستوى عال لفظاً ومعنى، وشعره في منزلة رفيعة من الشعر العربي الرصين أهدافاً ومبنى)<sup>(٣)</sup>.

(١) للمرجع نفسه ٢٢٠

(٢) المرجع نفسه ٢٢٠

(٣) مع ابن جبير في رحلته لعبد القدوس الأتصاري ٥١

كان همه الارتحال بدءاً إلى البيت الحرام، لقضاء الحج وزيارة الأماكن المقدسة، وفي ذلك يقول أبو عبدالله المراكشي عنه: (ولم يزل دأبه تمنى الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، وفي ذلك يقول):

هَذَا مَنْ حَجَّ بَيْتَ الْهُدَى  
وَحَطَّ عَنْ الْفُفْسِ أَوْزَارَهَا  
وَأَنَّ السُّعَادَةَ مَضْمُونَةٌ  
لِمَنْ حَلَّ طَيْبَةً أَوْ زَارَهَا

وفي مثله يقول:

إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ أَرْضَ الْحِجَازِ  
فَقَدْ نَالَ أَفْضَلَ مَا أُمِّلُهُ  
وَأِنْ زَارَ قَبْرَ نَبِيِّ الْهُدَى  
فَقَدْ اكْتَمَلَ اللَّهُ مَا أُمِّلُهُ

وله في هذا المعنى كلام كثير نظماً ونثراً.. ومنه مقالة سماها (رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار والمناسك)<sup>(١)</sup>.

ولما تم فتح بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين سنة ٥٨٢هـ، كان ذلك من أقوى الأسباب ليقوم برحلته الثانية كما يقول أبو عبدالله المراكشي، فتحرك لها من غرناطة أيضاً يوم الخميس لتسع خلون من ربيع الأول من سنة خمس وثمانين، قال: وقضى الله برحمته لي بالجمع بين زيارة الخليل عليه السلام، وزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وزيارة المساجد الثلاثة، وفي رحلاته هذه ألف كتابه المشهور المسمى برحلة ابن جبير، وهذا العلم الرحالة له من الأشعار ما يعدُّ فيها شاعراً.

وتغلب على شعره تلك النزعة العاطفية القوية، ظهر أثرها في هذا الشوق العظيم الذي أيداه في حنينه إلى مكة.

(١) الذيل والتكملة ٥ / ١ / ٦٠٤

إنَّ هذا الشاعر البعيد الدار يحنُّ إلى مكة حنين الواله، وشوق المستهام، ويعلن أنَّ سبب ارتحاله هو الوصول إلى البيت الحرام، وكأنَّ هذه الأمتية كانت السبب في جعله من أشهر الرحالة في تاريخنا الجغرافي، يقول عندما تحرك للرحلة الحجازية:

اقولُ وقد دعا للخيرِ داعٍ  
حنَّتُ له حنينَ المستنهمِ  
حرامٌ أن يلدَّ لي اغتماضُ  
ولم ارحلْ إلى البعيدِ الحرامِ  
ولا طافت بي الأمـالُ إن لم  
أطفأ ما بين زمزمَ والمقامِ  
ولا طابت حبيباتُ لي إذا لم  
أزف في طيبةٍ خيرَ الأنامِ  
واهديه السُّلامَ وأقضى فيه  
رضى يُدني إلى دار السُّلام<sup>(١)</sup>

فبعد أن يحرمَّ النوم على عينيه، ويدعو على نفسه بأن لا تطوف به الآمال، ولا تطيب له الحياة إذا لم يزر تلك الأماكن، فإنه ينادي وقد الله من شدة الشوق الذي يرح به، حتى سالت دموعه على البعد وهو هناك بأرض المغرب، فيقول ولهيب الشوق يلفح حروفه وقلبه:

يا وفودَ الله فزتمْ بالمنى  
فهنيئاً لكم أهل ملى  
قد عرفنا عرفاتكم بعدكم  
فلهذا برح الشوقُ بنا  
نحن بالمغرب نُجري ذكركم  
وغروب الدمع تجري بيننا<sup>(٢)</sup>

(١) تلح الطيب ٢/٢٨٤

(٢) المغرب في حلى المغرب ٢/٢٨٥

ويشاء الله له أن يحصر مسافراً، وتتم له أمنيته، فلما بدت له مناظر الحرم وأعلامه،  
هتف من صميم مشاعره:

بَدَتْ لِيْ أَعْلَامُ بَيْتِ الْهُدَى  
بِمَكَّةَ وَالنُّورُ بَادِرٌ عَلَيْهِ  
فَاحْرَمْتُ شَوْقًا لَهٗ بِالْهَوَى  
وَاهْدَيْتُ قَلْبِيْ هَدًى إِلَى الْبَيْتِ<sup>(١)</sup>

ولما وصل ابن جبير إلى مكة أحسَّ بعوبة الروح والشباب إلى جسده، فأنشد  
قصيدته التي أولها:

بَلَّغْتَ الْهَمْنَى وَحَلَلْتَ الْحَرَمَ  
فَمَعَادُ شَيْبَابِكَ بَعْدَ الْهَرَمِ  
فَإِهْلًا بِمَكَّةَ أَهْلًا بِهِمَا  
وَشُكْرًا لِمَنْ شُكْرُهُ يُؤْتَى<sup>(٢)</sup>

ولا تبحر مخيلته تلك الأماكن المقدسة، فهو يستعيدها كلما أثاره مثير، فما هو يهنئ  
المجيع العائدين من رحلة الحج، فيقول:

هَنِيئًا لِمَنْ حَجَّ بَيْتَ الْهُدَى  
وَحَطَّ عَنِ النَّفْسِ أَوْزَارَهَا<sup>(٣)</sup>

وتتكرر هذه التهنئة منه لحجاج بيت الله، وكأنني به يسمي بهذه التهنئة ليشعر ببرد  
غليل شوقه لتلك الأماكن التي ملكت عليه كل مشاعره، وهذا التمني الذي يغلب على  
القصيدة يدل على يرح الشوق، وما تعداد كل المشاعر إلا لكونه يستحضرها تلذذاً،  
ويعيدها إلى ذاكرته استشفاءً، ونلاحظ في هذه التهنئة: الشكوى من البعد عن مكة، ودعوة  
الخيال واستحضاره، ولعمان البرق الذي يذكر بما مضى من تلك الذكريات، يقول:

(١) نفع الطيب ١٩٢/٢

(٢) نفع الطيب ١٩٢/٢

(٣) الذيل والتكملة ١٩٩/٢ - ٦٠٠

يا وفود الله فزتم بالمنى  
 فهنيئاً لكم أهل منى  
 قد عرفنا عرفاتكم  
 فلهذا برح الشوق بنا  
 نحن بالمغرب تجرى نكركم  
 فغروب الدمع تجري هتنا  
 انتم الاحباب تشكو بعدكم  
 هل شكوتم بغتنا من بغنا  
 علنا نلقى خيالاً منكم  
 بلنيد الذكركم وهنا غنا  
 لو حنا الدهر علينا لقصفتي  
 باجتماع منكم في الضحى  
 لاح برق موهنا من ارضكم  
 فلعمرى ما هنا العيش هنا  
 صدى الليل وميضنا وسنا  
 فأتينا ان ندوق الوسنا  
 كم جنى الشوق علينا من اسى  
 عاد في مرضاتكم خلوا الجننا  
 ولكم بالخسيف من قلب شج  
 لم يزل خوف النوى يشكو الضنى  
 ما ارتختي جائحة المنيرة  
 سكنا منذ به قسد سنا  
 فسيدايه على شخط النوى  
 من لنا يومنا بقلب منا  
 سمر بنا يا حادي العيس عسى  
 ان تلاقى يوم جفع جمنا

مَا عَنَى دَاعِي الْهُوَى لَمَّا دَعَا  
غَيْرَ صَبٍّ شَفُفَةٍ بِزُحْ الغَنَا  
شِيمَ لَنَا الْبَرْقُ إِذَا لَاحَ وَقُلْ  
جَمَعَ اللَّهُ بِجَمْعٍ شَتَّى مَطْنَا

وتبقى مكة تملك على شاعرنا عقله ولبه، حتى في المدح نجده يذكرها، فيقول في مدح السلطان صلاح الدين الأيوبي:

أَطَلْتُ عَلَى أَفْـ\_\_\_\_قِكَ الزَّاهِرِ  
سَمْعُـ\_\_\_\_وَةٍ مِنَ الْفَلَـ\_\_\_\_كِ الدَّائِرِ  
فَكَمْ لَكَ بِالشُّرْقِ مِنْ حَامِدٍ  
وَكَمْ لَكَ بِالْغَرْبِ مِنْ شَاكِرٍ  
وَكَمْ بِالْدَعَاءِ لَكُمْ كُلِّ عَامٍ  
بِمَكَّةَ مِنْ مُـ\_\_\_\_طَلِّينَ جَاهِرِ

ومع ذلك فالشوق يدفعه إلى بقاع ثلاث، فإذا كانت مكة الهوى، فإن المدينة المنورة، وزيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام يطير لها القلب، ويبقى الركن الثالث وهو القدس الشريف، وفي ذلك يقول:

طَالَ شَوْقِي إِلَى بَقَاعِ ثَلَاثِ  
لَا تُشَدُّ الرِّجَالُ إِلَّا إِلَيْهَا  
إِنْ لِلنَّفْسِ فِي سَمَاءِ الْأَمَانِي  
طَائِرًا لَا يَحُومُ إِلَّا عَلَيْهَا  
قُصُّ مِنْهُ الْجَنَاحُ فَهُوَ مَهِيضٌ  
كُلُّ يَوْمٍ يَرْجُو الْوَقُوعَ لَدَيْهَا

ومع شدة هذا الشوق الذي يبديه ابن جبير إلى هذه الأماكن المقدسة، فإن عاطفته التي تنزع به إلى بلده تبقى واضحة قوية، وهو ما سميناهُ بالشوق العكسي، وهو إبداء الشوق إلى الوطن بعد انتهاء زيارته للأماكن المقدسة، وابن جبير يظهر هذه العاطفة الرقيقة على الرغم من شدة شوقه للمسفر، وفي أهله يقول عند الوداع:



أقولُ وقد حانَ الوداعُ وأُسْلِمْتُ  
قلوبُ إلى حُكْمِ الأُمى ومُـدَامُ  
أيا ربَّ أهلي في يديكَ وديعـةُ  
وما عَدِمْتُ صَـوْئاً لَدَيْكَ الودائعُ

ويتذكر أوطانه فيصدر هذه الأثَّة الحزينة، فالغربة مهما كانت أسبابها ودواعيها تبقى شديدة على النفس، وما هو يحل ويعقد بانتظار الفرج، يقول:

غـَـرِيبٌ تَذَكَّرَ أوطانهُ  
فـهـيْجُ بالذَكرِ الشَّجَانهُ  
يَحُلُّ غـمـرُ صـبـرٍمِ بالأُمى  
ويعقدُ بالنجمِ أجفانهُ

ويبقى الشوق إلى الوطن يعتمر فؤاده، ويلهب عاطفته، وتبقى عيونه معلقة هناك في الأندلس:

لي نحو أرضِ العُنى من شَرقِ أندلسِ  
شوقٌ يُؤَلِّفُ بَينَ المـاءِ والقَـبـسِ

ولكن هل تتحقق له أمنيته، فيعود إلى وطنه ؟ لقد أمضى ابن جبير السنين الأخيرة من شيخوخته متنقلاً ما بين مكة وبيت المقدس والقاهرة عاملاً في التدريس، حتى وُـسـد تراب الإسكندرية سنة ٦١٤هـ / ١٢١٧م.

يحيى الصرصري:

الإمام يحيى الصرصري من أكثر الشعراء شعراً في المديح النبوي، وديوانه الضخم يكاد في معظمه يسير في هذا الموضوع، وأكثر مدائحه النبوية يبدؤها بالتشويق للحجاز بعامة ومكة والمدينة بخاصة، وبهنا هنا ما ورد من شعره في مكة، من ذلك قوله يرسل تحيةً لأربع مكة، وخلال ذلك يعود بذاكرته إلى تلك الأيام الخوالي التي قضاهما في منازلها، يقول:

خَذُ لِلْحِجَانِ إِذَا مَرَرْتَ بِرُكْبِهِ  
مِثْلِي تَحِيَّةٌ مُخْلِصٌ فِي حُبِّهِ  
وَاسْتَأْذَنَ هَلْ حَيًّا مَرَابَعَةُ الْحَيَا  
وَكَسْنَا الرِّبِيْعُ شِعَابَةً مِنْ عُشْبِهِ  
وَاسْتَمَلَّ مِنْ خَبَرِ الصَّنْبَا لِأَخِي الْهَوَى  
مَا صَحَّ مِنْ إِسْنَادِهِ عَنْ هُضْبِهِ  
فَلْيَنْشُرِ انْفَاسِ النَّسِيمِ عِبَارَةً  
فِي رَمَزِهَا مَعْنَى يَلْدُ لِقَابِهِ  
يُغْرِيقُهُ مَسْنَرَاهَا بِأَيَّامِ الْجَمَى  
إِذْ كَانَ مَنْشَأً غَرْبِيًّا مِنْ ثَرْبِهِ  
وَلَعَنَ رِهَا لَوْلَا تَذَكُّرُ غُهِدِهِ  
فِيهَا لَمَّا بَعَثَ النَّسِيمُ بِلْبِهِ  
هَلْ لِي إِلَى لَيْلَاتٍ مَجْتَمَعِ الْمُنَى  
بِمَعْنَى رَجُوعِ اسْتِلْدُ بِقَرْبِهِ  
وَيَحْضُرُنِي وَبَنِي الْوُدَادِ بِجَوِّهِ  
سَيُؤَيَّلُ وَصَلُّ لَا أَرَاكَ بِسَلْمِهِ<sup>(١)</sup>

هو يخاطب ربيع منى، ويحييه، ويدعوه بالسقيا، وإن ينشر سحيق المسك فوق  
ثراه، وأن تحفه الزهور والخضرة، فهو يستحق أن يدعى له طالما أنه لا ييخل على  
الشاعر بلياليه الرائعة الجميلة، ومواسمه المترعة بالحب، يقول:

رَبِيعُ الْمُنَى بِمَعْنَى نَعِمْتُ صَبَاحًا  
وَتَبَلَّجْتُ فَيْكَ الْوَجُوهُ صَبَاحًا  
وَسَقَلْتُكَ أَخْلَافُ الْعِصَامِ عَشِيَّةً  
نَرَأَى يُرَوِّي مِنْ جِمَاكَ بِطَاحًا  
وَعَلَا سَحِيقُ الْمِسْكِ تَشْرُكُ كُلَّمَا  
نَشَنَ الرِّبِيْعُ عَلَى ثَرَاكَ جَنَاحًا

(١) المجموعة النبهانية في اللدائح النبوية ٣٣٤ - ٣٣٥

ولبست من زهر الرياض ملبسًا  
وعقدت فوق الجيد منك وشاحا  
فلطالما سامرت في جُثجِ النجى  
أقمار حُسْنِك لا أخاف جُناحا  
وخلصت من ريانة روح حُشاشتي  
وشربت فيك من المحببة راحا  
لله إناء مَضَتْ مَحْمُودَةٌ  
طابت بجوكة غُدوة وزواحا  
انست فيها نور عطر احبتي  
ونشقت عطر رضاهم الفيحا  
يا موسم الاحباب يا عيد العنى  
وهللا سعد بالباشارة لاحا  
هل لي إليك مع الاحبة وقفة  
وجئة النهار تجندُ الاقراحا<sup>(١)</sup>

ومما يعجبك، ويروقك في حنين الصرصري البعد الفني، والتائق الوصفي، فشعره في الشوق والحنين شعرٌ مليءٌ بالأوصاف الطبيعية، مما يشبع الجمال، ويبعث المتعة، وقد وجدت هذا الشاعر بأسلوبه الطبيعي يتعد عن النظمية التي غطت على جمال العاطفة عند بعض شعراء المدائح النبوية، إذ كان بعضهم يعرض لكامل المنحة سواء في التشوق، أو في الحديث عن السيرة من خلال الحدث كحدث، لا كفن، فطغى الجانب اللفظي والتاريخي على الجانب الفني، أما عند الصرصري فالحال يكاد يكون مختلفًا تمامًا في الكثير من قصائده، وما أوردناه له وسنورده ينخل في هذا الباب، وهذه بداية قصيدة يتحدث لنا فيها عن حنينه وشوقه، وشدة تطلعه، فيذكر لنا نسيم السحر، والغدران والأزهار، من خلال الحان عذبة، وإيقاعات سريعة، وتملُّ معي هذا القول الرقيق الأنيق:

جَـرَرتْ نَسِيمُ السُّحْرِ  
على مُتَوَوِّنِ الْفُتُورِ

(١) المجموعة التبهانية في المدائح النبوية ١ / ٤٧٠

فَجَعَلَهَا وَتَنَتْ  
اعطافاً يُسقط الزجر  
وضممت ملبس الـ  
رؤوس بنشـ  
اظنوها مـرت على  
سوءاوار ذات السـمـر  
قطان حـسـهم واتت  
من نحوهم بالخـبر  
تسـنـه عن ارج السـنـه  
شـيـخ وريـا العـزـعـر  
فـرـحـة طـرـيـا  
برمزا المـمـبـر  
اذتت يا ريـح الصـبـبـا  
سـيـر هوى مـسـنـتـر  
فـرـدي ما شـكـت مـن  
حـيـة هـم وكـري  
فـذـكر سـكـان الجـمـي  
تـعـة المـسـنـتـر  
ام لـمـيـش مـز لـي  
بـيـن اللـوى والـجـفـر  
او زـمـن كـمـان يـنـفـر  
مـمـان رـيـيـع العـمـمـر  
يا لـيـت شـعـري هـل تـعـو  
نـلـيـتـي بـالـمـنـفـر  
وهـل تـزول حـسـرـة الـ  
فـؤاد في مـحـسـنـر

وهـل لأيامٍ ميسـرى  
 مـن بائعٍ فـاشـبـتـري  
 ولو بايـام الحـيـا  
 فـلـحـسـةً بالـبـصـر  
 فـمـا عـلى مـن سـامـها  
 بـروحـه مـن غـرـد  
 وهـل إـلى ذاك السـؤـتـو  
 بـ أويـة فـي غـمـري  
 فـاجـتـلـي جـنى الغـلا  
 بـلـثـم ذاك الحـجـر  
 يا لك مـن لـيـلـات قـنـر  
 بـ طـال فـيـهـا سـمـري  
 لو سـمـح النـهـر بـهـا  
 قـضـيت فـيـهـا وطرـي<sup>(١)</sup>

لقد أطلت في إيراد هذا النص لسببين: أولهما أنني لم أقدر على اجتزائه لارتباط  
 الفاظه ومعانيه بعضها ببعض، مما يجعل حذف أبيات مغللاً بالأمرين معاً: اللفظ والمعنى،  
 والآخر لأنني أريد أن أقنع القارئ بما قلته آنفاً عن طريقة الصرصري ذات النكهة  
 الطبيعية الخالصة، المميزة برقتها وغنويتها، وجمال إيقاعها وخفتها.

ويالم أشد الألم إذا فاته الحج، ويغبط من فازوا به، ويرسل على البعد أذكى سلامه  
 للكعبة المشرفة، ويتمنى العودة إلى حماها، يقول:

تَخَلَّفْنَا عَنِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ  
 وَمَا فِيهِ مِنَ النِّعَمِ الْجَسَامِ  
 وَفَارَ بِفَضْلِهِ إِخْوَانُ صَدَقِ  
 لَنَا نَهَضُوا مَعَ الْوَفْدِ الْكَرَامِ

(١) المجموعة النبهانية في الدلائل النبوية ٢ / ٩٢ - ٩٤

ثم يصل إلى مناقشة ذات الستور:

فبِذَا ذَاتِ السُّتُورِ عَلَيْكَ مَنِي  
وَأِنْ بَغِذَ الْعَدُوّ أَرْحَمَى سَلَامٍ  
وَحَيَّيَا إِلَهَ أَقْسَمَارًا تَجَلَّتْ  
بِجُودِكَ اخْجَلَتْ بَدْرَ النُّمَامِ  
لَقَدْ قَرَرْتُ عَيُونُ فَاضِرَاتٍ  
إِلَى مَعْنَى جَمَالِكَ بِأَخْشَامِ  
فَهَلْ لِي عَوْدَةٌ بِرَيْكَ أَقْضِي  
بِهَا وَطَرِي وَيُنْزِلْنِي حِمَامِي<sup>(١)</sup>

والغزل التجريدي يشغله، وتشغله ذات الستور التي يتمنى لقاءها، كما في قوله:

بِالْهِ يَا مَنْ عَنِّي أَهْدَى لَنَا  
طَرَفًا إِلَى نَيْلِ الْعُضَا طُمَاحَا  
بَلِّغْ إِلَى ذَاتِ السُّتُورِ رِسَالَةَ  
عَمَّنْ إِذَا تُكْرِمَتْ صَنَبَا وَارْتَاخَا  
يَا رُبَّةَ الْحَرَمِ الْمُتَمَعِّعِ كَمْ دَمٍ  
لِيَبْنِي الْأَمَانِي دُونَ وَصْلِكَ طَاخَا  
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى لِقَائِكَ وَالْفَلَا  
قَدْ حُفَّ دُونَكَ دُبْلًا وَصِفَاخَا<sup>(٢)</sup>

وهو يدفع دمه ولو هدرًا في سبيل لقاءها، مع علمه بأن المقتول في هواها لا يجد من يقتص له، يقول:

هَلْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى ذَاتِ السُّتُورِ وَلَوْ  
أَنَّ الْقَنَا وَالطُّبَا مِنْ دُونِهَا رَصَدُ  
فِي هَوَاهَا قَلِيلٌ أَنْ يُطْلَقَ دَمِي  
وَكَمْ لَهَا مِنْ قَتِيلٍ مَا لَهُ قَوْدُ<sup>(٣)</sup>

(١) للمجموعة التيهانية في المدايح النبوية ٤ / ٢٨ - ٤٠

(٢) المصدر نفسه ١ / ٤٧١

(٣) المصدر نفسه ٢ / ١٧

والشواهد على تعلق الشاعر الصرصري بالبيت الحرام كثيرة، ولا تخرج عما أوردناه، ومن أراد التثبت فليأخذ الضخم أكبر دليل، وما أوردته النبهاني في المدائح النبوية كليل بأن يقر هذا الرأي عن هذا الشاعر العتشيوق لرحاب بيت الله.

عبد الرحيم البرعي؛

الشاعر المرزوق الذي رزق شهرة بقصائده التي ظلت تطوف حول المشاعر الدينية، هو عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم البرعي، نسبة إلى جبل بُرْع في اليمن، هذا الشاعر الذي يقول فيه المؤرخ الوشلي في كتابه (الثناء الحسن): (وضع الله المحبة لشعره عند عامة الناس، فاقبلوا عليه، وأولعوا بحفظه واستماعه، وإنشاده<sup>(١)</sup>)، ويعبر البرعي عن شدة شوقه إلى مكة ومشاعرها، فنار الشوق التي تستعر في حشاه تلهب شوقه، وتوجج توقه، فلا يقدر على الكتمان، وما هو يطويه شوقه وينشره كما يقول:

رحلت عنهم غداة البين من بُرْع  
وفي الحشا لهبُ النيران مُسْتَعِرَا  
وسِرْتُ والشُّوقُ يَطْوِينِي وَيُنْشُرُنِي  
مَوْصِلًا حَرَّ تَهْجِيرٍ بِرَبِّهِ سُرَى<sup>(٢)</sup>

ومن شعره الذي يلهج بحب هذه الأماكن المباركة طلبه على طريقة القدماء من صاحبه ليقف برأ المحصب ومنى، ويأمره بإعادة أحاديث تلك الأماكن، هذه الاستعادة التي يلذُّ له استرجاعها وسماعها، تمامًا كما قال ابن الرومي من قبل:

يُعَادُ حَديثُهَا فيزِيدُ حُسْنًا  
وقد يُسْتَفْهِجُ الشيءُ المُعَادُ

ويقول البرعي:

لَقَدْ المَطْلِيُّ وَلَوْ كَلَمَحَ نَاطِرُ  
بَرِيَا المَحْصَبِ أَوْ مَنَى يَا هَادِي  
وَأَعِدْ حَديثَكَ عَنْ أَبَاطِحِ مَكَّةَ  
وعن الفَرِيقِ أَرَاهُ أَم غَادِي

(١) مقدمة شرح ديوانه ١٦

(٢) شرح ديوان البرعي ١٠٩

وَمَسَّرَ لِلنَّاطِلِينَ بَدْتَ لَنَا  
 مَا بَيْنَ سَوْقِ سُوقَةٍ وَجِيَادِ  
 قَنَصَتْ عَقُولَ أُولَى النَّهْيِ بِحَبَائِلِ الصَّدِّ  
 حَبَبُوا لَا بِحَبَائِلِ الصُّيَادِ  
 وَمَحَاسِنُ طَلَعَتْ فَلَا تُعْنَى عَنْ  
 حُلُلِ الْكَمَالِ لِحَاضِرٍ وَلِبَادِي  
 عَكَفَتْ بِسَاحَتِهَا الرِّفَاقُ وَإِنَّمَا  
 عَكَفُوا عَلَى كَبِيرٍ مِنَ الْأَكْبَادِ<sup>(١)</sup>

وهو يوري عن حبه تمامًا كما ورى من قبله الصرصري، فيقول:  
 إِنِّي أُورِي لَغَيْرِي حِينَ يَسْأَلُنِي  
 بِذِكْرِ زَيْنَبَ عَنْ لَيْلَى فَأَوْهَمُهُ<sup>(٢)</sup>  
 وتقر عيونه برؤية أم القرى:

وَفِي أُمِّ الْقُرَى قُرْتُ عُيُونُ  
 عَشِيرَتِي لِمَخْ زَمْزَمُ وَالْحَطِيمِ<sup>(٣)</sup>

ويشاغله الطيف على البعد، فيقول:  
 طَيْفُ الْخِيَالِ مِنَ النِّيَابَتِينَ سَرَى  
 إِلَى الْحِجَازِ فَوَافَى مَضْجَعِي سَحَرَا  
 سَرَى عَلَى بُغْدٍ دَانُنَا يَنْدُمُ بِهِ  
 رُوحُ التَّسْلِيمِ قَيْهَدِي مَدْلَأُ عَطِيرَا  
 فكم وكم جاز من سهل ومن جبل  
 ومن ومور إلى أم القرى وقسرى

(١) شرح ديوان البرعي ١٣٢-١٣٣

(٢) المصدر نفسه ٩٦

(٣) المصدر نفسه ١٠٥



أفنديه من زائر ما زارني أبداً  
وذاكر ما نسي وذي ولا ذكر<sup>(١)</sup>

ويظل الشوق يطويه وينشره حتى يبلغ غايته وهذه:  
حتى انتهيت إلى الميقات في زمر  
من وفد مكة يا طوبى لها زُمر  
ثم اغتسلنا وأحرقنا وسار بنا  
حادي المطي يخوض الهول والخُمر  
ولم ازل واقفاً صوتي بثلبيتي  
مع السليبي من حج وأغمر<sup>(٢)</sup>

وهو لا يفتر عن ذكر تلك الديار والدعاء لها بالسقيا، وعن مرورها في خاطره طيفاً  
وحلماً، ويبعث لها على البعد بالتحيات، ويوصي إخوانه الراحلين إليها، ويسفح الدموع  
شوقاً إليها، ويقبل عتباتها إذا ما سمحت له الأيام بزيارتها، هذا ندين شعر البرعي في  
العديد من قصائده المنحبة النبوية، فهو العاشق لكلا، المحب لبيت الله.

ابن معصوم:

هو علي بن نظام الدين أحمد بن محمد بن معصوم، ولقبه صدر الدين، ترقعه  
مصادر النسب إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولد الشاعر في المدينة المنورة  
سنة ١٠٥٢ هـ - من جمادى الأولى، بعد سفر والده إلى الهند بدعوة من ملكها نظام حيدر  
آباد لمساعدته في إدارة شؤون الهند، انتقل شاعرنا وهو طفل رضيع مع أمه إلى مكة،  
التي توفيت وتركت الرضيع في كف خالته، وبقي معظم طفولته في مكة، وبها تعلم تعليمه  
الابتدائي، وبعد سن الرابعة عشرة غادر إلى الهند للاتحاق بابيه، وعاش فيها ما يقارب  
النصف قرن، وتقلب خلالها في المناصب إلى أن صار رئيساً لديوان سلطنة إحدى  
ولايات الهند.

(١) المصدر نفسه ١٠٧

(٢) المصدر نفسه ١٠٩

ويعد أن أحسنُ بتقدم في السن، وفي تغير السلطان عليه، استأذن في العودة إلى الوطن، وكان على البعد يرسل قصائد الشوق والحنين.

وتبدو لذعات الشوق في قلبه وعلى لسانه مبكرة، فهي هو ذا يغادر وهو يعد في ريعان الشباب وأوله، فيخاطب مكة ويقول عند وداعها:

امعاده هل يفضي إليك معاد

يوثا برغم معاندر ومخادي

فأفوزُ منك بكل ما أمثله

نُخْرًا لأخرتي ويوم مَعادي<sup>(١)</sup>

وها هو موسم الحج قد اقترب فيتجدد الشوق، وتهيج به الذكرى، ويرسل السلام لتلك الأماكن، ويدعو حادي الركب لينوب عنه في تقبيل ثراها الذي يفوق المسك رائحة والدرة قيمة، فيقول:

يا حادي القلبين إن جُزْتَ المواقيتا

فحي من يمضى والخيف حَييتا

وسنل بجفم أجتمع الشمل مكنم

أم غالة الدهر تفرقنا وتشتيتا

والجُم نرى تلك الوادي وحطبه

عن الرجال تفل يا صاح ما شيتا

عندي به وفاء فاسأل عبق

كالمسك فلتة الداري تفتيتا

والدُر ما زال من حُصْبائه حجلأ

كان حصباءه كانت يواقيتا<sup>(٢)</sup>

ثم يعرج على وصف الحجاج وهم يطوون البيد والفيافي، لا يلون على شيء سوى هدف واحد يسعون إليه إلا هو الإجابة لداعي الله:

(١) رحلة ابن موصون - ٤

(٢) لقمة الريحانة ٤ / ١٨٩

يَوْمُهُ الْوَفْدُ مِنْ غَرْبٍ وَمِنْ عَجَمٍ  
وَيَسْتَبْرُونَ لَهَ الْبَيْدَ السَّيَّارِيَّةَا  
يَطْوُونَ غُرْمَ الْفَيَافِي طَوْلَ لَيْلِهِمْ  
لَا يَهْتَدُونَ بِغَيْرِ النُّجْمِ خَرِيَّتَا  
لَا يَطْعَمُ الْمَاءَ إِلَّا بِلَ غُلْجَةٍ  
وَلَا يَذُوقُ سِوَى سِدِّ الطَّوَى بَيْتَا  
يَقْرِي جُيُوبَ الْفَلَا فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ  
يُمَاثِلُ الضَّبَّ فِي رُمَحَائِهَا الْحَوَاتَا  
تَرَى الْحَصَى جَمْرَاتٍ مِنْ تَلْهُبِهَا  
كَأَنَّمَا أُوقِنَتْ فِي الْقَفْرِ كَبِيرِيَّةَا  
اجَابَ دَعْوَةَ دَاعٍ لَا مَرَدَّ لَهَا  
فَضَى عَلَى النَّاسِ حُجَّ الْبَيْتِ ثَوَابِيَّةَا  
يَرْجُو النُّجَاةَ بِيَوْمٍ قَدْ أَهَابَ بِهِ  
فِي مَوْقِفٍ يَذْخُ الْمَنْطِيقُ سَبْغِيَّةَا

ويستمر في وصفه على كلِّ حالاته، ولعلَّ ابن معصوم وهو يشرح حالة الحاج، ويصفه في حركته ابتداءً من خروجه للحج ومروراً بكل أعمال الحاج في الحج، وانتهاءً بوداع البيت، ليؤكد على أمرين: الأول: دلالة هذا الوصف بكل يقائنه على هذا الشوق، فكان خيال الشاعر ينتقل به في ثنايا هذه الرحلة المقدسة كلون من ألوان المعاشاة للحدث، والتلذذ باسترجاعه.

والثاني: هو تميز ابن معصوم من غيره ممن وصف رحلة الحاج في حجه، أنه لم يقف فقط عند ذكر ما يقوم به الحاج في أداء مناسكه، كما فعل غيره ممن وصفوا ذلك، بل هو يجانس ويقابل مقابلات لطيفة، وتشع التورية والمجانسة في كل لفظة من ألفاظ المناسك، والمتتبع لهذا الأمر يجده واضحاً، كما يبدو في متابعة هذا الوصف:

فَسَنَانَ وَالْعَزْزُ يُطَوِّيه وَيَنْشُرُهُ  
 يَنَازِلُ الْبَيْنَ تَصْبِيحًا وَتَبْيِيحًا  
 حَتَّى أَنَاخَ عَلَى أَمِّ الْقُرَى سَحَرًا  
 وَقَدْ نَحْنَا الصُّبْحُ لِلظَّلَامِ إِصْبِيحًا  
 فَكَمَ يَقْرَعُ بَابَ الْعَفْوِ مُنْهَالًا  
 لَمْ يَخْشَ غَيْرَ عِتَابِ اللَّهِ تُبْكِيهَا  
 وَطَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا وَانْدَنَى عَجَلًا  
 إِلَى الصَّفَا حَاضِرًا لِلْوَقْتِ تَقْوِيهَا  
 وَرَاحَ مُتَمَسِّسًا نَيْلَ الْمَثَى بِمَنْى  
 وَلَمْ يَخَفْ غَيْرَ حُلِّ الْخَيْفِ تُغْنِيهَا  
 وَقَامَ فِي عِرْقَاتِ عَارِفَا وَدَعَا  
 رَبًّا عَوَارِثُهُ عَمَلُهُ تَرْبِيهَا  
 وَعَادَ مِنْهَا مُفِيضًا وَهُوَ مَزْنَلًا  
 يَرْجُو مِنَ اللَّهِ تَمْكِينًا وَتُكْبِيهَا  
 وَبَاتَ لِلْجَنَرَاتِ الرَّقْشِ مُتَلَقِّطًا  
 كَمَا أَنَّهُ لَاهْطُتُزًّا وَيَاقُوتَا  
 وَحِينَ أَصْبَحَ يَوْمَ النُّحْرِ قَامَ ضُحَى  
 يَوْفَى مَنَاسِكَةِ زَمِيًّا وَتَسْبِيحًا  
 وَقَرَّبَ الْهُدَى تَهْدِيهِ شَرَائِعُهُ  
 إِلَى الْهُدَى ذَاكِرًا لِلَّهِ تَسْمِيهَا  
 وَمَلَأَهُ لِيَالِي الْخَيْفِ بَهْجَتُهَا  
 فَحَجَّ لِلدِّينِ وَالْدُنْيَا مَوَاقِيهَا  
 ثُمَّ انْهَضَى قَاضِيًا مِنْ حَاجَةٍ تَقْنَأُ  
 يَرْجُو لِتَرْجِيَةِ الْأَعْمَالِ تَزْكِيهَا

وودُع البيت يرجو العودَ ثانيةً

وليئة عنه طولَ النهار ما ليتا<sup>(١)</sup>

وشوق ابن معصوم عام للحجاز، لا يتوقف عند مكان بعينه، كما في هذا القول:

ذاك الحجازُ وهذه كُتُبنا

فاحفظ فؤادك إن رثت غزلنا

واسفح بموعة إن مررت بسفح

شفا به إن الدموع جُماعة

وسل المنازل عن هوى قضيئة

هل عائد ذلك الهوى وزماعة<sup>(٢)</sup>

ويدعو بالسقيا لأيامه السالفة بالحجاز، ويثلف على ما مضى منها، وفي مقابلة طريفة يبين عن ذلك الماضي الذي ارتحل، وأحل مكانه الوجد والتذكر:

سقى الله إيانا بالحجاز

ولا جازها الغيثُ الهاطل

فما كان أنغد عيشي بها

إذ المنزل القفرُ بي أهل

لقد طال وجدي وذكرى لها

وليس لعمري ضنى طائل

فيا لهف نفسي له ماضيًا

ترحل والوجدُ بي نازل

ترى من غرامي به دائم

وحالي من فقير حائل

(١) نسخة للريحانة ٤ / ١٨٩-١٩٢ الداربي: نسبة إلى دارين وهو العطار. السبارية: القفار الخربة: الليل. البيت: القوت. إصليت: سيف صليل. تيكيت: تمكيت. تعليت: إضرار ومشقة. تربية: تسببت: ذبح الهندي. تسميت: أي التسمية وهي ذكر الله على الذبح. التفت: ما يصيب للحرم بالحج من ترك الأمان والغسل والمحق. التزكيت: الملأ. ليت: صُرف.

(٢) أنوار الربيع ١ / ٣٧٥

نَدَى أَنْ وَجَّهَ سَيْدِي بِهِ لَا يَزُولُ  
وَصَبَّ سَيْرِي مِنْ بَعْدِهِ خَسَائِلُ<sup>(١)</sup>

وتحس هذا الشوق الحارق الذي يعانيه ابن معصوم، وذكر الحجاز وإن تكرر في أشعاره، فإنَّ التوجه الحقيقي في هذا الشوق والحنين إنما يُصَوَّبُ نحو مكة في أغلبه، واقرأ معي هذه العواطف العارمة في قوله:

أَمْ لَا يَأْتِي الْحِجَازَ وَسَاكِنِي  
أَرْضِ الْحِجَازِ وَوُضْعِهِ الْمِغْطَارِ  
لَمْ أَوْفِهِ حَقًّا أَحَاثَ بِهِ عَلَى  
قَلْبِي الْكَلْبِ وَصَنَعِي الْمِثْرَارِ  
فَسَمَّاهُ بِمَكَّةَ وَالْحَاطِمِ وَزَمَرِ  
وَالْبَيْتِ ذِي الْأَرْكَانِ وَالْأَسْتَارِ  
مَا عَنْ لِي نَجْرُ الْحِجَازِ وَاهْلِهِ  
إِلَّا عَدِمْتُ تَجْدِي وَقَرَارِي<sup>(٢)</sup>

ومن أين له أن يتجالد ويصبر ؟ وكيف يقرُّ له قرار ولم يكحل عينيه برؤية مكة ؟ تلك التي هي عنده أغلى من روحه، ويكرر كلمة الفراق وكأنه يهذي بها، كما في قوله:

فَارَقْتُ مَكَّةَ وَالْأَنْدَالَ تُلْجِحُنِي  
وَلِي فِرَادٌ بِهَا تَأْوِي مَدَى الزَّمَنِ  
فَارَقْتُهَا لَا رُضَى مِنِّي وَقَدْ شَهِدْتُ  
بِذَلِكَ أَمْلَاكُ ذَاكَ الْحَجَرِ وَالرُّمْنِ  
فَارَقْتُهَا وَبُوْدِي إِذَا فَرَقْتُ بِهَا  
لَوْ كَانَ قَدْ فَارَقْتُ رُوحِي بِهَا بَدَنِي<sup>(٣)</sup>

(١) ديوان ابن معصوم ٣٣٢

(٢) للصدر نقسہ ١٨٧

(٣) رحلة ابن معصوم ٢٨

ويبدو أنَّ طول البعد وزَّنه شدة الوجد، وما هذا الهيمان والتعلق واللهفة، وهذا الشعر الذي يزفر هذه الأثاء المعذبة إلا ليل على صدق هذا الحنين، وعندما نقرأ قصائده في مكة، نتخيل أننا أمام مجنون ليلي، أو جميل بثينة، وتملُّ معي هذه الأبيات التي يتوجع فيها من بعده، ويشكو بثه وعظيم حزنه، ثم هذه الزفرات والأمنيات للذكريات خلت، وتعداد الأماكن التي شهدت مراتع صباه، كل ذلك يبين عن شعور مستفز، وعاطفة متدفقة:

خَلَيْتِيْ هَلْ عَهْدِيْ بِمَكَّةَ رَاجِعُ  
فَقَدْ قُلَيْتُ بِالْهَنْدِ مَنِي الْمَضَاجِعُ  
وهل شربة من ماء زمزم ترتوي  
به كبِدٌ قد افطأَتْهَا الْوَقَائِعُ  
وهل عامرٌ زَيْعُ الْهَوَى بِسَوِيْقَةٍ  
فَعَهْدِي بِذَلِكَ الرَّبِيعِ لِلشُّمْلِ جَامِعُ  
وهل من صفا من سالف العيش بالصفا  
يعودُ لَنَا يَوْمًا فَنَتَصَفَّو الْمَشَارِعُ  
سقى الله ما بينَ الْحَجَّوْنَ إِلَى الصَّافَا  
مَرَابِعٌ فِيْهَا لِلْقُبَاءِ مَرَاتِعُ  
وَجَاءَ بِأَجِيَابِ مَنَازِلَ جَيْرِ  
بِهَنْ حَمَامٍ الْإِبْطَحِينَ سَوَاجِعُ  
وَحَيَا الْحَيَا بِالْمَازَمِينَ مَعَاهِدَا  
فَمَا عَهْدُهَا عِنْدِي مَدَى الدَّهْرِ ضَالِعُ<sup>(١)</sup>

الا تذكرنا هذه النفثات، بنفثات قيس بن الملوح في ليلي؟ حيث يقول:

كَأَنِّيْ مِنْ لَيْلَى الْفَدَاةَ كَتَابِخِرِ  
عَلَى الْمَاءِ خَائِلَةٌ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ<sup>(٢)</sup>

(١) ديوان ابن معصوم ٢٢١

(٢) ديوان مجنون ليلي ٤٧

ويقسم بحياة أهل مكة على صدق مشاعره، وإن هذا ما كان حديثاً يفترى، يقول:

وحياتكم ياساكني أم القُرى  
ما كان حبُّكم حديثاً يُفترى  
أهوى دياركم التي من حلَّتْها  
خلَّ الجنان بها وغلَّ الخوثر  
قالَ العذولُ وقد اطلَّ ملامتي  
فيه إلا تُصفي؟ فقلتُ ألا ترى  
لا والذي فتَنَ العقولَ بحُسنه  
ما ارتابَ قلبي من هواه ولا اغترى  
فارقته كرهاً وواصلتُ النوى  
قَسُراً وأضحى الصبرُ ملقِصِمْ العُرى  
لَمْ ادِرْ أيَّ المُصْئِئِينَ اسِيَّها  
إنَّ عنْ لي ذكْرُ الفراقِ أوِ اغترى  
الفراقُ إلَهي أم فراقُ مواطني  
وعلاهما لَهَبٌ بقلبي قد وذى  
للهِ إِيَّامٌ بِمَكَّةَ والصَّبَابُ  
تُهدي إلى قُودِي مِسْكَناً اذْفرى  
أشري بكلِّ العمرِ منها سَاعَةٌ  
لو أنَّها ممَّا تُباعُ وتُفترى<sup>(١)</sup>

---

(١) ديوان ابن ماضي ١٣٦



والمتابيع لشعر ابن معصوم يجد عاشقاً أضناه العشق، ومحباً بلغ به الحب حدُّ  
الوله والتدله، فما كان منه تحت إلحاح الشوق أن زَمَّ جماله، وشدَّ رحال العويدة إلى  
المنابع الصافية، على الرغم من المكانة الرفيعة، والحياة الرغيدة التي كان يحياها في  
الهند، عاد إلى الوطن الذي لم يفارق عينيه لحظة واحدة.

عاد وفي جعبته شوق السنين الطوال، فهل يرتوي ؟ لقد نهل من ماء زمزم، وكحل  
عينه برؤية الكعبة، فحجَّ وزار، وماذا بعدُ ؟ الغربة الطويلة كانت حاجزًا وستارًا، ويبدو  
أنه أحسَّ بالغربة في وطنه، فساح في البلاد مرة أخرى، إلى أن وافاه القدر المحتوم  
في شيراز عام ١١٢٠هـ.



## الخاتمة

أما بعد، فالحديث عن مكة كما قال الشاعر:

يُعَادُ حَديثُهَا فيزِيدُ حَسَنًا

وقد يُستَقْبَحُ الشَّيْءُ المَعَادُ

وحديث مكة حديث ذو شجون، أشجى أفئدتنا ومسامعنا منذ تلك الأمة التي صدعت

قلوب مضاض الجرمي:

كان لم يكن بين الصُّجُونِ إلى الصَّفَا

أنيسٌ ولم يَسْتَفْرِجْ بِمَكَّةَ سامرُ

وحديث السامر عن مكة يبدأ من نشأتها وبداياتها الأولى، متصل الحلقات،

عابرًا الزمان من عصر إلى عصر، ليحط ركابه في أرض زماننا وعصرنا هذا محملاً بكل ألوان الطيف.

وما بالك بحديث يستغرق شؤون مكة وشجونها ١ وما أدراك ما مكة ١٩ هذه المدينة

العظيمة التي تقص علينا حكاية البشرية من لدن آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

إن حديث هذه المدينة سيكون من العمق والشمول، والتنوع والتفرد في شكل لا

يُناظره حديث، ولا تشبهه حكاية، ولا تشاكله قصة.

ولذلك فإن الراوي سيعجز لا محالة، ومن هنا فساختصر الحديث اختصاراً،

وسأوجز لك النتائج إيجازاً، فاقول:

إن النتيجة الأولى لهذا البحث أنه يعد في نظري أول كتاب يُستخلص عن مكة في

الشعر العربي في جميع عصوره، على الرغم من سعة وتعدد وتنوع المكتبة المكية.

كما أنه استطاع أن يجمع الوحدات المجزأة إلى دائرة واحدة، فالأغراض والموضوعات والحوادث سيقَّت في مجرى واحد على تعدد العصور، ومن هنا اجتمعت الرؤى الشعرية، كما اجتمعت التجارب الشعرية على صعيد واحد، هو صعيد عكاظ هذا البحث، فكان التآلف والوحدة والتتابع والاستمرارية، فالتقت كما يقول العرب: حلقنا البطان.

كما يتميز هذا البحث من غيره في أن القضايا التي تحدث في عصر من العصور قد تشغل الشعراء في أنها وزمانها، ثم تقف عند ذلك، بينما قضايا مكة ظل لها تواصلها واستمرارها، ولنضرب مثلاً بعبادة الفيل، أو بالشوق والحزن، أو تصوير حدث كالحج مثلاً أو غير ذلك، فإن التواصل بين كل العصور يعطي متعة التمتع بالتنقل في الفكرة الواحدة من شاعر إلى آخر، ومن عصر إلى عصر.

- وإخصوصية مكة، فقد وجدنا من السمات والخصائص في هذا الشعر ما يجعل ارتباطه بمكة حميمياً. فالصور والألفاظ كان لها من الارتباط بالمكان ما يجعل لها تعانقاً وتآلفاً عضوياً لا تكاد تجده في غيرها. والنسبة إلى الكعبة، والإضافة إليها وإلى سائر المشاعر يؤكد على تلك الخصوصية.

- وأخيراً فلذة الحديث عن مكة ليس لمنتهاها حد، ولكن كما قال الجاحظ: (لكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن مقدار الاحتمال، ودعا إلى الاستئصال والملاذئذ، فالفاضل الهذر) ونحن نفر من الملاذئذ، ونعوذ بالله من الهذر الذي لا طائل وراءه.

واختم بالسؤال الملح المتكرر على الله عز وجل في أن يكون هذا العمل قرية خالصة لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

\*\*\*\*

## المصادر والمراجع

- ابن دقيق العيد حياته وديوانه، تأليف علي صافي حسين، دار المعارف بمصر.
- إتحاف الوري بلخيار أم القرى للنجم عمر بن فهد، تحقيق فهد محمد شلتوت، نشر جامعة أم القرى.
- إثارة الترغيب والتشويق إلى تاريخ المساجد الثلاثة والبيت العتيق، تأليف الإمام محمد بن إسحاق الخوارزمي، دراسة وتحقيق سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.
- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم لشمس الدين أبي عبدالله المقدسي، لبنان ١٩٠٦م.
- أحمد الغزالي وأثره الأدبية جمع وتحقيق الدكتور مسعد العطوي، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار - تأليف أبي الوليد محمد بن عبدالله الأزرق، تحقيق رشدي الصالح ملحس، مطابع دار الثقافة - مكة المكرمة الطبعة الثانية ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م.
- أسواق العرب في الجاهلية والإسلام لسعيد الأفغاني، دار الفكر بدمشق، الطبعة الثانية ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
- الأدب العربي في إقليم خوارزم، تأليف هند حسين طه، منشورات وزارة الإعلام، العراق ١٩٧٦م.
- الإشراف على تاريخ الأشراف، تأليف عاتق بن غيث البلادي، دار النفائس - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق عبدالستار فراج، دار الثقافة، بيروت ١٣٨٠هـ / ١٩٦٠م.
- الأوائل لأبي هلال العسكري، تحقيق الدكتور وليد قصاب ومحمد المصري، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض.
- البرصان والعرجان والعميان والحوالان للجاحظ، تحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، تأليف الدكتور مجاهد مصطفى بهجت، نشر وزارة الأوقاف ببغداد، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- الحج في الأدب العربي لعبد العزيز الرفاعي، المكتبة الصغيرة، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- الحصين بن الحمام المري سيرته وشعره، جمع وتحقيق الدكتور شريف علاونة، دار المناهج - عمان ٢٠٠٢م.

- الذخيرة في محاسن اهل الجزيرة لابن بسام الشنتري - تحقيق الدكتور إحسان عباس - دار الثقافة، بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة لأبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الحك المراكشي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

- الروض الأنف للسهي، دار المعرفة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

- الروض المعطار في خبر الأقطار للحميري، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥م.

- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الإبياري وعبد الحفيظ شلبي.

- الشعر الحجازي في القرن الحادي عشر الهجري، للدكتور عائض الردي، الطبعة الثانية ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

- الشعر الحديث في الحجاز تأليف عبدالرحيم أبو بكر، المطبعة السلفية، القاهرة.

- أم القرى مكة المكرمة لفؤاد علي رضا، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٢م.

- أنوار الربيع في أنواع البديع، تأليف السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني، تحقيق شاك هادي شكر، مطبعة النعمان - العراق ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

- بدائع البداء لابن ظافر الأزدي، بولاق ١٢٧٨هـ.

- تاريخ الأمم والملوك للطبري، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

- تاريخ الشعوب الإسلامية لكارل بروكلمان ترجمة نبيه أمين فارس ومثير البعلبكي، بيروت ١٩٤٨م.

- تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٠م.

- تاريخ العرب للدكتور فيليب حتي، ترجمة محمد مبروك نافع، القاهرة ١٩٥٣م.

- تاريخ قريش للدكتور حسين مؤنس، دار المناهل ودار العصر الحديث، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.

- تاريخ مكة المشرفة والمسجد الحرام والمدينة الشريفة والقبر الشريف، تأليف الإمام أبي البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي، تحقيق علاء إبراهيم الأزهرى، وأيمن نصر الأزهرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

- تكملة خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء العراق، لعماد الدين الأصفهاني، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.
- جمهرة أشعار العرب، لأبي زيد القرشي، تحقيق الدكتور محمد علي الهاشمي، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- جمهرة الأمثال للعسكري، الهند ١٣٠٧هـ.
- خدام الحرمين الشريفين في الشعر السعودي المعاصر، تأليف الدكتور ظافر الشهري وآخرين، مطابع الحسيني ١٤٢٣هـ.
- دراسات في تاريخ العرب: عصر ما قبل الإسلام للدكتور السيد عبدالعزيز سالم، دار المعارف بمصر ١٩٦٧م.
- دمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخري، تحقيق الدكتور سامي مكي العاني، دار العربية للنشر، الكويت ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ديوان إبراهيم بن هرمة، تحقيق محمد جبار المعيبدي، مطبعة الآداب بالنجف الاشرف ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩ .
- ديوان ابن الرومي، تحقيق الدكتور حسين نصار، مطبعة دار الكتب ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- ديوان ابن حمديس الصقلي، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر - دار بيروت ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.
- ديوان ابن زقاعة الغزي، مخطوط في مكتبة المؤلف.
- ديوان ابن عني، تحقيق خليل مريم بك، دار صادر.
- ديوان ابن مقل، تحقيق الدكتور عزة حسن، مطبوعات مديرية إحياء التراث، دمشق ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.
- ديوان ابن نباتة، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر ١٩٦٤م.
- ديوان أبي دهل الجمحي، تحقيق عبدالعظيم عبدالمحسن - مطبعة القضاء بالنجف، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- ديوان أبي طالب، جمعه وشرحه الدكتور محمد التونجي، سلسلة (شعراؤنا)، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

- ديوان أبي نواس، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ديوان أنهار بركة، للدكتور إحسان عباس، دار الشروق - عمان ١٩٩٩م.
- ديوان إسحاق الموصلي، جمعه وحققه ملحد أحمد العزي، مطبعة الإيمان بفداد، الطبعة الأولى ١٩٧٠م.
- ديوان أشواق وإشراق، لعمربهاء الدين الأميري، دار القرآن الكريم - ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.
- ديوان الأعشى الكبير، شرح وتحقيق الدكتور محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة السابعة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- ديوان الأمير عبدالقادر الجزائري، جمع الدكتور مفدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت.
- ديوان البحري، تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر.
- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق الدكتور نعمان محمد طه، نشر مكتبة الفانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- ديوان الخالدين، جمع وتحقيق الدكتور سامي الدهان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- ديوان السري الرفاء، تحقيق ودراسة الدكتور حبيب حسين المسيحي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، بفداد ١٩٨١م.
- ديوان الشامي، لأحمد بن محمد الشامي .
- ديوان الشريف الرضي.
- ديوان الشريف المرتضى، تحقيق رشيد الصفار المحامي، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٩٥٨م.
- ديوان أمية بن أبي الصلت، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبدالحفيظ السطلي، المطبعة التعاونية بدمشق.
- ديوان جعفر الخطي: دراسة وتحقيق الدكتورة أئيسة أحمد خليل المنصور والدكتور عبدالجليل منصور العريض، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٢م.
- ديوان حاتم الطائي، دراسة وتحقيق الدكتور عادل سليمان جمال، مطبعة ألمندي - القاهرة.
- ديوان حسان بن ثابت، دار صائر - بيروت.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي، جمع وتحقيق الدكتور محمد شفيق البيطار، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السلسلة التراثية (٢٢)، الطبعة الأولى، الكويت ٢٠٠٢م.
- ديوان ذي الرمة شرح الإمام أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، حققه الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، دمشق، مطبعة طربين ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م.

- ديوان صالح الشرنوبى، تحقيق الدكتور عبدالحى دياب، دار الكاتب العربى بالقاهرة.
- ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق وشرح الدكتور محمد يوسف نجم، دار صادر - بيروت ١٣٧٨هـ / ١٩٥٨م.
- ديوان عرفة الكلبى، تحقيق أحمد الجندي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠هـ / ١٩٧٠م.
- ديوان مجنون ليلى، جمع وتحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار مصر للطباعة.
- ديوان مع الله، للاميرى، مطبعة الأصيل بطنط ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م.
- ربحانة الألباء وزهرة الحياة الدنيا، لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجى، تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو، مطبعة عيسى البابى الحلبي الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م.
- زاد المسافرين لأبي بحر صفوان التجيبي، إعداد عبدالقادر محداد، نشر دار التراث العربى - بيروت ١٩٧٥م.
- سلافة العصر، لابن معصوم.
- شرح اختيارات المفضل، صنعة الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، مطبوعات مجمع اللغة العربية - دمشق ١٣٩٢هـ / ١٩٧٣م.
- شرح القصائد العشر، صنعة الخطيب التبريزي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.
- شرح ديوان ابن الفارض، جمع رشيد بن غالب اللبناني، منشورات دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.
- شرح ديوان ابن المقرب العيوني، تحقيق الدكتور أحمد موسى الخطيب، مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٢م.
- شرح ديوان البرعي - مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
- شرح ديوان الحماسة، لأبي علي أحمد بن محمد المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة - الطبعة الثالثة.
- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى.
- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الأندلس .
- شرح ديوان كعب بن زهير لأبي سعيد السكري، مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٣٦٩هـ.



- شرح أشعار الهذليين للسكري، حققه عبدالستار أحمد فراج، مكتبة خياط - بيروت.
- شعر الدعوة الإسلامية في العصر الأموي، جمع عبدالعزيز الزير ومحمد الأطرم، الرياض ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.
- شعر المتوكل الليثي، جمع الدكتور يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس - بغداد.
- شعر النعمان بن بشير الأنصاري، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مطبعة المعارف، بغداد - الطبعة الأولى ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- شعر خدّاش بن زهير، تحقيق الدكتور رضوان النجار، مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد الثالث عشر.
- شعر دعبل الخزاعي، صنعة الدكتور عبدالكريم الأشر، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- شعر طيء وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق ودراسة الدكتورة وفاء فهمي السنديوني، دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- شعر عدي بن زيد، تحقيق وجمع محمد جبار المعبيد، دار الجمهورية للنشر - بغداد ١٩٦٥م.
- شعر عروة بن أذينة، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مكتبة الأندلس، بغداد.
- شعر قبيلة أسد وأخبارها في الجاهلية والإسلام، جمع وتحقيق الدكتورة وفاء فهمي السنديوني، نشر جامعة الملك سعود بالرياض ١٤٢١هـ.
- شعر قيس بن ذريح، جمع وتحقيق الدكتور حسين نصار - مكتبة مصر.
- شعر كنانة من الجاهلية إلى آخر العصر الأموي، دراسة وجمع فهد بن صالح الجريوع، رسالة ماجستير عام ١٤١٦هـ بكلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- شعر مروان بن أبي حفصة، جمعه وحققه الدكتور حسين عطوان، دار المعارف، الطبعة الثالثة.
- شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم الدكتور داود سلوم، مكتبة الأندلس - بغداد ١٩٦٧م.
- شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي، تحقيق وجمع الدكتور عبدالعزيز الفيصل، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.
- شعراء عبدالقيس في العصر الجاهلي، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبدالحميد المعيني، نشر مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت ٢٠٠٢م.

- صحيح البخاري، المكتبة الإسلامية استانبول، تركيا.
- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العلمية.
- طبقات الشعراء لابن المعتز، تحقيق عبدالستار أحمد فراج، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني.
- العفو والاعتذار، لأبي الحسن محمد بن عمر الرقام، حققه الدكتور عبدالقدوس أبو صالح، طبع إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤١٠هـ / ١٩٨١م
- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لتقي الدين الفاسي، طبع مؤسسة الرسالة، بيروت.
- العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي تصحيح أحمد أمين وآخرين، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة ١٣٧٥هـ.
- غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تأليف عز الدين عبدالعزيز بن عمر الهاشمي القرشي، تحقيق فهد محمد شلتوت، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- فتوح البلدان، للبلاذري أحمد بن يحيى، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، القاهرة ١٩٥٦م.
- فرائد الخرائد في الأمثال لأبي يعقوب يوسف بن طاهر الخويي، تحقيق الدكتور عبدالرزاق حسين، طبع دار الفنائس، عمان - الأردن.
- قصائد جاهلية نادرة، جمع الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة - بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، للفتح بن خاقان، تحقيق الدكتور يوسف خريوش، مكتبة المنار، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م .
- كتاب نسب قريش، لأبي عبدالله الزبيري، تحقيق ليفي بروفنسال، القاهرة ١٩٥٣م.
- لسان العرب لابن منظور، دار صادر، بيروت.
- مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن لابن الجوزي، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، دار الراية، الرياض ١٤١٥هـ.
- مجلة المنهل تصدر في جدة في المملكة العربية السعودية.
- مجمع الأمثال للميداني، تحقيق محيي الدين عبدالحميد، دار السعادة.

- المجموعة الشعرية الكاملة لمحمد بن أحمد العقيلي، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
- المجموعة النبهانية في المدائح النبوية، جمعها الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- المحدثون من الشعراء وأشعارهم لجمال الدين القفطي، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، مطبعة الحجاز بمشق ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.
- مروج الذهب للمسعودي، دار الأنلس، بيروت.
- المستدرک في شعر بني عامر من الجاهلية حتى آخر العصر الأموي، جمع وتحقيق ودراسة الدكتور عبد الرحمن محمد الوصيفي، إصدار نادي المدينة المنورة الأدبي.
- المستطرف في كل فن مستطرف للإبشيبي، تحقيق مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- مسند أحمد بن حنبل، المكتب التجاري - بيروت ١٩٦٩م.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأنلس، للفتح بن خاقان، تحقيق محمد علي شوابكة، دار عمار ومؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- مع ابن جبير في رحلته، تأليف عبد القدوس الأنصاري، المطبعة العربية الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.
- معجم الأدباء لياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت..
- معجم الأماكن الواردة في المعلقات العشر، تأليف سعد بن عبدالله الجنيد، طبع إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار بيروت للطباعة والنشر.
- معجم ما استعجم لأبي عبيد الله البكري، تحقيق مصطفى السقا، القاهرة ١٩٤٥م.
- مكة في عصر ما قبل الإسلام، للسيد أحمد أبو الفضل عوض الله، مطبوعات دار الملك عبدالعزيز، الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وسلم - تأليف الدكتور أحمد إبراهيم الشريف - دار الفكر العربي - القاهرة ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م.
- مكتبي قبلتي، منشورات دار الرفاعي، السلسلة الشعرية (٧) الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- المعارف لابن قتيبة، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة، دار المعارف، الطبعة الرابعة.

- المغرب في حلى المغرب، لابن سعيد الأندلسي، تحقيق الدكتور شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- المقطف من أزاهر الطرف، لابن سعيد الأندلسي، تقديم ودراسة الدكتور سيد حنفي حسنين، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤م
- المقدمة لابن خلدون، دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٧٩م.
- الملك عبدالعزيز في عيون شعراء الشام، تأليف خالد بن محمد الخنين، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
- الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى، جمع إسماعيل حسين أبو زعنونة، دار الملك عبدالعزيز ١٤٩١هـ.
- الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر، تأليف عبدالقدوس الأنصاري، دار العمير للثقافة والنشر، جدة الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م.
- المنتخب والمختار في النوازل والأشعار لجمال الدين ابن منظور، تحقيق الدكتور عبدالرزاق حسين - دار عمان، عمان - الأردن ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- من المنيح لقيوني في العصر المملوكي - تليف غازي شبيب - المكتبة المصرية صيدا ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.
- الموشح لأبي عبدالله المرزباني، تحقيق علي محمد البجاري، نهضة مصر ١٩٦٥م.
- موقع مكافئ لعبد الوهاب عزام، دار المعارف بمصر ١٩٥٠م.
- النبوغ المغربي في الأدب العربي، تأليف عبدالله كنون.
- نشر الرياحين في تاريخ البلد الأمين، تأليف عاتق بن غيث البلادي.
- نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب لابن سعيد الأندلسي، تحقيق الدكتور نصرت عبدالرحمن، مكتبة الأقصى - عمان - الأردن ١٩٨٢م.
- نفع الطبيب في فحسن الأندلس الرطيب، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.
- نفحة الريحانة للمحبي.
- النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، طبع دار المعرفة، بيروت.
- هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام - تأليف عاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع ١٤١٦هـ.

\*\*\*\*\*

## فهرس الأعلام

(١)

٣٠٩، ٢١٩، ١٥١، ١٥٠، ١٢٤، ١١٥، ١١٤، ٧٣، ٦٨، ١٩، ١٨، ١٧، ١٦	إبراهيم (عليه السلام)
١٨٤	إبراهيم الخياري
١١٢	إبراهيم المالكي
٤٦	إبراهيم أمين خودة
٢٠٨	إبراهيم بن إسحاق الحربي
٢٠٩	إبراهيم بن يوسف المهتار المكي
٤٦	إبراهيم خليل العلاف
١٤٣، ٤٦	إبراهيم نثر
٢٥٧، ٢٣٥، ٢٣٤، ٢٣٢، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ٢٢٧، ٨٤	أبرهة
٢٣٠	ابن أذينة الثقفي
٢٥٩	ابن الأثير
٧١	ابن الأعرابي
١٣٢	ابن الأنباري
١٨٥، ١٨٣	ابن الجوزي
٢٧٠	ابن الحداد
٤٣	ابن الحكاك المكي
٣٠٠	ابن الدمثة
٢٦٩	ابن الرومي
٢١٩، ٢١١	ابن الزبير
٢٧٤	ابن الساعاتي
١٥٩	ابن صاحب

- ابن الفارض ————— ٤٦، ١٤٢، ١٤٨، ١٤٩، ١٧٠، ١٧٤، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٩٦، ١٩٧، ٢٧٣، ٣٠٢، ٣٠٤
- ابن المعتر ————— ٩٨، ٢٥٧
- ابن المقرب الميوني ————— ١٣٠، ٢٠٢، ٢٧٢، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٧، ٢٩٧
- ابن النجم ————— ٣٦٢
- ابن أم مكتوم ————— ١٥٧
- ابن إياس ————— ٢٤٢
- ابن أيوب ————— ٢٤٢
- ابن جابر الأندلسي ————— ٤٥
- ابن جبير محمد بن أحمد بن جبير الكفائي ————— ١١، ١٧٥، ١٩١، ٢٨٣، ٣١٧، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥
- ابن جدمان ————— ٢٠٤، ٢٤٤
- ابن جماعة ————— ١٥٩
- ابن حبان ————— ٢١
- ابن حجة الحموي ————— ٤٥
- ابن حرب ————— ٢٥١
- ابن حزم ————— ٢٠٥
- ابن حمديس ————— ٢٧٢، ٣٠٧، ٣٠٨
- ابن حيوس ————— ٩٨، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ٢٧٧، ٢٧٩، ٣٠٢، ٣٠٦
- ابن خلدون ————— ٤٥
- ابن خلكان ————— ٣٢٥
- ابن دريد ————— ١١٦، ١١٧، ١٣١
- ابن دقيق العيد ————— ٢٢، ٤٥، ١٩٢، ١٩٤
- ابن زقاعة ————— ٢٨٢، ٢٨٣
- ابن إسحاق ————— ٢٢٥
- ابن ميمد ————— ٢٩٥

ابن سعيد الأندلسي ..... ١٦٢، ١٦١

ابن سلام الجمحي ..... ٢٩٤، ٢٤٠، ٢٢٧، ١٢٤، ٤٢

ابن سيد الناس الهميري ..... ٤٥

ابن صمادح ..... ٢٧٠

ابن طباطبا ..... ٣١٧

ابن ظهيرة القرشي ..... ٢٥

ابن عباس ..... ١٥٠، ٣١

ابن عبد ربه الأندلسي ..... ٢٣٧

ابن عربي ..... ٤٦

ابن عساكر ..... ١٧٥

ابن عمر ..... ١٨

ابن عنين ..... ٢٩٧، ٢٧٧، ٢٠٧

ابن غازي الكتاسي ..... ٢٠٩

ابن فارس ..... ١٣

ابن فريتي ..... ٢٠٦

ابن قتيبة ..... ٢٢٠، ٢١٧، ٢٠٤

ابن كثير ..... ٢٤٦

ابن المعتز ..... ١٨٩

ابن معصوم (علي بن نظام الدين أحمد بن محمد بن معصوم) الملقب بـ (صدر الدين)

..... ١١، ١٨٤، ١٨٩، ٣١٧، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥١

ابن مقبل ..... ٢٠٠

ابن مناذر ..... ١٠١، ٩٨

ابن نباتة ..... ٢٧٢، ٢٧٢، ٤٥

ابن نوح ..... ٢٥٧

- ابن هاشم ..... ١٥
- ابن هرمة ..... ١٣٢
- ابن هشام ..... ٢٠، ٧١، ١١٣، ٢٣٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢١١
- ابن وهام ..... ٢٣٦
- أبو الحسن بن أضحى ٢٨٤
- أبو النظر الطرازمي ..... ٢٨١
- أبو إسحاق الحربي ..... ١٤٠
- أبو الأسود الدؤلي ..... ٩٠
- أبو الإقبال الهمقوي ..... ١١٩
- أبو البشتري بن هشام بن الحارث ..... ٨٦، ٢٤٨
- أبو البقاء محمد بن أحمد بن الضياء المكي الحنفي ..... ٢٤
- أبو الحسن التهامي ..... ٤٣
- أبو الحسن علي بن الحسن (ابن الربيعاني) ..... ٤٣
- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي ..... ٢٧٩
- أبو الخضر بن عهد القوي ..... ٣١٤
- أبو السماعات ..... ٣١٤
- أبو الصلت بن ربيعة الثقفي ..... ٢٣٣
- أبو الطيب محمد بن شهاب الدين المكي الفاسي ..... ٢٤
- أبو العباس بن ثراية ..... ٢٦٩
- أبو المطاف جرير بن خرقاء البجلي ..... ٢٩٠
- أبو العميل ..... ١٤٢
- أبو الفتوح (أمير مكة) ..... ٤٣
- أبو الفضل عبد المحسن بن محمود التتوخي الحلبي ..... ٢٣٤
- أبو الفضل محمد بن العقاد ..... ١٨٤



- أبو القاسم بن عجلان ..... ٣١٤
- أبو المعالي الكلابي ..... ٩٨
- أبو الوليد محمد بن عبدالله الأزرق ..... ٢٤
- أبو أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم ..... ٢١٨
- أبو بكر الصديق ..... ٢٤٨، ١٤٥، ٨٧، ٣٢، ٣١
- أبو بكر محمد بن عتيق البكري السوارقي ..... ٤٣
- أبو تمام ..... ١٠٠، ٩٩، ٩٨
- أبو حاتم ..... ١٣٢
- أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني ..... ٢٥٩
- أبو حنيفة (الإمام أبو حنيفة) ..... ٢١
- أبو دهب الجمعي ..... ١٣٠، ١٢٩، ٩١
- أبو ذؤيب الهذلي ..... ١٤٠، ١٣٨، ١٣٥، ١٣٠
- أبو زهير ..... ٢٠٤
- أبو زيد أحمد أحمد بن سهل الهلبي ..... ٢٦
- أبو سعيد محمد بن يوسف الثوري ..... ٢٦٨، ٩٨
- أبو سفیان بن الحارث بن عهـالمطلب ..... ٢٤٦، ٢٠٤، ٨٣، ٤٢
- أبو سفیان بن أمية ..... ٢٤٢
- أبو سفیان بن حرب ..... ٢٣٨
- أبو سيارة عميلة بن خال بن أعزل ..... ٢٨٨
- أبو شامة عبدالرحمن بن إسماعيل القنمسي النعشقي ..... ٢٧٤، ٢٠٩
- أبو صخر الهذلي ..... ٢٥٧، ٢٠١
- أبو طالب ..... ٢٩٥، ٢٤٨، ٢٠٧، ١٦٦، ١٢٤، ١٢٣، ١١٥، ١١٤، ٧٢، ٤٢
- أبو طالب عبدالجبار الأندلسي ..... ٢١١
- أبو طاهر القرمطي ..... ٣٦٢، ٣٦١

٢٧١	أبو عامر محمد بن عبدالله بن سلامة
١٧٤	أبو عبدالله الحميدي
٤٣	أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأسدي
٢٣٨	أبو عبيدة
٤٢	أبو عزة النجمي
١٥٨	أبو علي الهوسني
٢٨٧	أبو غيثان
٢٣٢	أبو قيس بن الأسدي
٢٦٨	أبو محمد الحنكاسي
١٨٩	أبو محمد الهزدي
١٧٤	أبو محمد بن عبدالله بن عثمان النهوي
٢٥٣	أبو محمد عبدالله بن زكريا الشقراطيسي
١٧	أبو مطر
٢٨٤	أبو نصر
٣٠٢، ١٠٤	أبو نسي محمد بن أبي سمند
٩٥، ٩٤	أبو نواس
٢٠، ١٨	أبو هريرة
٢٨٨	أبو هفان
٢٤٦، ٢٤٤، ٢٣٢، ٧٢	أبو هلال العسكري
٢٧٠	أبو يحيى محمد بن مهن
٢٤٥	أبي بن خلف
٢١٧	أبي بن سائل الكلي
١٢٣، ٤٧	إحسان هياس (الدكتور)
٢١	أحمد (الإمام أحمد)

١٥	أحمد إبراهيم الشريف
٤٧	أحمد أبو بكر
٢٥٥، ٤٧	أحمد الجذع
٢٧٥، ١٩٨، ١٨٤	أحمد الجوهري
١٣٦، ١٢٠، ١١١، ١١٠، ١٠٥، ٤٦	أحمد الغزاوي
٣١	أحمد المصطفى
٤٣	أحمد بن الحسين العليف
٢٠٢	أحمد بن الملا الحلبي
٢٥	أحمد بن زيني دحلان
٢٠٨	أحمد بن عمرو
٢٠٩	أحمد بن عيسى الخولاني
٦٤، ٤٧	أحمد بن محمد الشامي
١٤٦	أحمد بن محمد مصلي
١٨٤	أحمد بن مسعود
٤٥	أحمد بن موسى المكي
٥٦، ٥٥، ٥٠، ٤٧	أحمد عبدالسلام غالي
٤٦	أحمد عبدالغفور عطان
٨١، ٦١، ٥٦، ٥٤، ٥٢، ٥٠، ٤٧، ٤٣	أحمد فتيدل
٥٤، ٤٨، ٤٧	أحمد موصلي
٩٤	إدريس الحسني
١٦	إدريس عليه السلام
٧٣	أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر
٢١٧، ٣١، ١٦	آدم عليه السلام
٣٠٦	أسامة بن منقذ

٢٧٧	إسحاق الموصلي
٢٢٠	أسعد أبو كرب الحميري
٢٠٠	أسماء بنت أبي بكر الصديق
٢٢٥، ١٤٣، ٦٩، ٦٨، ١٧، ١٦	إسماعيل (عليه السلام)
١٥	إسماعيل أحمد حافظ
١٦٥، ١٣١، ٩٨، ٩٧	أشجع السلمي
٧١	الأبطحي
٢٩٨، ٢٩٦، ٢٠٥	الأحوص
٢٩٩، ٢٩٦، ٢٠٦، ٩٠	الأحوص الأنصاري
٢٤٧	الأخضر بن لمعة الديلي
٦٨، ٣٠	الأخطل التغلبي
٢٨٨، ٢٢٥، ٢١٩، ٢١٠، ٢٠٩، ٢٠٠، ١٥٧، ١٥٥، ١٥٤، ١٤١، ٩٥، ٧١، ٧٠، ١٥	الأزرق
٧١	الأزهري
١٣٠	الأمدي
٢٧٢	الأسواني أحمد بن علي
١٣١	الأصمعي
٦٩	الأعشى
١٢٣	الأعشى الكبير
٢٧٧	الأمجد بهران شاه
٣١١	الأميري
٤٥، ٤٣	الياقوت
٢٦٩	البيستري
١٨	البيضاوي
٣٤٢، ٣٤١، ٣١٧، ٨٧، ٨٥، ١١	البرعي (عبد الرحيم بن أحمد بن عبد الرحيم البرعي)

البشير المجذوب	٢٦
البكري	٧١
البهاء زهير	١٦٤، ١٦٣
البوصيري	٤٥
الثعالبي	٣١٧، ٢٩٢، ٢٨٨، ٢٧٣، ٢١٧، ٦٨
الجاحظ	٣٥٣، ٦٩
الحارث المخزومي	١٥٩، ١٤١
الحارث بن أمية	١٩٨
الحارث بن حلزة الهشكري	٢٤٨
الحارث بن عبدالمطلب	٨٣
الحارث بن عمرو بن مضاض	١٥٧، ١٥٥
الحارث بن عوف	٢٩٣
الحارث بن مضاض الجرهامي	٧١
الحافظ بن حجر العسقلاني	٨٥، ٤٥
الحاكم	٢٧
الحجاج بن يوسف الثقفي	٢٥٧، ٢٥٦، ٢١٩، ٢١١، ٢٠٥، ١٧
الحريش بن هلال القريني	٧٥
الحزبن الكتاني	٢٠٧
الحسن بن عبد الرحمن الهازوري	٣٠٦
الحسن بن عبد الكريم الصنعاني	٢٠٩
الحسن بن عجلان	٣١٢
الحسن بن علي القطان (أبو علي المروزي)	١٨٢
الحسن بن محمد الصفاني النحوي	١٦٥
الحسن بن مخلد	٢٧٣

- الحسن بن يسار ..... ٣٦
- الحسين بن علي ..... ٢٨٩
- الحطيفة بن شماس ..... ٢٩٤ ، ٢٤٨ ، ٨٩
- الحماني ..... ٣١٧
- الحميري ..... ١٣
- الخطيب التبريزي ..... ٢٩٣ ، ١٠٠
- الخليفة الرشيد ..... ٩٨
- الخليل عليه السلام ..... ٢٣٠
- الخنساء ..... ٣٢٧
- الخوارزمي ..... ١٦
- الخويي ..... ٢٨٩
- الدبلي بن بكر ..... ٢٥٠
- الدزيري ..... ٢٧٩
- الرسول (ﷺ) ..... ٢٠ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ١٥٠ ، ٢٠١ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣١١
- الرمادي ..... ٢٧٠
- الزبير بن بكار ..... ٢٤
- الزبير بن عبد المطلب ..... ٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
- الزيفشري (محمود بن عمر بن محمد بن أحمد) أبو القاسم (الملقب بـ «جار الله») ..... ١١ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٦٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٥
- المرقي الرفاء ..... ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨
- السلطان قايتباي ..... ٢٢٢
- السلطان مراد ..... ٢٢٢
- السميدع ..... ٢٢٢ ، ٢٢٥

السيوطي	٤٢، ٤١
الشافعي (الإمام الشافعي)	٩٢، ٢١
الشريف الرضوي أبو الحسن محمد بن أبي أحمد الحسين الطاهر (ذو المناقب)، (الشريف الموسوي)	١١، ٩٤، ١٢٣، ١٦١، ١٧٧، ١٨٩، ٢١٧، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٣٢٥
الشريف المرتضى	١٦٢، ١٢١، ٧٦، ٧٥
الشريف بركات	٩٥
الشريف مسمود	٢٠٣
الشيخ إبراهيم	٧٨، ٧٤
الشيخ محمود	٢١٢
الصباوي	٣٠٣، ٧٨
الصرصري	١١، ٨٧، ٣٠٥
العاص بن وائل	٢٤٤
العباس	١٨، ٩٥، ٢٤٦
العباس بن عبيد الله بن جعفر	٩٤
العباس بن محمد	٢٩٧
العباس بن مرداس	٧٥
العجاج	٢٩١
المرجني	٤٢
المزيز صاحب اليمن (الملك)	٢٠٧
العفيف التلمساني	٤٥
العماد الأصفهاني	٤٣، ١٠١، ٢٧٤
الغزاوي	٤٣
الفايز بن الطاهر	١٠٣

١١٠	الفاروق
٢٧	الفاكهي
٢٨٤	الفتح بن خاقان
٧٥	الفرء
٣٠٩ ، ٣٠٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩١ ، ٢٩٠ ، ٢٥٧ ، ٢٣٣ ، ١٤١ ، ٩٢ ، ٩١ ، ٧٨ ، ٧٧ ، ٦٨	الفرزدق
١٠١ ، ٩١ ، ٩٠	الفضل بن يحيى بن جعفر
٢٨٠	الفضيل بن عياض
٤٣	القلالي
١٦٥ ، ٢٥	القيروز ابادي
١٠٤	القاسم بن علي بن هتمل
٧٠	القرشي
٢٠٢	القسطلاني المكي
١٤٣	القطب المكي
١٦٢	الققطي
٧٢	القلمس الكتاني
١٥٢	الكسروي
٧٠	المبرد
٣٠١ ، ١٣٥ ، ١١٤ ، ١١٣	المتوكل اللهي
٤٣	المجاشعي القيرواني
٢٤	المحب الطبري
٢٢٠ ، ١٥٨	المرزباني
١٣٦	المرزوقي
٣٣٤ ، ٣٣٠ ، ٢٧٩ ، ٢٧٣ ، ١٨٧ ، ٨٧ ، ٩	المصطفى (عليه السلام)
٨٦	المطعم بن عدي



١٠٤	المظفر (ملك اليمن)
٩٩	المتصم
٢٢٢	المتضد العباسي
٢٣٠	المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم
٢٢٢	المقتدر العباسي
٢٧٧	الملك العادل سيف الدين بن أيوب
١٩٢	المنصور بن أبي عامر (الملك)
٢٢٢	المهدي العباسي
١٩٦	المهذب بن الزبير
٢٨٩	الميداني
٢٠٩	المير محمد بن إسماعيل الصنعائي
٢٩١ ، ١٣٨ ، ١٣٧	الناطقة الذبياني
٣١٧	الناصر
٢٧٢	الناصر لدين الله
٢٤١	النهائي
١٨ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٦ ، ٨٢ ، ٩٢ ، ١٠٩ ، ١٢٣ ، ١٣١	النبي (ﷺ)
٢٩٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢١٠ ، ١٢٣	
٧٠	النيهت
٢٧	النجم بن عمر
١٢٢	النسائي
٧٩	النعمان بن بشير
١٤١	النهري
٢٤٠ ، ٢٣٨	الوليد
٢٠٤	الوليد بن المغيرة

- ٢١٩..... الوليد بن عبد الملك
- ٢٢١..... اليكسوم (ملك الحبشة)
- ٩٥..... أم الفوث بن أخزم
- ١٨٥..... أم أيمن بنت علي
- ٢٣٢، ١٩٩، ١٢٩..... أمية بن أبي الصلت الثقفي
- ١٣٩..... أمية بن خلف الخزاعي
- ١٥٩..... أمية بن عائذ العمري
- ١١٤، ١١٣..... إنصاف علي البغاري
- ٧٥..... إياس
- ٢٢٠..... أيمن بن خريم

(ب)

- ٢٦٦..... بصير بن عبد الله القشيري
- ٢٠٩..... بدر الدين الزركشي
- ٩٣..... بدر الدين العليف
- ١٩٣..... برهان الدين القيراطي
- ١٥، ١٢..... بروكلمان
- ١٥..... بطليموس الاسكندري
- ٢٩٠..... بكر بن وائل
- ٢٥٦، ١٦٨، ١٤٠..... بلال بن رباح

(ت)

- ٢٠..... تنج
- ٢٠٩..... تقي الدين عبد الملك بن أحمد الأرمني المصري الشافعي

(ج)

- ٢٢..... جبريل عليه السلام

جريد	٢٣٠ ، ٢٥٦ ، ١٣٤ ، ٦٨
جريد بن عطية الخطفي	٧٧
جعفر	٢٤٣
جعفر الخطي	٢٩٨ ، ٢٨١ ، ٢٨٠ ، ٢٧٨
جعفر بن محمد بن حمدان الموصللي	٢٠٢
جعفر عوض	١٠٩
جمال الدين احمد بن علي الحسني	٢٠٧
جمال الدين بن نيافة	٨٧
جميل بشنة	٢٤٩
جواد علي	١٧ ، ١٢

### (ح)

حاتم الطائي	١٣٧
حامد دمنهوري	٤٦
حبي بنت قصي	٢٨٨
حبيب معلا	١٢١
حذيفة المدوي	٢٤٧
حرب بن أمية	٢٤٢ ، ٢٣٨ ، ١٧
حسان بن ثابت	٨٢ ، ١٣٢ ، ١٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١
حسن الظاهري	٥٩
حسن بن أبي نمي بن بركات	٩٤
حسن بن مجلان	٩٣
حسن بن شهد الهويمل	١٠٨
حسن جمال الدين	٢٥
حسن عبدالله القرشي	٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ١٢٧

- ٤٧.....حميد عرب
- ١١٩.....حميد بستانة
- ٤٦، ٤٣.....حميد سرحان
- ٣١٠، ١٤٦، ١٤٥، ١٣٦، ١٢٥، ٦١، ٥٩، ٥٧، ٤٧، ٤٦، ٤٣.....حميد عرب
- ١٨٦، ٤٦.....حميد قطاني
- ٢٢٧.....حميد مؤنس
- ٢٧٦.....حميد نصار
- ٢٨٨.....حليل حيشية بن ملول الخزاعي
- ٢٥٣، ١٢٨.....حماس بن قيس البكري
- ١٣٤.....حمد الجاسر
- ٢٥٩.....حمزة الشاري
- ١١٢.....حمزة بن أحمد الشريف
- ٩١.....حمزة بن عبدالله بن الزبير
- ٤٦، ٤٣.....حمزة شعاعة
- ٢٩٦.....حميد بن ثور الهلالي
- ٩٤.....حميدة بن أبي نُمي

(خ)

- ٦٢.....خالد الحلبي
- ١٠٠، ٩٩.....خالد بن يزيد الشيباني
- ٢٩٤، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٠٤.....خداش بن زهير
- ٧٥.....خليل الله
- ١٠٧.....خليل مطران
- ١٠٩.....خير الدين الزركلي

(د)

- ٢٨، ٢٧.....داود بن عيسى بن موسى الهاشمي

- ٢٩٤ ..... درهم بن زيد الأومى  
 ١٣٦ ..... دريد بن الصمة  
 ٢٠١، ٩٢ ..... دعبل الخزاعى  
 ٤٣ ..... دهمش بن وهام الحسنى

(د)

- ٢٩٥ ..... ذو الجوشن الأعور  
 ٣٠٤، ٢٦٦، ٢٦٥، ٢٣٤، ١٨٩، ٧٨، ٧٣ ..... ذو الرمة

(هـ)

- ٢٤٣ ..... ربيعة بن عثمان  
 ٤٧ ..... رجاء الجوهري  
 ٣٦ ..... رزين بن معاوية  
 ١٠٧ ..... رشيد أيوب  
 ٤٢ ..... رقية بنت عبدالمطلب  
 ١٠٣ ..... رميثة  
 ٢٤٢ ..... رياح بن الأهمم القشيري

(ز)

- ٢٥٦، ٢٠٥ ..... زجلة بنت منظور بن زيان الفزارية (أم هاشم)  
 ١٣٧ ..... زرة بن عمرو بن خويلد  
 ٢٥، ٩ ..... زكي هابدين غريب  
 ٢٤٨ ..... زمعة بن الأسود بن المطلب  
 ٢١٧، ٨٦ ..... زهير  
 ٢٩٣ ..... زهير بن أبي سلمى  
 ٢٤٣ ..... زهير بن ربيعة أبي خداش  
 ٢٩٠ ..... زياد بن صخر

زياد بن أبيه ٢٩٠

زيد بن محسن ٢١٢

زين العابدين بن عبدالقادر الطبري ٢١٢، ٩٥

(س)

صابق بن محمود ١٠٠

صالح بن أبي سليمان ٤٣

صبيحة بنت الأحب ٢٣١

صديق بن ميمون ١٥٧، ٤٣

سراج بن عمر مفتي ١٤٦

سراج مفتي ٢٣٦، ١٤٩، ١٤٦

سمد بن زيد مذاق ١٣٨

سمد بن سهم ٧٣

سمد بن عبادة ٢٥٣، ٢٥١

سمد بن عمر السهمي ٢٢٢

سمود بن عبدالعزيز (الملك) ١١٠

سعيد الأفطاني ١٣٦، ١٣٥

سعيد بن سليمان المصاحفي ٢٩٧

سفهان بن أمية ٢٣٨

سليم خان (السلطان الأعظم) ٢٢٢

سليمان (عليه السلام) ٨٦

سليمان الموحدي ٢٧١

سليمان بن عبد الملك ٢٠٦، ٢٠٥

سليمان خان ٢٥٩، ٢٢٢

سوار بن أوهى القشيري ٧٢

(ش)

- شرف الدين البوصيري ..... ٨٦، ٨٧  
شمس الدين التواجي ..... ٤٥، ٢٨٦  
شهاب الدين القاسمي ..... ٣١٧، ٣١٢  
شهاب الدين المرشدي ..... ٩٣  
شهاب الدين بن خبطة ..... ٣١٤  
شهاب الدين محمود ..... ٤٥  
شوقي ضيف ..... ٢٦، ٨٣  
شيث ..... ١٧

(ص)

- صالح الشرنوبلي ..... ١٤٥  
صغير (أخو الخنساء) ..... ٣٢٧  
صدقة بن الحجاج ..... ١٠١، ٢٠٧  
صفي الدين الحلي ..... ٤٥  
صفية بنت عبدالمطلب ..... ٤٢  
صفية بنت مسافر ..... ٤٢  
صلاح الدين الأيوبي ..... ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٣٠، ٣٣٤  
صلاح الدين الصفدي ..... ٢٥

(ض)

- ضباغة بنت عامر ..... ١١٦، ١٩٩  
ضرار بن الخطاب ..... ٤٢، ٢٥١

(ط)

- طالب بن أبي طالب ..... ٢٣٣  
طاهر زمخشري ..... ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٥٠، ٥١، ٥٩، ٣١٠، ٣١١

طريف بن تميم المتبري ١٣٨

طلحة ٢١

(ع)

مائثة العثمانية ٢٥٧، ٢١٩

ماتس الردادي ١٨٤

ماتق بن غيث الهلادي ٢٧، ٢٦

عامر بن الطفيل ٤٢

عامر بن الطرب المدواني ١٣٨

هباس بن مرداس ٢٤٥

عبدالباسط بن أيوب ٢٥٩

عبدالجليل بن وهبون المرسي ٢٨٤

عبدالرحمن ابراهيم الدياس ٩

عبدالرحمن الجشمي ٤٢

عبدالرحمن المكوذي ٨٨

عبدالرحمن بن فيصل الممر ٢٥

عبدالرحيم البرهي ٣٠٤، ١٩٣، ١٩٠، ١٨٩، ١١٨، ١١٧، ٧١، ٤٥

عبدالرزاق حسين (الدكتور) ٤٧، ١٢

عبدالصمد بن عبد الوهاب الشافعي (أبو النعمان) ١٦٤

عبدالصمد بن عبد الوهاب بن هبة الدمشقي (ابن صباكر) ٤٥

عبدالصمد بن محمد العمودي ٢١٢

عبدالمعز آل سعود (الملك) ١٢٠، ١١٩، ١١٠، ١٠٩، ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥

عبدالمعز الرفاعي ١١٩، ٢٥

عبدالمعز الزمزمي ٨٥

عبدالمعز السنيدي ٢٣، ٩



- عبدالمزیز القشتالي..... ١٩٥
- عبدالمزیز بن شعبان..... ١٠٨
- عبدالمزیز بن عبدالله بن خالد بن أسید..... ٢٠١
- عبدالمزیز بن مروان..... ١٥٩
- عبدالمزیز سمود الباطین..... ١٢، ٩
- عبدالقني الثابلي..... ٤٥، ٢٦
- عبدالقادر الجزائري..... ٢٨١، ٤٥
- عبدالقادر الجیلاني..... ٤٦
- عبدالقادر الطبري..... ٢١٢، ٩٤
- عبدالقادر الفیاض حرقوش..... ٢٦
- عبدالقديس الأنصاري..... ٢٢٩
- عبدالله..... ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨
- عبدالله الأزرق..... ٩١
- عبدالله الحامد..... ٢٦
- عبدالله المراكشي..... ٢٣٠
- عبدالله بإسرا حیل..... ١٤٧
- عبدالله بلخير..... ٤٦
- عبدالله بن إدريس..... ١٧٨، ١٤١
- عبدالله بن الحارث السهمي..... ٢٤٩
- عبدالله بن الرقیات..... ٢٩٠
- عبدالله بن الزيمري..... ٢٩٤، ٢٣٢، ٢٣١، ٨٨، ٨٣، ٤٢
- عبدالله بن الزبير..... ٢٩٠، ٢٨٩، ٢٥٦، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٠، ٩١، ٩٠، ٢٦، ٢١، ١٧
- عبدالله بن المبارک..... ٢٨٠
- عبدالله بن ثور..... ١٩٨

- عبدالله بن جعش..... ٢٠٥
- عبدالله بن جدعان..... ٢٤٦، ٢٤٤، ١٢٩
- عبدالله بن حذافة السهمي..... ٤٢
- عبدالله بن حسن بن حسن..... ٢٩٢
- عبدالله بن رواحة..... ٢٥١، ٨٢
- عبدالله بن صالح الرقبة..... ٢٢٣
- عبدالله بن عمرو..... ٢٦٩
- عبدالله بن قيس الرقيات..... ٢٩٠، ٢٢٣، ١٢٢، ٩٠، ٧٩، ٤٢
- عبدالله بن محمد الفاكي..... ٢٤
- عبدالله بن محمد الناشئ..... ٢١٠
- عبدالله بن محمد قاري الهندي..... ٢٠٩
- عبدالله بن وداعة..... ٧٣
- عبدالله عبدالجبار..... ٢٦
- عبدالله محمد أبو داهش..... ٢٥
- عبدالمحسن الصعاف..... ٨٠
- عبدالمحسن القلمي..... ٢١٢
- عبدالمطلب..... ٢٩٥، ٢٢٩، ٢٢٧
- عبدالملك بن أحمد الأرمني المصري..... ٢٠٩
- عبدالملك بن حسين العصامي المكي..... ٢٠٩
- عبدالملك بن مروان..... ٢١٩
- عبد الواحد بن سليمان..... ٢٥٩
- عبد الوهاب أشي..... ٤٦
- عبد الوهاب بن أبي نصر بن عريشاه..... ٢٠٩
- عبدان الأصبهاني..... ٢٨٩

- عبيد الله بن قيس الرقيات ..... ٣٠٨، ٩٠
- عبيد بن عبدالمزى السلامي ..... ٢٩٨
- عبيدالله بن الحر ..... ٢٠٦
- عبيدالله بن عبدالله بن طاهر ..... ١٥٧
- عثمان بن عفان ..... ٢٤٢، ٢١٩، ٢٠٠، ٣١
- عجلان بن رميثة ..... ١٠٤
- عدوي (الشاعر) ..... ٧٣
- عدي بن زيد العبادي ..... ٢٩٤
- عرقلة الكلبى ..... ٣٦٨
- عروة بن أذينة ..... ١٣١
- عطيفة بن أبي نمي ..... ١٠٢
- عفيف الدين علي بن عبدالله بن جعفر ..... ١٠٣
- عقبة الأسدي ..... ٢٨٩
- علقمة بن عبدة التميمي ..... ٤١
- علقمة بن علاثة ..... ٤٢
- علي بن عابدين ..... ٤٦
- علي الروذباري ..... ١٨٥
- علي السنجاري ..... ٢٨٠
- علي الصانع ..... ٢٠٩
- علي بن أبي طالب ..... ٣٤٢، ٢٨٩، ٩٠
- علي بن أحمد السوسي الدوقاري ..... ٢٥
- علي بن أحمد بن معصوم ..... ١٨٥، ٤٢
- علي بن أفلح ..... ١٤١
- علي بن الحسن الرعيتي ..... ١٦٦

- علي بن الحسن بن صدقة ..... ٢٧٠
- علي بن الحسن بن عجلان الحسني ..... ٢٦٧
- علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ..... ٩١
- علي بن القاسم المنلا ..... ١٨٤
- علي بن باويه ..... ٢٦١
- علي بن حسن أبو الملا ..... ٣٠٩، ١٤٧، ١٤٤
- علي بن حسن الهرزنجي ..... ٢١٠
- علي بن حسن المعجلي التهامي ..... ٢٥
- علي بن حسن بن عجلان ..... ٣١٤، ١٠٢
- علي بن عبدالقادر الطبري ..... ٢١١
- علي بن عجلان ..... ٣١٤
- علي بن عيسى (ابن وهاس) ..... ٤٣
- علي بن محمد التتوخي ..... ١٢٨
- علي بن محمد الحندودي ..... ٣٠٢
- علي بن محمد الطبري ..... ٤٣
- علي بن محمد المليف ..... ٤٣
- علي بن محمد المدائلي ..... ٢٤
- علي بن محمد بن حسن الأنصاري الإشيلي ..... ١٧٠
- علي زين العابدين ..... ١٨٧، ٥٥، ٤٧
- عمار بن بركات ..... ١٨٤، ٤٣
- عمارة بن أبي الحسن اليميني ..... ١٠٢
- عمر أبو ريشة ..... ١١٩
- عمر بن أبي رييمة ..... ٣٢٢، ٢٩٩، ١٧٣، ١٤٢، ١٢٨، ٨٠، ٤٢
- عمر بن الخطاب ..... ٣١١، ٢٢٥، ٢١٩

- عمر بن شبة ..... ٢٤
- عمر بن عبدالعزيز ..... ٢٩٦، ٢٧٦، ٩٠
- عمر بن علي بن مرشد الحموي (سلطان المشاق) ..... ٤٥
- عمر بن قهد ..... ٢٥
- عمر بن قهصل آل زيد ..... ٢٠٣
- عمر بهاء الدين الأميري ..... ٦٣
- عمرو ..... ٢٤٢، ٢٣٤، ٢٢٠، ٨٩
- عمرو بن الحارث القيشاني ..... ٧١
- عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمي ..... ١٥٥، ١٥٤
- عمرو بن حبان الضرير ..... ٢٠٨
- عمرو بن سائم الخزاعي ..... ٢٥٠
- عمرو بن سميد ..... ٢٥٦
- عمرو بن كلثوم ..... ١٣٩
- عمرو بن عامر بن عمران بن مخزوم ..... ٢٢٩
- عمرو بن عمرو بن الزبير بن العوام ..... ٢٠٧
- عمرو بن لحي ..... ١٥٦
- عمير بن عبدالله بن المنذر بن عبدان ..... ١٢٤
- عمير بن قيس بن جذل الطلمان ..... ٧٢
- عوف بن الأحوص ..... ١٣١
- عياض (القاضي) ..... ٣٧
- عيسى بن عبدالعزيز السعديوس ..... ٣١١، ٢٨
- عيسى بن هليظة ..... ٣٦٧، ٣٦٦

(٤)

- غرس الدين الخليلي ..... ٩٥

(هـ)

- ١٠٦..... فؤاد الخطيب
- ١٤٩..... فؤاد حمدي
- ١١٩، ١٠٥، ٤٦..... فؤاد شاكس
- ٢٣٣، ١٥٠..... فؤاد علي رضا
- ١٩١..... فخر بن سيف
- ٢٩٣..... فخر الدين قباوة (الدكتور)
- ٢٠٦..... فضالة بن شريك
- ٢٥١..... فضالة بن عمير بن الملوح الليثي
- ٢١٣..... فضل بن عبدالله الطبري
- ٢٢..... فهد الجريوع
- ١١٢..... فهد بن عبدالعزيز (الملك)
- ١٥..... فيصل أحمد حافظ
- ١٣٦، ١١٢، ١١١، ١٠٧..... فيصل بن عبدالعزيز (الملك)
- ١٥..... فيصل محمد عراقي
- ٢٠٩..... فيض الدين حسين أبو الفهض

(ز)

- ٩٥..... فانسوه الفوري
- ٤٢..... قتيلة بنت النضر
- ٢٨٨، ٢٨٧، ٢٢٧، ٢٢٠، ١٣٤، ٧٢، ٦٩، ١٧..... قصي بن كلاب
- ١٠٢..... قطب الدين أبو الخير محمد بن عبدالقوي المكي
- ٤٥..... قطب الدين القسطلاني
- ٧٠..... فيدر
- ٣٤٩، ٣٠٠، ٢٩٩..... قيس بن الملوح

قيس بن ذريح ..... ٢٠٠، ٢٧٦، ٤٢

قيس بن عيزارة ..... ٢٠١

قيس بن عيلان ..... ٢٠٢

(ك)

كاهور النبوي ..... ٤٢

كاهل العامري ..... ٢٩٤

كثير بن المطلب بن أبي وداعة ..... ١٩٩

كثير عزة ..... ٢٧٦

كعب بن زهير ..... ٩٠، ٨٢

كعب بن مالك ..... ٨٢، ٦٧

كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي ..... ٢٠٢

كلثوم بن شمس ..... ٢٢٢

(ل)

لؤي بن خالب ..... ٢٧٩

لبس ..... ٢٧٦

لبس ..... ٢٤٩

(م)

مبارك بن عطيفة ..... ١٠٤

مجد الدين الفيروزيابادي ..... ٢٠٩

مجد الدين الولري ..... ٤٥

مجنون لبس ..... ٢٤٩

محمد (ﷺ) ..... ٢٩٥، ٢٧٦، ٢٤٨، ٢٠٥، ٢٢

محمد إبراهيم جدع ..... ٤٩، ٤٧

محمد أحمد السباغي الصنعاني ..... ١١٠

- محمد أحمد العقيلي ..... ١١١، ١٠٩، ٤٧
- محمد الفارضي ..... ٢٨٥
- محمد أمين الجندي العباسي ..... ٢٥
- محمد بن إبراهيم الأسدي ..... ١٦٢، ١٤٠
- محمد بن إبراهيم بن جماعة ..... ٢٠٩
- محمد بن أبي بكر محمد اللهاد اللغمي ..... ٢٦
- محمد بن أحمد الأوساني الهمتي ..... ٧٩
- محمد بن إسحاق الخوارزمي ..... ١٩
- محمد بن إسحاق الفاكهي ..... ٢٤
- محمد بن الحنفية ..... ٢٩٠
- محمد بن بركات أبو نمي (الشريف) ..... ٢٥٩، ٢٠٣، ٢٠٢، ١٦٤
- محمد بن جعفر الصقلي ..... ٣٠٢، ١٣٠
- محمد بن حيدر الحسيني ..... ٢٨٠
- محمد بن سليمان بن الفقيه ..... ٢١٠
- محمد بن عبدالله النعمري ..... ٤٢
- محمد بن عبدالله صالح الأبهري ..... ٢٧
- محمد بن عبدالله بن صالح الهاشمي ..... ٦٩
- محمد بن علان الصديقي ..... ١٨٥
- محمد بن علي بن يحيى الأندلسي (أبو عبدالله) ..... ١٧٧
- محمد بن عمر الواقي ..... ٢٤
- محمد بن يعقوب القيرواني ..... ٤٥
- محمد توفيق اليعربي ..... ٢٠٩
- محمد حسن عواد ..... ٥٦، ٤٨، ٤٧، ٤٣
- محمد حسين فقي ..... ٨١، ٦٢، ٦٠، ٥٩، ٥٧، ٤٧، ٤٦، ٤٣



٢٣٣	محمد حسين هيكل
٣٦	محمد خفاجي
٤٧	محمد رائف الميري
٨٠	محمد صالح كمال
٢٠٩	محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي
٢١٢، ٤٣	محمد علي مغربي
٤٦	محمد عمر توفيق
٦٩	محمد فؤاد عبدالباقي
١٨٤	محمد كبريت
٨٢	محمد هاشم رشيد
١٩٨	محمد يحيى بن معصوم
٣٦٠، ٢٥٩	محمود (أمير الحج المصري)
٢٣٤	محمود التتوخي الحلبي
٥٠، ٤٧، ٤٣	محمود حارث حنين
٤٥	محيي الدين الفيروزآبادي
٩١، ٩٠	مروان بن أبي حفصة
٢٢٠	مروان بن الحكم
٤٢	مروان بن سراققة
٤٢	مساخر بن أبي عمرو بن أمية
٩٣	مسمود بن الشريف إدريس
٢٢٩	مسمود بن عمرو الثقفي
١٥٣، ٦٩، ٢٠، ١٨	مسلم (الإمام)
٢٣٤	مصطفى أبو الرز
٣٠٦	مصطفى الملك (أمير الجيوش)

- مصعب (ابن الزبير) ..... ٢٠٦
- مضاض بن عمرو الجوهري ..... ٢٢٢، ٢٢٥، ٢٥٢
- مضر ..... ٧٧
- مطعم بن عدي بن نوفل ..... ٢٢٩، ٢٤٨
- معاوية بن ابي سفيان ..... ٧٩
- معن بن اوس المزني ..... ٩٠
- مفرج السيد ..... ٤٧، ١٢٥
- مقبل عبدالعزيز الميمسي ..... ٤٧
- منتجع الملك (الوزير) ..... ٢٢٧
- مهيار الديلمي ..... ١٤٢
- موسى الكاظم ..... ٣١٧
- موسى عليه السلام ..... ٨٧
- موفق الدين علي بن محمد الحندي ..... ٩٤
- موفق الدين مكي ..... ٣٠٧
- مهسون بنت بعدل الكلبي ..... ١٥٠
- ميمون بن هاجر القشيري ..... ١١٦، ٢٧٥، ٢٧٦

(٥)

- نايت بن اسماعيل ..... ٢٢٥
- نبي الهدي (عليه السلام) ..... ٢٨، ٣١
- نبيه بن الحجاج ..... ٢٤٦
- نجم الدين الطبري ..... ٢٠٣
- نجم الدين الطرسوسي ..... ٢١٠
- نديم الراقي ..... ٤٧
- نصر (عم اسامه بن منقذ) ..... ٣٠٦

- ٤٥ \_\_\_\_\_ نصرالدين بن محمد النهاوندي البغدادي
- ٣٠١ \_\_\_\_\_ نصيب بن رياح
- ١٨٨ \_\_\_\_\_ نمير بن كهيل
- ٦٧ \_\_\_\_\_ نهار بن توسعة اليشكري
- ٧٢ \_\_\_\_\_ نهيك القشيري
- ٢٦١ \_\_\_\_\_ نوح عليه السلام
- ٢٧٤ \_\_\_\_\_ نورالدين (الزنكي)
- ٢٠٢ \_\_\_\_\_ نورالدين الحجازي
- ١٤٣ \_\_\_\_\_ نورالدين بن الجزار الشافعي

(هـ)

- ١١٩ \_\_\_\_\_ هادي خفاجة
- ٩٧ \_\_\_\_\_ هارون الرشيد
- ٢٢٠، ١٨١، ١٠٢، ٦٩ \_\_\_\_\_ هاشم
- ٢١٨، ٤٢ \_\_\_\_\_ هبيرة بن وهب المخزومي
- ٢٩٢ \_\_\_\_\_ هرم بن سنان
- ٢٤٠، ٢٣٩، ٢٣٨، ٨٦ \_\_\_\_\_ هشام
- ١٩٩، ١٩٨ \_\_\_\_\_ هشام المخزومي
- ٢٢١ \_\_\_\_\_ هشام بن عبد مناف
- ٢٤٨ \_\_\_\_\_ هشام بن عمرو
- ٢٦٥ \_\_\_\_\_ هلال بن أحوذ التميمي
- ١٤٢، ١٣٦ \_\_\_\_\_ هند
- ٤٢ \_\_\_\_\_ هند بنت أثالة
- ٤٢ \_\_\_\_\_ هند بنت عتبة

(و)

ولد آدم (النبى ﷺ) ..... ٨١

وهيب طنوس ..... ١٦٦

(ي)

ياسين قطب الفيل ..... ٢٣٦، ٤٧

ياقوت الحموي ..... ١٣٦، ١٣٤، ١٥

يحيى البرمكي ..... ١٠١

يحيى الجبوري ..... ٣٠١

يحيى الصرصري ..... ٣٤٢، ٣٤١، ٣٣٧، ٣٣٥، ٣١٧، ٧٤

يحيى النشو ..... ١٩٣، ١٠٤، ١٠٢، ٤٥

يحيى بن مسكين بن أيوب بن محارب ..... ٢٧

يزيد ..... ٢٥٧

يزيد بن حبيب القشيري ..... ٣٠٧

يزيد بن ضبة ..... ٤٢

يقتوب المنصور ..... ٢٧١

يتمر بن عوف ..... ٢٨٨

يوسف بن إسماعيل النبهاني ..... ٢٠٩، ٨٨، ٨٦

يوسف بن عبد الظاهر ..... ١١٣

يوسف بن مهتار المكي ..... ٢٢٣



## فهرس الأماكن

(1)

- أبطح مكة	٤٣، ٧١، ١٠١، ١٢٨، ٢٢٦، ٢٣٧، ٢٤١
- أبو قبيس	١٢٨، ١٥٤، ٢٤٤، ٢٦٦
- أجباد	٢٢٢، ٥٤، ٧٠، ١٤٤، ١٥٤، ٢٠١، ٣٠٥، ٢٤٢، ٢٤٩
- أحد	٢٢
- أرض بابل	١٦٢
- الأباطح	٢٢، ١٨٠
- الأبواء	٢٤٢
- الأخشيان	٥٩
- الاسكندرية	٢٣٥
- الأقعرانة	١٥٩، ١٢٨
- الآل	١١٧
- الأندلس	١٩١، ١٩٢، ٢٣٧، ٢٢٩، ٢٢٥
- النباصة	١٥
- البحرين	١٢٨
- البطاح	١٢٦، ١٢٩
- البطحاء (بطحاء مكة)	٤٣، ٧٠، ٧٩، ٩١، ٩٢، ١٦٠، ١٧٩، ١٩٥، ٢١٨، ٢٣٧، ٢٥٢، ٢٠٢، ٢٢٩
- البلد	١٣، ١٤، ١٨، ٢١٠
- البلد الأمين	١٣، ١٤، ١٩، ٢٤، ٢١٠
- البلد الحرام	١٩٦، ٢٠٩، ٢١٠، ٢٦٧، ٢٢٩
- البيت الحرام	١٨، ٢٤، ٧٢، ٧٦، ٨٥، ٨٨، ١١١، ١١٤، ١٢١، ١٢٣، ١٦٧، ١٧٢، ١٧٥، ١٨٠، ١٨٢، ٢٠٢، ٢٢٠، ٢٢٩، ٢٥٧، ٢٧٤، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢٠، ٣٢١
- البيت المتيق	١٥، ١٠٢، ١٠٥، ١٢١، ١٦٠، ١٦٧، ١٦٨، ٢٠٨، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٩٢، ٢٩٩، ٣٢٥
- البيت المحرم	١٧، ٢١، ٢٤، ٧٥، ١٥٠، ١٦٩، ٢٧٧، ٢٩٢
- التميم	١٢٦

- الشيات (شيات الوداع) \_\_\_\_\_ ٢٠٥، ٢٠١
- الشية \_\_\_\_\_ ١٧٩، ١٧٢
- الجزيرة \_\_\_\_\_ ٣٠٢، ٢٨٤، ٢٥٩، ١٢٨
- الجمرات \_\_\_\_\_ ٢٠١
- الحاطمة \_\_\_\_\_ ٢١٠، ١٥
- الحيشة \_\_\_\_\_ ٢٤٩، ٢٢١
- الحنماء \_\_\_\_\_ ١٨٠، ١٧٢
- الحجاز \_\_\_\_\_ ١٧، ٢٦، ٢٧، ٤٥، ٤٥، ٧٥، ١٠٦، ١٣٢، ١٤١، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٠٢، ٢٠٩، ٢١١، ٢٨٠، ٣٣٠
- \_\_\_\_\_ ٣٢١، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٨
- الحجر \_\_\_\_\_ ٢١، ٢٢، ٢٣، ٣٤، ٣٦، ٩٧، ١١٢، ١١٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٧٩، ١٨٥، ٢٠١، ٢٤٤، ٢٨٣
- \_\_\_\_\_ ٣٠١، ٣٢٨، ٣١٣، ٣٤٨
- الحجر الأسود \_\_\_\_\_ ٢٢، ٢٧، ١٠٤، ١١٥، ١٢٤، ١٣١، ٢٤٤، ٣١١
- الحيون \_\_\_\_\_ ٧، ٢٥، ٢٢، ٦٩، ١٢٤، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٥، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٢، ١٦٥
- \_\_\_\_\_ ١٧٥، ١٩٥، ٢٠٩، ٢٥٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٣٠٢، ٣٠٢، ٣٤٩، ٣٥٢
- الحرم \_\_\_\_\_ ٦، ١٥، ١٠٧، ١٨١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٩٣
- الحريرة \_\_\_\_\_ ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣
- الحطيم \_\_\_\_\_ ٤، ٧، ٣٦، ٨١، ٩٢، ١٠٢، ١١٧، ١٢٥، ١٣٠، ١٣١، ١٧٢، ١٧٩، ٢٤٨، ٢٦٩، ٢٧٠
- \_\_\_\_\_ ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٠٤، ٣٠٦، ٣٢٨، ٣٤٢، ٣٤٨
- الخندمة \_\_\_\_\_ ١٢٨، ٢٥٢
- الخيف \_\_\_\_\_ ٣٥، ٥٩، ٩٢، ١٢٦، ١٣٢، ١٤٤، ١٦٠، ١٦٣، ١٦٦، ١٧١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٣، ١٩٨
- \_\_\_\_\_ ١٧٧، ١٨٢، ١٩٥، ١٩٧، ٢٠١، ٢١٢، ٢٥٥، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٣٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٩
- \_\_\_\_\_ ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٣، ٣٤٤، ٣٤٦
- الرأس \_\_\_\_\_ ١٥
- الركن \_\_\_\_\_ ٢١، ٣٢، ٣٤، ١٠٤، ١٢١، ١٨٥، ٢٠١، ٢٧٢، ٣١٣، ٣٢٨
- الروضة \_\_\_\_\_ ١٢٨
- الريان (جبل) \_\_\_\_\_ ١٣٤
- السرر \_\_\_\_\_ ١٣٠، ١٣٥
- الشام \_\_\_\_\_ ١٠٧، ١١٩، ١٩٢، ٢٢١

١٧٩، ١٧٣، ١٤٤	- الشبيكة
١٣٨	- الشجر
١٤٤، ١٢٨	- الششة
١٤٤	- الشعاب
١٥٤، ١٤٤، ١٢٤، ١٢٣، ١١٥، ١١٤، ١٠٤، ١٠٣، ٩٨، ٩٤، ٩٣، ٩٢، ٦٩، ٣٢، ٣١، ٢١	- الصفا
٢١٨، ١٩٥، ١٩٢، ١٨٣، ١٨٢، ١٨١، ١٧٥، ١٧٤، ١٦٥، ١٦٤، ١٦٠، ١٥٨، ١٥٧، ١٥٥	
٢٥٢، ٢٤٩، ٢٤٦، ٢٠٧، ٢٠٥، ٢٨٢، ٢٨٢، ٢٦٩، ٢٦٢	
١١٧	- الصوى
١٣٦	- الطائف
١٣٦	- الطوي
٢٣٩، ١٤٠	- الظهران
٢٤١	- الميلاد
٢٢٢، ٢٢١، ٢١١، ١٩١، ١٨٩، ١٦١، ١٢٨، ١١٩، ١٠٤، ٩٩	- المراق
١٥	- المرش
٢١٠	- المريش
١١٧	- العقاب
١٥	- القادس
٢١٠	- القادسية
٢٢٥، ٢٦، ٢٢	- القاهرة
٢٣	- القبيس
٢٢٤، ٢٧٤، ٢٧٢، ٢٠٩، ٦٤، ٦٣	- القدس
١٤، ١٣	- القرية
٢٢٧	- القليس
١٢٠، ١٢٥، ١٢٢، ١٢١، ١٠٣، ٩٥، ٨٩، ٨١، ٧٨، ٧٤، ٧٣، ٦٩، ٦٣، ٥٨، ٢٣، ١٧	- الكعبة
٢٠٩، ٢٠٤، ١٨٢، ١٧٧، ١٦٩، ١٦٨، ١٦٥، ١٥٦، ١٤٩، ١٣٤، ١٤٨، ١٤٧، ١٤٥، ١٤٤	
٢٥٧، ٢٥٦، ٢٥٥، ٢٥١، ٢٤٤، ٢٢٩، ٢٢٨، ٢٢٧، ٢٢٦، ٢٢٤، ٢٢٣، ٢١٩، ٢١٧، ٢١٠	
٢٥٣، ٢٥١، ٢٠٣، ٢٩٥، ٢٨٨، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٧١، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦٢	
٢٤٩، ٢٠٥، ١٩٧، ١٨٣، ١٥٦، ١٤٠، ١١٧، ١١٢	- المازمان
٢٢	- المتكى

- ٣٢ \_\_\_\_\_ - المجتبي
- ١٨٩، ١٨٣، ١٨٢، ١٨٠، ١٦٥، ١٦٣، ١٦٢، ١٦٠، ١٥٩، ١٤٠، ١٣٠، ١٢٣، ٩٢، ٣٢ \_\_\_\_\_ - المحصب
- ٣٤١، ٣٠٥، ٣٠٢، ٢٩٨، ٢٩٧، ٢٨٣، ٢٧٦، ٢٦٩، ٢٠٠ \_\_\_\_\_
- ٢٤ \_\_\_\_\_ - المدينة الشريفة
- ٣٤٣، ٣٢٤، ٣٧، ٣٦، ٣٥، ٣٤، ٣٧، ٣٣، ٢١ \_\_\_\_\_ - المدينة المنورة
- ١٩٥، ١٧٤، ١٤٤، ١٤٣، ١٣٣، ١١٤، ٩٨، ٩٣، ٦٠، ٥٩، ٣٢ \_\_\_\_\_ - المروة
- ٢٢٩، ١٧٩، ١٤٤، ١٢٤، ١١٥، ٩٩ \_\_\_\_\_ - المروثان
- ٣١٨، ٣٠٣، ٢٩٧، ٢٨٨، ١٦٣، ١٤٤، ١٣٣، ١٤٤، ١٠٩، ٧٣ \_\_\_\_\_ - المزدلفة
- ٨٥ \_\_\_\_\_ - المسجد الأقصى
- ٢٢٣، ٢٠٩، ١٢٤، ٧٤، ٢٣، ١٨، ١٧، ٣ \_\_\_\_\_ - المسجد الحرام
- ٢٩٣، ١٠٤، ٣٢ \_\_\_\_\_ - المشاعر
- ١٣٠ \_\_\_\_\_ - الشعب
- ٢٦٩، ٢٠٥، ١٢٣، ١١٥، ١١٤ \_\_\_\_\_ - المشعر الحرام
- ١٢٢ \_\_\_\_\_ - المشعر القدسي
- ١٦٦، ٩٤، ٣٥ \_\_\_\_\_ - المشمران
- ٣١٨، ٣٠٥ \_\_\_\_\_ - المصلّى
- ٣٥، ٣٠ \_\_\_\_\_ - المرفف
- ٥٤ \_\_\_\_\_ - المعلاة
- ٢٣٣، ٢٣١، ١٧٤ \_\_\_\_\_ - المغرب
- ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٧ \_\_\_\_\_ - المنفص
- ٣١٣، ٢٣١، ٢٠١، ٢٧٦، ٢٢٠، ٢٠٢، ١٩٨، ١٩٢، ١٢٥، ١١٢، ٨١، ٣٤، ٣٢، ٢٣، ٢٢، ٢١ \_\_\_\_\_ - المقام
- ١٥ \_\_\_\_\_ - المقدسة
- ١١٩، ٣٦ \_\_\_\_\_ - المملكة العربية السعودية
- ١٢٥ \_\_\_\_\_ - المنارات
- ٢٢٤، ١٨٤ \_\_\_\_\_ - المنعنى
- ١١٨ \_\_\_\_\_ - المنهات
- ١٥ \_\_\_\_\_ - النماسة
- ٢٢٤، ١٨٤، ١٦١، ٥٤ \_\_\_\_\_ - النقا
- ١٩٣ \_\_\_\_\_ - النهايتان



- الفيل ١٩٢، ٥٩
- الهند ٣٤٩، ٣٤٣، ١٩٨
- الوجه ١٤٣، ١
- إلباء ٧٧
- البمامة ١٧٥، ١٦٦، ١٦٠، ١٥٩، ١٤١، ١٣٨، ١٣٢، ٧٥
- الهمن ٣٤١، ٣٣٦، ٢٠٧، ٣٣١، ١٩٣، ٧٩
- أم القرى ١٠٨، ١٠٧، ١٠٦، ١٠٥، ٨٨، ٨١، ٦٤، ٥٧، ٤٨، ٤٧، ٤٦، ٣٩، ٣٥، ٣٤، ١٤، ٥، ٤
- ١١٠، ١١١، ١١٧، ١١٩، ١٢٢، ١٤٦، ١٤٩، ١٥١، ١٦٩، ١٧٦، ١٩٠، ١٩٤، ٢٠٣، ٢١٠، ٢٣٣، ٢٥٨، ٣١٤، ٣٤٢، ٣٤٦، ٣٥٠
- أم رحم ١٥
- أم رحمن ٢١٠
- أم كوثى ٢١٠
- أوروبا ٥٩، ٥٨، ٥٧

(ب)

- باب السلام ٢٠٢
- بئر ابن هشام ١٢٨
- بئر ميمون ١٢٨
- باريس ٥٨
- بامنة ٢١٠
- بحر قزوين ٧٧
- بخارى ٣٢٥
- بدر ٣١١، ١٩٩
- بطحاء وادي سلم ١٧٨
- بطن مرّ ٢٣٩
- بغداد ٣١٧، ١٥٧، ١٠١، ٢٣
- بكة ١٥، ١٤، ٣
- بلاد الروم ٣٦٨، ٣٣١، ٩٨
- بلاد فارس ٣٢٥
- بلد المصطفى ٢٧

- بيت الله ..... ١٤، ١٦، ١٠٩، ١٨١، ٢٣٦، ٢٥٩، ٣٠٦، ٣٤١، ٣٤٣  
 - بيت الله الحرام ..... ٢٢، ٦٣، ٦٨، ٧٥، ٧٧، ٨٩، ٢١٧  
 - بيت المقدس ..... ٢١، ٧٧، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٣٠، ٢٣٥

(ت)

- تاج ..... ٢١٠  
 - تهامة ..... ١٤١، ٢٠٦  
 - تونس ..... ٢٦

(ث)

- ثبير ..... ١٩، ٣٢، ٧٣، ١١٥، ١٢٤، ١٣٦، ١٣٣، ١٤٤، ٢٢٩، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨  
 - ثهلان ..... ١٩٥، ٢٥٤، ٢٧٨  
 - ثور (غار ، جبل) ..... ٣٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٤٤

(ج)

- جبل الحبشي ..... ١٩٩  
 - جبل النور ..... ٥٠، ١٢٦، ١٢٧، ١٣١  
 - جبل برع ..... ٢٤١  
 - جدة ..... ٣٤  
 - جروول ..... ١٤٤  
 - جزيرة العرب ..... ١٧  
 - جُمُوع ..... ٣٢٢، ٣٢٤

(ح)

- حائل، عوف ..... ١٣٠  
 - حراء (غار ، جبل) ..... ٣٢، ١٠١، ١٣٣، ١٢٥، ١٣٦، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ٢٢٩، ٢٧٧  
 - حلب ..... ٢٨٠  
 - حنين ..... ٧٥

(خ)

- خراسان ..... ٩٠  
 - خرشنة ..... ٢٦٨، ٢٦٩  
 - خوارزم ..... ٢٠٣، ٢٢٥، ٢٢٦

(د)

- ٢٠٢ \_\_\_\_\_ دار السلام -  
٢٢٧، ١٣٤ \_\_\_\_\_ دار الندوة -  
٢٢ \_\_\_\_\_ دار خديجة -  
٢٧٩، ١٧٦، ٢٢ \_\_\_\_\_ دمشق -

(ذ)

- ٣٠٠، ٢٠٦، ١٤٢، ١٢٦ \_\_\_\_\_ ذات عرق -  
٢٤٨، ٢٢١، ٢٠٤، ١٤٤، ١٣٥، ١١٣، ٧٥، ٤١ \_\_\_\_\_ ذو المجاز -  
٤١ \_\_\_\_\_ ذو المجنة -

(ر)

- ٢١٠ \_\_\_\_\_ رأس -  
٢٢١ \_\_\_\_\_ رامة -  
٢١٠ \_\_\_\_\_ رحم -

(ز)

- ١٢٤، ١٢٢، ١١٧، ١١٣، ١٠٢، ٩٤، ٨١، ٧٦، ٦٩، ٥٤، ٣٤، ٣٢، ٣٧، ٢٣، ٢٢، ٧، ٤ \_\_\_\_\_ زمزم -  
١٨٢، ١٨١، ١٧٢، ١٧١، ١٧٠، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٦، ١٥٧، ١٥١، ١٤٨، ١٤٤، ١٣١، ١٢٥ \_\_\_\_\_  
٣٣١، ٣٢٨، ٣١٣، ٣٠٦، ٣٠٤، ٣٠١، ٢٩٣، ٢٨٨، ٢٧٦، ٢٦٩، ٢٦٢، ٢٠٢، ٢٠٠، ١٩٨ \_\_\_\_\_  
٣٥١، ٣٤٩، ٣٤٨، ٣٤٢ \_\_\_\_\_  
٢٢٥ \_\_\_\_\_ زممشش -

(س)

- ٢١٠ \_\_\_\_\_ سبوحة -  
١٧٩، ١٧٢ \_\_\_\_\_ سرح المربع -  
٢٩٤، ٢٣٩، ٢٠١ \_\_\_\_\_ سرف -  
١٨٤ \_\_\_\_\_ سلع -  
١١٩ \_\_\_\_\_ سوريا -  
٦٤ \_\_\_\_\_ سويسرا -  
٣٤٩، ٣٤٢، ٣٢٠، ٥٤ \_\_\_\_\_ سويقة -

(ش)

- ١٤١ \_\_\_\_\_ شامة (جبل) -  
١٣١ \_\_\_\_\_ شبه جزيرة العرب -

- ١٨٣ \_\_\_\_\_ - شعب المنقى  
 ١٨٣، ١٨٢ \_\_\_\_\_ - شعب عامر  
 ٢٤٠، ٢٣٨ \_\_\_\_\_ - شمطة  
 ٣٧٨، ١٩٥ \_\_\_\_\_ - شمام  
 ٣٥١ \_\_\_\_\_ - شيران

(ص)

- ١٣٦ \_\_\_\_\_ - صارات  
 ٢١٠، ١٥ \_\_\_\_\_ - صلاح

(ط)

- ٢٧٣ \_\_\_\_\_ - طبرية  
 ٢٤٣ \_\_\_\_\_ - طفخة (جبل)  
 ١٤١ \_\_\_\_\_ - طفيل (جبل)  
 ١٦٤ \_\_\_\_\_ - طويلع  
 ٣٠٥ \_\_\_\_\_ - طيبة

(ع)

- ٢٨٤، ٢٧٤، ٢٧١، ٢٧٠، ٢٠٥، ٢٠١، ١٤٤، ١٤٠، ١٢٣، ١٢٢، ١١٧، ١١٤، ١٠٩، ٩٢ \_\_\_\_\_ - عرفات  
 ٣٤٦، ٣٣٣، ٣٣١، ٢٩٨، ٢٩٧ \_\_\_\_\_  
 ١٤١ \_\_\_\_\_ - عُرنة  
 ٣٠٠ \_\_\_\_\_ - عسفان  
 ٢٥٢، ٢٤٢، ٢٤٢، ٢٤١، ٢٣٩، ٢٣٨، ٢٢١، ١٣٩، ١٣٨، ١٣٧، ١٣٦، ١٢٦، ٤١ \_\_\_\_\_ - عكاظ  
 ١٢٨ \_\_\_\_\_ - عُمان

(غ)

- ٢٣٠، ٢٢ \_\_\_\_\_ - غرناطة

(ف)

- ١٤٠ \_\_\_\_\_ - فح  
 ٥٩، ٥٧ \_\_\_\_\_ - فرنسما  
 ٦٤، ٦٣ \_\_\_\_\_ - فلسطين  
 ٥٨ \_\_\_\_\_ - فبيننا

(ق)

- ٢١٠ \_\_\_\_\_ - قادمس  
 ٣٣٤ \_\_\_\_\_ - قبر النبي (ص)

قرطبة - ٢٠٢

قميقيمان - ١٢٨

(ك)

كجكب - ١٣٥، ١٣٦

كداء - ٢٩٩، ٢٥١، ٢٥٠، ١٧٨، ١٧٧، ١٧٣، ١٤٥، ١٤٤، ٩٠، ٨٨، ٣٢

كدني - ١٧٨، ١٧٧، ١٤٥، ١٤٤، ٩٠، ٣٢

كوئي - ٢١٠، ١٥

(ل)

لبنان - ٥٩، ٥٨

(م)

مجة - ١٤٠

مسجد بيت المقدس - ١٨

مصر - ١٩٢، ١٨٥، ١٥٩، ١١٩

مما - ١٥

ممشة - ٢١٠

مقدسة - ٢١٠

مكة - ٣، ٤، ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣١

٣٤، ٣٥، ٣٧، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧

٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥

٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧

١٠٧، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦

١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢

١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥

١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١، ١٩٣، ١٩٥

١٩٦، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٧، ٢٢٠

٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩

٢٥٠، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥، ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧

٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤

٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٢٦، ٣٢٧

٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢

- منى ..... ٧٣، ٧٦، ٩٢، ٩٤، ١٠١، ١١٤، ١١٧، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٦، ١٤١، ١٥٦، ١٦٠، ١٦٣، ١٧٥،  
 ١٧٦، ١٨٠، ١٨٤، ١٩٣، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠١، ٢١٢، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٩٤، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٣،  
 ٢٢٤، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٩، ٢٤١، ٢٤٤، ٢٤٦

(ق)

- ناشة ..... ٢١٠  
 - نجد ..... ٢٠٦، ٢٣٦  
 - نخلة ..... ١٣٦، ٢٤٢  
 - نَعْمَان (جبل) ..... ١٢٦، ١٣٠، ١٣٤، ١٤١، ١٤٢، ١٥٨، ١٦٢، ١٩٧، ٢٢٢، ٢٩٠، ٣٠٠، ٣٠٥

(هـ)

- هجلاها ..... ١٤٤

(و)

- وادي الأراك ..... ١٦٨  
 - وادي العقيق ..... ١٦٧  
 - وادي حيقر ..... ٣  
 - واد غير ذي زرع ..... ١٧، ١٥٠، ٣١٠، ٣١٢  
 - وادي قاطمة ..... ٢٣٩

(ي)

- يثريب ..... ٢٣، ٢٠٠، ٢٧٢، ٢٧٥، ٢٧٩، ٢٩٤، ٣٠١، ٣٠٨  
 - يثيل ..... ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٥٤

\*\*\*\*\*

## المحتوى

٣	- تصدير ١. عبد العزيز سعود البابطين
٥	- (م القرى د. عبد الرزاق حسين
٩	- مقدمة
١٣	- توطئة
١٣	● المشهور من أسماء مكة المكرمة
١٥	● مكانة مكة المكرمة
٣٣	● التأليف في مكة المكرمة
القسم الأول: مكة في عصور الشعر العربي	
٤١	- أولاً: مكة في الشعر العربي القديم (ويتضمن العصور التالية الجاهلي والإسلامي والأموي والعباسي) —
٤٤	- ثانياً: مكة في الشعر العربي في العصر الوسيط (ويتضمن عصر الدول المتتابعة والعصر العثماني) —
٤٦	- ثالثاً: مكة في الشعر العربي الحديث والمعاصر
القسم الثاني: من أفراس الشعر في مكة وموضوعاته	
٦٧	- أولاً: الفخر القديم
٨١	● الفخر الحديث
٨٢	- ثانياً: المدح
٨٣	● المدح النبوي
٨٨	● المدح العام
١١٣	- ثالثاً: الوصف (وصف الأماكن والبقاع المكية)
١١٤	● وصف الحج والمناسك والمآثر
١٢٣	● ذكر الأمكة والبقاع
١٤٨	- رابعاً: الشعر الصوفي
١٥٠	- خامساً: الحنين والشوق
١٨٨	● الشوق المكسي
١٩٢	● مثيرات الحنين ومنهات الشوق
١٩٣	● خيال الطفلة
١٩٤	● الوصايا
١٩٨	- سادساً: الرثاء
٢٠٤	- سابعاً: الهجاء
٢٠٨	- ثامناً: الشعر التعليمي والأراجيز
٢١٢	- تاسعاً: الشعر التاريخي
القسم الثالث: الشعر في أحداث مكة	
٢١٧	- الكعبة (تسميتها، بناؤها، إحراقها، سيلها، رميها بالنجس)
٢٢٥	- استيلاء خزاعة على مكة
٢٣٦	- حكم قصي

٢٢٧	- عام الفيل
٢٣٧	- حرب الفجار
٢٤٣	- الأحلاف
٢٤٤	- حلف الفضول
٢٤٨	- صحيفة قريش
٢٤٩	- الهجرة إلى الحبشة
٢٥٠	- فتح مكة
٢٥٦	- الفتن والحوادث
٢٦١	- فتنة القرامطة

#### القسم الرابع، الخصائص والسمات الفنية

٢٦٥	- التشبيه والتشليل بالقوة والقدرة
٢٧٥	- المعاني
٢٧٥	• الدوام والثبات
٢٧٩	• القياس بمكة والتشبيه بها
٢٨١	• المجانسة
٢٨٧	- الأمثال الشعرية في مكة
٢٩٢	- الأسلوب
٢٩٢	• القسم
٣٠٢	• الدعاء
٣٠٨	• الاقتباس والتضمين
٣١٢	- التصوير

#### القسم الخامس، من شعراء المشق المكي

٣١٧	- الشريف الرضي
٣٢٥	- الزمخشري
٣٢٩	- ابن جبير
٣٣٥	- يعقوب الصرصري
٣٤١	- عبد الرحيم البرعي
٣٤٢	- ابن مقصوم
٣٥٢	- الظاهمة
٣٥٤	- المصادر والمراجع
٣٦٢	- فهرس الأعلام
٣٩٥	- فهرس الأماكن
٤٠٥	- المحتوى

\*\*\*\*

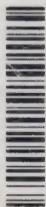








Biblioteca Alexandrina



1101049

